الدكتور مسعد عبد العطوي

أحمد الغزاوي

وآثاره الأدبية

القسم الأول

دراسة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحمد الغزاوي
وآثاره الأدبية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

أحمد الغزاوي
وآثاره الأدبية

القسم الأول
دراسة

الدكتور مسعد عيد العطوي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإهداء

إلى صاحب السمو الملكي الأمير
عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود ، أمير منطقة تبوك .
الذي سخر جهداً كبيراً لهذا الجزء الغالي من
مملكتنا الحبيبة .

- فبنى فكراً .
- واشاد عمراناً .
- ونسج الأرض حلة خضراء .

أُهدي إليكم صدى أمجاد والدكم المغفور له الملك
عبد العزيز .

- صانع حضارة الجزيرة العربية الحديثة .
- فرحم الله أحمد الغزاوي ، الذي سجل تلك الأعمال
المجيدة . في الأدب العربي الخالد .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تقديم

الحمد لله وحده والصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد : ـ

فقد اطلعت على الرسالة المقدمة من الدكتور / مسعد بن عيد العطوي الذي بموجبها نال شهادة الدكتوراه من جامعة الامام محمد بن سعود . كان موضوعها الشاعر / أحمد بن ابراهيم الغزاوي والذي انتهج اسلوباً بديعاً في حياته اقترن بما تشهده المملكة من تطور علمي وثقافي وحضاري . وكان لساناً صادقاً لم يترك مناسبة وطنية الا وتحدث عنها وباطلاعي على هذا البحث العلمي لمست ما بذله الدكتور / مسعد من جهود كبيرة في البحث والتحصيل وكثرة الاسفار والالتقاء ببعض اقارب المرحوم الغزاوي فاختيار هذا الموضوع بالذات لم يكن الامر سهلاً وميسوراً .ولكن العزيمة القوية والاطلاع العلمي الذي قام به الدكتور كان كفيلاً بأن يخرج بهذه المحصلة العلمية التي كانت نتيجتها حصوله على شهادة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى فقد ابدع في البحث والتحصيل وتبويب وتصنيف موضوعات هذه الرسالة وكان مجهوداً رائعاً يستحق الثناء والتقدير لما قام به ومع التهنئة للدكتور مسعد بهذه المناسبة الطيبة . ارجو له دوام التوفيق والسداد . كما ارجو ان يكون ذلك حافزاً قوياً لشبابنا لمزيد من الاطلاع واجراء البحوث العلمية النافعة والاستفادة من الفرص التي وفرتها الدولة لابناء هذا الوطن ليؤدوا الواجب المناط بهم والمشاركة في مسيرة البناء والتقدم على اسس علمية سليمة ورائدة . والله الهادي الى سواء السبيل . . .

أمير منطقة تبوك

عبد المجيد بن عبد العزيز

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

املاء الدكتور محمد بن سعد بن حسين رئيس قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

فإن الشاعر أحمد بن ابراهيم الغزاوي يعد من أكبر شعراء الرواد في بلادنا وأجلهم قدراً وأكبرهم علماً وأوفاهم لتاريخ هذه الأمة وأحداث مجتمعها في هذا العصر الذي مني فيه شعر المناسبات بحملات ظالمة من أولئك الذين وضحت في آدابهم بصمات الآداب الأجنبية ، أو اعياهم الاتيان بمثل ما يأتي به شعراء المناسبات لكون هذا اللون من الأدب يتطلب من صاحبه أن يتوفر عليه تهذيباً وتجويداً وأحكاماً واتقاناً ليفرض نفسه على السامع وليمتع القارىء ويمد الدارس بما يسعى اليه من جيد الأدب ونفيسه .

ومن ذلك أن شعر هذا الرجل كان سجلاً أدبياً لأحداث الدولة السعودية من سنة أربع وأربعين وثلاث مائة وألف الى أن توفي الشاعر سنة ١٤٠١ وهو وإن لم يكن وحده في ذلك إلا أن عمله كان أطول وأشمل لكونه عاش أكثر مما عاش بن عثيمين وبن بليهد وفؤاد شاكر وأمثالهم ممن أسهموا في هذا الميدان ، على أن ابن عثيمين كان أسبق من بن بليهد الذي كان أسبق من الغزاوي وفؤاد شاكر ، أما الشيخ سليمان بن سحمان فكان أسبق من هؤلاء جميعاً إلا أن نصيبه كان أقل لانشغاله بالرد على أعداء الدعوة وتفنيد مزاعمهم ثم أنه توفي رحمه الله في سنة تسع وأربعين وثلاث مائة وألف للهجرة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يقف الغزاوي شعره على المناسبات ، بل جال في جميع أغراض الشعر وترك ثروة كبيرة في الاخوانيات والاجتماع والغزل وأغراض أخرى إلى ما له من قدم راسخة في شعر المناسبات الذي اشتهر فيه بين الناس على الرغم من وفرة شعره في غيره ، فلعله لم يشع ذلك في الناس كاشاعته شعره في المناسبات ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الأطروحة حيث جمع فيها كل ما أمكن العثور عليه من شعره ، وأقول ما أمكن لأن الباحث لم يعثر له على ديوان مدون ولم يذكر أحد من ذويه شيئاً من ذلك . ولم يكن الغزاوي رائداً في ميدان الشعر وحده ، بل كان كذلك في النثر وما كتبه فيه يفوق من حيث الكم ما نظم من الشعر على وفرته . والذي جمع الباحث من نثر الغزاوي يكون من حيث عدد الصفحات نصف الأطروحة تقريباً ، ويقع منها في ثلاثة مجلدات ، غير أن الباحث آثر تأجيل نشر النثر إلى حين الفراغ من نشر الشعر والدراسة ، وذلك ما أملى هذه الكلمة في تقديمه .

ولا بأس أن أذكر أنه حين استشارني الابن الدكتور مسعد بن عيد العطوي في الأيام التي كان يبحث فيها عن موضوع لاطروحة الدكتوراه التي كان يسعى الى الحصول عليها من قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض سبق الى ذهني الشاعر أحمد بن ابراهيم الغزاوي ، فطرحته مع موضوعات أخرى أمام مسعد غير أني لم أخف عنه ميلي اليه للأسباب التي ذكرتها سلفاً، فكان أن أقدم على اختيار هذا الموضوع (أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية) وبعد طرحه ومناقشته تمت له الموافقة عليه .

وكان عليه أن يجمع أخبار الغزاوي ونصوص أدبه شعراً ونثراً من صفحات الصحف والمجلات وبطون الكتب وصدور الحفاظ .

ومع ما في مثل هذا العمل من صعوبة أعرفها جيداً الا أني لم أكن أعرف تلك الصعوبة الهائلة التي قابلت الباحث حين شرع في الجمع متلمساً مصادر أخبار هذا الرجل ونصوص أدبه .

وكان أصلب تلكم الصعوبات صعوبتان كلتاهما أنكد من اختها .

فلقد ظن عليه بعض العارفين بأحوال الشاعر ولم يمدوا له يد العون بعلمهم وما لديهم من نصوص أدبه .

والثانية أن نصوص أدبه صارت أكثر مما كنا نتصور والباحث قد التزم بالجمع والدراسة . غير أن عزيمته كانت أقوى من تلكم الصعوبات ، بل استطاع أن ينجز هذا العمل في فترة أقل من المدة القانونية بقليل ، ويمكنك أن تتبين ضخامة هذا العمل إذا عرفت أنه قد أنجزه في ستة مجلدات يزيد عدد صفحاتها على أربعة آلاف وسبع مائة صفحة من القطع الكبير (فلسكاب) .

وهذا الذي بين يديك أيها القارىء جزء من تلك الأطروحة التي حصل بها على الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى ، وهي الدراسة والديوان الشعري ، ولن أتحدث لك عن خطته ومنهجه كما أني لن أعرضه لك ، بل سأترك ذلك لمقدمة الباحث ففيها ما يغني .

غير أن الواقع يفرض علي أن أشيد بهذا العمل الجليل الذي قام به ابننا الدكتور مسعد ، وأعده اسهاماً ممتازا في خدمة أدب أمتنا وفكرها قام به مسعد وحده ، وكانت احدى جامعاتنا قد كونت له لجنة من عدد من الباحثين قبل علمها بشروع مسعد فيه ، لقد صحبت الباحث من حين اقتراح الموضوع الى حين الفراغ من مناقشة الأطروحة فوجدته يتحلى بصفات العلماء الباحثين الجادين الجلدين في عملهم المنصفين فيه من أنفسهم وما يملكون من طاقات وقدرات وكان له من جلده وصبره نعم العون .

ثم أن هذا العمل وأمثاله مما يعد مفخرة من المفاخر التي سبقت اليها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، تفخر به كلية اللغة العربية بالرياض ويشكر عليه قسم الأدب بها لكونه عمل رائد نتمنى أن يصنع مثله عن رواد الأدب في بلادنا ، وهذا جانب اهتم له قسم الأدب بالكلية وأولاه كثيراً من عناية رجاله وشاهد ذلك مشهود في ما يصدر عنه ، ومع كونه من واجباته الأساسية ، إلا أن التحدث بنعمة الله من باب شكرها .

الدكتور محمد بن سعد بن حسين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة المؤلف

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هدانا للإسلام وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانا اللهُ ، ونُصَلِّي وَنُسَلِّمُ على سيدنا مُحَمَّدٍ عبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ . . ونَسْتَفْتِحُ بالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . . .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُ بِكَ ونَسْتَهْدِيكَ . . فَأَعِنَّا وَاهْدِنَا إِلىٰ صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ . . .

وَبَعْدُ . . . . فَلَقَدْ كَانَتْ مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ ـ بَلَدُ اللهِ الحَرَامُ ـ هِيَ البُقْعَةُ المُبَارَكَةُ التي أَشْرَقَ مِنْهَا نُورُ الإِسْلاَمِ عَلَىٰ العَالَمِ كُلِّهِ . . . ومِنْ رِحَابِهَا المُقَدَّسَةِ أَشْرَقَتْ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثاً لِلْعَرَبِ فِي الحَيَاةِ مِنْ جَدِيدٍ ، واصْطِفَاءً مِنَ اللهِ لَهُمْ لِهِدَايَةِ البَشَرِيَّةِ الضَّالَّةِ وَقِيَادَتِهَا بِمَنْهَجِ رَبِّهَا فِي مَسِيرَتِهَا المُمْتَدَّةِ عَبْرَ الأَجْيَالِ وَالْقُرُونِ . . .

وَلَقَدْ أَرَادَ اللهُ العَلِيُّ القَدِيرُ ـ وَلِلَّهِ مَا يُرِيدُ ـ أَنْ تُسَاهِمَ مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ فِي مَشْرِقِ نَهْضَتِنَا الأَدَبِيَّةِ الكُبْرَىٰ الَّتِي عَمَّتْ أَرْجَاءَ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ ، وَأَنْ يَكُونَ شَاعِرُنَا ـ أَحْمَدُ بن إِبْرَاهِيمُ الغَزَّاوِيُّ ـ رائِداً مِنْ أَعْظَمِ رُوَّادِ هَذِهِ النَّهْضَةِ الَّتِي بَزَغَ فَجْرُهَا فِي (أُمِّ القُرَى) ، وَنَشَأَ رُوَّادُهَا وَتَرَعْرَعَتْ مَوَاهِبُهُمْ بَيْنَ رُبُوعِهَا المُبَارَكَةِ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَقَادَتْ مَكَّةُ فِيها الجَزِيرَةَ العَرَبِيَّةَ بِأَسْرِهَا إِلىٰ يَقَظَةٍ أَدَبِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ رَائِعَةٍ شَمِلَتْ كُلَّ جَوَانِبِ الحَيَاةِ . .

وَعَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الحَقِيقَةِ وامْتِدَاداً لِلدَّوْرِ العَظِيمِ الَّذِي كَانَ لِمَكَّةَ المُكَرَّمَةَ وَشَاعِرِهَا الكَبِيرِ في قِيَادَةِ هَذِهِ النَّهْضَةِ الأَدَبِيَّةِ وَرِيَادَتِهَا كَانَ اخْتِيَارِي لِمَوْضُوعِ هَذَا البَحْثِ : عَنْ أَحْمَدُ بن إِبْراهِيمِ الغَزَّاوِي وآثارِهِ جمعُ ، وتصنيفٌ ، وتوثيقٌ وتعليقٌ .

ولَقَدْ كَانَتِ الدَّوَافِعُ وَرَاءَ هَذَا الاخْتِيَارِ مُتَعَدِّدَةً وَمُتَنَوِّعَةً . . :

أولاً : الرَّغبةُ الصَّادِقَةُ في التَّعرّفِ على مَلامِحِ الحَيَاةِ الأَدَبِيَّةِ في ظِلالِ هَذِهِ النَّهْضَةِ الكُبْرىٰ التي شَهِدَتْ مَرَاحِلَ مُتَتَابِعَةً وَمَدَارِسَ مُتَنَوِّعَةً ، وَرُوَّاداً أَفْذاذاً في تَارِيخِ أَدَبِنا العَرَبِيِّ الحَدِيثِ . .

ثانياً : حُبِّي الصادق للتَّعَرُّفِ عَلى أَدَبِ وَطَنِي المُفَدَّى والتَّعْرِيفِ بِهِ وَبِأُدَبَائِهِ وَشُعَرَائِهِ وَرُوَّادِ نَهْضَتِهِ الرَّائِعَةِ الَّتِي رَضَعْتُ مِنْ أَثْدَائِهَا ، وَنَهَلْتُ مِنْ مَعِينِهَا ، واستَقَيْتُ العِلمَ والمَعْرِفَةَ علىٰ أَيْدِي عُلَمَائِهَا وَأَعْلامِهَا ، وبِفَضْلِ تَوْجِيهَاتِهِمْ المُخْلِصَةِ وَجُهُودِهِمْ الصَّادِقَةِ بَدَأْتُ خُطُوَاتِي عَلَى طَرِيقِ البَحْثِ العِلْمِيِّ الجَادِّ .

ثالثاً : لَعَلَّ مِنْ أَهَمِّ الأَسبَابِ التي دَعَتْنِي إلى الإِقْبَالِ عَلَى أَدَبِ هَذَا الرَّجُلِ وإلىٰ حُبِّهِ وَتَقْدِيرِهِ مَا رَأَيْتُهُ في أَدَبِهِ مِنْ رُوحٍ إِسْلامِيَّةٍ بَارِزَةٍ كَانَتْ بِمَثَابَةِ الخَيْطِ المَتِينِ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ كُلِّ إِنْتَاجِهِ الأَدَبِيِّ مِنْ شِعْرٍ أَوْ نَثْرٍ . .

رابِعاً : مَا رَأَيْتُهُ مِنْ حُبِّ هذا الرَّجُلِ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَحِفَاظِهِ عَلَيْهَا ما اسْتَطَاعَ إلى ذَلِكَ سَبِيلاً ، حَتَّى أَثْبَتَ لِلْمَلإِ أَنَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ قَادِرَةٌ على مُسَايَرَةِ الحَضَارَةِ

والتَّعْبِيرِ عَنْ العَصْرِ الحَدِيْثِ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنْ أَفْكَارٍ وَتَجَارِبَ ، ومُخْتَرَعَاتٍ جَدِيدَةٍ واتجاهاتٍ حَدِيثَةٍ ، فَجَمَعَ أَدَبُهُ بَيْنَ المَضَامِينِ العَصْرِيَّةِ الحَدِيثَةِ ، والأَصَالَةِ العَرَبِيَّةِ العَرِيقَةِ .

خامساً : إنَّ الغَزَّاوِيَّ رَائِدٌ مِنْ رُوَّادِ الشِّعْرِ الحَدِيثِ في المملكة العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ويُمثِّلُ شِعْرُهُ مَدْرَسَتَيْنِ مُتَمَيِّزَتَيْنِ مِنْ مَدَارِسِ الشِّعْرِ الحَدِيثِ : مُحَافِظَة قَدِيْمَة ، ومُجَدِّدَةٍ حَدِيثَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنَلْ هُوَ وَلاَ شِعْرُهُ مِنَ العِنَايَةِ والإِهْتِمَامِ وَلاَ مِنَ الْبَحْثِ والدِّرَاسَةِ ما يَسْتَحِقَّانَهُ مِنْ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ ومُفَكِّرِيهِ وعُشَّاقِ نَهْضَتِهِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ رَاجِعٌ في رَأْيِي إلى أَنَّ الرَّجُلَ ظَلَّ صَامِداً إلى آخِرِ حَيَاتِهِ في وَقْفَتِهِ المَجِيدَةِ إلى جَانِبِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ والتُّراثِ الإِسْلاَمِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ تِلْكَ الهَجْمَةِ الشَّرِسَةِ الَّتِي استَهْدَفَتِ القَضَاءَ عَلى لُغَةِ العَرَبِ وَعَلَىٰ تُرَاثِهِم المَجِيْدِ . . .

كلُّ هَذِهِ الأُمورِ المجْتَمِعَةِ حَبَّبَتْ اليَّ أَنْ أَتَقَدَّمَ مِنْ هَذا الرجلِ أَتَعَرَّفُ عليه وَأُعرِّفُ النَّاسَ بِهِ ، وأَتناولُ إنتَاجَهُ الأَدبِيَّ بالجَمْعِ والتَّوثيقِ ، والدِّراسَةِ والتَّحْلِيلِ ، ومِنْ ثَمَّ أُسَاهِمُ في إِخْرَاجِهِ لأَبْنَاءِ الأُمةِ من مُحِبّي وعشَّاقِ اللُّغَةِ العَربيَّةِ وآدابِها ، لِيَكُونَ لأَجْيَالِنَا قدوةً تُقْتَدَى ، ونِبْراساً به يُهْتَدَى ، ومِثالاً عليه يُحْتَذَى ، وُصُولاً إلى نَهضَةٍ حَقيقيَّةٍ تَعُمُّ الوطنَ العربيَّ المُفَدَّى بإذنِ اللهِ . . .

كانَ أَوَّلُ لقاءٍ لي مع (الغَزَّاوي) على مائِدَتِه الشَهِيَّةِ : (شَذَرَاتِه الذَهبيَّةِ) التي كانَتْ تَتَحَلَّى بها مَجَلَّةُ (المَنْهَلِ) وكانَ مَرَدُّ إعجابي بها جَانِبَها اللُّغَوِيَّ ، بِحُكْمِ أَنَّ ذَلِكَ الجانِبَ كانَ بُغْيَتِي الأولىٰ زَمَنَ البَحْثِ والتَّحْصِيلِ العلْميّ بالكلّيَةِ ، ثُمَّ كَانَ يُبَاعِدُنِي عَنْهُ تَشَعُّبُ الدِّرَاسَةِ وأَعباؤها ، وإِعْرَاضُ النّقادِ عنْهُ وعَدَمُ تَوجيهِ طَلِيعَةِ الشَّبَابِ الى أَدَبِهِ ، وظَلَّ الحالُ على ذَلِكَ حتَّى الْتَقَيْتُ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بأُسْتَاذِنَا الفاضِلِ (الدّكتورِ) مُحَمَّدِ بنِ سعدِ بنِ حُسَيْنٍ) فأَشَارَ عليَّ بأَنْ يَكُونَ موضوعُ بَحثي عَنِ الشَّاعِرِ الأديبِ : (أَحْمَدِ بن إبراهيم الغَزَّاوي) فَشَعَرْتُ بِالعِبْءِ وشَمَّرْتُ عن ساعِدِ الجِدِّ ، وأَخَذْتُ في البَحْثِ عَنِ الشاعِرِ وعنْ أَدَبِهِ مِنْ شِعْرٍ ونَثْرٍ ، وَطَفِقْتُ شُهُوراً أَطُوفُ على المَكْتَبَاتِ العامَّةِ والخاصَّةِ فَلَمْ أَعْثُرْ لَهُ على دِيوانٍ مَطْبُوعٍ ولا كِتَابٍ مَنْشُورٍ ، وكادَ يَنْقَطِعُ ما بَيْنِي وبينَ الشَّاعِرِ مِنْ رَوَابِطَ فَأَسْرَعْتُ إلى فَضِيلَةِ (الأُستاذِ المُشْرِفِ عَلَى البَحْثِ) أَعْرِضُ عَلَيهِ الأمرَ وأَطْلُبُ منهُ المُسَاعَدَةَ فَأَخَذَ بِيَدِي مَشْكُوراً ، وَحَثَّنِي على جَمْعِ أدبِ الرَّجُلِ شِعْراً ونَثْراً مِن مَصَادِرِهِ المُتَنَاثِرَةِ مَهْمَا كَلَّفَنِي ذَلِكَ مِنْ جَهْدٍ ، ودِرَاسَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَحْقِيقِهِ ، وَشَاءَ اللهُ أَنْ يَتَزَامَنَ ذَلِكَ التَّوْجِيهُ مَعَ تَوْجِيهٍ آخرَ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ القُدُوسِ الأَنْصَارِي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أَثْنَاءَ إِلقَاءِ مُحَاضَرَتِهِ حَوْلَ (الأَدبِ السَّعودي) في جامعةِ الملكِ سُعُودٍ بالرياضِ حيثُ التَقَيْتُ بِهِ وَطَلَبْتُ مَشُورَتَهُ ومُسَاعَدَتَهُ في دِرَاسَتِي لهذا الموضوعِ لِمَا كانَ بينَهُ وبينَ الرَّجُلِ من صِلَةٍ وَثِيقَةٍ وأُخُوَّةٍ حَمِيمَةٍ فَأَبْدَى تَحَمُّسَهُ الشَّدِيدَ للموضُوعِ وَحَثَّنِي على مُواصَلَةِ العَمَلِ فيه وأَبْدَى استعدَادَهُ لِأَنْ يَكُونَ عوناً لي على ما يَعْتَرِضُ طريقي من عَقَبَاتٍ .

وقد اسْتَخَرْتُ اللهَ واستَعَنْتُ به وقُمتُ بِعَمَلِ خِطَّةٍ للبَحْثِ بتوجيهٍ من فَضيلةِ الدّكتورِ مُحَمَّدِ بن حُسَيْنٍ وتَقَدَّمْتُ بها إلى الكلّيةِ (كليةِ اللغةِ العربيةِ) ثم انطلقْتُ بعدَ ذَلِكَ بِحَمَاسٍ شديدٍ أَتَعَرَّفُ على حياةِ شاعِرِنا الغزاوي وأَجْمَعُ إِنْتَاجَهُ مِن (شِعْرٍ وَنَثْرٍ) وَذَلِكَ من مَظَانِّهِ المُخْتَلِفَةِ ومصادِرِهِ المُتَنَاثِرَةِ في كلِّ مَكانٍ . . ولقدْ اعترَضَتْنِي أثناءَ جَمْعِي لإِنْتَاجِهِ وتَتَبُّعِي لسيرتِهِ عَقَبَاتٌ جَمَّةٌ مِنْها :

١ ـ أَنَّ انتاجَ الشاعِرِ الغزاوي لم يَكُنْ مجموعاً ولا مُدَوَّناً في مَراجِعَ يَسْهُلُ

على الباحثِ الرجوعُ إليها ، وإنما كان مُوزَّعاً بين دفات الصّحفِ والمجلاتِ القَديمةِ والحديثةِ الموزعةِ في مَكتباتِ المُدنِ المختلفَةِ العامَّةِ والخاصَّةِ ، أو في ثنايا الكُتُبِ التي تناولتْ بالبحثِ النهضةَ الأدبيةَ في البلادِ . . مما جَعلني أمكثُ أشهُراً كاملةً أتصفَّحُ هذه الصُّحُفِ والمجلاتِ صفحةً صفحةً ، وما كانَ أصعبَ وُجُودِها والحصولِ عليْها .

٢ ـ ومنها صعوبةُ التصويرِ لهذه الصُّحُفِ على كثرتِها ورفضُ المكتباتِ السَّمَاحَ بالتصوير لأنها تكلف جهداً كثيراً (فهي تستلزم الميكروفيلم) أولاً ثم تصويرِها بعدَ ذَلك ، مما اضطَرَّني إلى التردُّدِ على المكتباتِ لشُهورٍ عديدةٍ بينَ رَفْضٍ وصَدٍّ منها ، وصَبْرٍ وتَودُّدٍ من جانبي الامر الذي أثقلَ كاهلي وكاد أن يفقدني الأملَ في الوصولِ إلى شيءٍ ثمَّ سهَّلَ اللهُ الأمرَ وتَمكنْتُ بمساعدةِ الدَّارَةِ من تصويرِ صحيفةِ (صوت الحجازِ) وبعدَ فَتْرةٍ صوَّرْتُ صحيفةَ (أم القرىٰ) ثم تَوالىٰ تَصويرُ الصُّحُف الأخرىٰ وقد اطلعْتُ على مكتبةِ الغَزَّاويِ التي أُهْدِيَتْ الى مكتبةِ جَامِعَةِ (أمِ القرىٰ) والتي أُشِيعَ أنَّها تَحْتَوي على صَناديقَ تَحوي إنتاجَ الغَزَّاوي ، فوجدتُ أنَّها تَحتوي على صُحُفٍ لا غيرَ وهيَ صُحُفٌ ليسَ فيها إنتاجُ الغزاوي .

٣ ـ ومنها أنَّني عندما عُدْتُ الى ما تَجمَّعَ لديَّ من أصولِ المادةِ العلميةِ وجدتُ عَقبةً كبرى تَمَثَّلَتْ في سُوءِ التَّصْويرِ وعَدَمِ وُضُوحِهِ ، ونَقْصِه وضِيَاعِ كثيرٍ من الأَرقامِ والتواريخ ، وقد أمضيتُ شُهوراً في نقلِ تلكَ الصَّفَحَاتِ بخَطِّ اليدِ لِيَسْهُلَ تَحْقِيقُهَا والتعليقُ عليها كَمَا اقْتَضَى ذلك مني أيضاً مُقَارَنَتَها بمثيلاتِها من الصُّوَرِ في المكتباتِ الأُخرى مع مراجَعَتِهَا على الأصولِ إذا لَزِمَ الأمرُ . . . وما كانَ أكْثَرَ أَسْفَاري مُتَنَقِّلاً بينَ تبوكَ ومَكةَ وجُدَّةَ والرياضِ لتحقيقِ هذا الهدفِ . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد ذهبتُ الى مَكَةَ المكرَّمَةَ حيثُ نَشَأَ الغزاوي ، وحيثُ تُوجَدُ أُسْرَتُهُ وأَصْدِقَاؤُهُ ومَعَارِفُهُ بِهَدَفِ الإِسْتِمْدَادِ منهم بِمَا لَدَيْهِمْ من أَعْمَالِ الرَّجُلِ الأَدَبِيَّةِ أَوْ أَقْوالِهِ وَتَسْجِيلِ ما لَدَيْهِمْ من معلوماتٍ خَاصَّةٍ عن حَياتِهِ وسيرتِهِ الشَّخصيةِ ، ولكن ما حصلت عليه لم يكن ذا بال يذكر أمام عظمة الرجل وشهرته .

وإزاءَ ذَلِكَ . . ونَظَراً لأنَّ ما كنتُ قد جَمَعْتُهُ من مَعْلُوماتٍ حولَ حَيَاةِ الرَّجُلِ وسيرته كانَ جُزءاً قَليلاً لا يُسْمِنُ ولا يُغْني من جُوعٍ فَقَدِ اتَّبَعْتُ طريقاً جَديداً أَشَدَّ صُعوبَةً يَسْتلزِمُ وقتاً طويلاً وتَفكيراً مُتَأَنِّياً ، واستقصاءً واسعاً ، ذلكَ هُوَ البحثُ عن مَعَالِمَ سيرتِهِ ، وَمَلامِحَ شخصيَّتِهِ من خلالِ أَدَبِهِ شِعراً كانَ أَوْ نَثْراً مما جَعَلَنِي أَتَتَبَّعُ آثارَهُ وإِنْتَاجَهُ الأدبيَّ بالقراءةِ الفاحِصَةِ والدراسةِ المُتَأَنِّيَةِ المرَّةَ بعدَ المَرَّةِ ، أَتَلَمَّسُ في شِعره ملامحَ شخصيَّتِهِ وأُفَتِّشُ في نَثْرِهِ عنْ معالمِ سيرتِهِ ، وأَظُنُّنِي سجَّلتُ حياته تسجيلاً أَرتاحُ إليه مما جعلَ بعضَ أقاربِهِ يطْلُبُ أنْ أمدَّهُ بالمعلوماتِ التي جَمَعْتُها عن الرجلِ مع أنَّه من أَقْربِ المقربينَ إليه . . وهذا دليلٌ على أَنَّ أزهَدَ النَّاسَ بالعالِمِ والأديبِ أهلُهُ وذَووه ، و(العالِمُ غريبٌ بَيْنَ أَهْلِهِ) وهذا دليلٌ آخرُ على أنَّ حياة الأديبِ تكونُ في أَدَبِه أَوْضَحَ وأبرزَ منها عندَ أَهْلِهِ وذويه . . ومنْ هُنَا قال المتنبّي قولَتَهُ المشهورة : (ابنُ جِنّي أعرفُ بشعري مِنّي) . .

وبعدَ أنْ وَفَّقني اللهُ عزَّ وجَلَّ الى جمعِ المادَّةِ العلميةِ والبحثِ . . انتقلتُ إلى دراسَتِهَا دراسةً مُتَأَنِّيَةً مستوعِبَةً ، راعيتُ فيها أن تَكُونَ مبنيةً على الإستِقْراءِ والتّحليلِ وبيانِ الأسبَابِ وتعليلِ الظَّواهِرِ وتَدْوينِ النَّتائِجِ ودقّةِ الأَحْكَامِ . . . ولَقَدْ اسْتَعَنْتُ في ذَلِكَ بالعديدِ من الدِّرَاسَاتِ القديمةِ والحديثةِ التي تَنَاوَلَت الأدبَ والنَّقْدَ في هذا العصرِ الذي عَاشَ فيه الغزاوي ، وذلِكَ فَضْلاً عن تَتَبُّعي واستِقْصائي للمذاهِبِ النَّقديَّةِ الحديثَةِ واتِّجَاهاتِها لتكونَ دراستي لهذهِ الشخصيةِ الأدبيّةِ الفَذَّةِ مستقيمةَ

المنْهَجِ واضحةَ الهَدَفِ ، صحيحةَ النتائِجِ ، وقد اتّبعْتُ في دراستي لهذا الموضوع المنهجَ التاريخيَّ الفنيَّ ، فقسمتُه إلى قِسمين رَئيسيَّيْن :

القسمِ الأولِ : دراسةٌ للشَّاعِرِ وآثارِه .

القسمِ الثاني : آثارُه جمعٌ وتصنيفٌ وتحقيقٌ وتعليقٌ .

وقد اشتمل القسمُ الأولُ على بابين :

البابِ الأولِ : البيئةُ العامّةُ والبيئةُ الخاصّةُ للشاعِرِ . . وقَدْ قسمتُه إلى فصلين :

الفصلِ الأولِ : البيئةُ العامَّةُ للغزاوي ، وتَشْمَلُ النّظُمَ الإدَارِيَّةَ ، والبناءَ الاجْتِماعيَّ والروافدَ المساعِدَةَ للفكرِ والثّقافَةِ . في العصرِ الذي نَشَأَ فيه الغزاوي

وشَمِلَ البحثُ فيه عَرْضاً مُوجَزاً لِحياةِ الحِجازِ السِّياسيّةِ والفكريةِ والاجتماعيةِ منذُ بدايةِ النَّهضةِ التي وُلِدَ فيها الغزاوي ، ولما كنت أهدِفُ إلى التعرُّفِ على مَلامِحِ الحياةِ العامَّةِ للبيئةِ التي نَشَأَ فيها الشاعرُ ومُراعاةً مني للتركيزِ وعدمِ الإطالَةِ فقد رأيتُ الايجازَ في الحياةِ الاجتماعيةِ ، والتفصيلَ في الحياةِ الفكريةِ والأدبيةِ وذلِكَ لأنَّ الأدَبَ هُوَ المصدَرُ الأولُ لدارسِ الحياةِ الاجتماعيةِ لأيِ مجتمعٍ من المجتمعات . . وقد تعرضت بالبَحْثِ لمقدّماتِ النّهضَةِ الأدبيةِ في البلادِ وتحدَّثْتُ عن عواملَ تَكْوينِها وَرَوَافِدُهَا وروَّادِهَا ، وقد قسمتُ الاتجاهاتِ الأدبيةِ والأدباءَ في البلادِ من مطلَعِ القرنِ العشرينَ الى طبقاتٍ اربع .

الفصلِ الثاني : البيئةُ الخاصَّةُ للغزاوي .

وفيه تحدثت عن مَولِدِ الشَّاعِرِ ونَسَبِهِ وأُسْرَتِهِ ثمَّ عن نَشْأَتِهِ ، كما تناولَ البحثُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلكَ طَلَبَهُ للعلمِ وشُيوخَهُ الذين تَلَقَّى العلمَ على أيديهمْ ثمَّ تكوينَه الثَّقافيَّ وكذلكَ أخلاقَه واتجاهَاتِه وعاداتِه وعلاقَتَهُ بالآخرينَ ثم المَناصِبَ الرسميَّةَ التي تَولَّاهَا في الدولةِ وخَتَمتُ هذا الفصلَ بذكرِ وَفَاتِهِ وبالحديثِ عن آثاره . .

أما البابُ الثاني : فهو عن دراسةِ آثارِ الغزاوي، وقسمتُه الى أربَعَةِ فصولٍ :

الفصلِ الأولِ : الملامحُ الفنيَّةُ في شِعْرِ الغزاوي . . .

وقبلَ أن أبدأَ بالحديثِ التَّفْصيليّ عَنْها تحدَّثْتُ عن تكوينِ شاعريَّتِهِ والمؤثراتِ في شِعره والمراحلَ التي مَرَّ بِها . . وشَمَلَ البحثُ أيضاً موقفَ الغزّاويِ منَ التَّيَّارَاتِ الشّعريَّةِ الجديدةِ ورودَ فِعلِهِ نَحْوَهَا . .

ثم تناولتُ بالتّحليلِ والتّفسيرِ والدِّراسَةِ الموضوعيَّةِ الظواهِرَ اللّغويَّةَ المتميِّزَةَ في أَدَبِهِ والملامِحَ الأسلوبيَّةِ الخاصَّةَ به ، واللوحَاتِ التصويريَّةَ المنبعِثَةَ من نفسهِ الشاعِرَةِ وبيئَتِهِ المؤثِّرَةِ . . ولكي أُعطِي صورةً مُتكاملةً عن هذه الظَّواهِرِ الأساسيَّةِ المكوِّنَةِ لشعْرِهِ كان لا بدَّ لي أن أتناولَ في بحثي بالدراسةِ والتحليلِ - في ظلِ المنظورِ الأدبيِ وتياراته - الموضوعاتِ الآتيةَ :

- الخيالَ عندَ الغزاوي .
- المقدمةَ عندَ الغزاوي .
- بناءَ القصيدةِ .
- الصورةَ الشعريةَ .
- المضمونَ .

ـ الشكلَ .

ـ لمحةً عن الغزاوي من خِلال شِعْره .

ـ خَصائِصَ شِعْرِ الغزاوي .

ـ حَوْلِيَّاتِه .

ـ شعرَه والأحداثَ .

ـ الاتجاهَ الاسلاميَّ في شِعر الغزاوي .

الفصلِ الثاني : أَغْراضُ الشّعرِ عندَ الغزاوي . . . .

وتكلمتُ فيه عَنْ الأغراضَ التي تناولَها الغزاوي في شِعْرِه من المَدْحِ والرِثاء والوطنياتِ والاجتماعياتِ ، والوَصْفِ ، والغَزَلِ ، والحِكَمِ ، وخَصائصَ كلِّ فنٍّ من هذه الفنونِ ونشأتَه عندَه وتطورَهُ في شِعره . .

الفصلِ الثالثِ : النثرُ : وقد شَمِلَ البحثُ فيه الموضوعاتِ التاليةَ :

الغزاوي الخطيب ، بدايَة كتابتِهِ ، النثـرَ الفنيَّ ، أنواعَ النثـرِ ، المضامينَ الأدبيةَ، المضامينَ الاجتماعية ، المضـامينَ التربـوية ، المضـامينَ العمرانيـةَ ، خصائصَ نثرِ الغزاويِ .

الفصلِ الرابعِ : الغزاويُ في الميزانِ .

وتعرضت في هذا الفصل لعرضِ آراءِ الباحثينَ والنُقادِ في أدبِ الغزاوي شِعراً ونثراً معَ مُناقشةِ كُلِّ رأيٍ منها وتقريرَ ما نَراه صواباً ورفضَ ما نَراه منافياً للحقيقةِ مُجَافِياً للواقِعِ الأدبيِ أو التاريخيِّ للشاعرِ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما شَمِلَ البحثُ فيه كذلكَ موازناتٍ بين الشّاعِرِ الغزاوي وبعضِ الشّعراءِ المعاصرينَ أو القُدامى من أمثالِ : أبي تَمامٍ ـ والبُحتريّ ـ وابنِ بُليهد ـ وفؤادِ شَاكِر ـ وأحَمَدِ العربي ـ وعبدِ اللهِ بنِ خميس . . .

والقسمُ الثاني : آثارَه : جَمْعٌ ، وتصنيفٌ ، وتوثيقٌ ، وتعليقٌ .

ويتضمنُ جميعَ الانتاجِ الأدبيّ (للغزاوي) الذي تَمَكَّنْتُ من جَمْعِهِ من شِعْرٍ ونثر ، وصَنَّفْتُه الى قِسمين :

الأولِ : شِعْرُ الغزاوي :

وقد عَمِلْتُ فيه على جَمْعِ سعرِهِ من مصادِرِهِ المتناثِرَةِ والمُتفرّقَةِ بين العديدِ من الصُّحُفِ والمجلاتِ والكتبِ المختلفةِ ثم قُمتُ بتصنيفِهِ وتوثيقه والتعليق عليه . . وقد حَرِصْتُ كلَّ الحِرْصِ على أن أُدوّنَ كلَّ معلومةٍ حولَ القصيدةِ من مَصْدَرِهَا وتاريخها ومناسبتها حتى أَصبَحَ بإمكاني تحديدُ كل قصيدةٍ من شعره تحديداً تاماً ، ولذا فإني رأيتُ من الأنسَبِ أَنْ يكونَ ترتيبُ هذه القصائدَ في ديوانِ شعرِهِ ـ ترتيباً زمنياً حسبَ تاريخ إنشائها وذلكَ حتّى يَسْهُلَ جَمْعُها وترتيبُها وتعرُّفُ مراحلِ الحياةِ الأدبيةِ عِندَ الشاعرِ .

واتبعتُ في ذلكَ منهجاً مُوحَّداً في وضعِ كلِّ قصيدةٍ وهو أن أُشيرَ إليها بعنوانِها ثم أُرْدِفُ ذلكَ بذكرِ مَصْدَرِهَا من صحيفةٍ أو مجلّةٍ أو كتابٍ ، والعدَدَ الذي نُشِرَتْ فيه وتاريخَهُ وأُتبعُ ذلك بشرحِ الكلماتِ الغريبةِ والألفاظِ بعيدةِ المُتَنَاوَلِ عن القارىء ، مع التّعريفِ بأسماءِ الشّخصياتِ والأماكِنِ التي تَرِدُ في الشعر اعتباراً من عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف إلى واحد واربعمائة وألف ١٣٤٢ الى ١٤٠١ هـ من الهجرة .

الثاني : نثرُ الغزاوي :

وقد شَملَ البحثُ فيه جَميعَ الانتاجِ النَّثري (للغـزاوي) وضَبْطَهُ وتـدوينَهُ وتوثيقَهُ . . ونَظراً لكثرةِ إنتاجِ الرَّجُلَ وضَخامَةِ تُراثِهِ النَّثري ، وتَعدُّدِ ألوانِه وفنونه فقدْ عَمِلْتُ على تصنيفِ هذا الانتاجِ النثري الى الألوانِ الأدبية التالية :

١ ـ الخطبِ . . بأنواعها المتعددة . .

٢ ـ المقالاتِ .

٣ ـ تعليقاتٍ صغيرةٍ .

٤ ـ مطالعاتٍ وتعليقات

٥ ـ مراجعاتٍ وتعقيباتٍ .

٦ ـ يومياتِ النَّدوةِ .

٧ ـ شذراتِ الذهب .

وقد عُنيتُ بترتيبِ كلِّ موضوعٍ منها وفقَ ترتيبِهِ الزَّمني مع ذِكرِ مَصْدَرِهِ وبيانِ تاريخِهِ . . وقمت كذلك بتحقيقِ النُّصوصِ والتأكُّدِ من صِحَّتِهَا كما حَرِصْتُ على الترجمةِ الموجَزَةِ لأشخاصٍ رأيتُ أهميةَ التَّعريْفِ بهم لِما كَـانَ لَهُمْ من اتّصالٍ مُباشَرٍ بشاعرنا مُؤثّرينَ فيه أو متأثّرين به ، مناصرينَ له أو متعصّبينَ عليه ، كما أنّني أعـطَيْتُ عنايـةً خـاصـةً للتـأكـد من صحـة آيـاتِ القـرآنِ الكـريم وذلكَ بإتمامِ الآيةِ الكريمةِ وذِكـرِ رَقَمِهَا وبيـانِ السّورةِ التي تضمَّنَتْهـا . . ولقـد حاولتُ جُهـدي ـ أن أدْرُسَ الرجـلَ وآثارَه دراسـةً شاملةً مستـوعِبَـةً فاحصةً متأنّيةً ، أميلُ فيها إلى التَّثبُّتِ والرؤيةِ العميقةِ والتريُّثِ في إصدار الأحكـام ريثما أسْبُـرُ غَوْرَهُ وأتلمَّسُ الـدوافعَ الـوجدانيـةَ والبواعثَ الـذاتيَّةَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمؤثراتِ الخارجيَّةَ التي صنعت تجاربَه الشعريَّة ، وأوحَتْ اليه بموضوعاتِ أدبه . في كلّ ما أنْشَدَ من شعر وما سطَرَ من نثر . .

وكذلك فانّني حاولتُ أن أنهجَ في دراستي نهجَ الناقِدِ البصيرِ الذي لا يميلُ مع الهوى ولا يطغى عليه جانبٌ دونَ آخرَ . . وإنما يقدّرُ لكلّ تجربةٍ ظروفَها التي تَخُصُّها ، ودوافِعَها التي أملتْهَا على الأديبِ ، وأمدَّتْه تَبَعاً لها بالمعـاني والألفاظِ والأفكارِ والتراكيبِ . كذلك فإنّي قد حَرِصْتُ على الابتعادِ عن إصْدارِ الأحكامِ العامَّةِ غيـرِ المُعْتَمِدَةِ على سَنَـدٍ قويٍ من الأدلـةِ والبراهينِ المؤكَّـدَةِ ، لأنَّ تلك الأحكامَ أبعدُ ما تكونُ عن طبيعةِ البحثِ الموضوعيِ الجاد . .

هذا وقد استغرقَ مني البحثُ أربعَ سنواتٍ كاملةٍ ، كنتُ فيهـا مقبلاً عليـه مُعرضاً عمّا سِواه جَاعِلَهُ نُصْبَ عيني دائماً مُدوّناً كلَّ ما يتعلقُ به من أفكارٍ تَعْرِضُ لي في أي وقتٍ وفي أي مكانٍ ، حتّى ولو كان ذلك عَبْرَ الطّريقِ . . ومستقْصِياً كلَّ ما كُتِبَ في مَوْضُوعِهِ ومُسَجّلاً كلَّ ما يَمُتُّ اليهِ بصلةٍ في جميعِ الصُّحفِ التي صَدَرَتْ في الجزيرة العربية اعتباراً من عامِ خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، حتى الآن .

ومن معارفِ الرَّجُـلِ وأصدقـائِه ومن الكُتُبِ التي تَنَـاوَلَتْ الحياةَ الفكـريةَ والأدبية في الجزيرةِ خِلالَ العصرِ الحديثِ .

ونظـر إلى ما تقتضيه موضوعيَّةُ البحثِ وتستلزمُه أمانةُ الباحثِ أنوِّه أنَّ ظروفَ البحثِ وتَشَعُّبَ مـوضوعـاتِهِ ، واتسـاعَ آفاقِـهِ قد اضـطرّتْني الى محاوَلَـةِ تَحْدِيـدِ موضوعاتِـهِ وضبطِ قضاياهُ وتركيزِ أفكارِه ، وعَدَمِ اطلاقِ العِنَانِ للقلَمِ ليدْخُلَ في بحثٍ تَفْصيليٍ لكلِّ قضيةٍ ، أو فكرةٍ من الأفكارِ والقضايا التي تناولَهَا البحثُ ،

والاكتفاءِ في كل قضيةٍ بما يُمْكِنُ أنْ يضيفَ فكراً جديداً أو يصحّحَ مفهوماً خاطِئاً ، أو يُبرزَ حقيقةً مطمورةً ، أو يَجْمَعَ شيئاً مفرقاً، أوْ يعلّلَ ظاهرةً لا تَعليلَ لَها، أو يُعِينَ على استنتاجِ بعضِ النَّتائجِ من ظَواهِرَ أدبيةٍ واقعةٍ . .

ولَعلّي بذلكَ أكونُ قد أسهَمْتُ بهذا الجُهْدِ المُتَواضِعِ في التعريفِ برائدٍ عظيمٍ من رُوادِ نَهضتنا الأدبيةِ في العصرِ الحديثِ ، وفي الكَشْفِ عن أَعْمالِهِ الأدبيةِ الرَّائِدَةِ في الشّعرِ والنَّثرِ ، وتقديمِهَا الى عشَّاقِ الأدبِ وطلّاب العلمِ والمعرفَةِ في وطننا الحبيبِ ـ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ ـ

كما أرجُو أن أكونَ قد وُفِّقْتُ في إبرازِ جانبٍ هامٍ من جوانبِ نهضَتِنَا الأدبيةِ الحديثَةِ عندَ الغزاوي ، ألا وهو جانبُ الالتزامِ بالأَصالَةِ العربيَّةِ والاعتصامِ بالعقيدةِ الاسلاميةِ ، والاعتزازِ بتراثِنا المجيد ـ وذلك هو عنوانُ المدرسةِ التي كان يتزعَّمُهَا وذلكَ هو مَذْهَبُه في الأدبِ الذي ظلَّ ملتزماً به ، مدافعاً عنه داعياً اليه والى آخرِ يومٍ في حياتِه .

ومما لا شكَ فيهِ أنَّ هذا العملَ الذي قمتُ بـه قد دعـا اليهِ كبـارُ الكتَّابِ والأدباءِ ، وقد اهتَمَّتِ الصحفُ في الآونةِ الأخيرةِ بإثارةِ الموضوعِ والحديثِ عنه حتى أصبحَ قضيةً من القضايا الأدبيةِ المهمَّةِ . . وقد طالبَ بعضُ الكتَّابِ بتكوينِ لِجَانٍ من الأساتِذَةِ والمتخصِّصِينَ في جامِعَةِ أمّ القرى للقيامِ بهذا العملِ وطالبَ آخرونَ بترشيدِ وتوجيهِ رسائِلِ الماجستير والدكتوراه لجمعِ ونشـرِ ودراسةِ تُـراثِ الغزّاوي . . وكلُّهُمْ يَرى أنَّ هَذا العملَ أكبرُ مِنْ أنْ يَبْقَى في طَيِّ الكِتْمَانِ وقد شَعَرَ الجميعُ بتقصيرِهِمْ تُجَاهَ هذا الأديبِ الكبيرِ . . . ولا يَفُوتُنِي هنا أَنْ أُسَجِّلَ ـ بالحُبّ والإعْزازِ ـ خَالِصَ شُكري وعَظِيمَ تَقْدِيْري لأُسْتَاذِنَا الكبيرِ فضيلةِ الدكتورِ (مُحمدِ بنِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حُسين) لتفضُّلِهِ بالإشرافِ على هذا البحثِ ، ولكريمِ رِعايَتِهِ وحُسْنِ تَوجيهِهِ لي أثناءَ إعدادي وكتابتي له كما لا يفوتُنِي أن أتقدَّم بالشكرِ والتقديرِ لأساتِذتِي الكرامِ في كليَّةِ اللُّغَةِ العربيَّةِ بجامِعَةِ الامامِ محمدِ بنِ سعودٍ الاسلاميةِ الذين كانَ لهمُ الفضلُ الأولُ في إعدادِنَا الاعدادَ العلميَّ السليمَ ، مما كانَ لهُ الأثرُ الكبيرُ في توجيهِ خُطايَ أثناءَ القيامِ بهذا البحثِ ، وفي إخراجِهِ على الصورةِ التي هُوَ عليها الآنَ ، والتي أرجُو أنْ أكونَ قد وُفِّقْتُ في إكمالِ جَوانِبِها ، وتحديدِ أبعادِهَا ، وتوضيحِ مَلامِحِهَا كي يَتحقَّقَ الهدفُ منها وتكونَ جديرةً بِصِفَةِ البحثِ العلميِّ الموضوعيِّ الجادِّ .

ذلك جُهْدي ـ وتلك طَاقَتي ـ لا أَدَّعي أَنَّني وَصَلْتُ فيه إلىٰ حَدِّ الكَمَالِ ـ فَذَلِكَ ما لا أَدَّعيهِ ولا يَسْتَطِيعُ أنْ يَدَّعِيْهِ باحثٌ يحترمُ عقلَهُ ويُقَدِّرُ عقولَ الآخرينَ . . وإنَّما حَسْبي أَنَّنِي سِرْتُ على الطريقِ . . وفَتَحْتُ البابَ لِمنْ أرادَ أَنْ يَتَقَدَّمَ لمتابَعَةِ السَّيْرِ .

فانْ كنتُ قد وُفِّقْتُ في تحقيقِ هَدَفِي فَبِفَضْلِ الله كانَ ذَلِكَ التوفيقُ ثُمَّ بِفَضْلِ أساتِذَتِي الكرامِ ، وإنْ كانَ غيرَ ذلِكَ فإنَّما التقصيرُ مني وَذَمُّهُ عائدٌ عليَّ . . وإنَّما حَسْبي أَنَّني بَذَلْتُ ما بِوُسْعِي (لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا) وَبذلتُ مُنْتَهى طَاقَتِي وقُدْرَتِي وَلَمْ أَدَّخِرْ جَهْداً أَوْ وَقْتاً أوْ مالاً في سبيلِ إنجَاحِ هذا القصد . . وإتْمَامِ عَمَلٍ دَعَا إلَيْه كِبَارُ الأُدَبَاءِ والكتّاب ورجالِ الصَّحافَةِ في إحياءِ ماضٍ مَجيدٍ وإعزازاً لحاضِرٍ سَعيدٍ وإرساءً لدعائمَ مُسْتَقْبلٍ مُشْرِقٍ باذن الله . . .

وفي الختامِ أتقدَّمُ بجَزيلِ الشّكْرِ ووافِرِ التقدير والإحترام لأساتِذتي الذينَ عَانَوا الجُهْدَ الجَهيدَ في قِراءةِ هذهِ الرِّسالةِ والاطِّلاعِ عليها بقَصْدِ التوْجيهِ والإرشادِ

لأفْضَلِ السبلِ لِفَنّ الأدبِ الخَالِدِ في مجتمعنا الحدِيثِ المتطلّعِ الى الآفاقِ الانسانيةِ الكريمةِ . . .

خاصاً بالذّكرِ منهم : سعادةَ الدكتورِ المشرفِ محمدِ بنِ سَعدٍ بنِ حُسينٍ / رئيسِ قسمِ الأدَبِ . . . والدكتور : محمّد نبيهَ حجاب ، والدكتور محمّدَ عويسَ . . . . . وما توفيقي إلا باللهِ عليه توكّلتُ وإليهِ أُنيبُ . . . والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

مسعد بن عيد العطوي

تبوك ١٤٠٥هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البيئة العامة والخاصة

الفصل الأول

البيئة العامة :

أ ـ النظم الادارية .

ب ـ البناء الاجتماعي .

ج ـ الروافد المساعدة للفكر والثقافة .

المكونات الفكرية :

١ ـ التعليم .

٢ ـ المطابع .

٣ ـ الصحافة .

٤ ـ المكتبات .

٥ ـ الاذاعة والمرئي .

٦ ـ النهضة الأدبية .

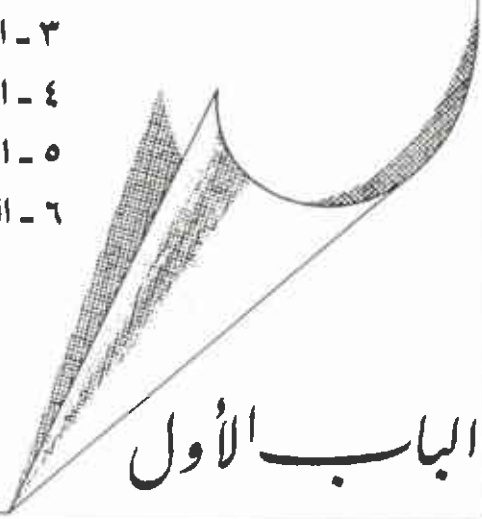

الباب الأول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البيئـــة العـــامة

النظم الإدارية

رأيت أن أصور الحياة الإدارية في الجزيرة العربية لما لها من الأثر البارز فهي التي تتحكم بمجريات الامور الاجتماعية والعلمية والاقتصادية ولسنا في حاجة الى أن نعود في حديثنا عن تاريخ البلاد الى القرن الثالث عشر وما قبله فاني لا اكتب تاريخاً ، وأنما أصف وصفاً ادارياً لعصر نشأ فيه شاعرنا / أحمد ابراهيم الغزاوي .

لذا فاني أقف على أبرز أحداث القرن الرابع عشر من الهجرة التي لها أساس وانطباع في الحياة الادبية ، ففي أوائله كانت الجزيرة العربية تخضع لثلاث أسر هي آل سعود ، وعاصمتها الرياض ، وأسرة آل الرشيد وعاصمتها حائل ، وأسرة الاشراف في الحجاز وعاصمتها مكة . وكانت الدولة العثمانية تدعم آل رشيد، وتمده بالمال والسلاح .

أما الحجاز فكانت ولاية عثمانية يقوم الخليفة بتعيين أمير الحجاز ويصدر المرسوم من الآستانة .

أما آل سعود فقد اختلف أبناء فيصل بن تركي آل سعود على السلطة مما أضعفهم وعجل بخروجهم الى الكويت ، فضم الرشيد نجد الى امارته .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومع وجود هذه الامارات فان الحالة في الجزيرة لم تستقر فاستمرت الحروب بين الامارات الى جانب الحروب القبلية ، ففقد الامن ، واندثر التعليم ، وأصبح أهل البلاد في حالة لا يحسدون عليها .

حتى جاء عام ١٣١٩ هـ وبعد ولادة شاعرنا الغزاوي بعام واحد وبالتحديد في (٤) شوال ١٣١٩[١] هـ ظهر حدث جديد غير مجرى الحياة في هذه الجزيرة المباركة ، حيث استعاد آل سعود مدينة الرياض على يد الامير الشاب الشجاع الملك / عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله ، فكان حدثاً له أثره ، ومقدمة لتباشير الخير التي عمت أرجاء الجزيرة كما نشاهد اليوم .

وقد فتح الملك عبد العزيز الرياض بجيش قليل العدد لا يتجاوز الاربعين رجلا ، فقتلوا والي الرياض من قبل الرشيد وبايع أهلها الملك عبد العزيز أميراً عليهم مستبشرين خيراً باشراقة هذا العهد مخلصين له الولاء ، لما عرفوه من نصرة هذه الاسرة للدين الحنيف ، وحكمهم بالشرع الاسلامي الخالد ، وفي اعتقادي أن النكبات والحروب والمجاعات التي عاناها أهل الرياض في غياب الحكم السعودي ارهاص قوي لاستقبال الحكم السعودي الجديد والانقياد له بنفس تفيض بالرضى ، فقد كانت الرياض عاصمة لدولة يزداد عمرانها يوما بعد يوم ، فتغيرت الحال لما استولى عليها الرشيد فأصبحت مجرد قرية من القرى فأدرك أهلها ذلك مما جعلهم يهطعون لداعي الملك عبد العزيز ومبايعته .

من هذه المدينة مدينة الرياض انطلقت بشائر الخير للقرى والمدن المجاورة ، فسلمت له المدن والقرى حتى وصل الى إقليم القصيم ، وهناك التقى بجيش وقوة آل الرشيد يقودها عبيد الرشيد الذي قتله عبد العزيز آل سعود واستسلمت بريدة وعنيزة وانضمت جلّ بلاد القصيم لسلطان آل سعود ، غير أن الرشيد ما زال يرسل الجيوش التي تُهزم من قبل آل سعود ، حتى قاد عبد العزيز الرشيد قواته بنفسه فألتقى به ابن سعود في روضة المهنا في عام ١٣٢٤ هـ ، وحدثت معركة عنيفة ، ثم

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي ١ : ٩١ دار العلم .

دارت الدائرة على ابن الرشيد فقتل وانهزم جيشه وبذلك صفا الجو لابن سعود في القصيم[1] .

وبعد هذا الحدث بعامين تولى الامارة في الحجاز الشريف حسين بن علي كان ذلك في عام ١٣٢٦ هـ من قبل رجال الدستور في الدولة العثمانية ، وقد عايش شاعرنا الغزاوي مراسم الامارة في مكة والحركة التي حدثت في الحجاز أثناء تولية الشريف حسين ، حيث يبلغ عمره آنذاك ثماني سنوات ، فاحس بالتغييرات التي حدثت حيث أثرت في حياته ونفسيته متابعاً لظروف الشريف حسين حسب ما تدركه عقليته ، فنشأ مع حركة الشريف حسين الذي امتازت شخصيته عما قبله من الاشراف ، فله شخصية قوية ، وله طموحه ، وحيويته الى جانب تأثره بالافكار الحرة التي رآها في الاتحاديين ، وكان نه أيضاً تراث يعتمد عليه وينطلق منه في الحكم والسياسة مع اطلاعه الواسع على الاحداث العالمية ، وحالة العرب بصفة خاصة ، فجارى العثمانيين وطبق الدستور وأرسل مبعوثين[2] عن الحجاز للآستانة ، ولكنه أخذ يعد العدة للثورة ضد الاتراك ، ويجمع حوله التجمعات السرية العربية ، ومنّى نفسه بقيادة العرب واخراجهم من الاستعمار ، وجمع شملهم بعد الفرقة بل أخذ يخطط ليكون ملكاً للعرب قاطبة ولكي تتجلى الصورة نقول :

ان وضع الحجاز السياسي ابان نشأة أحمد ابراهيم الغزاوي أثر تأثيرا ملحوظا على أوضاع الناس وأفكارهم ، واتصالهم بالعالم الخارجي تجلى ذلك في ظواهر برزت للعيان في تلك الفترة وهي :

(١) ظهور الدستور العثماني فقد اختلف أهل الحجاز فيه بين مؤيد ومعارض خوفا من ضياع اللغة العربية ، أما الشريف حسين فكان يظهر التأييد لهم ويضمر

---

(١) عبد العزيز ال سعود تأليف بنوا ميشان ٨٧ ط دار الكاتب العربي وانظر (صقر الجزيرة) لأحمد عبد الغفور عطار ١ : ١١٩ ط ثانية .

(٢) تاريخ مكة أحمد السباعي ٥٦٦ دار قلة للطباعة والنشر والتوزيع والمبعوثان هما عبد الله بن الحسين وحسناً بن عبد القادر الشيبي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعارضة ، انكشف ذلك من تصرفاته مع ولاة الحجاز من الاتراك وعزله لهم ومن عدم تطبيقه للدستور داخليا ، ومن تشجيعه لفتح المدارس ذات الطابع العربي تلك المدارس التي نشأ فيها شاعرنا الغزاوي وصحبه من ادباء الرعيل الاول ، ثم ختم هذه الادلة باعلانه الثورة ضد الاتراك عام ١٣٣٤[١] هـ .

(٢) الوفود التي أمت الحجاز من الشخصيات العربية التي تنتمي لتنظيمات سرية مناهضة للدولة التركية ، وقد اتصل شباب الحجاز بهم وحدث حوار ونقاش حول السياسة الحالية فأنتجت أفكاراً سياسية جديدة .

(٣) سياسة الحسين ذاته أحدثت نوعا من التساؤلات ، فقد جارى الاتراك أولاً ، ورأى الناس كرهه لهم ، وانفتاحه على العالم العربي ، ثم اعلان الثورة ضد الاتراك ومعارضته لاستيراد الآلة الحديثة ، والسيارات ، ثم محاولته لتضييق الخناق على الافكار وتكميم الافواه في النهاية .

(٤) تعريب الدواوين التركية في الحجاز وتشجيع التعليم باللغة العربية ومحاربة المدارس التركية فأحدثت تأييدا سياسيا .

(٥) الجاليات العربية وما أصدرته من صحف في الحجاز جعلها تلهب نار الحماس في الناشئة كمثل جريدة القبلة وقد برزت أفكار سياسية تمخضت عن تكوين أحزاب سياسية في الحجاز .

(٦) محاولة الحسين اطفاء الشعلة السياسية الفكرية التي برزت معالمها في الحجاز . هذه السياسة ، وما تمخضت عنه كان لها أثرها على شباب الحجاز من حيث الاتجاه السياسي ، وقد نشأ وتعلم الغزاوي في هذا الجو المضطرب بل شارك في ريعان شبابه بعمله وقلمه ، فقد عمل لدى رئيس القضاة الشيخ / عبد الله سراج حتى أصبح سكرتيرا له وفي هذه الفترة ظهرت بواكير نتاج الشاعر التي تمثل نظرة الشباب العرب لاوضاع أمته وحماسه لانقاذها وانهاضها من كبوتها فدعا في قصيدة (الشرق) نبذ الخلاف والخمول والكسل : ـ

---

(١) المرجع السابق ٩٠٦ .

أيهـا الشـرق قـد أطلت الـرقـود ... فـانهض اليـوم واحـطمن القيـود[1]
لا يصـدنـك عن طـلابـك ضـد ... واحشـد الغـور والنجـود جنـودا
ارجـع الطرف نحـو ماضيـك تـزهـو ... واحمـل السيف والقنـا كي تسـودا
كم أضـاءت شمـوس فضلك دهـرا ... فيـه قـد سـدت والانـام عيـدا
قـد كفى من سبـاتنـا مـا تقضى ... يـا بني الشـرق ـ فـارفعـوهـا بنـودا
وانبـذوا الضغن والسخـائـم لـولا ... شـر هـاتين مـا سكنـا الـلحـودا
وانشـروا بيـنكـم لـواء وفـاق ... يتـرك الغـرب حـائـرا رعـديـدا

* * *

أيهـا الشـرق قـد منيت بقـوم ... عقـدوا العزم أن تكـون حصيـدا
أيهـا الشـرق قـد عهـدنـاك مغنى ... يـزدهي بهـجـة ويسـمـو جـدودا
أيهـا الشـرق لا تكـونن بـطيئـا ... واحـثث السيـر لـلعلى تـوخيـدا
أيهـا الشـرق في شعـوبـك حس ... وشعـور حتى م تبـقى مسـودا
وعـلام الـخنـوع لـلذل هـونـا ... وإلام الـضيـاع تـعجبـك عـودا
فـاطـرح يـا كسـول أثـواب أمس ... وارتـد الـعـز في الـغـداة بـرودا

* * *

يا بني العرب :

يـا بني العـرب : والانـام حـديث ... اذكـروا مجـدكم وأحيـوا التليـدا
وتـأسـوا وواصـلوا السعي كيمـا ... تقهـروا الضـد والعـدو اللدودا . .

علاقة الشريف حسين مع عبد العزيز آل سعود :

كان الشريف حسين يستهين بالامارات والحكام في شبه الجزيرة العربية الامر

---

(١) الفلاح السنة الخامسة ع ٤ ص ٣ في ٤/ صفر/١٣٤٢ هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي عجل بنهاية حكمه ، فكان ينظر الى السلطان عبد العزيز نظرة عدائية ، فلا يدع فرصة الا ويحاول الاحتكاك بالسلطان ومع ذلك فان عبد العزيز يحاول مجاملته كثيراً ، ويرسل اليه الهدايا ، ويتقبلها بقبول حسن ، وفي تلك الفترة انحاز الشريف حسين الى الانجليز ، ووقفوا الى جانبه ضد السلطان عبد العزيز ، فكان ذلك من العوامل المهمة التي أخرت ضم الحجاز الى جانب انشغال الملك عبد العزيز بضم البلاد الاخرى ، فقد اتجه الى الاحساء لفتحها ، فكان له ما أراد ، حيث اقتحم بجنده أسوارها عن طريق السلالم من الجبال والاخشاب ، فدارت معركة في الليل استسلمت له المدينة على أثرها ، ثم تبعتها الحامية التركية ، وخرجت من حصونها سنة ١٣٣١هـ بعد أن أمنها الملك عبد العزيز .

وفي هذه الفترة عكف الشريف حسين على تدبير أمور الحجاز ، وانشغل بالخلاف المستمر بينه وبين قائد الحامية التركية ، وان كانت الآستانة تجامله ، وتعزل كل قائد يطلب الشريف عزله . ومع ذلك استمر في مواصلة السياسة المغايرة والمعادية للعثمانيين فاحس الانجليز بهذه الجفوة ، واتصلوا به وطلبوا انضمامه للحلفاء ، فكان لهم ما أرادوا بعد أن وعدوه بتتويجه ملكاً للعرب قاطبة .

فأعلن الشريف حسين الثورة ضد الاتراك وأطلق الرصاصة الأولى في مكة في فجر اليوم التاسع من شعبان ١٣٣٤ هـ وأول عمل قام به هو تعريب الدواوين ، والصحافة ، فاستعادت اللغة العربية مكانتها ونال الشريف تأييداً سياسياً بهذا العمل مصحوباً برضى ومودة العرب وأيده أهل الحجاز وشبابها الذي يتطلع الى الوحدة العربية ، وأقبلوا على العربية ينهلون من معينها .

وكان الغزاوي قد فتح بصره وبصيرته على هذه العودة الى اللغة العربية ، فالتحق بالخدمة المدنية في ديوان رئيس القضاة كما أسلفنا ، حيث عُيِّنَ كاتباً صغيراً ثم واصل الترقي مما جعله يعيش واقع تلك الحياة عن كثب لذلك شارك بشعره فقال قصيدة وطنية نشرتها له جريدة الفلاح يتحدث فيها عن جمعية الامم (عصبة الامم) وتكالب الغرب على بلاد المسلمين والعرب ولجوئهم لهذه الجمعية طالبين

انصافهم من المستعمر وأبان فيها ان الصوت للقوة فحسب[1] :

نعم استسمن الاقوام ذا ورم ... واحسنوا الظن في جمعية الامم
واملوا أنها تسعى لصالحهم ... سرعان ما خاب فيهم الفال من أمم
عنت لاغراض اوربا وانطقها ... ضد المواثيق من حادوا عن الذمم
الا فحسب بني قحطان معذرة ... ان الاعاجم تحدوهم على النقم

وفيها يخاطب الغرب المغرور :

ثوبوا الى الرشد واستملوا ضمائركم ... وطهروا حزبكم من كل متهم
وان تظلوا على هذا الغرور فما ... نتيجة الضغط غير الحقد والضرم
واصطلى العالم (الغربي) عن كثب ... حربا عواناً تقود الطفل للهرم
كفاكم يا دهاة الغرب موعظة ... ما يوم غليوم عن ابصارنا بعمى

وهذه الفترة لم تدم طويلا ، حيث تغيرت الاحوال ، فقد خذل الانجليز الشريف حسين ، فاعترفوا به ملكاً على الحجاز فقط ، اما داخلياً فقد خاف مغبة حرية الفكر السياسي الذي ساد ونجم عنه تكوين الاحزاب ، فأخذ يحد منه ، فخمدت الحركة الفكرية السياسية مما أضعف تأييده ، وزاد ضعفاً ارساله لاولاده على سرايا عسكرية الى الشمال والشام ، وبدأت الجفوة تزداد بينه وبين الانجليز وأخذ يحتك بالملك عبد العزيز في تربه ، ومنع الحجاج النجديين من أداء فريضة الحج فكان ذلك سبباً كبيراً لعزم الملك عبد العزيز على ضم الحجاز فعقد مؤتمراً ، طالب الاخوان فيه الملكَ عبد العزيز بارسال الجيوش لمكة حتى يتمكنوا من الحج فكان لهم ما أرادوا .

فبعث من (تربه) الى الطائف نحو ثلاثة آلاف مقاتل[2] من قبائل متعددة

---

(١) الفلاح ع ٩ ص ٤ في ١٠/ ٣/ ١٣٤٤ .

(٢) صقر الجزيرة أحمد عبد الغفور ١ : ١٣٨ ط ٢ المؤسسة العربية للطباعة ، وكتاب تاريخ المملكة العربية السعودية سيد احمد ابراهيم ١٩١ وكتاب عبد العزيز آل سعود بنواميشان ١١٢ .
شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ١ : ٣٣٠ لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بقيادة سلطان بن بجاد والشريف خالد بن لؤي وحدثت معارك عنيفة في الطائف انهزم على أثرها جيش الشريف حسين وانضمت الطائف الى حكم ابن سعود في صفر ١٣٤٣ هـ الموافق ١٩٢٤ م بعد القتال المرير الذي أرعب أهالي مكة فخشوا من سفك الدماء في بيت الله الحرام مما جعلهم يستسلمون لجيش الملك عبد العزيز بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد في (١٧) ربيع أول ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م وتولى أمارتها خالد بن لؤي[١] ، وانتقل الشريف حسين الى جدة ، ومعه أعضاء الحزب ، وكان منهم أحمد ابراهيم الغزاوي فخلع الحزب الملك حسينا وولوا مكانه ابنه علياً أملا في عقد المصالحة مع السلطان عبد العزيز ، ولكن ذلك لم يحل الامر فأرسل السلطان عبد العزيز جيوشه الى جدة وحاصروها حتى استسلمت في (٧) جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ[٢] ، وخرج منها الملك علي وأعضاء الحزب المؤيدين له[٣] .

واستمر الملك عبد العزيز بجهد دأب يجمع أهل الجزيرة تحت لواء واحد ، ويخمد الفتن التي تقوم في وجه هذا التوحيد المبارك .

وقد بدأ الغزاوي منذ عام ١٣٤٥ هـ يشيد بأعمال الملك عبد العزيز وشجاعته وأنتصاراته وتوحيده للبلاد .

وفي عام ١٣٥١ هـ اعلن رسمياً عن توحيد البلاد تحت ظلال العهد السعودي وتوج الملك عبد العزيز ملكاً ، وسميت بالمملكة العربية السعودية .

واستمر الغزاوي في مسايرة هذه النهضة الشاملة التي عمت جوانب الحياة وأحدثت تغييراً جذرياً في الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها .

فكم من طريق عبدت وذللت ، وأمن استقر، ومدن أشيدت؟! فسهل ذلك

---

(١) المرجع السابق ١ : ٣٣٣ .

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز للزركلي ١ : ٣٤٩ تاريخ مكة لاحمد السباعي ٦٥٦ .

(٣) بعض هؤلاء اتجه الى الاردن وبعضهم اتجه الى الهند ، وكان الغزاوي من الذين سافروا الى الهند ولكن الملك عبد العزيز أصدر عفواً فرجعوا الى بلادهم وساهموا في بناء هذه النهضة تحت قيادة الملك عبد العزيز .

اندماج أهل هذه البلاد وتوحدت أهدافهم وامانيهم، ذلك بعض من أمور كثيرة نتحدث عما يهمنا منها في موضعه ، غير أنه يهمنا هنا تلك الحركة السياسية التي ظهرت جلية واضحة بعد توحيد البلاد ، فقد رأى شاعرنا الغزاوي ، ورأت الأمة معه هذه الزيارات المتبادلة بين ملوك ورؤساء الدول العربية ، وصحب الغزاوي الملك في زيارته لمصر وسجل ذلك في أكثر من قصيدة .

وقد التقى الملك عبد العزيز بالرئيس الامريكي روزفلت في عرض البحر ، أمّ هذه البلاد أقطاب الدول العربية ، فقال الغزاوي قصائده فيهم مرحباً ومحيياً لقاء الامة العربية في قادتها وهذه الزيارات لم يعهدها الغزاوي من قبل لصعوبة المواصلات وعدم استقرار الامن والغزاوي شأنه شأن أي فرد مسلم يهمه أمر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها فكان يتابع آثار هذه الزيارات والسياسات العالمية واتجاهاتها .

وقد برزت سمة واضحة في السياسة السعودية تلك هي سياسة الحكمة والاتزان والنظرة الشمولية وعدم التدخل في شؤون الغير والصداقة لمن يمد يده مما جعل للدولة السعودية ثقلها السياسي والاحترام العالمي .

ومن الامور المهمة التي ألهمت الغزاوي الشعر في السياسة الداخلية للملك عبد العزيز شمول الأمن وسرعة استتبابه وحماية النفوس والاموال والاعراض لافراد الشعب وفي ذلك يقول الغزاوي[1] :

تمثلت حتى خافت الكف اختها ... وأعديت حتى استصحب الشاة والذئب
أقمت حدود الله في كل حالة ... فلا مفسد ينجو ولا مصلح يكبو
رفعت لواء الامن في كل نفنف ... تضلّ به الارياح والانجم الشهب
وافسحت للبيت الحرام مناهجاً ... تحيّفها من قبلك السلب والنهب
فباتت أمانا للملبين شاملاً ... وكانت لحوداً للحجيج اذا لبّوا
توهمك الجانون (كالليل موركا) ... فتابوا وعند الله قد يقبل التوب

(١) أم القرى ٥٨٦ ص ٣ الجمعة (٥) ذي الحجة ١٣٥٤ هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن السياسة الداخلية التي تبناها الملك عبد العزيز حرصه على التعليم وتبليغه لكل فرد حيث يستوطن ويقطن فالعلم يطلب والفرد المطلوب ، ومن الجدير بالذكر أنه استخدم سياسة مرنة حكيمة في نشر التعليم فالكل يعلّم حسب قدرته ويعلّم في المرحلة الاعلى من هو أقدر منه حتى ارتفع مستوى المعلم ففي أول الامر لم يطلب من المعلم شهادة رسمية ثم طلب منه الابتدائية ثم الكفاءة ثم الثانوية أما الان فانه يطلب منه شهادة الكلية المتوسطة لذلك سرعان ما انتشر التعليم في ربوع هذه البلاد مما جعل الغزاوي يلهج في شعره بالمآثر العلمية ويصفها نثراً وشعراً فنراه في بداية الامر يطلبها ويرتجيها فيقول :

وصل المساعي في سبيل حياتها حتى تكلل بالحضارة ساحها
وشد المعاهد والمصانع والصوى وأزح عما طال منه رزاحها

ثم لما رأى المعاهد قد أشيدت والجهل قد ولى صورها يقول :

واذا الجهل هائم يتوارى واذا العلم مشرق الارجاء

تلك الاسس الهامة في سياسة الملك عبد العزيز وان كثرت المآثر ولكني أعدد منها ولا أعدها لكثرتها وتشعبها فذلك ميدان لكتب متعددة وقد خرجت كتب كثيرة تتحدث عن الناحية الامنية فحسب في عهد الملك عبد العزيز واستمر على هذه المسيرة الخيرة حتى انتقل الى جوار ربه في عام ١٣٧٣ هـ رحمه الله . فتولى ابنه سعود الملك من بعده وسار على نهج أبيه فعاش الغزاوي معه بروح الاخلاص والود مشيداً بسياسته الخارجية والداخلية حتى تولى الملك فيصل الحكم بعده في عام ١٣٨٤ هـ وكان الملك فيصل مارس الحكم والاعمال ذات الشأن وهو صغير فقد فتح بصره وبصيرته على السياسة ، ورضع من معينها وأدرك خصائصها ، وأبحر وغاص في أعماقها وتحنك في محادثاتها ، فكان حكيمها ، كما شهد بذلك رئيس الولايات المتحدة الامريكية نيكسون ، حينما أعلن ذلك للملأ قبيل ان يتوجه للمملكة فقال انني أزور المملكة العربية السعودية لأنهل من حكمة الملك فيصل .

وقد بنى الملك فيصل رحمه الله منهجه السياسي على مبدأ الوفاق مع الدول

العربية ورأب الصدع ، وعمل على تضامن الامة الاسلامية ، ساعده في ذلك ادراكه للسياسة الدولية ومسارات الامور فيها ، وتبحره في القضايا الاسلامية والعربية والحنكة في المحادثات ، والرؤية البعيدة للامور . والاخلاص للدين الاسلامي كل ذلك كان له أثره السياسي في مجرى العلاقات الدولية وجمع كلمة المسلمين في منظمة المؤتمر الاسلامي ووفاق الدول العربية وتوحيد سياستها بشكل لم يسبق له نظير ولم يلحق به مثيل .

والغزاوي أعجب بشخصية الملك فيصل فقد عرفه عن قرب فحضر مجالسه والمناسبات الوطنية التي يرعاها منذ أن تولى النيابة في الحجاز عن الملك عبد العزيز ، واستمر الغزاوي يسجل ويشيد بأعمال الفيصل ويهنئه بالاعياد ، ويستقبله ويودعه ولما نصب ملكا على البلاد ظل الغزاوي يسجل الاحداث العالمية من ذلك قوله :

ما كان فيصل في ربوعك واحداً ... بل كان يجمع شعبه في مفرد
واليوم تشهدها مشاعر أمة ... بالحمد تصدح من جوار المسجد

وفيها يقول :

انا وهم لله حزب غالب ... ومنارنا (الفرقان) أعذب مورد
وسبيلنا سور (المثاني) فصلت ... في غير ما حنف ودون تزيد
والسلم غايتنا ، وفيه نضالنا ... وبه ندين الغير من هو يعتدي
لكأنما هو كالورود تكاثفت ... من حولها الاشواك ان لم تخضد
وذلكم شرع « الجهاد » فهل لنا ... من يقظة وتبصر ، وتوحد
ان التضامن قوة وتمكن ... مهما تمارى فيه كل معتد
ولفيصل فيه أخو الحسن الذي ... ما زال يدعو للوفاق ويبتدي
لهفي على البلقاء تعبث حولها ... صهيون في عنت وفرط الملحد

(١) المنهل السنة ٣٤ مجلد ٩ صفر ١٣٨٨ هـ ص ٢٤٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتسوم (بيت المقدس) الخسف الذي ازرى وقد اروى زناد الجلمد
سفكت بسيناء الدماء زكية وبهضبة الجولان أوفى أربد
ولها هنالك موعد متربص هيهات يخلفه الاثيم المعتدي
به ثالث الحرمين مهلا اننا ووراءك الثقلان أمة أحمد

ذلك ما كان من سياسته الخارجية ، أما الداخلية فقد واصل المسيرة الخيرة التي غرسها الملك عبد العزيز رحمه الله فاتسع نطاق التعليم والمواصلات والعمران وبناء المدن وتعمير الصحراء وقد حاول أن تكون النهضة مبنية على أسس من العلم والدراسة والتمحيص فبدأ بوضع الخطط الخمسية التي نتجت عن دراسة للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

ثم جاء الملك الصالح خالد بن عبد العزيز في عام ١٣٩٥ هـ ، والذي سار على نهج سلفه وعم الخير والعمران أنحاء البلاد فكانت نهضة عمرانية شاملة شملت المدينة والقرية وبنيت المدن الجديدة وزاد دخل الفرد ورفاهيته .

وقد أسن الغزاوي وشاخ شعره في عهد الملك خالد مما جعل شعره ينضب ويكون قليلاً ، وقد توفي ابان حكمه وأصدر الملك أمره بالمحافظة على مكتبة الغزاوي وضمها لجامعة أم القرى .

البناء الاجتماعي

قيل : الأديب ابن بيئة والأدب مرآة البيئة وعليها تنعكس ما فيها من ظواهر المكان والزمان والمجتمع .

والغزاوي ابن البيئة الحجازية . عاش فيها وبها تأثر واصطبغ بصبغتها ولفهم أدبه لا بد من الحديث عن الحياة الاجتماعية الحجازية بشكل يمكننا من إعطاء صورة واضحة للمؤتمرات في أدبه .

فابراهيم عليه السلام أقام لنا أسس البيئة الحجازية من خلال مخاطبته لله عز وجل كما وردت في قوله تعالى[1] :﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ .

فاستجاب الله لنبيه ورسوله وتكون على هذا هيكل البيئة الحجازية واستوحت ظروفها ومكوناتها ونمط حياتها على ما رسمته الآية الكريمة

وكان أهل مكة قبل الاسلام أعراباً يصعب أن يغيروا من عاداتهم فلا يتأثرون ولا يؤثرون حتى جاء الاسلام ، فنقض كل ما ورثوه وبنى شيئاً جديداً جدده القرآن فصبغ مكة بصبغته ، واتسعت دائرة المجتمعات البشرية التي تفد الى هذه الديار المقدسة فأخذ يؤمها أهل المشرق والمغرب من العرب والعجم ، وأخذت القلوب تهفو وتميل اليها عن عقيدة وإيمان فإن أهلها المقيمين متسربلون بسربال الإسلام والوافدون يفدون بدافع إسلامي خالص .

من هنا كان الرباط قويا بين المقيم والوافد فيسهل التعامل والتوافق ، وتتبلور نتائج التأثير في محيط الاتجاه الاسلامي ونظراً لقداسة تلك الديار وما لها من مكانة تستحوذ على القلوب فقد أحب استيطانها كثير من أبناء المسلمين فتكونت الجاليات واختلفت أسباب هجرتها الى هذه الديار فمنهم المتخلفون بعد أداء مناسك الحج والعمرة حيث غلبت عليهم الروح الدينية ، فطاب لهم البقاء في جوار البيت ومنهم من عجز عن العودة لوطنه ، فاستوطن الحجاز ، وآخرون يفدون لطلب العلم والتعليم متبركين بالبيت محتسبين الاجر والثواب وهؤلاء يطلق على الفرد منهم (المجاور) وقد تخلفت أيضاً أسر من موظفي حكومة الاتراك والموظفين المصريين بعد ترحيل جيش محمد علي ، ربما كان للهجمات الغربية والشرقية على الاسلام والمسلمين دور آخر في زيادة الهجرة لهذه البلاد لأنها بمنأى عن مواطن الاضطهاد الديني .

---

(١) سورة ابراهيم ٣٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من هؤلاء ومن العرب الصرحاء تكوّن مجتمع الحجاز ، وتأثروا بخط الحجاز الإسلامي كما قيل (حياة متعددة الأحوال مختلفة الفروع ، مستقلة في ديانتها حياة تنسب الى المكان أكثر من انتسابها الى السكان تلك هي الحياة الحجازية[1]) من ذلك يتبين لنا أن الحجاز ملتقى لأجناس مختلفة من آسيا وأفريقيا ، وقد استطاعت هذه الأجناس أن تنضم إلى المجتمع الحجازي وتصبح جزءاً منه على مر الزمن فأصبحت عربية بحكم لسانها ونشأتها واندماجها في المجتمع العربي المسلم المجتمع الحجازي .

وأهل الحجاز يعيشون في رغد من العيش بالنسبة للأقاليم المجاورة ، لأن الدول تتنافس على العناية بالحجاز ومد نفوذها عليه فتمده بالأموال والهدايا والإصلاحات الخيرية لقاء الاعتراف بهذه الدول والدعاء لها على المنابر ، كان ذلك منذ عهد الدولة الأموية والعباسية والفاطمية ثم الاتراك العثمانيين ، ومن الروافد التي تمد الحجاز بالأموال ما يبعث به أثرياء العالم الإسلامي ، حيث يقفون الأوقاف ويجرون الصدقات ، ويبنون المدارس .

تلك أهم الموارد الخارجية لهذا الإقليم إلى جانب المهن التي اشتهر بها أهل الحجاز منذ القدم كالتجارة التي تزهو في مواسم الحج والعمرة يحتفظ بريعها لتكون مصاريف لعام كامل ، ومما يلحق بذلك كمهنة التطويف وتأجير المساكن والأراضي ونحوه مما يفرضه تكاثر الحجاج في مكة غير أن هذه الموارد كانت موارد . . موسمية تكثر أيام الحج وتندر في غيرها وقد وصف الغزاوي ذلك في الأبيات التالية :

أول (الدينار) بارة ذلكم أصل التجارة
كلما فرطت فيها عشت نهباً للخسارة
فإذا (الموسم) ولى وقست فيك (البصارة)

---

(١) اقليم الحجاز وعوامل نهضته تأليف الدكتور/ ابراهيم فوزان ٢٤٢ ط ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م من مقال الكاتب محمد حسن كتبي .

ومضى الحجاج حتى لم تجد إلا الدوارة
بين سوق (الليل) حينا و(جياد) و(القرارة)
لم تروع باحتياج ولجاج ، ومرارة
أو فما نظفر الا بالذي يشكو اضطراره[1]

ذلك كله كان سائداً قبل العهد السعودي ولكن لما توحدت البلاد في ظل الملك عبد العزيز عم الأمن ربوع البلاد ، واتسعت الموارد التجارية في بداية الامر ، ثم اكتشف النفط فتعددت سبل الأعمال ، وموارد الخير وقد ظهر أثره الكبير في حياة الفرد فارتفع مستوى دخله ، واندحر الفقر وعم الرخاء وتوفرت الكماليات فضلاً عن الضروريات ، حتى انشغل الناس بها وتنافسوا عليها وأحدثت بعض التغيرات الاجتماعية الضارة ، وقد وصف الغزاوي هذه الحالة بقوله :

هبك أدركت في حياتك كدحا (مال قارون) ما عسى أنت تصنع
هو كرب عليك يفنى « وهمّ » فيه تشقى ، من حيث لا تتوقع
انه (فتنة) وفيك ابتلاء فانج منها ، بما به لك يرفع

وإذا نظرنا إلى بناء الأسرة الحجازية وارتباط الافراد فيما بينهم وجدنا أن من أهم سماتها التكاتف والتلاحم فكبير العائلة هو الآمر الناهي وهو الذي يجني (القلة) وتجتمع لديه ويقوم بتصريفها بحكمة متناهية ويرجع له أبناؤه وأخواته الصغار وجميع أفراد الأسرة ، وله الرأي المطلق في أكثر الأمور خطورة ، فهو الذي يزوج الفتاة بدون استشارتها أو استشارة أمها وربما أبيها وربما فُرضت الزوجة على الابن أيضاً ، ونظراً لتكرار الأضياف وكثرة افراد البيت الواحد فان الرجال يتناولون طعامهم منفصلين عن النساء وذلك ما كان في بداية النهضة وطفولة الغزاوي أما الآن فقد حدثت تطورات جديدة وكثرت المتطلبات وتفككت الأسرة وتوزعت في بيوت متباعدة وأصبح الفرد ينفصل عن عائلته بمجرد زواجه .

---

(١) المنهل / شعبان ١٣٨٩ هـ ـ اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٦٩ م ص ١٤٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما دور السكن فقد كانت ذات تصميم إسلامي من حيث مدخلها ونوافذها وتقسيمها الداخلي وكانت فسيحة رحبة ذات حجر كثيرة وهناك قسم خاص بالرجال وآخر بالنساء وبينهم حاجز وهم يتأنقون ويختارون أفضل الأثاث ويبذلون فيه اعز ما يملكون الأمر الذي جعل روعة وجمال دور السكن يختلف باختلاف دخل أربابها .

وقد شهد الغزاوي المتغيرات التدريجية التي طرأت على الحياة ، فتنازل الأب عن ريادة الأسرة المستمرة بل شعر بان من موجبات التربية الحديثة أن يستقل أبناؤه بأزواجهم وأبنائهم ، وكذلك المتطلبات الزوجية تدعو الى الانفراد ثم ان التكاثف السكاني له أثر أيضاً فأصبح المطلب للشباب شقة مفروشة ذات طابع إسلامي أيضاً فالرجال لهم جناح والنساء لهن القسم الداخلي وما زال الأثاث مرتبطاً بدخل الفرد .

وقد تحدثنا آنفاً عن الحجاز وسكانه وقلنا أنه ملتقى لاجناس متعددة مختلفة الموارد الثقافية والعادات والتقاليد وأن أغلبها انصهر في الحياة الحجازية العامة لكن لا بد لها من آثار وخلفيات ظهرت معالمها فى تقاليد الزواج وفى بعض الاحتفالات الدينية التي وفدت مع بعض الوافدين المتأثرين بالصوفية والنحل الاخرى .

فإذا نظرنا إلى الزواج مثلا فانه يكون في سن مبكرة للذكور والإناث وتقوم الام . . باختيار الزوجة ووصفها للابن ، أو يحاول الاطلاع عليها من حيث لا تشعر فإذا رغب فيها فإن الأم تنقل ذلك إلى كبير الأسرة فيجمع معه من أهل الرأي والشأن وذوي المكانة الاجتماعية فيتقدمون لولي أمر الفتاة طالبين يدها مصطحبين معهم المهر ، فإذا تمت الموافقة قرأت الفاتحة ويقوم أهل العروس بتأثيث البيت ثم تحدد ليلة الزفاف ، ويقوم الزوج وأهله بنفقات الحفلة ، ويكون العقد فوق مكان مرتفع يسمى (الدكة) وتستمر الاحتفالات ، وتكون لها أشعار خاصة يتغنون بها ويُذكَر فيها اصحاب الشأن ، وقد اشتهر بذلك أحمد قنديل في ريعان شبابه كما أشير الى ذلك « وكان المنشدون في جدة يلجأون وخاصة في حفلات العرس الكبيرة الى قنديل رحمه الله فينظم لهم المقطوعات المطلوبة من الشعر الفصيح متضمنة اسم العريس واسماء آل العروسين ، ولم يكن يتقاضى منهم مقابل ذلك شيئاً ، وانما

يفعله بدافع صداقته لهم »[1] .

وقد اطلع الغزاوي على التطورات الاخيرة في الزواج والتكاليف التي صاحبته والإسراف في جوانب متعددة منها كما لاحظ الجوانب الإيجابية التي طرأت على الموضوع كعملية التفاهم بين الزوجين ، والإصرار على موافقتهما وكتب عن تلك الموضوعات في مقالاته ومطالعاته وفي شذراته .

أما التقاليد التي وفدت للحجاز بسبب هجرة مناصريها إلى البلاد فإنها تعددت في اتجاهاتها كالطرق الصوفية ، حيث تكثر زواياها في المدينة مثل زاوية السحالة وزاوية عبد القادر الجيلاني ، وغيرهما ، وكذلك تنتشر كثير من البدع والخرافات مثل (الطواف حول القبور) ، (تقديم الذبائح والنذور للاولياء والصالحين) .

فأمره أشهر من أن يذكر ، ومن ذلك عرض المهماز على الرسول وطلب المدد منه[2] وقد اندثرت واختفت هذه البدع في العهد السعودي بل حوربت في أول الأمر وأنكرت على أصحابها .

---

(١) اعلام الحجاز لمحمد علي مغربي ٢٩ ط ١ ، ١٤٠١ هـ مطابع تهامة

(٢) الشعر في الجزيرة العربية د . عبد الله الحامد ٤٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المكونات الفكرية

ان السيرة السياسية التي انتهجها الأمويون في إقليم الحجاز كانت المبدأ الاول والمنهج الأساسي في تعامل الدول المتعاطفة مع هذه البلاد ، فقد بنيت هذه السياسة على إغراق أهلها بالأموال وغمسهم في حياة الترف والنعيم وجعلهم في غضارة من العيش وعزلهم عن المشاركة الفعلية في السياسة وتدبير الأمور ، فأصبح الحجاز فيما يشبه العزلة عما يجري في الأقاليم الاسلامية الاخرى . ثم سار على هذا النهج خلفاء الدولة العباسية ولهذه الأسباب حرم الحجاز من النشاط الفكري وما يصاحب هذا النشاط من فوائد وركز الخلفاء على حرمان هذه البلاد من كل ما يمتّ للفكر بصلة والتعويض عن النشاط الفكري بأموال تساق لأهل الحجاز من باب الهدايا والصدقات .

وهي تقيم الحياة الفردية ولا تؤدي إلى نهضة عمرانية شاملة ، واستمر الحال حتى تولت أسرة الأشراف السلطة في الحجاز ، ولكن لم يختلف الامر كثيراً عن العهود السابقة ، فالأمير حل محل الوالي ولا يملك من المال ما يمكنه من إنشاء نهضة عمرانية كما لا يملك الوسائل النفسية الفكرية ليجعل منه ميداناً للعلم كما حدث في العواصم الإسلامية الاخرى كبغداد ودمشق والقاهرة وكان همّ كل أمير من الأشراف أن يخضع للدولة التي لها نفوذ أكثر فيقبل هداياها وعطاياها مقابل الدعاء لها على المنابر .

وفي أوائل القرن العاشر استولى العثمانيون على مصر ووصلت وفود الحجاز

إلى دار السلطنة مهنئة بهذا الانتصار واعتبر الخلفاء العثمانيون ذلك العمل تأييداً لهم من أمراء الحجاز ورضوا منهم بالدعاء على المنابر ، لكن اتخذت الدولة العثمانية سياسة تجميد الأفكار سواء عن قصد أو غير قصد ، مما أثر في الحجاز تأثيراً بالغاً فأصابه ما أصاب الأقاليم الاسلامية الأخرى من جمود فكري نضيف إلى هذه الأسباب أسباباً اخرى كصعوبة المواصلات ، وبعد المسافة بين الحجاز والعواصم العربية ، وانعدام السلطة في أغلب جهات الحجاز ، فسلطان الأشراف قاصر على مدن الحجاز لا غير ، أما القبائل فلا سلطة تردعها ، وخاصة القبائل في الجهة الشمالية التي فصلت الحجاز عن الشام .

كل هذه العوامل ساهمت في الجمود الفكري ، ولولا الحرم المكي ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان فيهما من علماء تصدروا لنشر العلم وأبقوا سراجه منيراً بعض الشيء لانطفأ الفكر تماماً .

وظل الحجاز يعتمد على المدن القائمة من قبل في العهد الجاهلي كمكة والمدينة وجدة والطائف بل إن هذه المدن لم تشهد تطوراً ملحوظاً ، أضف إلى ذلك اندثار بعض القرى الآهلة بالسكان علما بأن الظاهرة المشهودة في العصر الاسلامي والأموي والعباسي كانت ظاهرة استحداث المدن ونشأتها وتطورها غير أن الحجاز لم يحظ بمثل ما حظيت به الأقاليم الاخرى ، مع أنه منطلق الدعوة الاسلامية وفيه الحرم المكي مهوى أفئدة المسلمين فجعلت منه السياسة والأسباب التي عددناها مكاناً جدباً مقفراً من ناحية استحداث المدن والقرى ومقفراً أيضاً من الفكر الذي يمتد إلى آفاق النماء والإصلاح بل اقتصر التعليم النظري على من جاور الحرمين ودرس في الكتاتيب .

وكانت أول حركة فكرية ، تمد ظلالها على الحجاز في العصر الحديث ، حركة الشيخ / محمد بن عبد الوهاب التي ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، فقد حدثت مناظرات بين علماء هذه الحركة وأنصارها وبين علماء الحرم المكي في الحجاز وعندما سيطر السعوديون في دورهم الأول على الحجاز لمدة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تقرب من عشر سنوات[1] ، اطلع أهل الحجاز خلالها على اتجاه الدعوة الوهابية الفكرية حتى أن الحجاج تأثروا بها ورأوا فيها صدقاً وأمناً وإخلاصاً فقد كتب لطف الله جحاف فقال : « وصلت الأخبار بصلاح حجاج اليمن بسبب صاحب نجد (ابن سعود) » واشتهر بين الناس أن أهل الحجاز تشرعوا وتركوا كثيراً من منكراتهم ، ولزموا الأمانة ، وتطهروا بالديانة . . .[2]) فلما دخلوا مكة هدموا كثيراً من القباب الأثرية كقبة السيدة خديجة وقبة النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أبي بكر وعلي .

وظل السعوديون فيها حتى أخرجهم جيش محمد علي باشا حاكم مصر ، الذي احتل الحجاز وعزل واليها وكانت مصر متأثرة بالحضارة الغربية فأتيح لأهل الحجاز الاطلاع على ما في مصر من تطور وصحف وأفكار فكان ذلك إسهاماً فكرياً ضئيلاً لان حملة محمد علي لم تلبث طويلاً فقد سلمت سلطة الحجاز للدولة العثمانية التي تركت الأمور الداخلية تحت تصرف الأمير واكتفت بالدعاء على المنابر وبقاء مفرزة من الجيش يكون قائدها خاضعاً للأمير ، وأيدت الدولة تلك العزلة التي يعيشها إقليم الحجاز والانحسار الفكري ، حتى ظهر رجال الدستور وأعلنوا ثورتهم ضد سياسة الجمود فأيدهم العرب بادىء الأمر ، ولكن سرعان ما ظهرت الأهداف الخفية لهذه الحركة ، تلك الأهداف تثمر كزحول تتريك العرب بتعليم اللغة التركية عن طريق فتح المدارس ذات الطابع التركي ومحاربة اللغة العربية ، واحياء النزعة الوطنية التركية ، وتتريك الدواوين ، والتحلل من الصبغة الاسلامية ، مما جعل العرب . . يشعرون بالخطر على دينهم ولغتهم ، ووطنيتهم ، فتكونت الجمعيات السرية المناهضة للدولة العثمانية ، واتخذ الشريف حسين موقفاً مناهضاً أيضاً لهذه السياسة عندما شعر بنقمة العرب على سياسة الدولة التركية ورأى الفرصة سانحة له ، فقد بدأ بافتتاح المدارس العربية وشجعها فانخرط فيها أبناء الاهالي وأحجموا عن المدارس التركية كما أسس أهل الخير والفضل من

---

(١) استولى سعود بن عبد العزيز بن محمد على الحجاز سنة ١٢٢٠ هـ انظر تاريخ مكة ـ أحمد السباعي ٥٠٢ .

(٢) من كلام لطف الله حجاف اليمني ١ .

الأثرياء مدارس أهلية تهتم بالعلوم الشرعية واللغة العربية وهذا الاختلاف في المشارب الفكرية والثقافية صبغ المجتمع الحجازي بصبغتين متنافرتين ، فاتسعت الهوة الفكرية بين ابناء المجتمع ممن تلقى علومه في مدارس الترك والمدارس العربية وهذا التسابق المقصود من الطرفين كون مستويين ثقافيين متمايزين ساعد على تقسيم المجتمع الحجازي الى فئتين فالفئة التي التحقت بالمدارس الهاشمية والأهلية كانت ذات اتجاه قومي عربي والفئة الثانية تركية عنصرية فحدث صراع فكري بين الفئتين حسمه الشريف حسين بإعلانه الثورة عام ١٣٣٤هـ فبرزت أحداث وظواهر كان لها إسهام واضح في تنمية الفكر في الحجاز نجملها في الأمور التالية : ـ

(١) قيام الشريف حسين بتعريب الدواوين الحكومية ، فأقبل الناس على تعليم اللغة العربية حتى يلتحقوا بالوظائف الحكومية ، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية والمعترف بها وحدها واستبشر الناس بذلك خيراً وهو عمل يحمد عليه (وأيا ما كان حكم الشريف حسين في الحجاز فإن الذي يعنينا تسجيله هنا هو أن خطوة تعريب الدولة في الحجاز على يديه كانت نقطة تحول ، وانعطاف في الحجاز ومجتمعه ولهذا عنيت بتقديمها على غيرها من مظاهر النهضة في الحجاز الحديث)[1] .

(٢) ومن الأمور التي ساهمت في إثارة الفكر في هذه المرحلة قيام الدولة السعودية في نجد وتبنيها لمذهب الشيخ / محمد بن عبد الوهاب ، فقد حدث احتكاك فكري بين الإمارتين في الحجاز ونجد فأخذ الناس يتحدثون عن الفروق في الاتجاه الديني وشارك علماء الإمارتين في هذاالاحتكاك إلى جانب لقاءات الناس من أبناء الإمارتين فلا حدود ولا قيود على السفر أضف إلى ذلك الاحتكاك العسكري .

(٣) الوفود العربية التي أيدت الثورة وكان جيلهم رجال علم وأدب لهم قدرتهم العلمية ومكانتهم الفكرية وقيمتهم الاجتماعية دمثل الأستاذ الشاعر / فؤاد

---

(١) الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم ابو بكر ٥٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخطيب والاستاذ / محب الدين الخطيب والشيخ / كامل القصاب فأدوا دورهم في خدمة البلاد وكونوا لهم تلاميذ ومؤيدين في الحجاز إلى جانب كتاباتهم وخطبهم في الصحف .

(٤) الاتصال بالعالم الخارجي في بداية إعلان الثورة عن طريق الكتب والصحف التي تصدر في مصر فقد كان الناس يتسابقون الى قراءتها والاطلاع عليها أو اقتنائها .

(٥) ظهور الصحف التي جعلت هدفها غرس الوطنية العربية في نفوس الشبيبة كصحيفة القبلة التي يرأسها محب الدين الخطيب .

(٦) كثرة الحجاج من أصحاب الأفكار الحديثة والتقائهم مع شباب الحجاز ساهم في بذر أفكار جديدة في أذهان الناس .

هذه الأمور هي النواة الأولى لتطور الفكر في الحجاز ، ولكن الشريف حسين خاف مغبة ذلك فحاول أن يحد من نشاطها فقبض على بعض الكتاب وسجنهم وشدد الرقابة على الصحافة كما أشرنا إلى ذلك من قبل (غير ان الملك حسين لم يكن موفقاً فيما نهجه من أعمال بعد الاستقلال وبخاصة حين شدد الرقابة على الصحف ولم يكن مستعداً للوفاق مع جيرانه)[١] .

وقد أشار إلى ذلك أيضاً عبد الرحيم أبو بكر بقوله[٢] :

(وإذا كانت الحكومة الشريفية حين ذاك لم تطمئن إلى انتشار الوعي بل خشيته في فترة من الفترات كما يرى الكثير من الباحثين) .

ولكن حين وحد الملك عبد العزيز البلاد ، وجدنا ان الأفكار العربية قد تجسدت في قيام كيان عربي كبير أصبح الحجاز جزءاً منه فكانت المملكة العربية السعودية التي انضمت إلى الكيان العربي الكامل في جامعة الدول العربية .

---

(١) الادب (مخطوط) للدكتور محمد بن سعود بن حسين ٤٦٩ .

(٢) الشعر الحديث في الحجاز ـ عبد الرحيم أبو بكر ٦٠ .

وهذه الدولة قد بنت أسس نهضتها على التمسك بالعقيدة الاسلامية ، وحمايتها واستعمال اللغة العربية في جميع مجالاتها حتى المكاتبات مع الشركات الاجنبية اشترطت تعريبها . كما اهتمت بتثقيف الشعب كله فقد استفادت من كل صاحب علم واستقدمت الآلاف من مثقفي الدول العربية في شتى المجالات ، بما في ذلك الوظائف العليا والتربوية والفنية . وقد حرصت الدولة على ربط جميع مناطق المملكة بعضها ببعض ليسهل الاتصال فيما بين أجزائها ومدنها فنشأ عن ذلك تآلف وتلاحم واندماج بين أبناء هذه البلاد ، وهذا الاندماج بين أبناء مناطق المملكة بعضها ببعض وبينها وبين الوافدين ، أحدث تطوراً فكرياً جديداً كان له كبير الأثر في النهضة ، أضف إلى ذلك الانفتاح على العالم وإرسال البعوث ، وتعدد الصحف وانتشار الكتب وتنوعها وانتشار المطابع ، والمكتبات وافتتاح الإذاعة والتقدم العمراني الشامل الى جانب استتباب الأمن ، وتمهيد الطرق وهكذا بدأت معالم النهضة الحضارية تظهر في كل صغيرة وكبيرة في شؤون المجتمع وهذا ذو أثر كبير في تنمية الأفكار وتطورها وسأتحدث عن الأمور الاساسية بتفصيل اكثر لأعطي صورة عن العوامل التي أسهمت في بناء النهضة التي عاش فيها الغزاوي وأسهم فيها بمجهوده الفكري ، والعلمي .

أما الناحية التعليمية التي هي أساس النهضة وعمودها الفقري فاني سأعطي القارىء صورة متكاملة عنها لما لها من أهمية في تطوير وتقدم وازدهار هذا البلد ولأنها الأساس الذي أنتج الرعيل الأول من الأدباء ومن بينهم شاعرنا أحمد إبراهيم الغزاوي رحمه الله .

التعليم

التعليم قبل العهد السعودي:

خبا العلم في البلاد العربية وما ظل منه صامداً ، فانه يقوم على المجهود الفردية فحسب بينما الدولة العثمانية اتخذت موقفاً يتسم بعدم المبالاة ، فهي لم تملك التخطيط ، ولم تفكر في مصلحة أفراد شعبها ، وتطوير أقاليمه ، لذلك انتشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجهل وضرب أطنابه ، وخيم على البلاد ، فعمت الأمية وخاصة بين القبائل العربية ، وانحسر العلم في المدن ، وبعض المؤسسات التي وقفت تصارع الظروف كالحرمين الشريفين ، فقد تحدت الجهل ومواكبه المحدقة من كل جانب وبقيت كبصيص أمل أوقد نور النهضة عندما واتت الفرصة وقيض الله للبلاد من ينهض بها فقد قيض الله للمسلمين أفراداً عملوا على إيقاد نور العلم، فشرعوا في تأسيس المدارس الأهلية الناطقة باللغة العربية، وأول مدرسة حديثة افتتحت في الحجاز هي المدرسة الصولتية عام ١٢٩٢ هـ ثم الفخرية في عام ١٢٩٦ هـ . ثم جاءت حركة الدستوريين في الدولة العثمانية ، فارادت أن يعم التعليم جميع البلاد العربية ولكن باللغة التركية ، لتسود هذه اللغة ولتغرس عن طريقها الوطنية التركية وملخص القول أن التعليم قبل العهد السعودي كان ينحصر في المناهل التعليمية الآتية : ـ

(١) تعليم الكتاتيب .

(٢) التعليم في الحرم المكي ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) المدارس الحكومية .

(٤) المدارس الأهلية وسنتحدث عنها بالترتيب .

أولاً ـ الكتاتيب :

هي الأيسر حيث توجد في كل حارة وتعتبر بمثابة المدارس الابتدائية المنتشرة في الأحياء حالياً ، والقائمون عليها يستخدمون الوسائل البدائية ، وليس في الالتحاق بها تكليف مادي إنما يكتفي المعلم بما تجود به أسر طلابه من أمور عينية ، ونقدية كل على حسب ما تيسر له وقد كثرت في الحجاز ، وخاصة في مكة المكرمة كما قال عنها الغزاوي (ما تخلو محلة من كتّاب أو اكثر في طول أم القرى وعرضها . . . وكان المنهج في أكثره تحفيظ القرآن والإملاء والخط والحساب . . وكانت هناك مواسم وأعياد للكتاب)[1] .

---

(١) التعليم في مكة والمدينة د/محمد عبد الرحمن الشامخ ١١ .

وقد اشتهرت عائلة الغزاوي بممارسة هذه المهنة مما يدل على عراقتهم العلمية ، وحبهم لطلب العلم ، وتحصيله ونشره . (فقد اشتهر منهم الشيخ فرج غزاوي وأولاده عبد الله غزاوي ، وسليمان غزاوي ، وتاج الدين غزاوي)[1]

ثانياً ـ الحلقات في المساجد :

أما المساجد فإن الحرم المكي ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كانا مركزين عاليين للدراسات الإسلامية وظلا مشعلاً للعلم حتى في القرون التي تداعى فيها الفكر في العالم الإسلامي فكانا أشبه ما يكون بجامعات اليوم ، حيث نجد جمهرة من العلماء المهاجرين معلمين ومتعلمين فيهما ، وقد بلغت حلقات التدريس في الحرم المكي وحده حوالي مائة وعشرين حلقة ، ذكر ذلك في التقويم الرسمي حجازي ولايتي سالنامه سيء الذي صدر في عام ١٣٠٣ هـ وذكر ذلك العدد العلامة ابراهيم رفعت الذي زار مكة في ١٣١٨ هـ وقد كانت هنالك شروط لمن يريد التدريس في الحرم المكي ، فلا يتصدر له إلا من منح شهادة من العلماء برئاسة شيخ العلماء أو نائبه تجيز له التدريس وكان التدريس في الحرم حراً ، ويدرس المادة من يتضلع فيها وتكون له حلقة مخصصة له ذات مكان معين وزمان معروف فأبواب الحرم مفتوحة كل وقت ليلاً ونهاراً ولجميع الطلاب صغاراً وكباراً ، وتدرس في تلك الحلقات أنواع كثيرة من المعارف كالعلوم الشرعية واللغوية والنحوية والفلكية ، والرياضيات وقد وصفها الغزاوي كثيراً نقبس من ذلك قوله[2] (انها تتألف من العشرين إلى أكثر من المائة ثم إلى المائتين متصلة ويتوسطها المدرس فوق سجادته وأمامه المقرىء الذي يكون عليه أن يبدأ بالقرآن ، ويتولى هو الشرح والتفصيل ، ويستمد ذلك من ذاكرته ، أو مراجعاته قبل الحلقة ، وأمام

---

(١) التعليم في مكة والمدينة د/ محمد عبد الرحمن الشامخ ١١ .

(٢) جريدة قريش عدد ٢٠٥ في ١٣٨٣/٧/١٠ هـ وكتاب التعليم في مكة والمدينة تحدث الغزاوي عن حلقات المساجد وخاصة في الحرم المكي ويذكر في عام ١٣٨٣ هـ انه ما تزال عنده الآلة والمحفظة كأثر ثمين يحافظ عليه قبل خمسين سنة ذلك ما أشار اليه في المقال المنوه عنه في المرجع السابق .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطالب محفظته الجلدية ، وقد ضمت الكراريس موضوع دراسته) .

ثالثاً ـ المدارس :

وهناك نوعان من المدارس : ١) المدارس الحكومية

٢) المدارس الأهلية

١) المدارس الحكومية :

بدأت المدارس الحكومية بالمدرسة الرشيدية في عام ١٣٠١ هـ وهذه المدرسة تبنتها الدولة العثمانية مما جعل المدرسة تكون ذات طابع تركي في لغتها وهدفها ووطنيتها فأخذت تدرس علومها باللغة التركية ومن ثم وضح أن هُدفها تتريك العرب لهذا السبب أحجم اكثر الناس عنها خوفاً على لغتهم العربية وخوفاً من الدخول في السلك العسكري فكان روادها من الأتراك ، وموظفي الدولة ، ومن شايعهم ، وقد اكتمل نموها في عام ١٣٢٧ هـ حيث ذكر أنها تتكون من خمسة فصول[١] . وهناك بعض المدارس المماثلة لها في جدة والمدينة ثم تولى الشريف حسين امارة الحجاز وهو يظهر الولاء لجماعة الاتحاد والترقي ، لكنه لم ينفذ افكارهم في عملية التعليم ، فقد حرص على إنشاء المدارس العربية ، واهتم بها فأسس أول مدرسة عام ١٣٣٤ هـ وتسمى المدرسة « الخيرية الهاشمية التحضيرية » وواصل افتتاح المدارس حتى بلغت خمس مدارس تحضيرية في مكة[٢] ، ثم أتبعها بافتتاح المدرسة الراقية في جبل هندي وكذلك ألحقها بأخرى أعلى مستوى منها لذلك تسمى المدرسة العالية وفي اواخر أيامه أسس مدرسة زراعية وأخرى حربية .

---

(١) من المراجع لهذه المدرسة تقرير عن ماضي التعليم في مكة وكتاب التعليم في مكة والمدينة للدكتور عبد الرحمن الشامخ ٢٠١ ، وكتاب تاريخ التعليم في مكة المكرمة للاستاذ عبد الله صالح عبد الله ٨٠ .

(٢) انظر كتاب التعليم في مكة والمدينة الدكتور عبد الرحيم الشامخ ٣٤ .

(٣) انظر كتاب تاريخ التعليم في مكة المكرمة عبد الله صالح عبد الله ٨١ .

٢) المدارس الأهلية :

إن الحجاز وخاصة مكة المكرمة والتي ولد ونشأ فيها شاعرنا / أحمد إبراهيم الغزاوي والمدينة المنورة منبع الوحي ومنار العالم الإسلامي لذا فان كل مسلم يحب أن يعمل خيراً في تلك الديار المقدسة ، فكانت الأموال تنساب عليها ، وتبذل هذه الأموال في خدمة الحرم المكي وتعليم أبنائه لـذلك وجـدت المدارس الخيـرية القديمة في مكة منذ اواخر القرن السادس الهجري وسوف نقصر الحديث على ما يهمنا منها وما هو أقرب إلى مولد الشاعر الغزاوي الذي عنينا بدراسته ومن أشهر هذه المدارس وأقدمها في مكة المدرسة الصولتية : وقد أسستها امرأة هندية ثرية تسمى (صولة النساء) وقد أسندت أمرها إلى الشيخ محمد رحمت الله العثماني في عام ١٢٩٢ هـ وبذلت تلك المرأة لهذه المدرسة أموالاً كثيرة . ولم يقتصر مورد هذه المدرسة على ما أنفقته صولة النساء وانما امتد الى قبول المساعدات الخيرية التي كان يقدمها أهل الهند وهذه المدرسة متأثرة بمدارس ومناهج المدارس الإسلامية في الهند وكانت تهتم بالعلوم الشرعية ، واللغة العربية ، ولا زالت مواصلة مسيرتها حتى الآن ، ويديرها الشيخ مسعود سليم رحمت الله وهو من الأصدقاء والمقـربين للغزاوي رحمه الله ويروى الكثير من حياته[١] .

وفي عـام ١٢٩٦ هـ تم افتتـاح المـدرسـة الفخـريـة وتقـوم بتعليم العلوم الشرعية ، واللغة العربية وتستمد توجيهاتها وأموالها ومصاريفها من أهل الخير في الهند ، وقد تحدث عنها الغزاوي بأنها كانت « ذات نظام وتنظيم ونهـج عصري قويم ، وكانت غاصة بالطلاب »[٢] .

وبعد فترة ليست بالقصيرة ظهرت المدرسة الخيرية ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م[٣]

---

(١) انـظر كتـاب التعليم في مكـة والمـدينـة للدكتـور الشـامـخ ٤٠ وكتـاب الأدب الحـديث تـاريـخ ودراسات د/محمد بن سعد بن حسين ٢٥٢ .

(٢) التعليم في مكة والمدينة الدكتور الشامخ ٥٠ .

(٣) التعليم في مكة والمدينة الدكتور الشامخ ٥٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتي أسسها الشيخ محمد حسين الخياط ، وهي ذات مستوى عال في العلوم الدينية والعربية .

مدرسة الفلاح :

وقد قام العالم الجليل محمد علي زينل (تاجر اللؤلؤ) بافتتاحها في جدة في ٩ شوال عام ١٣٢٣ هـ ٧ ديسمبر ١٩٠٥ م ، ثم أنشئت بعد ذلك بحوالي سبع سنوات مدرسة الفلاح بمكة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م[١] وكان لهما دورهما الفعال في تربية رجال الفكر والأدب والعلماء الذين لهم الصدارة في أيامنا هذه والدراسة فيها تتكون من ثلاث مراحل، المرحلة التحضيرية ومدتها ثلاث سنوات ، والمرحلة الابتدائية ومدتها ثلاث سنوات ، والمرحلة الرشدية ومدتها ثلاث سنوات أيضاً . وقد تحدث الغزاوي عن هذه المدارس في مقالات متعددة واصفاً لها ومشيداً بها وبشبابها وأحياناً ملتمساً العون المادي والمعنوي لها ، وقد خلدها في شعره أيضاً .

التعليم في العهد السعودي

ظل التعليم في قرى نجد ومدنها على النمط القديم ، حيث تعليم الكتاتيب والمساجد وحلقات الذكر ، بل اكتسح المجالس العامة ، ولما صارت نجد تحت سلطان الملك عبد العزيز ، والتف حوله الاخوان ودانت له القبائل أمر بنشر تعليم الدين بين القبائل الرحل وأهالي القرى على حد سواء فأصبح راعي الغنم يتعلم القرآن ويحفظه وأصبح الركب يتعلمون القرآن ويحفظونه ويتدارسونه وهم على ظهور إبلهم وجعل المرشدين يتنقلون مع البدو الرحل ولما ضم الملك عبد العزيز الحجاز إليه وقد كان التعليم قاصرا على المدن وإن تنوعت مصادره من الكتاتيب والمساجد والمدارس الحكومية والأهلية كما ذكرنا سابقاً ، وشجع رحمه الله هذه المسيرة الطيبة وباركها وقدم التبرعات للمدارس وعقد النية على تطويرها وتنظيمها لذلك نظر نظرة شمولية فأخذ على عاتقه أن يوصل العلم الى كل فرد في مملكته المترامية الأطراف ولكن عليه قبل ذلك إيجاد الجو المناسب وأساس ذلك الجو

(١) ارجع الى كتاب التعليم في مكة والمدينة للدكتور عبد الرحيم الشامخ ٥٣ .

أمران مهمان أولهمـا / الاستقرار حيث أوجـد الهُجَر وشجـع على استيطانهـا ، وثانيهما / الأمن فحافظ على أرواح وأموال وأعراض كل فرد في المملكة فلا علم بدون استقرار وأمن ، ولا نهضة بدون علم (ومن الطبيعي أن انصراف هذا البطل العظيم الى إرساء دعائم حكمه على أسس ثابته من العقيدة الإسلامية الصحيحة لم يترك له الفرصة في بداية حكمه لإرساء قواعد التعليم النظامية إذ كان كل همه منصباً على تبصير الناس بأمور دينهم يعاونه في ذلك من شايعه وآزره وعضده من علماء الدين الأجلاء ، وحين تحقق له ماأراد بدأ يؤمن إيماناً واثقاً بأن نهضة بلاده وتقدمها لا يكون الا عن طريق التعليم)[1] .

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يستمد قوته ونظامه من الكتاب والسنة ومن هذا المنطلق فانه يختار مستشاريه ومعاونيـه من أولئك الـرجال الأفـذاذ والعلماء المشاهير رواد النهضة الحديثـة فهو لا يقـدم على عمل إلا بعـد استشارة واعيـة وتخطيط متقن ودراسة مستفيضة فهو يكوّن اللجان أولا ثم يجعل هذه اللجان تضع القوانين التي تسير عليها ومن هذه التنظيمات الحديثة في الجانب التعليمي تنظيمه التعليم في المسجد الحرام ليضمن استمرار فعاليته وقدرته فقد أصدر أمراً ملكياً في ١٥ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ ٢٢ اكتوبر ١٩٢٦ م[2] بنظام التدريس يتضمن تشكيل لجنة علمية برئاسة سماحة الشيخ رئيس القضاة / عبد الله آل بليهد ومهمته الإشراف على سير الدروس في الحرم المكي والابتعاد عن البدع والخرافات في الحرم . وفي عام[3] ١٣٤٦ هـ تشكلت هيئة رئاسة القضاة برئاسة سماحة الشيخ / عبد الله ابن حسن آل الشيخ ثم تشكلت (هيئة مراقبة الدروس) عام ١٣٤٧ هـ المرتبطة برئاسة القضاء ، ولكن المرتبات المالية تصرفها مديرية التعليم لمدرسة الحرم أما بقية الاختصاصات فتكون من قبل رئاسة القضاء وتتلخص الدراسة في الحرم المكي في الانواع الآتية[4] :

---

(١) التعليم في المملكة العربية السعودية عبد الوهاب احمد عبد الواسع ط دار الكتاب العربي ١ .

(٢) تاريخ التعليم في مكة ٤٤ عبد الله صالح عبد الله (دار الفكر) .

(٣) عن كتاب تاريخ التعليم في مكة ٤٦ بتصرف .

(٤) تاريخ التعليم في مكة ٤٧ بتصرف .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١) الحلقات الدراسية .

٢) حلقات تحفيظ القرآن الكريم .

٣) الدروس الرسمية التي تلقى على طلبة معهد الحرم المكي، والذي أنشىء عام ١٣٨٥ هـ[١] .

التعليم الحكومي في العهد السعودي :

رأى الملك عبد العزيز أن المؤسسات التي يتبعها التعليم تقوم على المعونات المادية مما يؤثر على سير التعليم ويجعلها في حالة مضطربة لذلك كوّن مؤسسة تقوم بتنسيقه وتنظيمه والإشراف عليه تلك هي : مديرية المعارف العمومية والتي فتحت أبوابها في غرة رمضان ١٣٤٤ هـ[٢] ونظام التعليم يقوم على الأسس التالية :

١ ـ توحيد التعليم في الحجاز والسعي لجعل التعليم الابتدائي إجبارياً ومجانياً .

٢ ـ يتكون التعليم من أربع مراحل : تحضيري ـ ابتدائي ـ ثانوي ـ عالي ، وفي أثناء ذلك وبعده بدأت المدارس تغزو المدن والقرى وجعل الملك عبد العزيز الأمر مبسطاً فلم يتقيد بمستويات الشهادات والمؤهلات وأخذ يستعين بالأقطار العربية وهذا ما أشارت اليه : زينب الغزالي في كتابها ملك وآمال شعب[٣] فقالت (ولذلك دعا الملك الراحل عبد العزيز الخبراء من مشارق الارض ومغاربها للاستعانة بهم في وضع الخطوط الرئيسية التي تضمن القضاء على أعداء المجتمع . فمن مصر وسوريا خبراء من رجال التعليم لوضع مناهج على أحداث الطرق وتعميم التدريس الابتدائي في سائر أنحاء المملكة بأسلوب تدريجي) .

---

(١) تاريخ التعليم في مكة ٥١ .

(٢) تاريخ التعليم في مكة ٨٩ .

(٣) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها م٢ ٥١٦ ـ ٥١٧ تأليف صلاح الدين المختار منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان .

وبعد ذلك تفجرت ينابيع العلم والمعارف وتعددت المؤسسات النظامية القائمة على ذلك بل أصبحت كل وزارة ومؤسسة خلية تعليمية قائمة بذاتها ومن أشهرها :

١) وزارة المعارف ١٣٧٣ هـ .

٢) الرئاسة العامة لتعليم البنات ١٣٧٩ هـ .

٣) وزارة الدفاع .

٤) التعليم الأهلي تحت إشراف وزارة المعارف .

٥) التعليم المهني والفني ، فضلاً عن مؤسسات الرعاية الاجتماعية والمدارس الخاصة بذوي العاهات وغير الأسوياء .

٦) وزارة التعليم العالي : ـ

ويتكون التعليم الحالي من سبع جامعات متناثرة في أنحاء المملكة في مختلف التخصصات وكل جامعة وكلية هدفها خدمة الدين والمجتمع وهذه الجامعات هي :

١ ـ جامعة الملك سعود أسست عام ١٣٧٧ هـ وتضم اثنتي عشرة كلية[١]

٢ ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أسست عام ١٣٨١ هـ وتضم خمس كليات[٢] .

٣ ـ جامعة البترول والمعادن بالظهران أسست عام ١٣٨٣ هـ وتضم أربع كليات[٣] .

٤ ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة أسست عام ١٣٨٧هـ[٤] .

---

(١) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ـ ادارة المعلومات بوزارة التعليم العالي ص ١١

(٢) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ـ ادارة المعلومات بوزارة التعليم العالي ص ٤٧ .

(٣) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ـ ادارة المعلومات بوزارة التعليم العالي ص ٥٧ .

(٤) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ـ ادارة المعلومات بوزارة التعليم العالي ص ٦٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نواتها الأولى ١٣٧٠ هـ[١] وأعلنت جامعة سنة ١٣٩٥ .

٦ ـ جامعة الملك فيصل بالدمام والإحساء اسست عام ١٣٩٥ هـ وتضم أربع كليات[٢] .

٧ ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وإنما أشرنا إلى هذه المؤسسات لأن الغزاوي رحمه الله قد عاصرها جميعها وإن كان ذلك في أخريات حياته .

المطابع

تأخر الحجاز في الاطلاع على محاسن الحضارة المستحدثة التي رادها الغرب وكان فيها خير كثير للإنسانية ، من ذلك المطابع التي أسهمت في نشر العلم وتقدم الحضارة وبث الوعي وكانت أول دولة عربية تنعم بوجود المطابع مصر[٣] إبان الحملة الفرنسية ، ثم أنشئت في الشام وصنعاء ، أما الحجاز ومكة المكرمة مهبط الوحي ، فقد تهاون العثمانيون عن قصد في تأمين المطابع لهذا الإقليم العزيز على

(١) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ـ ادارة المعلومات بوزارة التعليم العالي ص ٩٩ .

(٢) التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ـ ادارة المعلومات بوزارة التعليم العالي ص ١٢١ .

(٣) يعد لبنان أقدم دولة عربية عرفت المطابع ففي كثير من الاديرة المسيحية منذ القرن السابع عشر كانت المطابع الحجرية معروفة الا أنها لم تسهم بالنهضة الحضارية العربية لأنها كانت مخصصة لخدمة المبشرين المسيحيين ولذلك عدت مطابع مصر أول المطابع التي أسهمت في النهضة الحديثة . وكانت للسوريين محاولا ـ أيضاً ولكنها بايدي المسيحيين إذ طبع الانجيل في حلب ١٧٠٦ واقدم مطبعة انشئت سنة ١١٤٥ هـ ـ ١٧٣٢ م انظر في الادب العربي الحديث عمر الدسوقي جـ ١ : ٤٠ .

كل مسلم ، وكانت أول مطبعة أنشئت في الحجاز عام ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م ، وهي مطبعة حكومية عثمانية لذا سميت (مطبعة الولاية) وكان هدفها خدمة الدولة ونشر الكتب باللغة التركية إلى جانب إصداراتها بالعربية وكانت هذه المطبعة في بدايتها صغيرة لا تفي بالغرض ، ولكن تتالى عليها التطور والتعديل ، وقد قامت بطبع التقويم الرسمي ومؤلفات علماء الحرم المكي وطبع جريدة (الحجاز) .

وثاني مطبعة احدثت في الحجاز هي مطبعة شمس الحقيقة ، وقد كانت مساهمتها محدودة ثم تلتها مطبعة الترقي الماجدية على أنقاض مطبعة شمس الحقيقة في عام ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩ م . وقد طبع بها كثير من الكتب والرسائل ، ومع ذلك لم تصدر أيا من الكتب الأدبية .

(ومما اطلعت عليه من مطبوعاتها الأخرى أن معظم هذه المؤلفات كانت عبارة عن رسائل وشروح ألفها علماء الحرمين في الفقه والنحو والبلاغة والمنطق ، ويظهر أن الجو الثقافي التقليدي السائد في الجزيرة عند مطلع هذا القرن قد صبغ المطبوعات الماجدية بصبغته ، فلم ينل الإنتاج الأدبي أو التاريخ الحديث شيئاً من عنايتها)[١] .

ثم توالى انتشار المطابع في جدة والمدينة ففي ٢٦ / ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ ـ ١٧ مايو ١٩٠٩ م أسست مطبعة الاصلاح بمدينة جدة ، وفي عام ١٣٢٩ هـ أسست مطبعة في المدينة المنورة تسمى المطبعة العلمية ، والعهد السعودي اهتم بمطبعة الحجاز وسميت مطبعة أم القرى[٢] في عام ١٣٤٦ هـ وعمدت الحكومة الى تطويرها بل أرسلت فنيين للتدريب عليها وقد أعفت ادوات الطباعة والمطابع والأوراق من الرسوم الجمركية تشجيعاً للطباعة وواصلت مسيرة التطور حتى

---

(١) نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية د/ عبد الرحمن الشامخ ٢) دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ .

(٢) الادب الحديث تاريخ ودراسات ٢٥٨ د/ محمد بن سعد بن حسين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استقدمت أحدث المطابع العالمية ، وتعددت المؤسسات القائمة عليها فمنها التابع لأجهزة الدولة واخرى تابعة للقطاع الخاص الامر الذي جعلها تساير النهضة وتسهم فيها .

الصحـافـة

ان الصحافة التي اصبحت من ضروريات المجتمع في هذا العصر والتي لها الأثر الأكبر في تعريف الشعوب بشؤون المجتمع والحياة ومعالجة مشاكله وبيان متطلباته ، ورصد سماته وتوجيهه الوجهة الايجابية السليمة إذا كانت الصحافة ذات هدف سليم ومع هذه الأهمية للصحافة فقد تأخر ظهورها في شبه الجزيرة العربية والحجاز بصفة خاصة لظروف مختلفة منها عدم اهتمام الدولة العثمانية بالامر ، ثم بعد المسافة وعدم توفر سبل الاتصال بين هذه الديار وبين البلاد المصنعة للمطابع ، وعندما اضطرت الدولة العثمانية لتوريد المطبعة للحجاز أصدر أول كتاب دوري وذلك سنة ١٣٠١ هـ وبذلك انطلقت أول بذرة للصحافة ومرت بمراحل متعددة أهمها :

١) مرحلة الصحف التركية وهي ما قبل عهد الملك حسين .

٢) مرحلة تعريب الصحف مع بقائها على ضعفها لفظاً ، وأسلوباً كما كانت في عهد الأشراف .

٣) مرحلة الحركة الصحفية القوية التي بدأت من ١٣٤٣ هـ .

٤) مرحلة تكاثر الصحف وهي مرحلة تنافس الأفراد في اصدارها وقد بدأ من عام ١٣٧٣ هـ .

٥) مرحلة المؤسسات وقد بدأت هذه المرحلة من عام ١٣٨٣ هـ .

أولاً ـ مرحلة الصحف التركية :

نظراً لتأخر وجود المطابع في الحجاز ،فقد تأخر إصدار الدوريات والصحف، ويلاحظ أن أول مطبعة في الحجاز ـ وهي مطبعة الولاية ـ أصدرت أول عدد من الدوريات وهو كتاب أطلق عليه (حجاز ولايتي سالنامه سي) عام ١٣٠١ هـ وكان هذا الدوري يصدر باللغتين التركية والعربية ، وهو كثير الحديث عن الحجاز وشؤونه العامة ، أما الجرائد والمجلات ، فقد تأخر إصدارها ، والناس في أمسّ الحاجة إليها ، وأشد الشوق لها حيث (لم يكن يسمح للصحف المصرية قبل صدور الدستور العثماني بالدخول الى الأراضي المقدسة ، ولذلك كانت هذه الصحف حينئذ تصلنا خلسة فيختفي قراؤها ، ويتوارون عن الأنظار ، وكانت جريدة المؤيد أقوى الجرائد العربية وأوسعها انتشاراً ، وكانت تصل إليها والحرب مشتعلة وقائمة على قدم وساق في اليونان ، فكان الناس ينتظرونها انتظار البقعة الجديبة لصيب السحاب . وكان الرائي يندهش إذ يرى الوفود متتابعة لاستماع الأخبار التي ترويها تلك الصحيفة)[١] .

وبعد اعلان الدستور العثماني ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م صدرت جريدة (حجاز) ثم تتابع إصدار الصحف بعدها فشهدت الحجاز نشاطاً ملحوظاً تمثل في صدور الصحف التالية :

(شمس الحقيقة) و(شمس حقيقت) و(الإصلاح الحجازي) و(صفا الحجاز) و(الرقيب) و(المدينة المنورة)[٢] .

لكن هذه الصحف لم تدم طويلاً في صدورها لما تقابله من عقبات وأشهر الظواهر الصحفية في هذه المرحلة هي :

---

(١) نشأة الصحافة د/ عبد الرحمن الشامخ ٣٩ من مقال للشيخ محمد حسن نصيف أحد العلماء في الحجاز وقد عايش تلك الفترة .

(٢) انظر كتاب نشأة الصحافة للدكتور الشامخ ٤٠، ٤١ ثم كتاب الادب (مخطوط) للدكتور .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١ ـ اغلب الصحف تصدر باللغة التركية ، لذلك امتازت بمحاولة إبراز الحماس الوطني التركي والدعوة لتأييد الحكومة الحاكمة في الآستانة .

٢ ـ والصحف التي صدرت في هذه المرحلة تميل إلى الأخبار والمعلومات الجافة ، التي تخلو من روح الأدب والتحليل العلمي وتفتقد الوعي الثقافي والى جانب ذلك كان أسلوبها ركيكاً يميل الى السطحية والعفوية وتغلب على لغتها العامية الدارجة .

٣ ـ تقسم هذه الصحف بالضعف في جوانب متعددة من حيث الإدارة ، والأداء الفني والموارد والمواد المقدمة .

٤ ـ ومن السمات البارزة في هذه الصحف ضعف مقاومتها للظروف وسرعة انقطاعها .

ثانياً ـ مرحلة تعريب الصحف في عهد الأشراف :

بعد أن تولى إمارة الحجاز الشريف حسين اختلف الأمر ، فخرجت الصحافة لابسة حلة ، لحمتها وسداها العربية ولا غرابة في ذلك فقد ظهر أنه الداعي إلى الانتماء والاصالة العربية ومن هذا الاتجاه ذاته فإنه دعا إلى الانفصال عن الدولة العثمانية حينما تبين للعرب تعصبها للعنصر التركي وقد تأثرت الصحف في عهده بهذا الاتجاه وجارته في أفكاره وتطلعاته .

وقد صدر في الحجاز في هذا العهد الصحف الآتية :

١) **القبلة** : ـ صدر العدد الاول منها في ١٥/١٠/١٣٣٤ هـ ـ ١٥ /١ /١٩١٦ م في نفس العام الذي أعلن فيه الشريف حسين ثورته ضد الأتراك ، وهي مؤيدة له متبنية لأفكاره فقد ناهضت الدولة العثمانية ، وحزب الاتحاد والترقي وتذكر بأنها ذات صبغة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الإسلام والعرب وتولى إصدارها فؤاد الخطيب وأخوه محب الدين الخطيب وهما أديبان مثقفان يحملان بين جنبيهما وطنية عربية لذلك أصبحت تسود لغة هذه الجريدة الصبغة الخطابية

ذات الأسلوب العربي الفصيح وقد قيل عنها (كانت القبلة تحرر تحريراً جيداً ولكن كتابها الذين يبدو أنهم لم يكونوا شاعرين بما تدعو اليه نظريات التحرير الصحفي الحديث من إيجاز وسهولة في التعبير ، كانوا يميلون الى الإطناب وإلى جزالة الأسلوب العربي العريق ، ولذلك كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بهذه الجزالة ، وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية)[1] .

٢) **الحجاز** : ـ صدرت في ١٣٣٤/١٢/٩ هـ وهي سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية ، ويلاحظ أنها أول جريدة في الحجاز تسم نفسها بميسم الأدب ، وقد اهتم بإظهار هذه السمة مدير تحريرها / حمزة غوث ومحررها بدر الدين النعساني مما يدل على أن معالم الحركة الادبية بدأت تداعب الأفكار .

٣) **الفلاح** : ـ رأت النور في دمشق واستمرت لمدة سنة كاملة ، ولكن صاحبها عمر شاكر هرب إلى مكة ، وواصل إصدار صحيفته فيها اعتباراً من ٢٤ /١٢ /١٣٣٨ هـ وهي كغيرها لم تول الأدب أي اهتمام . وهي ذات أسلوب خطابي جزل فصيح يميل إلى العاطفة وإثارة الحماس .

٤) **بريد الحجاز** : ـ صدر العدد الاول منها في ١٣٤٣/٤/١٩ هـ وصاحب امتيازها / محمد صالح نصيف هدفها سياسي احتجبت عن الصدور بعد أن تنازل الملك علي بن الحسين عن العرش ، وغادر جدة في ١٣٤٤/٦/٦ هـ الموافق ١٩٢٥/١٢/٢٢ م .

من خلال هذه العجالة عن الصحف في عهد الشريف حسين ومن خلال اطلاعنا عليها في دور الوثائق ندرك أنها تتصف بالأمور الآتية :

١) كتبت الصحف في عهد الاشراف باللغة العربية وباسلوب يميل إلى الجزالة والقوة ويتخذ النهج الخطابي لأن هذه الصحف تهدف الى التأثير في النفوس أكثر من كونها تهدف إلى التثقيف ، والتوعية وخدمة المجتمع .

---

(١) نشأة الصحافة ١١٤ د/ محمد عبد الرحمن الشامخ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢) كان هدفها مقتصراً على الناحية الوطنية فحسب ، ولم تتسم بالشمولية والواقعية ومعالجة ظروف المجتمع والإقليم ومتطلبات الحياة بل ظلت تشيد بالأمور السياسية وتجاربها .

٣) وهذه الصحف لم تهتم بالناحية الأدبية لأنها مشغولة بالأحداث السياسية وتأييدها ، والبلاد لم تكن مؤهلة بعد للانتاج الفكري والأدبي نظراً للحالة السياسية العالمية والاجتماعية الخاصة بالحجاز ولانتشار الامية فيه .

ثالثاً ـ مرحلة بداية الحركة الصحفية القوية :

أما في العهد السعودي فإن الحركة الصحفية انطلقت من الحجاز بعد أن كانت محصورة في مدن معدودة ، فقد تجاوزت تلك المدن إلى شبه الجزيرة العربية عامة فأصبحت أبعد صدى ، واكثر تأثيراً ، ومصدر توجيه وإرشاد وتثقيف لأقاليم المملكة عامة ومع توحيد البلاد استقر الوضع الداخلي وانطلقت معالم النهضة فكثرت المطابع ، والورق والتسويق ، وأصبحت الحاجة الاجتماعية ملحة إلى الصحافة ، لذلك فإنها تحركت بقوة وعزم وانطلقت اعتباراً من عام ١٣٤٣ هـ واستمرت في الاتساع والنجاح ، والتطور حتى عام ١٣٧٣ هـ وأما الصحف التي صدرت في هذا العهد فأشهرها :

١ ـ أم القرى [١] :

صدرت في ١٥/٥/١٣٤٣ هـ الموافق ١٢/١٢/١٩٢٤ م في مكة المكرمة وتعود أهمية هذه الصحيفة إلى أنها أول صحيفة واكبت بداية العهد السعودي ، وكانت إحدى الصحف الحاملة لراية الحركة الأدبية ، فقد أدت دوراً رياديا في الأدب لأن محرريها وكتابها اهتموا بالناحية الأدبية والاجتماعية والتاريخية ، وإحياء

---

(١) الادب الدكتور/ محمد بن سعد بن حسين وكتاب معجم المصادر الصحفية للدكتور منصور الجازي ص ١٧ وكتاب : اقليم الحجاز للدكتور ابراهيم الفوزان .

التراث وقد كتب فيها شيوخ الأدب السعودي من أمثال / محمد حسن كتبي ـ وأحمد السباعي ـ وأحمد إبراهيم الغزاوي وعبد القدوس الأنصاري ـ ومحمد حسن عواد وغيرهم كثير من رواد الأدب ، ولما كثرت الصحف أخذت طابعها الرسمي واقتصرت على الأخبار والنشرات الحكومية ، وكان الغزاوي من أولئك الكتاب الذين تولوا رئاسة تحريرها ، وتعتبر أول وأقدم صحيفة في العهد السعودي وكذلك أطول عمراً فهي مواصلة الصدور حتى الآن فلها أكثر من ستين عاماً .

٢ ـ صوت الحجاز :

صدرت في ١٣٥٠/١١/٢٧هـ الموافق ١٩٣٢/٤/٤م في مكة المكرمة وهي صحيفة أدبية ساندت أم القرى في إثارة ودفع الحركة الأدبية وتشجيعها ، فنشرت الإنتاج الأدبي ونقده وقيل عنها[1] (وكانت من أهم العوامل في إنعاش الحركة الادبية التي بدأت في آخر العقد الثالث من القرن العشرين على أيدي الكتّاب الناشئين . فلقد أنشئت لتكون ـ كما قال أول رؤساء تحريرها / عبد الوهاب آشي ـ رابطة أدبية بيننا نحن أبناء هذه البلاد نوحد أفكارنا وميولنا وثقافتنا ـ وقد أكد صاحبها ومديرها محمد صالح نصيف شخصيتها الأدبية حين قال بأنها : ـ (لسان حال النهضة الأدبية الحجازية) .

وقد أتيح لي الاطلاع على أعداد صوت الحجاز كاملة ، فتبين لي مدى اهتمامها بالأدب والآراء النقدية ، وتبنيها لكل أديب مما جعل لها رواجاً خاصا بين الأدباء ، وعناية خاصة أيضاً وإيثاراً لها على غيرها ، لذلك فإنك تجد الكتّاب يتسابقون في بعث كتاباتهم ومقالاتهم إليها فرصدت الحركة الأدبية ومثلتها التمثيل الكامل .

---

(١) نشأة الصحافة ١٥٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ـ المدينة المنورة :

صدرت في ٢٦/محرم/١٣٥٦هـ ٨ ابريل ١٩٣٧م ، لقد حظيت المدينة بشباب يتطلعون الىٰ الأدب ويغرمون بسماعه ويتسابقون إلى مصادره تجمعوا في منتديات صغيرة انبعثت منها فكرة الصحف والمجلات ، حيث أصدر الأديب / عبد القدوس الانصاري رحمه الله مجلة المنهل كما سنتحدث عنها وأصدر الاخوان عثمان وعلي حافظ جريدة المدينة المنورة ونظراً لأن اتجاههما أدبي فقد اصطبغت الجريدة بالطابع الأدبي وأما أهدافها فأهمها إحياء ماضي الحجاز البعيد أيام كان يزهو بروائع الأدب وجلائل الأعمال ، ولقد خصصت الجريدة قدراً كبيراً من أعمدتها للقضايا الأدبية وما زال اهتمامها بالأدب والتراث حتى الآن .

اما المجلات فان أول مجلة تصدر في العهد السعودي هي :

أ) مجلة الإصلاح[1] : وهي أول مجلة تصدر في العهد السعودي فقد صدر أول عدد منها في ١٣٤٧/٢/١٥هـ ـ ١ اغسطس ١٩١٨ م وقد تولى حامد الفقي إدارتها والإشراف على تحريرها وكذلك تولى رئاسة تحريرها الشيخ / أحمد بن ابراهيم الغزاوي ، وهي صحيفة دينية علمية اجتماعية ، واستمرت في الصدور حتى عام ١٣٤٩هـ وأغلب الظن أنها توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى حيث ضاقت الموارد المادية والورقية .

ب) المنهل :

بدأت تدب الحركة الأدبية في المدينة المنورة بعد أن وصل البريد اليها من مكة ووصلت الصحف فنقلت انبثاق نور الحركة الأدبية في مكة حيث تم الاتصال بالعالم العربي الإسلامي أثناء الحج والوفود الإسلامية للمؤتمرات التي عقدت في مكة في بداية العهد السعودي ووصول الجرائد من مكة الى المدينة أثار الحماس في

---

(١) انظر الصحافة في الحجاز د/ محمد عبد الرحمن الشامخ ١٥٤ ط ١ دار الأمانة .

نفوس أبنائها ، فحاولوا اصدار صحيفة وكان أسبقهم إلى ذلك الأستاذ / عبد القدوس الأنصاري حيث أخرج مجلته (المنهل) عام ١٣٥٥هـ - فبراير ١٩٣٧م وبدأت المجلة بداية ضعيفة ولكنها أخذت تقوى وتشتد حتى اصبحت رائدة المجلات الأدبية السعودية وهي سجل حافل للأدب السعودي خلال نصف قرن من الزمن .

وقد صدرت مجلات أخرى منها النداء الإسلامي صدرت في ١٣٥٦هـ لصاحبها مصطفى أنور قيري وصدرت في ١٣٦٦هـ مجلة الحج وهي شهرية تصدر في مكة المكرمة وفي جدة صدرت المجلة التجارية عام ١٣٦٧هـ .

كانت هذه الفترة فترة بناء نهضة وبناء حضارة وبناء عمران وبناء مجتمع لذلك فإن الصحف التي صدرت ركزت على هذه النواحي فأصبح البناء الاجتماعي وقواعده السليمة أهم اتجاهاتها وقد امتازت هذه المرحلة بالأمور التالية :

١) شمولية الأهداف الصحفية فقد تعددت أهدافها ، واتجاهاتها في نواحي متعددة تشمل أحوال المجتمع وتهدف إلى إحياء روح الفكر والأدب ، وتكوين نهضة عمرانية شاملة إلى جانب تثقيف وإرشاد المجتمع وتوجيهه الوجهة السليمة في الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ، وتدفع إلى غرس العادات والتقاليد الحسنة وتنفر من العادت الذميمة وتبين عيوبها وتحذر منها فكان هدفها هدفاً عاماً أكثر منه فردياً .

٢) رسمت صورة واقعية لهذه البلاد وسجلت أحداثها ، رصدت تطورها ، واوضاع مجتمعها خلال هذه الفترة من الزمن .

٣) ساهمت مساهمة كبيرة في النهضة الأدبية التي شهدتها المملكة العربية السعودية ورصدت اتجاهاتها ومسارتها وشجعت على نموها وتميزها عن غيرها من الحركات الأدبية في العالم العربي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٤) امتازت بقوتها وإتقانها وسلامة لغتها فكانت تميل الى الأسلوب السهل المحافظ على سلامة اللغة والمتقيد بقواعد النحو ، فكان صاحب الجريدة يتعهدها بالمراجعة والتدقيق ، ويكلف مراقبين لتصحيح الأخطاء الواردة من صاحب المقال أو من التي تقع أثناء الطباعة .

رابعاً ـ مرحلة تكاثر الصحف :

وتبدأ هذه المرحلة من عام ١٣٧٣ هـ ، حيث توزع صدور الصحف في أقاليم المملكة المختلفة فكان ذلك سبباً في تكاثرها ففي خلال عشر سنوات صدرت إحدى وعشرون صحيفة وكانت كل صحيفة تخضع لإشراف فرد واحد .

فقد صدر في الرياض مجلة اليمامة لصاحبها / حمد الجاسر ، ومجلة (المعرفة) وصحيفة (القصيم) ومجلة (راية الاسلام) و مجلة (الجزيرة) لصاحبها الشيخ / عبد الله بن خميس ومجلة (التجارة) تصدر عن وزارة التجارة . ومجلة كلية اللغة العربية ١٣٨٧ هـ .

وفي جدة صدرت مجلة (الرياض) عام ١٣٧٢ هـ ومجلة المديرية العامة للاذاعة ومجلة كلية التربية ومجلة (الأضواء) ١٣٧٦ هـ .

وفي مكة صدرت جريدة (حراء) وذلك عام ١٣٧٦ هـ و(عرفات) ١٣٧٨ هـ وصدر بها عام ١٣٧٩ هـ مجلة (قريش) ومجلة (الرائد) ثم (رابطة العالم الاسلامي) ١٣٨٢ هـ . وفي الظهران صدرت مجلة (قافلة الزيت) وفي الطائف صدرت مجلة (عكاظ) ١٣٧٣ هـ وتمتاز هذه المرحلة بكثرة الصحف وتعدد أماكن صدورها ، وكانت تصدر بنظم غير موحدة ، وتعددت المسؤوليات وأصبح التنافس في أمور ليست بذات فائدة وصارت هذه الصحف تميل للمنافسة الفردية والاهتمام بالأمور الشخصية واقتصرت كل واحدة من هذه الصحف على مجهود فرد معين لا يشاركه أحد في التحرير من ذوي القدرة الممارسين ولا بالمترجمين خوفاً من أجورهم .ونحن وان كنا لا ننكر مقدرة بعض الأشخاص على الكتابة والتحرير الا أن هذا الأمر كان سبباً في ظهور مقالات ومواد غير ذات قيمة أو

فائدة أو تميل إلى الأمور الهزلية التي لا تقدم في مضمار الحياة فائدة تذكر .

كما أن هذه الصحف كانت تمثل في موادها اتجاهات أصحاب الامتياز وكانت موارد هذه الصحف ضعيفة تعتمد في الغالب على الإعلانات الحكومية منها والأهلية . كل هذه الأمور كانت مسبباً لفوضى صحفية لا مسؤولة مما اضطر الدولة إلى إصدار نظام المؤسسات في قرار مجلس الوزراء رقم ٤٨٢ وتاريخ ١٣٨٣/٦/٢٣ هـ . ينظم أمور الصحافة وإصدار الصحف .

خامساً : مرحلة المؤسسات :

صدر هذا النظام في ١٣٨٣ هـ فألغى امتيازات الأفراد ونص على دمج الصحف التي تصدر وعددها (٣٣) صحيفة في ثماني مؤسسات وهي : ـ

١ ـ مؤسسة البلاد للصحافة وتصدر عنها جريدة (البلاد) بجدة .

٢ ـ مؤسسة المدينة وتصدر عنها جريدة (المدينة) بجدة .

٣ ـ مؤسسة اليمامة للصحافة وتصدر عنها جريدة (الرياض) ومجلة (اليمامة) الاسبوعيه .

٤ ـ مؤسسة الجزيرة للصحافة وتصدر عنها صحيفتان يوميتان (الجزيرة) الصباحية و(الجزيرة) المسائية بالرياض .

٥ ـ مؤسسة عكاظ الصحفية وتصدر عنها جريدة (عكاظ) بجدة .

٦ ـ مؤسسة الدعوة الاسلامية وتصدر عنها مجلة (الدعوة) الاسبوعية بالرياض .

٧ ـ مؤسسة الندوة للصحافة وتصدر عنها جريدة (الندوة) بمكة المكرمة .

٨ ـ مؤسسة اليوم للصحافة وتصدر عنها جريدة (اليوم) بالدمام .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واستمرت هذه المؤسسات تؤدي دورها تحت إشراف مجلس إدارة لكل منها إلى جانب الصحف المستثناة والمجلات المتخصصة التي تصدر من الجامعات والكليات والمعاهد والوزارات .

وهذا النظام أوجد الاستقرار الإداري والاتجاه الإيجابي للصحيفة مع تكوين الجهاز الإداري المنظم إلى جانب قدرات متعددة لمجموعة الأفراد المشرفين من حيث الفكر والمادة ، وأعطاها مجالات أوسع وجعلها أكثر التصاقاً بالمجتمع .

المراجع

١) نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية للدكتور / محمد عبد الرحمن الشامخ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ م الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٢) معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية للدكتور / منصور ابراهيم الحازمي .

٣) الأدب (مخطوط) للدكتور / محمد بن سعد بن حسين .

٤) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠ هـ د / عبد الله الحامد الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م .

٥) التعليم في مكة والمدينة في آخر العهد العثماني تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

٦) تاريخ الاعلام السعودي (مخطوط) للدكتور عبد الرحمن الشبيلي .

٧) في الأدب العربي الحديث عمر الدسوقي .

المكتبـــات

إن للكتب دورها الفعال في تثقيف الأمة ، ورفع مستواها الفكري والعلمي والعمراني ، فضلاً عن كونها عصارة الفكر وملتقى القديم والجديد لذلك عني علية القوم وعلماؤهم بالكتب منذ العصور الاسلامية الأولى ، فكونوا المكتبات من الجلود والعظام والأخشاب ، وأول ما تطالعنا المكتبات الخاصة كمكتبة (أبو عمـرو بن العلاء) ومكتبة (الجاحظ) التي سقطت عليه ، ومثلهما دور العلماء والوراقين كما كانت المكتبات في قصور الخلفاء والامراء ، ثم ظهرت (دار الحكمة) وهي أول مكتبة عامة في العصر العباسي على يد هارون الرشيد ووزرائه ، واستمر هذا النهج في البلاد الاسلامية وقد طالعتنا صورة منه في إقليم الحجاز الذي نشأ فيه الغزاوي ربيب الكتب والمكتبات بل أصبحت مكتبته معلماً بارزاً في مكة ، هذا وقد تأثر الغزاوي بتطور المكتبات فهو قد عاش القديم وقلة الكتب والمكتبات فيه وعاصـر التطور الهائل بعد توحيد البلاد ، ورأى عناية الدولة بها وتعهدها بافتتاح المكتبات وتشجيعها وتنوعها ويمكن أن نلحظ في هذا التنوع ثلاثاً من المكتبات :

أ) المكتبات العامة .

ب) المكتبات الخاصة .

جـ) المكتبات التجارية .

وسنتحدث عنها بإيجاز يعطي صورة واضحة ولا ندخل في التفاصيل خوفاً من الإطالة في موضوع غيرنا أحق ببحثه .

أ ـ المكتبات العامة :

أول من أمر بها نـور الدين بن صـلاح الدين الأيـوبي في القرن السـادس الهجري حيث أمر بإيجاد مكتبة في (الرباط) الذي بناه على نفقته الخاصة ثم تتابع بناء الأربطة والمكتبات ولكن كتبها تعرضت للضياع لإهمالها وعدم العناية بها فلما أمر السلطان عبد المجيد ببناء مكتبة الحرم المكي جمعت كتب الأربطة فيها ، وهذه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المكتبة لم يهتم بها أحد فيما بعد مما جعل كتبها تتلف من جراء السيول والأرضة وقد زودتها المطابع حين وجودها في الحجاز ببعض المؤلفات ، ولما توحدت البلاد على يد الملك عبد العزيز وبدأت الرعاية للمكتبات وبدأ استقبال المفيد من صالح الكتب بدون قيود ازداد المخزون من الكتب مما وجه الاهتمام إليها ، لذا فإن الدولة أمرت بتنظيم هذه المكتبة وتزويدها وجعل عليها أمناء مما أدى الى تطويرها وتبويبها وتصنيفها وهي الآن من أشهر المكتبات التي تحتوي على ثروة تراثية جيدة .

ويوجد الآن في مكة المكرمة مكتبة جامعة أم القرى وهي مكتبة ضخمة حديثة ذات أسلوب حديث راقٍ وتنظيم جيد توليها الجامعة كل عنايتها وتزودها بالكتب والدوريات العالمية . الى جانب مكتبة رابطة العالم الاسلامي ومكتبة النادي الأدبي ومكتبة المعهد العلمي ومكتبات المدارس الثانوية .

اما المدينة فقد لقي الكتاب فيها رواجاً منقطعاً نظيره في شبه الجزيرة فقد كان مجموع مكتباتها في عام ١٣٠٩ هـ سبع عشرة مكتبة ، وهذا عدد جيد وكثير بالنسبة لعدد سكان المدينة وظروف التعليم فيها والحالة الاجتماعية والمواصلات في ذلك العهد ، واشهر هذه المكتبات المكتبة السليمانية التي كونت عام ١٢٧٠ هـ ثم مكتبة الحرم المدني والمكتبة المحمودية ومكتبات المدارس كمدرسة السلطان عبد المجيد ومدرسة بشر آغا ومدرسة الشفا ، ومدارس أخرى متعددة مما يدلنا على أن المدينة فيها من الكتب الشيء الكثير ولكن مكتباتها لم يقيض الله لها من يرعاها الرعاية التامة فتسرب بعضها ، وأخذت السيول بعضها الآخر ووصل إلينا قليل منها . ولما توحدت البلاد تحت ظلال العهد السعودي حظيت المدينة المنورة بالاهتمام ومن ذلك افتتاح المكتبات الكبرى كمكتبة الحرم النبوي التي أسست سنة ١٣٥٩ هـ وقد اهتمت بها الدولة ومكتبة المدينة المنورة التي أسست عام ١٣٨٠ هـ ، ومكتبة الملك عبد العزيز التي خطط لها لكي تكون حصناً تراثياً وفكرياً وهي الآن في طورها الأول وقد فتحت أبوابها لخدمة المجتمع ونشر الثقافة بين أبنائه .

ومن المكتبات الضخمة في المدينة مكتبة الجامعة الإسلامية وهي حديثة التنظيم ترعاها الجامعة وتطورها كما توجد مكتبات اخرى مثل مكتبة كلية التربية ، والمعهد العالي للدعوة الاسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومكتبات المعاهد والمدارس الثانوية .

أما جدة فقد كونت فيها مكتبات ذات مستوى عال من التنظيم وتعداد الكتب ففيها مكتبة جامعة الملك عبد العزيز التي زودت بآلاف الكتب ، ومكتبات عامة اخرى وقد أمر الملك فهد في لقائه مع أبناء جامعة الملك عبد العزيز الذي عقد في ١٨/١/١٤٠٤ هـ ببناء مكتبة خاصة بالنساء وهذه لفتة عظيمة من الملك نحو أبناء شعبه .

ب) المكتبات الخاصة

وهذه المكتبات تتسم بالطابع الفردي ولكن أصحابها يتعهدونها بالجمع والتزويد والترتيب حتى تكونت مكتبات ضخمة يشار اليها وينصح بمراجعتها ومن تلك المكتبات في مكة مكتبة ماجد كردي ، وتحتوي على أكثر من سبعة آلاف كتاب ، ومكتبة الشاعر احمد ابراهيم الغزاوي التي صدر فيها أمر الملك خالد رحمه الله بضمها الى جامعة أم القرى بعد وفاة صاحبها بقليل .

ومن أشهر المكتبات الخاصة في مكة أيضاً مكتبة الأستاذ / محمد سرور الصبان وعبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار وقد كثرت في مكة المكتبات الخاصة حتى أنها لتوضع للزينة أحياناً .

وفي جدة وجدت أكبر مكتبة خاصة بل أشهر المكتبات الخاصة في الحجاز تلك هي مكتبة الشيخ محمد نصيف التي يلجأ اليها طلبة العلم وكأنها دار كتب عمومية كما قال عنها العلامة أمين الريحاني . (وهذا الشيخ محمد نصيف أديب جدة الأكبر ، وأمير الكتب فيها ، فان عنده مكتبة حافلة بالقديم والحديث ، حيث يجيء الادباء الى دار الشيخ محمد كأنها دار الكتب العمومية)[1] .

---

(١) اقليم الحجاز وعوامل نهضته للدكتور الفوزان ٣١٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما المدينة فقد وجدت فيها مكتبات خاصة وأقدمها وأشهرها مكتبة عارف حكمت وقد أعجب بها محمد لبيب البتنوني حينما زار المدينة المنورة عام ١٣٢٧ هـ ثم تعددت المكتبات في العهد السعودي مع الأمن والاستقرار وتعداد المطابع ودور النشر حتى أصبحت أكثر من أن تحصى .

جـ) المكتبات التجارية :

كانت موجودة في الحجاز ولكنها قليلة جداً قبل العهد السعودي وتنشط تجارتها في موسم الحج لأنها تفد مع الوافدين وتباع عليهم وتشترى منهم وبعد توحيد البلاد توسعت تجارة الكتاب وصار له رواجاً وأسواقاً متعددة وزاد الطلب والإقبال على اقتنائها وقد سهل طباعتها وتوزيعها محلياً إلى جانب تيسير استيرادها من الخارج لذلك كثرت المكتبات كثرة ملحوظة نحمدها ساعدت في تيسير البحث لما تقدمه للباحث من مصادر مفيدة وقد انتشرت تجارة المكتبات في كل مدينة وقرية ، وما أجملها من تجارة فهي غذاء للعقول ومتعة للنفوس .

المراجع

١ ـ التعليم في مكة والمدينة للدكتور / عبد الرحمن الشماخ .

٢ ـ الأدب مخطوط للدكتور / محمد بن سعد بن حسين .

٣ ـ اقليم الحجاز وعوامل نهضته الدكتور / ابراهيم فوزان الفوزان .

٤ ـ الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠ هـ دكتور عبد الله الحامد .

الاذاعة والرائي

إن الاذاعة والرائي لهما دورهما الفعال في توعية الأفراد والمجتمع فالإذاعة تحادثهم في خلواتهم وفي أسفارهم ومجالسهم وتصاحبهم في مضاجعهم ينامون عليها ويستيقظون عليها لذلك فإن تأثيرها كان تأثيراً قوياً ، فهي وسيلة توجيه وإرشاد وتثقيف إذا صلحت وصلح القائمون عليها ووضع لها أهداف سامية وخطة مرسومة ، وقد ـ انطلقت إذاعة المملكة العربية السعودية من هذا المبدأ ـ انطلقت لخدمة الدين الحنيف وتوجيه المجتمع الوجهة السليمة ، والأخذ بيده نحو وعي حضاري ؛ لذا فقد بدأت الاذاعة البث في أعظم المواسم الدينية في ليلة التروية الليلة التي تسبق يوم عرفة في مساء ٨ ذي الحجة ـ ١٣٦٨ هـ الموافق ١١/ اكتوبر / ١٩٤٩ م وقام بافتتاحها الملك فيصل نيابة عن والده الملك عبد العزيز وقد تولى إدارتها في هذه الفترة الأستاذ / إبراهيم الشورى ثم إبراهيم فودة ثم عبد الله بلخير ، وكانت تبث سبع ساعات يومياً .

وفي عام ١٩٥٤ م أسست المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر ثم تحولت إلى وزارة في ٤ /١١ /١٣٨٢ هـ وأسندت إلى جميل الحجيلان واستمرت الدولة في رعايتها وتطويرها على قدم وساق ، ورسمت لها أهدافاً هي أساسيات مجتمعنا ، فهي تحث على العقيدة وتلتزم الصدق وتنشر الإسلام ، وتبتعد عن كل ما يخالف الشرع ، ورأت أن تستعين باللغات الأخرى ، لتحقيق هذه الأهداف السامية فهي تبث باللغة العربية والانجليزية والفرنسية والأردية والإندونسية .

والحقيقة أن الإذاعة ساهمت مساهمة فعالة في توعية الشعب وتثقيفه ليلحق بركب الحضارة وأطلعته على ظروف الحياة المعاصرة المتشابكة ومتطلباتها وبثت الوعي الاجتماعي وحببت إليه العادات والتقاليد والتراث السليم ، ونقد العادات والتقاليد البالية التي لا توافق الشرع ولا تمتّ إليه بصلة .

وقد وجدت فيها برامج متعددة تتعلق بالحياة الادبية ، والفكرية ، والعلمية ، والتراثية والتاريخ إلى جانب التمثيليات الاجتماعية المتعددة التي تتلمس ظروف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المجتمع وتعالجها وهي تعتمد على إنتاج الأدباء والعلماء فهي تنقل أشعارهم وكتاباتهم إلى الجمهور ومن هؤلاء أديبنا / أحمد ابراهيم الغزاوي فقد نقلت له الإذاعة عشرات القصائد ، كما تنقل توجيهات العلماء وفتاويهم إلى جانب البرامج الترفيهية التي تكون وسيلة جذب لمتابعة أهداف الاذاعة .

وقد تعدد برامجها وأهداف هذه البرامج وأصبح لكل برنامج هدفاً جزئياً يقوم بخدمة الهدف العام للإذاعة ويرتبط به فمنها البرامج الدينية والأدبية والاجتماعية ، والعلمية وبرامج التوعية كالتوعية المرورية ، والتوعية الصحية وغيرها .

والحقيقة التي نعتز بها أننا نرى في إذاعتنا مواداً علمية وثقافية ودينية وأدبية وتمثيليات اجتماعية ، ربما لا نجد لها مثيلاً في أغلب الإذاعات العربية .

وفي اليوم التاسع عشر من ربيع الأول عام ١٣٨٥ هـ الموافق السابع عشر من يوليو / ١٩٦٥ م افتتحت الدولة شبكة تلفازية أخذت في النمو والتطور ، حتى شاهدها القاصي والداني في هذه الديار المترامية الأطراف ، وقد انبثقت أهداف التلفاز من أهداف الاذاعة التي ذكرناها ، وساهمت هذه الشبكة في التوعية الثقافية والفكرية والاجتماعية ، وهي ما زالت في حاجة إلى انتاج سعودي يعالج قضايا المجتمع ويحس بإحساسه حتى يسير هذا الإنتاج المرتقب جنباً إلى جنب مع الندوات الدينية والعلمية والتراثية التي نشاهدها على شاشة تلفاز المملكة العربية السعودية وأدت دورها بنجاح ، وشاعرنا الغزاوي قد أدرك التلفاز حينما أدركته الشيخوخة فهو قليل التأثر به بعكس الاذاعة التي انطلقت من جبل هندي من مكة المكرمة مولد الشاعر ومكان إقامته ، فقد أحس وتأثر بها اما التلفاز فقد سجل له بعض القصائد التي قيلت في الحج والتي تسمى بحوليات الغزاوي .

المصادر

١ ـ تاريخ الاعلام السعودي للدكتور / عبد الرحمن الشبيلي (مخطوط) .

٢ ـ اقليم الحجاز وعوامل نهضته للدكتور / ابراهيم فوزان الفوزان .

٣ ـ الأدب (مخطوط) للدكتور / محمد بن سعد بن حسين .

٤ ـ نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي بدر احمد كريّم ط ١ ١٤٠٢ هـ .

النهضة الأدبية

عوامل النهضة :

كان العثمانيون يحكمون العرب باسم الاسلام ، الا أنهم لم يقيموا وزناً لبناء البلاد بناء فكرياً وحضارياً لتجاري العالم المتحضر في ذلك الوقت ومع معرفة العرب لذلك الا أنهم آثروا الخضوع لحكم العثمانيون حفاظاً على اجتماع كلمة المسلمين تحت راية واحدة واقتداء بقوله تعالى ﴿وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[1] .

وعندما شعرت الدولة العثمانية بضعفها حاولت التشبث بالبلاد العربية وتتريكها وفي سبيل ذلك أصدرت دستوراً يمكنها من تقوية قبضتها على الولايات التابعة لها ، فظهر تهاون الدولة بالدين ، ومعاداتها اللغة العربية ، ومحاربتها للحركات الاصلاحية كمواقفها من الدولة السعودية الاولى والثانية وصدر الدولة السعودية الثالثة وقد تصدى بعض مفكري العرب لهذا الدستور محاولين ثني الدولة التركية عن تطبيقه ومن ذلك قول الشاعر الاسكوبي[2] :

ظننتم أن دين الله أخركم ... عنهم وهم حمدوا كفرا به المسرى
فلو عملتم به ما فاتكم أحد ... سبقا ولا أحد يوما بكم أزرى
ان تنصروا الله ينصركم فكم فئة ... قليلة غلبت أضعافها كثرا

لكن ذلك لم يلق تجاوباً لدى الدولة التركية ، الأمر الذي أثر في الأمة العربية ، ومما زاد النار اشتعالاً احتلال الايطاليين ليبيا ، فلم تستطع الدولة العثمانية الدفاع عنها ، فنمت المعارضة العربية ، وتكونت الجمعيات السرية المناهضة للاتراك وكان أبرز شخصية سياسية تبنت هذه الافكار ، الشريف حسين امير الحجاز ، لذلك التفت حوله هذه الجمعيات ، ورأى أنها تحقق آماله ، كما رأت انه

(١) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٢) الموسوعة الادبية لعبد السلام الساسي ١ : ٣٦٦ ط ١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يحقق آمالها ، وادرك هذا الموقف الغرب عدو الدولة العثمانية ، فاتصل الانجليز بالملك حسين والجمعيات العربية ، ونتج عن ذلك وجود معارضة للاتراك لها انصارها ومعارضوها، والاتصال بالغرب الكافر له انصاره ومعارضوه أيضاً، كل ذلك من العوامل التي ساعدت على بداية بذور النهضة الأدبية في الحجاز عاصمة تلك الحركات العربية وبسبب ذلك ظهرت معالم الادب الحماسي الوطني الذي تمثل في قصيدة الاسكوبي التي نشرها بعد ما توالت الهزائم على الدولة التركية واثر احتلال الايطاليين ليبيا قال في مطلعها[1] :

يـا آل عثمـان فـالمغـرور من غـرا ... بـأهـل أوربـة أو عـهـدهم طـرا

تـمـالأوا فخـذوا حـذراً فـانـهـم ... يـرون ابقـاءكم بين الـورى ضـرا

وهي قصيدة انتشرت في الحجاز بخاصة ، ولاقت رواجا منقطع النظير في الاقطار العربية بعامة وبهذا تكون أول قصيدة وطنية تصدر في العصر الحديث من البلاد الحجازية ، بل أول معلم أدبي ، وأول نبضة حماسية تصدر من شاعر في الجزيرة العربية وتلاقي إقبالاً خارجها .

ومن الخطوات التي زادت من أهمية اللغة في الحجاز ، وإقبال الناس على دراستها والعناية بها ـ عملية التعريب التي قام بها الملك حسين ، فقد عرّب دواوين الدولة فانصرف الناس عن اهتمامهم باللغة التركية الى اجادة اللغة العربية .

ومن الامور البارزة في احياء الحركة الادبية في الحجاز ظهور المطابع والصحافة في مطلع القرن الرابع عشر ونشر كتب التراث ، وقد وضح ذلك في الحياة الفكرية .

ثم إن تدفق الوفود للحجاز من الجمعيات الاسلامية والجمعيات العربية ، افاد كثيراً في البعث الادبي لأن فيهم العلماء والادباء ورجال السياسة ، فالتقوا بأهل الحجاز ، وبثوا افكارهم ، فقابلت هوى من ادباء الحجاز ، وأضحى لها صدى كبير ، مما أوجد ادباء يناصرون الشريف حسين ، ويمجدونه ـ كما يمجده

---

(١) الموسوعة الادبية ١ : ٤ الشعر في الجزيرة العربية للدكتور الحامد / ٣٦٦ .

الوافدون ـ ومنهم عبد المحسن الصحاف[1] / الذي يمكن تسميته بشاعر الشريف حينذاك . وهناك شعراء عارضوه ، ومدحوا والي الاتراك في المدينة المنورة وكان رائدهم محمد العمري الذي امتاز شعره بالغزارة في اواخر العهد العثماني حيث حظي بالقربى والاكرام من لدن محافظ المدينة . من هنا نجد أن أهل الحجاز بدأوا في منافسة الوافدين مع ضحالة الحركة الادبية في البلاد الامر الذي يدل على أن البعث في الحركة الأدبية اخذت معالمه تظهر في الجزيرة العربية وخاصة الحجاز .

ويلاحظ أن هناك فئة مهاجرة يممت شطر الحجاز ، واستقرت فيه وكان لها اثر كبير في ايجاد الجو الذي أدى الى بعث الحركة الادبية منهم الشاعر / فؤاد الخطيب[2] . الذي عينه الملك حسين وزيراً للخارجية ، ويعد فؤاد الخطيب استاذ الجيل من شباب الحجاز[3] .

ومنهم محب الدين الخطيب الذي حرر جريدة القبلة ذات الاسلوب القوي الجزل بلغة عربية فصيحة فكان لها أثر في بعث الحركة الادبية .

ومنهم الشيخ كامل القصاب الذي اشرف على عملية التعليم في الحجاز واهتم بالأدب اهتماماً كبيراً ، وكان لادخال درس آداب اللغة العربية ضمن برامج التعليم أثر كبير في توجيه النشء توجيهاً صحيحاً ، ورأى هذا النشء لوناً جديداً من الكلام لا عهد لهم به ، وتفتحت لهم آفاق واسعة من الافكار والآراء ما كانت لتجيش بخواطرهم[4] .

---

(١) عبد المحسن الصحاف شاعر مكي مدح الحسين بن علي واخلص له ثم مدح الملك عبد العزيز ٣٤٨ .

(٢) شاعر لبناني الولادة عام ١٨٨٠ م درس في الجامعة الاميركية انتظم في الجمعيات السرية كان رئيساً لتحرير القبلة ثم وزيراً للخارجية في حكم الشريف حسين ثم عاد للدولة السعودية حيث عمل سفيراً في كابل توفي ١٣٧٦ هـ (سمي بشاعر الثورة) انظر المجلة العربية العدد ٨ السنة الرابعة ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ م .

(٣) القرشي شاعر الوجدان للدكتور عبد العزيز الدسوقي ٢٣ ط٢ القاهرة ١٩٧٦ م .

(٤) الكتاب الفضي للمنهل ٢٢٧ الشعر الحديث ٥٧ من مقال لمحمد عمر عرب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هؤلاء الرجال كانوا مشعلاً أضاء الدرب لحركة أدبية ، وبثوا روح الوعي في شباب الحجاز . وقد كان من اسباب سرعة التخلص من اللغة التركية والاقبال على اللغة العربية وعلومها ، الاصالة العربية في البيئة الحجازية وتعمقها في الصور الشعرية وسهولة ورقة شعرائها التي ظهرت في عهد النهضة الشعرية الحجازية في العصر الاموي وظل ظرف الادب وروحه المرحة تلازم ادباء الحجاز وعلماءه حتى وقتنا الحاضر (وارتباط ابناء هذه البلاد بتراث الآباء والاجداد لم يكن امراً مكتسباً ولا نتيجة لمؤثرات وافدة بل كان نابعاً من ارتباطهم القوي بلغتهم ودينهم وتاريخهم من هنا كانت الاصالة في اللغة والقيم منطلقهم الأول والينبوع الذي تمتح منه افهامهم وذلك سر اتيان شعرهم صورة لما عرفوه من تراث الآباء والاجداد[1]) .

والادب بطبيعته جار في سنن التأثر والتأثير ، ينمو بالاختلاط والممازجة ، ويظل راكداً في البيئات المنعزلة ونظراً لاتصال البيئة الحجازية بغيرها ، فقد كانت روافد الحياة الادبية متعددة لتعدد مصادرها ، فلقد تأثر الادب الحجازي في بداية النهضة بروافد أدبية مختلفة تمثلت في مدارس متعددة ، تزعم كل مدرسة مجموعة من اقطاب الادب في البلاد العربية وقد تصدرت مدرسة الاحياء الادبي تلك الحركات بزعامة الشاعر / محمود سامي[2] البارودي حيث عاد الى الثقافة العربية ، ودواوين عباقرة الشعر العربي من جاهليين واسلاميين واموين وعباسيين ، فنمت مواهبه عن طريق الدربة والرواية والممارسة (واليه يرجع الفضل في البداية الجادة لحركة احياء الشعر العربي في العصر الحديث ، وتعد جهود البارودي بالمقارنة بواقع عصره ، قفزة واسعة[3]) .

ثم تلتها مدرسة المحافظين وتسمى بالمدرسة الكلاسيكية وتتضح خصائصها

---

(١) الادب الحديث تاريخ ودراسات د/ محمد بن سعد بن حسين ٢٧٨ ط١ ١٤٠٤ هـ .

(٢) محمود سامي (باشا) بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري ولد ١٢٥٥ هـ/١٨٣٩ م تعلم بالمدرسة الحربية ، سافر للآستانة قائد عسكري اشترك في ثورة احمد عرابي نفي الى جزيرة سيلان عفي عنه وعاد الى مصر سنة ١٣١٧ هـ وتوفي ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤ م الاعلام : ٨ : ٤٧ .

(٣) حركات التجديد في الادب العربي ١٥٩ .

في التقيد بالاوزان الشعرية والموسيقى العربية وقامت بتطوير الاغراض الشعرية من المديح والرثاء والوصف وغيرها . وصبغها صبغة عصرية وكان لشعرائها فضل التجديد في الاغراض الوطنية والاجتماعية والتاريخية والسياسية ونلمح بين خصائصها كذلك الثقافة العصرية الواسعة مع الارتباط بالتراث الاصيل وكان من روادها أحمد شوقي[1] وحافظ ابراهيم[2] .

ولا نكاد نسير مع الزمن وتطور الحياة الاجتماعية في عصر النهضة حتى يظهر عندنا جيل جديد مثقف ثقافة أوروبية واسعة مما أدى الى ظهور حركة أدبية جديدة عرفت باسم (مدرسة الديوان) ورواد هذه الحركة يطلقون على انفسهم (جماعة الديوان) وقد كان العقاد[3] والمازني[4] يتزعمان هذه الحركة الادبية ، وجماعة الديوان ترى أن الشعر تعبير عن خلجات النفوس وعن الطبيعة واسرارها وحقائقها ، فليس الشعر عندهم اناشيد وتسجيل لحوادث الامة وانما هو تصوير للعواطف والمشاعر الانسانية ، وقد كان شعراء هذه النزعة يستخدمون اللغة السهلة البسيطة في التعبير عن خلجات نفوسهم ، واخذوا يجددون في القوافي كما حاولوا استخدام

---

(١) احمد شوقي بن علي بن احمد شوقي ولد ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م نشأ في قصر الخديوي وتعلم في مصر ودرس الحقوق في فرنسا واطلع على الادب الفرنسي وهو امير الشعراء في عصره عين عضواً في مجلس الشيوخ ، حدثت معارك عنيفة حول شعره سافر الى اسبانيا وقال الاشعار الجيدة في الآثار الاسلامية توفي ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م الاعلام : ١ : ١٣٣ .

(٢) حافظ ابراهيم فهمي بك ولد في (حراقة) بالنيل حوالي عام ١٨٨٠ م التحق بالجيش حتى عام ١٩٠٣ م كان شاعر النيل وشاعر الشعب ظل طوال حياته مستور الحال فالفقر اقرب اليه من الغنى ويعد من فحول الشعراء في العصر الحديث توفي ٢١ يوليو ١٩٣٢ م . انظر ديوان حافظ ابراهيم (المقدمة) .

(٣) عباس محمود العقاد ولد في مدينة اسوان ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ م كان صحفياً وتعلم عن طريق القراءة الحرة حتى اصبح مفكراً أو اديباً وشاعراً انتخب مرتين في مجلس الشورى وله معارك ادبية مع طه حسين واحمد شوقي ومصطفى صادق الرافعي . وله كتب اسلامية توفي في القاهرة ١٩٦٤م انظر عباقرة الادب للاستاذ مصطفى غالب ١١٧ .

(٤) المازني هو ابراهيم عبد القادر المازني ولد في القاهرة سنة ١٨٨٩م كان يمزج بين الثقافة العربية والغربية وكان معلماً ثم كاتباً صحفياً وهو اديب ساخر وشاعر رفيق توفي ١٩٤٩ انظر عباقرة الادب ٢٢٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعر المرسل . وفيه تقيد بالوزن دون القافية ، وهم يرون أن مهمة الشاعر توليد المعاني وبسط الصور والافكار ، يجمع ذلك كله وحدة الموضوع والترابط بين اجزاء القصيدة الواحدة ثم بدأت ظاهرة التحلل من قيود القافية في الشعر في مدرسة (الديوان) مجاراة للحياة الاجتماعية العربية التي أثر فيها اتصالها بالغرب ، فقد تخلى بعض الافراد عن عاداتهم وتقاليدهم واقتبسوا عادات مستوردة ، وهكذا الادب يجاري الحياة ومتغيراتها لذلك نجد أن التحلل من قيود الادب يزداد عند شعراء في (مدرسة ابولو) التي جاءت في اعقاب مدرسة الديوان ، فهي اكثر تحرراً من سابقتها بل اقتبست اسمها من الغرب ، كما هو واضح وهي اكثر تأثراً به ، وقد اطلقت لنفسها العنان في التجديد ، ونادت للحرية الادبية الكاملة واعتنت بالإيحاء اللفظي ، والتصوير البارع ، والانفعال النفسي ، كما ابدع شعراؤها في الشعر العقلي ، ومن شعراء هذه المدرسة رائدها احمد زكي ابو شادي[1] . وابراهيم ناجي[2] وابو القاسم الشابي[3] . أما مدرسة المهجر فروادها من اولئك العرب الذين هاجروا من اوطانهم لاسباب متعددة فكونوا لهم رابطتين هما : ـ

الرابطة القلمية في المهجر الشمالي ١٩٢٠ م اسسها عبد المسيح حداد ، وروادها جبران خليل جبران ، والريحاني ، ثم تأسست بعد العصبة الاندلسية ١٩٣٢ م في المهجر الجنوبي اسسها ميشال معلوف ، وقد تأثر أدبهم بالثقافة الغربية والاتجاهات الادبية الامريكية وبدا واضحاً الحنين الى اوطانهم وديارهم ،

---

(١) ولد احمد زكي ابو شادي في حي عابدين بالقاهرة ٩ فبراير ١٨٩٢م ابوه نقيب المحامين وهو من اسرة عريقة في العلم والثقافة درس في مدرسة عابدين وكان يكتب الشعر والمقالات وهو تلميذ سافر الى تركيا واليونان وتتلمذ على كبار الشعراء احمد شوقي وحافظ ابراهيم واعترف بتأثير خليل مطران ونال شهادته الطبية عام ١٩١٥م توفي في واشنطن ١٢ ابريل ١٩٥٥م انظر كتاب (ابو شادي) تأليف الدكتور كمال نشأت .

(٢) ابراهيم ناجي بن احمد بن ناجي بن ابراهيم القصبجي طبيب مصري ولد في القاهرة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م وهو شاعر رقيق توفي عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م .انظر الاعلام ١ : ٧٢ .

(٣) ابو القاسم الشابي درس في جامع الزيتونة وتكونت شاعريته مبكراً وكان ذا ثقافة واسعة مرض بالقلب وهو ابن العشرين وكان شاعراً رقيقاً اشتهر بشعر الوصف ومحاكة الطبيعة توفي في ٩ اكتوبر ٩٣٤ . انظر ديوانه (اغاني الحياة) المقدمة .

واعتزازهم بعربيتهم وقوميتهم ومن المآخذ عليهم كثرة انزلاقهم في الاخطاء النحوية واللغوية وذلك لضعفهم وعدم تبحرهم في علوم العربية وكذلك التجاوزات الكبيرة في الاوزان القافية ، ومن خصائص شعر هذه المدرسة النزعة الانسانية والروحية التي جللت اشعارهم بنظرة التشاؤم ، واطالة التأمل في الكون ، ومحاكاة الطبيعة والحنين الى الوطن واستخدامهم للشعر الرمزي وقد تحدث الغزاوي عن هذه المدرسة فقال[1] : اجل ان لاولئك المهاجرين من ابناء الضاد بحاضرة (واشنطون) فضلهم وعبقريتهم وتفوقهم في المواضيع التي اختاروا البحث فيها وهم بحكم الوسط الذي يعيشون فيه لا يجدون بدا من سلوك طريقتهم الانشائية المعهودة التي اصبحت خاصة بهم دون سائر الكتاب في كل قطر ومصر) .

هذه المدارس او التيارات الادبية والاتجاهات النقدية التي ناصرتها هي التي احتلت صفحات الادب في الصحف المصرية التي تزعمت الحركة الادبية في البلاد العربية ، وكان الحجاز على اتصال بها لذلك نجد معالم هذه الاتجاهات تبرز بعض خصائصها لدى الادباء السعوديين ، عن طريق الصحف التي تنافست بنشر تلك الافكار لأولئك الرواد فكم من المعارك الادبية نقلتها تلك الصحف الى العالم العربي ، وكان شباب الحجاز يتلهفون لهذه الصحف ويعتبرون الحصول عليها مغنماً لا مثيل له ، وقد وصف احد المعاصرين تشوقهم الى تلك الصحف بقوله (فكان الناس ينتظرونها انتظار البقعة الجديبة لصيب السحاب ، وكان الرائي يندهش اذ يرى الوفود متتابعة لاستماع الاخبار التي ترويها تلك الصحيفة[2]) .

ان هذا الاتصال اثر في أدب الحجاز ، وتعلق الشباب بهذه المدارس فمنهم من ايدها ومنهم من عارضها ، كما ظهر ذلك في اتجاهات الرعيل الأول من الادباء كمثل الغزاوي والعواد وغيرهما .

---

(١) المعرض ٢٣ .

(٢) مجلة المنهل عدد ٨ شعبان ١٣٦٩ هـ مقال لمحمد نصيف وكتاب نشأة الصحافة د/ الشامخ ٣٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النهضة الادبية في العهد السعودي :

في عام ١٣٤٣ هـ / ١٣٤٤ هـ تم توحيد البلاد السعودية ، فكان ذلك بداية عهد جديد للبلاد بعامة وللحياة الادبية بخاصة مما هيأ لوجود مؤثرات هامة ظهرت للعيان لها أثرها في الحياة الاجتماعية والادبية ، فلقد حدث حوار ونقاش بسبب اختلاف الآراء حول التصوف ومذاهبه ، والمولد النبوي واحتفالاته وغيرها مما أدى الى التقاء العلماء النجديين والحجازيين لمناقشة ذلك في اجتماعات بأمر من الملك عبد العزيز ، وكان لهذا اثره في نهوض الادب ، واتجاهه الفكري فكان بعض العلماء يتلافى القول والكتابة الا في النواحي الدينية والوطنية لظروف المجتمع الذي يرفض ما ليس له علاقة بالدين أو اصلاح المجتمع .

وحين حكم الملك عبد العزيز الحجاز استدعى رجالاً ومفكرين من جميع البلاد العربية والاسلامية لمناقشة اوضاع الحجاز ، واطلاعهم على ما يجري فيه ، وكانت نتائج ذلك الحوار وانعكاساته تنشر في الصحف المحلية ، الى جانب الصدى والاثر الذي نجم عن لقاءات ابناء الحجاز واولئك الوافدين في هذا المؤتمر وما تلاه من مؤتمرات أخرى ، الامر الذي جعل النهوض الفكري في نمو مطرد وفي اوائل الحكم السعودي وتوحيد البلاد نمت العاطفة الدينية .

ولا غرو في ذلك لان الناس كانوا جادين في حياتهم متشبثين بالحياة العربية والاسلامية في سلوكهم واعتقادهم لذلك قلت الجرأة على نشر القصائد الغزلية وآثر كثيرون الاحتفاظ بها واذاعتها في خلصائهم ومجالسهم الخاصة ، أضف الى ذلك ان الاقبال على الادب كفن لم يكن متضح المعالم في اذهان كثيرين وبخاصة من تقدمت بهم السن في تلك الايام ، ومن هنا كانت فكرة المنتديات الادبية الخاصة التي كان يقيمها الشباب في مدارسهم أو في بيوتهم أو في اماكن تجمعاتهم ومنتزهاتهم وقد نمت هذه الفكرة حتى صارت ما بين عام ١٣٧٠ هـ - ١٣٨٠ هـ أشبه بتقليد في كل مؤسسة تعليمية .

وقد عمت هذه المنتديات المصغرة مدن الحجاز ففي مكة المكرمة (خلوة باب العتيق) التي كان يجتمع فيها الشباب ليتدارسوا الادب القديم ، ويتناوبوا

الكتب والجرائد والمجلات الوافده ، ويتبادلوا الاشعار ويعارض بعضهم بعضاً ، وربما دخلت فيها موضوعات هزلية لكن تكثر فيها الموضوعات الوطنية والاجتماعية (فكان أن ضمن خلوة باب العتيق في المسجد الحرام بمكة المكرمة نخبة من اولئك الفتيان الذين اولعوا بالادب تتناسب اعمارهم ، وتتضح في نفوسهم الغيرة ، وليسري في دمائهم حب الوطن واللغة العربية)[1] .

وهناك تجمعات أدبية في جدة قام بها شبابها فخلفت آثاراً أدبية حسنة[2] وقد عرفت المدينة المنورة نادي المحاضرات كما عرفت ما سمي بالحفل الادبي الذي أسس عام ١٣٥٣ هـ وكان من رواده / عبد القدوس الانصاري يحضره شباب المدينة وزوارها وتلقى فيها المحاضرات[3] .

ثم خرجت سمة أخرى او قل محاولة أخرى في الجذب والاشارة ، والتقاء الفكر تلك هي محاولة اخراج الانتاج والآراء في مؤلف موحد من ذلك (كتاب المعرض) الذي طرح سؤاله وجمعه / محمد سرور الصبان وصدر عام ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م وكذلك سؤال آخر طرحه / عبد القدوس الانصاري ، حينما كان في المدينة وذكر بأنه جمع هذه الاجابات وسرت بين أدباء المدينة المنورة .

وبجانب ذلك انطلق الشعراء والكتاب بحماس لنشر انتاجهم الشعري والنقدي في الصحف المحلية والعربية ، واخذوا يتناولون كل غرض وصوروا البيئة اكمل تصوير وطرحوا افكاراً عالية في بناء النهضة ، وبثوا روح الوطنية للبلاد ، وتقبلوا ايما اتصال بآداب البلاد العربية .

وكان هذا الانتاج بمثابة النواة الأولى لادب حجازي لذلك لجأ بعض الكتاب

---

(١) المجلة العربية ع ٦٢ السنة السادسة ربيع اول ١٤٠٣ هـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣م ص ١٦ .

(٢) الشعر الحديث في الحجاز ٩٣/ عبد الرحيم ابو بكر .

(٣) يرجع إلى المنهل (مجلد) ٤٧ جمادى الأولى والآخرة / ١٤٠١مارس / ابريل ١٩٨١م ص ٤١٧ وكتاب الشعر الحديث في الحجاز ص ٩٢ ومحاضرة للشيخ / عبد القدوس الانصاري الذي ألقيت في جامعة الملك سعود .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الى جمع أفضل انتاج الادباء ونشره في كتاب سمي (وحي الصحراء) وهذا الكتاب يعتبر النموذج لادباء الرعيل الأول ، وكان له صداه الطيب حيث استبشر بـه كبار الكتاب العرب فقال عنه الدكتور / محمـد حسين هيكل[1] (ونهضـة الأدب في الحجاز آية من الله للناس بأن النبع الذي غاض ماؤه عاد الى فيضه) .

وهذا الانتاج لمجموعة كبيرة من أدباء الحجاز لذلك فانه صور الادب في الحجاز تصويراً متكاملاً حتى أن الدكتور هيكل وصف الادب في الحجاز ووضع معالمه من هذه المجموعة فقال[2] (والحق أن الادب الحجازي الحديث متأثر بهذه النهضة تأثراً تاماً ، وانك لترى اثناء قراءتك هذه المجموعة اثر النهضة بادياً في كل ما اشتملت عليه ، وقل أن نقف عند شيء يشبه القديم من الادب العربي .

فالاسلوب والصور وطرائف التفكير والتعبير تجري كلها مجرى ما تقرأه في أدب مصر وسوريا والعراق وغيرها من البلاد العربية في العصر الاخير ، بل تجري مجرى الصورة الاخيرة لهذا الادب الحديث في تلك البلاد ، فأنت ترى شعراً منثوراً وترى اوزاناً في الشعر من اوزان المدرسة الحديثة وترى تفكير هؤلاء الادباء مصوراً في قوالب تكاد تردها الى مصادرها في تفكير العصر الحاضر وأدبه ثم أنت ترى اساليب يحتذى فيها اصحابها بعض الكتاب المعروفين اليوم في مصر وغير مصر) .

وهذا الحكم على الادب الحجازي اول حكم يصدر من أديب له قيمته الادبية وصار القاعدة الاساسية لاحكام النقاد العرب وجل الأدباء السعوديين على الادب السعودي وهذا الحكم نرى بعض معالمه على أدب البلاد ومع كل هذا فان للادب السعودي له كيانه وله ميزاته وله خصائصه المنفردة به وليس صورة للغير أو تقليداً لهم .

من بعد هذه العجالة عن مكونات النهضة الادبية وروافدها وتطورها فـاني اقسم اتجاهات وشعراء البلاد الى اربع طبقات ابتداء من مطلع القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية .

---

(١) وحي الصحراء خاتمة المقدمة .

(٢) وحي الصحراء المقدمة (د) .

الطبقة الأولى في القرن الرابع عشر :

وتكونت هذه الطبقة من الشعراء الذين كانت لهم مساهمات شعرية بعد عام ١٣٠١ هـ أي في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة ويمتاز شعرهم بالألاعيب اللفظية السائدة في العصر المملوكي والتركي ، وكذلك المصطلحات النحوية ، وانعدام احاسيس الاديب وسماته الفنية ، وشيوع الكلمات الميتة والتعبيرات المتحنطة ، والميل الى المبالغة ، وهذه الطبقة محكومة بظروفها فلا سبيل لها غير هذا فهي لم تتطلع على الحضارة ، وعلى الافكار الادبية ، ولم تصل اليها الصحف والمجلات ، ولم تتبلور افكارها بافكار الآخرين ، ولم تتح لها فرصة الاطلاع على ما نشر من التراث القديم .

ومن شعراء هذه الطبقة ابن سحمان[١] ، ومحسن[٢] الصحاف ، وعلي السنوسي[٣] ومحمد العمري[٤] ، وعبد الجليل برادة[٥] ، وابراهيم الاسكوبي[٦] ، الذي صدر له قصيدة تعتبر بحق أحد تحليقات الشعراء الذين

---

(١) هو سليمان بن سحمان ولد عام ١٢٦٧هـ (١٨٥١م) في السقا قرية قرب ابها ، هاجر الى الرياض وفيها اشتغل معلماً لاولاد آل الشيخ ، وهو اشهر شعراء عصره في نجد توفي ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م انظر الشعر في الجزيرة العربية للدكتور عبد الله الحامد ١٧٣ .

(٣) عبد المحسن بن محمد الصحاف شاعر مكي لزم الحسين بن علي ومدحه وادرك الملك عبد العزيز ومدحه ايضاً ولد في البحرين وانتقل الى مكة وله شعر في الغزل توفي بمكة ١٣٥٠ ـ ١٩٣١ م .

(٣) علي السنوسي المولود في مكة ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م هاجر الى زبيد مدح الملك عبد العزيز رحمه الله .

(٤) محمد العمري : هو من اصل مغربي ولد في الجزائر وهاجر الى المدينة ١٣٠٣ وتعلم في المدينة ايد الاتراك وعارض الشريف حسين وهو شاعر جيد توفي ١٣٥٠ وقيل ١٣٦٥ .
انظر الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم ابو بكر ١٧٣ وكتاب الشعر في الجزيرة العربية للدكتور الحامد/ ٣٨٤ .

(٥) عبد الجليل براده ولد سنة ١٢٤٠ في المدينة المنورة وفيها نشأ وتعلم العلوم الدينية والادبية والفكرية وله كثير من الرحلات توفي ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩م انظر الشعر الحديث في الحجاز لعبد الرحيم ابو بكر ١٤١ وكتاب (الشعر في الجزيرة العربية) ٣٧٣ .

(٦) الاسكوبي : ابراهيم بن حسن بن الحسين الاسكوبي ولد في ١٢٦٩ هـ نشأ وتعلم في المدينة =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يسبقون أهل زمانهم تلك القصيدة الوطنية التي نصح فيها الدولة العثمانية وفيها يقول[1] :

يـا آل عثمـان فـالمغرور من غـرا ... بـأهـل أوربـة أو عـهـدهم طـرا
أتـأمنـون لمـوتـورين ديـدنهـم ... الا يـروا منكم فـوق الثـرى حـرا
تـمـالؤوا فـخـذوا حـذرا فـانهـم ... يـرون ابقـاءكم بين الـورى ضـرا

وقد اطلق الادباء على هذه الطبقة اسماء متعددة فسماها الدكتور بكري شيخ امين (بالنزعة التقليدية الجامدة)[2] .

الطبقة الثانية :

وهذه قد اتيح لها الاطلاع على معالم الحضارة والآداب العربية ، وما نشر من تراث وقد وجدت الموهبة ، وروضت بالحفظ والدربة ، حيث اقبل عليهما شباب الادباء العرب اقبالاً شديداً بعد تجربة البارودي الناجحة ، فقلده كل من احس بنفسه ميلا للشعر واصبح عباقرة الشعر العربي من شعراء جاهليين واسلاميين وعباسيين هم المثل الاعلى للشعراء الجدد ، ففي تلك العصور نال الادب مجده الذهبي فاحتذى الشباب المعاصر حذوهم وحفظوا دواوينهم ، ودرسوها ، وشطروها وقلدوها ، فرأينا أثرها واضحاً على هذه الطبقة ، فتلاشى الضعف والانحدار ، وظهر مكانه الصياغة المتقنة المحافظة ، ونمت المواهب وتدفقت بسبب الاصرار على الدربة والرواية فتمكن الادباء من استصفاء احسن الاساليب والالفاظ الملائمة ، وتطويع تلك الاساليب وانتقاء افضلها لتعبر عما يدور في النفوس وما يجاري تخيلاتهم ، فأصبح شعرهم صورة لشخصياتهم وخلجاتهم ، فظهرت بذلك الشخصية الادبية لكل شاعر وهم يولون اللفظ عناية فائقة ، ويجيدون

= ودرس العلوم الدينية والفكرية وهو من ابرز شعراء المدينة وله رحلات الى ديار الشام والأستانة ومصر توفي ١٣٣٢هـ ١٩١٣م . انظر الموسوعة الادبية لعبد السلام الساسي جـ١ / ط١ ، الشعر الحديث في الحجاز عبد الرحمن ابو بكر ١٥٣ الشعر في الجزيرة خلال قرنين د/ الحامد ٣٥٧ ط ١ .

(١) الشعر الحديث في الحجاز ١٦٨ .

(٢) الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ٣٧٥ .

حبكه وحوكه ، ولديهم القدرة اللغوية التي ربما تتجاوز حدودها ؛ وهم يختارون البحور الطويلة مع النفس الطويل في قصائدهم ونرى ظاهرة الاقتباس والتضمين تلوح في اشعارهم ، وهم قد عارضوا وحاكوا قصائد مشاهير الشعر العربي كأبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم .

وقد قيض الله لهؤلاء ان يلجوا ابواب المدارس الادبية الجديدة ، وان يتأثروا بما قدمته المطابع الحديثة ، وبانتاج ادباء البلاد العربية وتياراتها وهؤلاء يشتركون في المحافظة على الاوزان والقافية وسلامة اللغة ، ومع ذلك فكل منهم تأثر بمؤثرات خاصة به بسبب غزارة الروافد التي ألح عليها ومال اليها ، وبما اقتفى أثره من المدارس الادبية ، كمدرسة الاحياء والبعث ، فعادت الى التراث الجيد ، وصقلت مواهبها بواسطة الرواية والدربة ومنهم ابن عثمين[1] وأحمد الغزاوي ، وفؤاد [2] شاكر ، واحمد قنديل ، ومحمد سعيد[3] العامودي ، وعبد الوهاب آشي[4] ، وحمزة[5] شحاته ، وضياء الدين رجب[6] ومن أمثلة شعر هؤلاء قول

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله بن عثمين ولد عام ١٢٧٠هـ في بلدة (السلمية) من اعمال الخرج سافر الى البحرين وقطر وعمان في طلب التجارة وله صلة مع آل ثاني والملك عبد العزيز وآل خليفة وهو شاعر نجد في ايامه لازم الملك عبد العزيز طوال فترة فتوحاته توفي ١٣٦٣هـ . انظر كتاب/ محمد بن عثمين شاعر الملك عبد العزيز تأليف السيد أحمد ابو الفضل عوض الله .

(٢) فؤاد شاكر هو شاعر وصحفي رأس تحرير (أم القرى) و(صوت الحجاز) و(البلاد السعودية) وله ديوان وحي الفؤاد،مثل المملكة في كثير من المؤتمرات الادبية توفي عام ١٣٩٢هـ انظر كتاب شعراء من ارض عبقر للدكتور محمد العيد الخطراوي ٦٣ وانظر مقدمة ديوان اشرعة الليل للشاعرة / عزة فؤاد شاكر .

(٣) ولد بمكة وتخرج من مدرسة الفلاح عمل موظفاً في الحكومة عمل في مجلس الشورى عضواً رئيس مجلة (الحج) ثم رابطة العالم الاسلامي رباعيات/ محمد سعيد العامودي .

(٤) ولد بمكة ١٣٢٣هـ تخرج من مدرسة الفلاح اشتغل بالتدريس عين رئيساً لتحرير جريدة (صوت الحجاز) اشتغل في الاعمال الحسابية كثيراً ، انظر الموسوعة الادبية لعبد السلام الساسي ٣ : ١٨٢ .

(٥) حمزة شحاته ولد بمكة عام ١٣٢٨ هـ تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بجده ، تفتقت شاعريته في وقت مبكر / قام في مصر كثيراً لديه قوة فكرية ، ومتانة اسلوب ، صورة جمالية توفي ١٣/١٢/١٣٩٠هـ بالقاهرة . انظر كتاب الى ابنتي شيرين لحمزة شحاته .

(٦) ولد بالمدينة المنورة ١٣٣٥هـ تلقى علومه بالمسجد النبوي اشتغل بالتدريس والقضاء ثم =

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ضياء الدين رجب :

قالت اخاف المعاني فيك غافية ... ولا أخافك في صحو يداريها
فأنت اذ يهجع الاحساس منطلق ... كالماء في الارض ينأى عن أعاليها
ويستريح الى اعطاف منخفض ... على طبيعته في حضن واديها
وانت كالحب تطويه عواطفه ... وحلوه حين تطويه ويطويها

الطبقة الثالثة :

وقد اطلق عليها الدكتور بكري شيخ (التيار الابداعي) او (الرومانسي) وهذا الاتجاه يعني بالنزعة الفردية والشعور بالوحدة ، والخلو بالنفس ، الذي يورث الحزن ومحاولة نفث الشعور عن طريق الشعر وموسيقاه الحالمة ، وساعد على ظهور هذا التيار في المملكة (حياة الامة العربية وتكالب الغرب والشرق عليها وما واجهته من نكبات استعمارية واعتداءات صهيونية ، وعجز العرب عن تحقيق آمانيهم ، ومآربهم واصطدام المطامع العظيمة في نفوسهم بالسدود التي وضعها اعداء الاسلام والعرب .

وكذلك الروحانية التي عرف بها الشرق من رواسب الرسالات السماوية القديمة وظهور المصلحين في هذه الديار ، ثم بزوغ فجر الاسلام الذي ينمي الشعور والاحساس بالانسانية ، وانتشاره من الشرق والحجاز بصفة خاصة فالتمس الشعراء لهم مسلكاً يفرون اليه من واقعهم المرير ، فلاذوا بالطبيعة يبثونها شكاتهم ، وحلقوا في سماء الخيال ، وهاموا بأودية الاحلام والاوهام وسبحوا بأرواحهم فيما وراء الطبيعة ومن شعراء هذا الاتجاه :

مستشاراً للقضاء وعضو مجلس الشورى وكان شاعراً جيد له ديوان مطبوع انظر ديوانه (المقدمة) .

(١) زحمة العمر سبحات ورثاء ديوان ضياء الدين رجب ١٩١ دار الاصفهاني للطباعة بجدة .

محمد حسن[1] عواد ـ طاهر الزمخشري[2] ـ احمد[3] قنديل ـ محمد حسن فقي ـ حسين سرحان ـ ومحمد سعيد المسلم الذي يقول من هذا الشعر :

أحـار أحـار اذا مـا نـظرت بعيـداً وقـلبت طـرفي الكثيب
أرانـي أعـبـر فـي مـهـمـهـة واجـتـاز مـلتـويـات الـدروب

الطبقة الرابعة :

ثم في الآونة الاخيرة فقد كثرت الاتجاهات التي نلمس ملامحها في ادب الشباب ومنها الشعر الحر (الشعر المنثور) أو النثر المشعور أو قصيدة النثر ، فانها لقيت رواجاً في الدول العربية ، وقد بدأ الامر بالشعر المرسل ثم جاء دور الشعر الحر وهو المقيد بالتفعيلة مع التحرر من الوزن والقافية وقد بدأه الشاعر محمد حسن عواد ونشر أول قصيدة له في جريدة القبلة عام ١٣٤٠[4] هـ ولكن لم يكن له رواجاً حتى اوائل العقد الثامن من القرن الرابع عشر فاقبل عليه شعراء الشباب ثم جاء بعده النثر المشعور الذي لا يعترف بالوزن والقافية ومن هذا التطور خلال أقل من نصف قرن نرى تنازل بعض الشعراء عن القافية أولا ثم جاء بعدهم جيل تنازل عن الأوزان والقافية واكتفى بالتفعيلة . . ثم جاء جيل آخر تنازل عنها جميعاً ، وهذه مدة وجيزة في تاريخ التطور الأدبي . . . اذن الى أين نسير الآن في هذا التطور ؟ أظن ذلك يوحي بضياع وتلاشي الشعر ان لم تكن هناك عودة الى الأصل . . وأعتقد أن الأمر سيحتاج فيما بعد الى مدرسة احياء وبعث جديدة .

---

(١) ولد الشاعر محمد حسن عواد عام ١٣٤٤هـ ـ ١٩٠٢م في جدة وقد اعتنت به اسرته فعلمته درس في مدارس الفلاح وتخرج منها ثم صار مدرساً فيها انظر (العواد في عالم الادب لطلال عبد الرؤوف الريماوي .

(٢) طاهر الزمخشري ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ ملتقى ثقافة ادبية عالية وشاعر رومانسي وقد اشتغل بالاذاعة واشهر برنامج له هو (بابا طاهر) انظر شعراء من ارض عبقر لعيد الخطراوي ٢٤٦ .

(٣) احمد صالح قنديل ولد بمدينة جدة تلقى تعليمه في مدرسة الفلاح وعمل استاذاً بها رئيس جريدة صوت الحجاز وهو شاعر مطبوع اصبح مديراً لادارة الحج في جدة سافر الى مصر توفي ١٣٩٩هـ انظر اعلام الحجاز / لمحمد علي المغربي ٢٢ .

(٤) القبلة ع ٥١٥ في عام ١٣٤٠ هـ وأخرى في ٥١٩ ص ٢ ١٣٤٠هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

مولده .
نسبه وأسرته .
طفولة الغزاوي .
نشأته .
تعليمه وتنميته الفكرية .
مشايخه .
علاقته بالآخرين .
رحلاته وأوسمته .
هدايا الملوك والأمراء .
مناصبه .
أسلوبه في الحياة .
وفاته .
آثاره .

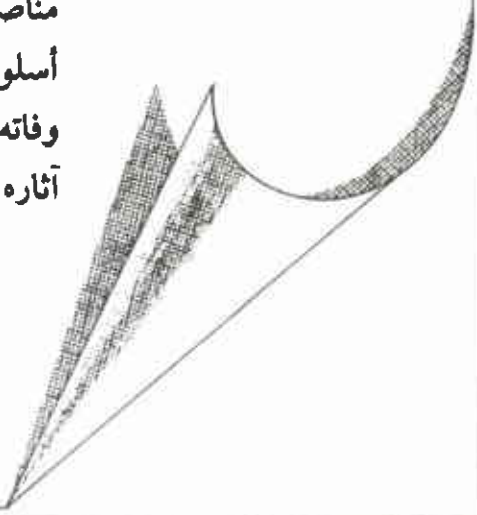

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مولـده

ولد أحمد ابراهيم الغزاوي في شهر ربيع الاول عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م أي في مطلع القرن الـرابع الهجـري القرن الـذي أشرقت فيـه شمس الحضارة المعاصرة على البلاد العربية فمولده قارب مولدهـا ونموه واكب نمـوها ، وهـذا التاريخ لمولده أجمع عليه المؤلفون وانتشر في حياته فلم يعارضه بل وافق عليه حين أعطى صاحبي وحي الصحراء نبذة عنه وصرح بذلك في إحدى شذراته .

أما مكان ولادته فقد ولد في بيت والده الواقع في شارع الدعوجي في حارة سوقية في مكة المكرمة[١]، عاصمة الحجاز وعاصمة أمراء الأشراف والمكان الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين يزوره كـل عام بـل كل شهـر أنواع من البشـر يمثلون مجتمعات واتجاهات مختلفة ، وهي ملتقى العالم الإسلامي ، وقد تمثل ذلك في سكـان تلك المدينـة التي ينتمي أغلبهم الى دول كثيرة وذات أشكـال وألـوان ، واتجاهات متباينة إلا أنها تجمعها عقيدة واحدة هي العقيدة الإسلامية فهناك الهنود وهناك الأفارقة وهناك الإندونيسيون والأتراك والمغاربة، والمصريون وهم يعيشون في ظلال الدين الإسلامي وأما بقية التقاليد والعادات فيظهر جـلّها في تجمعاتهم المنفردة ومكة المكرمة التي ولد فيها الشيخ أحمد الغزاوي هي الشعلة المضاءة إبان الحصار الفكري والعمراني الذي شمل الدول العربية وخاصة الحجاز ومع ذلك ظل

(١) المنهل جمادى الثانية ١٣٨٣هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحرم مصدر اشعاع وظلت حلقته معقل للتراث الإسلامي .

وهذه البلد هي التي يستوطنها أمراء الأشراف والوالي التركي ، فيهتمون بأمنها وأمن أفرادها أكثر من سائر المدن الحجازية . والعلم والعلماء يصاحبان الأمن والاستقرار ، لذلك أنشئت فيها المدارس الخيرية والحكومية قبل غيرها من مدن إقليم الحجاز مما جعل هذه المدينة الطيبة المباركة المنبع الأول للتعليم في الحجاز فيما بعد فلقد كثر منها رواد الأدب في عصر النهضة ومنها صدرت أغلب الصحف الأدبية والفكرية وفيها أسس أول مجلس للشورى في المملكة العربية السعودية وفيها عقد أول مؤتمر اسلامي على مستوى رسمي وبدعوة من الحكومة ، تلك الميزات لمكة المكرمة التي ظهر فيها الشيخ / أحمد ابراهيم الغزاوي فكونته وتأثر بها وعايشها وشارك فيها مما جعلها تتجسد في آثاره .

نسبه و أسرته

كل المصادر التي اطلعت عليها أعرضت عن ذكر نسبه ، فا نعت بذكر اسم الشاعر واسم أبيه وعائلته فأوردته كما هو (أحمد ابراهيم الغزاوي) . . وظل الأمر كذلك حتى رجوت من الأديب الأستاذ : ابراهيم خليل علاف أن يمدني بما عنده من معلومات فبعث إلي برسالة[1] وذكر أن نسبه : (أحمد بن ابراهيم بن علي بن سليمان الغزاوي) . .

وأبان لي صهره السيد (فائق غزاوي رحمه الله)[2] بأن سبب تسمية عائلة الغزاوي بهذا الاسم يرجع الى كون جدهم الثامن هاجر من غزة بفلسطين الى مكة المكرمة ، إما لطلب العلم أو للتجارة أو للحج والعمرة ، ولم يستطع العودة ، أو ظل في مكة راغباً لذلك زاهداً في موطنه الأصلي مفضلاً عليه جوار البيت العتيق ، ومن جدهم الثامن هذا تكونت أسرة الغزاوي حتى أصبحت من أكبر العائلات

(١) تلقيت الرسالة بتاريخ ٢٤/٤/١٤٠٥هـ . . .

(٢) في مقابلة شفوية معه في الشهر العاشر من سنة ١٤٠٢هـ .

المشهورة التي تستوطن مكة المكرمة . .

وعائلة الغزاوي هذه لها مساهمات ومشاركات ملموسة في التجارة والنواحي التعليمية فقد اشتغل أغلبهم بالتجارة وبعضهم في طلب العلم ونشره فمن أولئك الذين ساهموا في نشر التعليم في العهد التركي الشيخ (فرج الله الغزاوي) وكان له كتاب يعلم فيه القرآن ومبادىء الكتابة والحساب ، وقد سلك على نهجه أولاده . . (عبد الله غزاوي) و(سليمان غزاوي) و(تاج الدين غزاوي)[1] فكان في مكة ثلاثة كتاتيب يقوم عليها أفراد من عائلة الغزاوي وحدها وكان أخوهم محمد فرج الغزاوي معلماً لأولاد الأمراء صاحب الشريف عون الرفيق ، وكذلك للأسرة باع طويل في الخط وجماله وقد قال الغزاوي (ولقد أدركت جدي وأعمامي وهم خطاطون مشهورون وقد تجاوز كل منهم الثمانين حولاً من عمره)[2] . . . وقد واصلت هذه الأسرة محافظتها على تعليم أبنائها ، وتثقيفهم حتى أنجبت لنا عدداً من الأدباء المعاصرين في مقدمتهم ورائدهم الشيخ (أحمد ابراهيم الغزاوي) وابن أخيه الأديب (ابراهيم خليل) علاف الذي اشتهر بشعره وكتابته الأدبية ، وكذلك الأستاذ (ياسين علاف) والأستاذ(عباس فائق الغزاوي)الكاتب والصحفي والاذاعي والسياسي والذي ما يزال مواصلاً للخدمة الوطنية ومنهم الأديب الناشيء (فهد محمد علي الغزاوي) والمخرج (فيصل غزاوي) ومنهم الشيخ (أمين غزاوي) رجل الأعمال الذي كان مديراً لشركة السيارات الأولى في مكة المكرمة .

طفولة الغزاوي

لقد لقي الغزاوي عناية خاصة من والديه لأنه كان الابن الوحيد لهما بينما لهما سبع بنات لذا أولياه كثيراً من الرعاية في التربية والتعليم ولكن أمه بدرية بنت عبد الرحمن السند عاجلتها الوفاة وهو لم يبلغ العاشرة من عمره اي في عام ١٣٢٨ هـ فضاعف والده الحنو عليه ليعوض حنان والدته وظل يرعاه ويصحبه في أعماله

(١) المنهل ـ مجلد ٣٩ جمادى الثانية ١٣٩٨هـ ابريل/ مايو ١٩٧٨م ص ٤٠٢ .
(٢) المنهل مجلد ٢٤ جمادى الثانية ١٣٨٣ هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وزياراته وتجارته مما أتاح للطفل الصغير الالتقاء بشخصيات كثيرة يسمع منهم ويداعبونه ويشجعونه حتى أنه ليتذكر أن أحدهم يرفعه ليحمله على الفيل الذي وجد بمكة في ذلك الحين وقد انغرس في عقلية ونفسية الطفل أمور كثيرة كتب عنها الشيخ الكثير في مطالعاته وتعليقاته وشذراته ومع ذلك لم يكن في معزل عن أقرانه من أطفال مكة وصبيانها فعاش حياته كما يعيشونها فهم يذهبون الى الكتاب صباحاً ليحفظوا كتاب الله ويتعلموا القراءة والإملاء والخط ثم يلتقون ويلتفون حول بعضهم في شكل جماعات ليمارسوا ألواناً من العبث البريء واللعب أحياناً وأحياناً تنقلب إلى الشقاوة وربما أضرت أهل الحي فقد كانوا يتسلقون الأشجار ويقفزون فوق التلال ، ويأنسون لسقوط الأمطار وقد وصف الغزاوي تلك الحال بقوله[1] :

(من الذكريات التي لا ينساها الطفل وترسخ في مخيلته وتحيا معه لو تجاوز الأربعين أو الثمانين تلك الحوادث التي مرت به أول نشأته ، وإبان طفولته) .

ولو أنها كانت في منتهى السذاجة وفي هذه الشذرة أقصى ما أدركناه قليل أن نبلغ الثامنة ، فما نكاد نغادر (كتاب سيدنا) حتى نلتف مع بعضنا أي الذين تسود بينهم روح الصداقة والتفاهم ، فلا يتشاكون ولا يتخاصمون وعلى مصلحتهم جميعاً يتفقون إلا نادراً . . فنتشاور إلى أين يكون اتجاهنا قبل العودة إلى المنازل ويتقرر بالاجماع غالباً أن نمضي إلى ساحة مدرسة (الداودية بالسوق الصغير حيث تسمق شجرة ضخمة معمرة ذات جذع عظيم . . وما أحسبها اقتلعت خلال مشروع توسعة المسجد الحرام الا بالتركترات التي أحاطت بها وقضت عليها ، كما ذللت كبرياء (جبل كدي) وكانت ذات ثمر وفير من النبق السمين ، فيصعد إليها من الأرض فوق الجذوع والأغصان من هو أجرأ قلباً وأشد عزماً وذلك في كثير من الحذر ، والتوجس والاستعداد للفرار اذا وقع إنكار من بعض الكبار .

ويحذف الصاعد في وسطها أو أعلاها ما تصل اليه يده أو وسيلته من الجريد إلى الأرض ـ ويتولى الآخرون الجمع واللم في (الأحاريم) أو الكوافي حتى إذا

---

(١) المنهل ـ السنة ٣٧ المجلد ٣٢ صفر ١٣٩١هـ/ ابريل ١٩٧١م ص ١٤٤ .

امتلأت تقاسمناها بيننا بالسوية مع شيء من التمييز لذلك الذي صعد وخاطر فيعطى سهمين من المحصول وطالما عرض لنا شيخ (الداودية) بخيزرانة مهدداً ومتوعداً وطارداً ولا ينصرف حتى يكون له نصف الحصاد أو ربعه .

وهنا شجر آخر يسمى المخيط بضم الميم وفتح الخاء المعجمة بعدها ياء ساكنة فطاء مهملة قلما أراها في هذه الايام وتناولها بنفس الطريقة وفي محلة (أجياد) حيث كانت أشجاره ممتدة على الجانبين بين إدارة المستشفى والقشلة أي المالية وكانت عساكر الترك آنئذ تملأ تلك المنطقة ويحرص أكثرهم على حماية ثمرته للاستئثار بها وكان الفوز بها لا يخلو من (أبر النحل) .

نشـــأته

قد نشأ أحمد ابراهيم وتربى في حضن والده الذي يجيد القراءة والكتابة ، ويعمل بالتجارة في قاعة الشفا ، حيث سوق العطارين للتحف والهدايا ، وهو ما يسمى بسوق باب العمرة ، وقد وقف أحمد إبان طفولته معه جنباً الى جنب يدير معه شؤون تجارته المحدودة ، فقد كان هدف كل أب أن يجعل من ابنه شخصية عصامية قادرة على الخوض في عباب الحياة وأمواجها ، لذلك فان الآباء يشركون أبناءهم في أعمالهم ويناقشون تصريف الأمور معهم أو بمسمع منهم ، ويقدمون لهم التوجيه والإرشاد في كل كبيرة وصغيرة فيلتقي التوجيه النظري مع العملي فتكون النتيجة أفضل مما هي عليه اليوم فيظل الابن يدرس الأمور النظرية حتى يبلغ سن الثانية والعشرين وكل هذه المدة بمعزل عن الحياة العملية . ومن ملازمة الأبناء للآباء تتاح الفرصة للكبار فيحكون لأولادهم ظروف الحياة الصعبة في الماضي بصورها الواقعية المأسوية ، كما يرسمون لهم تصوراتهم للحياة المستقبلية في محادثاتهم الخاصة أو في مجالسهم العامة التي يحرص الابناء على حضورها فينشأ الابن متأثراً بهذه الأفكار ممتزجة بالمعيشة الواقعية مع العناية الفائقة من الآباء لأنهم حريصون على تأديب أبنائهم ، وتمرينهم على الأعمال فيبدأون بتكليفهم بالأسهل ثم الأصعب فيحس الابن بالثقة وتحمل المسؤولية فيتقرب من هذا المنطلق ، ووالد الشيخ / أحمد سلك هذا المنهج التربوي المعاصر مع ابنه ، فاصطحب الوالد ولده

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

معه في تصريف اموره ، وتعهده بالتعليم والمران في عزم وتصميم حتى كان الشيخ / أحمد يحس بقسوة ذلك وهو يصور لنا ذلك بقوله :

« وتذكرت الآن أن والدي رحمه الله كان حريصاً على تدليلي خلال صغري فقط فلما أيفعت ، فما كان أشده علي في التربية والتقويم . . بشكل لا يكاد يحتمل جزاه الله كل خير . . وذلك على أساس من قول الشاعر :

« فقسا ليزدجروا ، ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم »[1]

تلك التربية جعلت الشيخ أحمد يحس بالمسؤولية منذ نعومة أظافره كما أحس بحاجة أبيه اليه ولا سيما وأنه وحيده فكان عند حسن ظن والده موثوقاً به وأجاد في تصريف التجارة وله علاقة طيبة مع عملائه واتقن هذه المهنة التي تقوم على بيع وشراء الأقوات كالقمح والدقيق والفول والأرز والعدس والسمن والزيت ، ووالده من التجار الوسط فهو يأخذ من التاجر المستورد ويبيع على التاجر الذي يصرف بضاعته على عملائه حسب ما تقتضيه طلباتهم . . . ولما بلغ أحمد سن العشرين توفي والده الذي حدد زمان ومكان الوفاة فهو يقول[2] : (وبهذه المناسبة أتذكر أنني يوم وقفت على دفن والدي رحمه الله (بشعبة النور) بمقبرة (المعلاة) بمكة المكرمة في ٦ / صفر / سنة ١٣٤٦هـ أي من قبل نحو أربعين سنة خلت) . .

وبعد وفاة والده اعتمد على نفسه واستفاد من تجارته وتعامله مع الحجاج وقد تحدث عن هذه التجارة فوصف في مطالعاته وتعليقاته تعامل السقاة مع الحجاج وطريقتهم في التجارة كما تحدث عن . . شخصيات أثرت في عمله في متجر والده فقال[3] :

(عرفت العالم المؤرخ الأديب الشيخ (محمد بن خليفة النبهاني) وكان والده المرحوم مدرس المسجد الحرام بمكة المكرمة عام ١٣٣٢ هـ . وكانت له

---

(١) المنهل السنة ٣٥ ـ المجلد ٣٠ رمضان ١٣٨٩هـ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٦٨م ص ١٢١٣ .

(٢) المنهل شوال ١٣٨٥هـ . ص ٧٦٨ .

(٣) المنهل المجلد ٣٠ جمادى الأولى ١٣٨٩هـ يوليو/ أغسطس ١٩٦٩م ص ٦٦٨

شركة مع الشيخ (محمد صالح المليباري) رحمه الله ، وكان الشيخ (محمود مليباري في التجارة في بنك كبير يقع في منطقة (قاعة الشفا) بمكة المكرمة وكان محل والده التجاري الى جانبه فلا ينقضي يوم حتى أراه في سمته الوقور) . .

ومع أن الشيخ (أحمد ابراهيم الغزاوي) قد ولد ونشأ في مكة في بيئة حضارية الا أنه عايش البادية ، فمدينة مكة كانت صغيرة ، وكانت تعتمد على البادية فيما يجلب اليها من المواشي والألبان والدهنيات ، والأصواف وغيرها ، والقبائل تحف بمكة من جميع الجهات ولهم اتصال قوي بمكة وأهلها ، ثم ان وسائل الانتقال للحضر هي وسائل البادية من الابل والخيل والحمر الأهلية ، وكان الأطفال في مكة يلهون بما يلهو به أبناء البادية يتسابقون في الأكام والجبال ، وقد وصف الغزاوي هذه الحالة فقال[1] : ـ

كنا اذا الدجن في الاصباح باكرنا ... نعدو اليه سراعاً وهو ينهمر
كنا به في الذرى فوق الجبال على ... مساقط الغيث عنها الماء ينحدر
كنا نهيم به (وبلا) ويغمرنا ... (طلا) ويجمعنا شملاً ونبتدر
كنا نسابقه (ركضاً) ويبهرنا ... (ومضا) ونوسعه (عرضاً) ونحتبر
كنا به نتحدى (السيل) نقطعه ... مشمرين ولا نبقي ولا نذر

بل ان الغزاوي ذاته تنقل في ربوع البادية وعاشر أهلها ودرس أحوالهم الاجتماعية وقد أعد تقريراً بذلك للملك عبد العزيز رحمه الله ، وقد تجلى أثر هذه المعرفة في الصور الأدبية لديه التي تكون شبيهة بالصور القديمة في العصر الجاهلي . . .

---

(١) المنهل محرم ١٣٨٩ هـ . . ص ١٣٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعليمه وتنميته الفكرية

لقد شب الطفل أحمد في ربوع مكة حيث الكتاتيب التي تتعهد الأطفال بالتعليم حينما تنطلق ألسنتهم بالكلام ويقدرون على المخاطبة ، فيثقفون ألسنتهم ويعودونها على نطق الفصحى عن طريق تعليم القرآن. وليس لها شروط ولا سن محددة ، ولا زمن محدد لقبول الطالب فيها لذلك يبدو أن الغزاوي التحق بها صغيراً بعد أن تجاوز سن الرابعة ، والكتاتيب هذه تقوم بتدريس القرآن ، والخط والإملاء وقد تحدث عن هذه المرحلة حينما قال[1] :

(وإن آخر ما أدركناه وشاهدناه وانتظمنا في سلكه في حلقات التأديب إبان النشأة الاولى في المسجد الحرام ـ عدا حلقات التحفيظ العامة للكبار في مختلف العلوم ـ وما أكثرها وأحفلها بالطلبة تلك الصفوف المنظمة في باب السلام وفي باب الزيادة ، حيث كان يتولى تأديب وتهذيب النشء فيها وتعليمهم الخط الجميل بأنواعه من الرقعة والنسخ والثلث . . والديواني) خطاطون ممتازون مبرزون أولهم كان في باب السلام ويدعى (الشيخ الفارسي) ولم أكتب عنده ثم فضيلة المرحوم السيد علي بن السيد حسن الكتبي في باب الزيادة ثم المرحوم الشيخ / تاج الدين ابن الشيخ / محمد فرج الغزاوي وذلك فيما بين عامي ١٣٢٥ / ١٣٣٥ هـ .

وكان الخطاط لا يقتصر على تعليم الخط وحده . . بل الإملاء والحساب والإنشاء والسيرة النبوية وعلم الفرائض . . لمن تقدم به سنه وذكاؤه واستعداده وقابليته وكان من آنقهم وأجملهم مظهراً ومخبراً ووقاراً . . وزياً وسمتاً السيد علي الكتبي مع هيبة شديدة له ومنة وتأس به وقد حضرت عليهم وأخذت عنهم بين عامي ١٣٢٧ هـ ، ١٣٣٠ هـ وفي عامي ١٣٣٣ / ١٣٣٤ هـ أيضاً وكان العريف الممتاز الذي تناط به مهمة التعليم ويتقدم الجميع بجمال خطه

(١) المنهل السنة ٣٤ ـ مجلد ٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٨هـ ص ٦٣٧ .

وأناقته ، وتقدمه وتبريزه صاحب المعالي وزير الدولة سيادة الشريف محمد شرف رضا أطال الله بقاءه . وينوب عن المعلم الأول إذا غاب وكان أسن منا ومحل التوقير والاحتشام . . فأما إذا ما دعا الحال الى (قرقعة الاصابع فانها في حدود الطاقة والاحتمال المرن وبالخيزران اللدن اللذيذ بحيث لا يؤلم ولا يكسر ، وكان العامل الاول في التأديب مجرد النظرة المركزة الزارية أو الساخرة أو الساخطة فانها أشد من وقع النبل رحمهم الله جميعاً) ثم التحق بالمدرسة الصولتية التي اعتنت باللغة العربية والعلوم الشرعية وجلب لها أفضل المدرسين وأقدرهم ، وكانت في قمة نشاطها وتطورها والتحاقه بها يدل على ميل والده الشرعي والعقائدي ، والمحافظة على اللغة والتراث وكان التحاقه بها في عام ١٣٢٢ هـ فحفظ القرآن ، وأجاد القراءة والكتابة ولكنه انقطع عنها سنتين . عاد بعدها لمواصلة الدراسة برغبة ونهم للعلم وإقبال منقطع النظير مما جعله ينمي لغته وفكره حتى صار نابغة المدرسة وطالبها الذي يشار إليه بالبنان حتى تخرج منها في عام ١٣٣٠ هـ وحبه لهذه المدرسة جعله على علاقة بأهلها وصداقة مستمرة ومودة أخوية حتى توفي رحمه الله . وقد أنصفها كثيراً في مقالاته ومطالعاته وشذراته . ثم التحق بالمدرسة الخيرية في مكة المكرمة وأغلب الظن أنها في الفترة التي ترك فيها الدراسة في المدرسة الصولتية . واتجاه المدرسة الخيرية هو ذاته اتجاه المدرسة الصولتية فهي تعني باللغة العربية والعلوم الشرعية .

وبعد تخرجه من المدرسة الصولتية التحق بمدرسة الفلاح التي أسست في مكة عام ١٣٣٠ هـ وقد التحق بها في نفس العام وهذه المدرسة من اقدم المدارس في الحجاز ويقوم عليها محمد زينل أشهر تجار (اللؤلؤ) فقد اعتنى بها وبذل لها من الأموال مما جعلها تكون في مستوى جيد وهي ذات اتجاه عربي عريق واسلامي خالص وكانت شعلة من النشاط والحيوية والحماس وقد

---

(١) ذكر ذلك الشيخ مسعود رحمت الله مدير المدرسة الصولتية مشافهة اثناء مقابلتي مع الشخصيات التي لها علاقة بالغزاوي عام ١٤٠٢ هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختار لها صاحبها أقدر العلماء والأدباء ليقوموا عليها وليدرسوا فيها . لذلك فان لها دوراً كبيراً لتنمية الفكر والأدب لدى شاعرنا أحمد الغزاوي الذي أحبها وأحب أهلها وأشاد بها وبالقائمين عليها وقد قال فيها : (هذه المدارس كانت تقوم على مقومات تربوية أساسية قبل أن توجد كتب التربية فقد أشعلت روح الحماس في أبنائها وتعهدتهم بالتمرين والتثقيف وغرست فيهم روح المنافسة . . والإخلاص لطلب العلم فمدرسوها علماء لهم عقيدتهم واتجاههم السليم فحاولوا أن . . . ينشئوا تلاميذهم على نهجهم ، ولم يقتصروا على المناهج المقننة بل سلكوا النشاط اللامنهجي فعودوا الطلاب على الخطب وإلقاء الكلمات في المدرسة وخارجها وكانوا يشجعونهم على حفظ القرآن والأحاديث وأشعار العرب فيجعلون من طلاب المدرسة مجموعات متنافسة في هذا الشأن فنمت روح المنافسة بين الطلاب مما أوجد نوابغ من تلاميذ تلك المدرسة .

فكان الغزاوي ربيب هذه المدرسة . وهذه الوسائل التربوية المعاصرة لدراسته غرست فيه روح الوطنية والعقيدة ، ونمت فيه روح الخطابة التي اشتهر بها وفتقت فيه مواهبه الشعرية .

وكان لمدرسي تلك المدرسة أثر في تكوين قاعدته العلمية فهذه المدرسة وجهته وأرشدته وغرست فيه حب العلم وأنارت له طرقه ومسالكه المتعددة .

وكان أثناء دراسته في المدارس النظامية يلتحق بحلقات العلم في المسجد الحرام ولكنه بعد تخرجه منها أقبل اقبالاً شديداً على مجالس العلم في المساجد وفي بيوت العلماء وظل يتنقل من حلقة الى حلقة ومن عالم إلى عالم وكانت هذه الحلقات والمجالس تهتم بالعلوم الدينية واللغة العربية والتاريخ الإسلامي والعلوم الفلكية والفلسفة والرياضيات .

وقد اهتم شخصياً بتكوينه العلمي وواصل مسيرته بدون ملل أو كلل في همة عالية وسهر دائب حتى أنه انتبه إلى المأكولات التي تؤثر في فطنته وذكائه فقال :

(وتذكرت أننا في أيام الحداثة نتحاشى أكل الحوامض من الفاكهة وسواها ونلقن انها (تدبغ القلوب) وتضاد الحفظ وكان من لطف الله بالبيوت جهلها بأن العسل يورث الذكاء[1]) .

وقد اكبّ على كتب اللغة العربية فدرس معاجمها دراسة واعية حتى تكونت لديه ثروة لغوية الى جانب اتقانه لقواعد النحو حتى أصبح ضليعاً في اللغة العربية عالماً بأسرارها خبيراً بتعريفاتها ومصادرها .

أما دواوين شعراء العربية فقد عكف عليها بالحفظ والتحليل والفهم لمعانيها ومقصدها وكان إطلاعه عليها بعيداً عن حلقات المساجد وانحصر على المطالعة الحرة والمنافسة في مجالس المنتديات والتجمعات الإخوانية فأكب عليها حفظاً ودرساً وتحليلاً ، حتى انغرست في نفسه وروحه وأثرت في تفكيره ، وأدبه ، فاحتذى حذو هذه الدواوين ، مما أدى الى ابتعاده عن نهج سلفه من الشعراء الذين أمعنوا في المحسنات اللفظية ، وابتعدوا عن المعاني الجيدة ، كما أن هذه الدواوين التي أعجب بها ، وتعهدها بالدرس والحفظ ظلت حجاباً قوياً له يحول بينه وبين مجاراة التهاون في اللغة والأوزان الشعرية التي رأينا معالمها تظهر في شعر المعاصرين له . اما ثقافته المعاصرة فقد تلقاها من مدرسيه الذين يدركون أوضاع مجتمعهم ، وفي لقائه بمثقفي الحجاج وعلمائهم ، وعلاقته الطيبة مع علية القوم واتصاله المستمر بشؤون الحياة السياسية والاجتماعية ، والتحاقه بالأعمال الحكومية وخدماته فيها إلى جانب معرفته بالاعمال التجارية كما أسلفنا .

وزاد من تكوينه الثقافي اهتمام الشباب أنفسهم بالناحية الأدبية مما جعلهم يكونون لهم منتديات صغرى يتجاذبون فيها أطراف الأحاديث الاجتماعية والأدبية ويكثر في هذه المجالس المطارحات والمناظرات والمعارضات الأدبية إلى جانب ما يتعرض له من نقد وتحليل وتعليل .

---

(١) المنهل ٢٢/ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ اكتوبر ١٩٦١ ص ٢٨٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تابع بدقة متناهية كبريات الصحف العربية التي تحمل راية الثقافة في ذلك العصر كمثل : الهلال ، والرسالة ، وآخر ساعة ، وقد وجدت كثيراً منها ضمن مكتبته التي ألحقت بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

مشايخـــه

لقد درس الغزاوي وتتلمذ على يد كبار العلماء في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة وتنقل في حلقات المشايخ . ونقل عنهم واعتز بصحبتهم مما جعله يتحدث عنهم كثيراً ومنهم :

١ ـ الشيخ / السيد عبد الوهاب نائب الحرم المكي من أئمة الشريف عوف وأحد مجالسيه استلم رئاسة قاضي القضاة في دولة الأشراف في عام ١٣٣٩ هـ ثم سافر إلى الآستانة وعمل في صنع (الحذاء) وكان له ابن تولى منصب كبير في الدولة العثمانية[١] .

٢ ـ الشيخ / حسين الحبشي وهو رجل زاهد عالم من أشهر العلماء وله حلقة في الحرم المكي وقد قال عنه الغزاوي « وقد شهدته في نهاية العشرينات وفي الثلاثينات[٢] » .

٣ ـ ومن مشايخه الشيخ الأستاذ / صالح شطا وكانت له حلقة دراسة في المسجد الحرام وكان رئيس مجلس الشورى وقد صحبه الغزاوي فترة طويلة في مجلس الشورى مما جعله يتأثر به .

٤ ـ الشيخ / عبد الله سراج قاضي القضاة في عهد الشريف حسين وقد لازمه أحمد الغزاوي واقترن به وسمع منه ، وشاركه في أعماله ، وتلقى عنه العلم والمعرفة والتوجيه العملي .

---

(١) المنهل ٣٥ مجلد ٣٠ ربيع الثاني ١٣٨٩ هـ .

(٢) المنهل الجزء ١٩ السنة ٣٥ المجلد ٣٠ رمضان ١٣٨٩هـ ص ١٢١٩ .

٥ ـ الشيخ / محمد بن سليمان حسب الله المولود سنة ١٢٣٢ هـ والمتوفى سنة ١٣٣٥ هـ وقد أدركه الغزاوي بصيراً وقال عنه « وكنت أحضر دروسه (سامعاً) لمقرئه ولتقريره في الحلقة كل صباح بين الإسفار والإشراق وما زلت أحس صدى صوته حياً في أذني سواء أكان تدريساً أم تذكيراً أم تفكيهاً ، وتنديراً »[١] .

٦ ـ الشيخ / إبراهيم فودة الذي كان يقوم على كتّابه في (أجياد) وهو أول كتاب يلتحق به الغزاوي . ولكنه بعيد عن منزل الغزاوي فاضطرب الأمن بسبب ثورة (القبوري) وتركه وهو في السنة الثامنة من عمره وقد أشار الى ذلك « يوم كنت في سن الثامنة واتردد على كتاب الورع المعلم القارىء (الشيخ ابراهيم فودة) في جبل السبع بنات في أجياد[٢] » .

٧ ـ الشيخ عبد الله السناري حمدوه[٣] وهو صاحب الكتاب في (باب الزيارة) الذي فتح بعد توليه الحسين بن علي ويقوم على هذا الكتاب عدة مشايخ منهم / أحمد السوركني وقد بقي الغزاوي يدرس على هذا الشيخ لمدة سنتين .

٨ ـ الشيخ / حسين باسلامة وهو أحد العلماء والوجهاء في مكة والأثرياء أيضاً وقد قام بالتدريس للغزاوي في المدرسة الخيرية من ١٣٢٨ الى ١٣٣٠ هـ وقد تحدث الغزاوي عن علاقته له مع الدكتور / إبراهيم الفوزان : ـ

روى لي الغزاوي أنه في عام ١٣٥٧ هـ زار الوجيه الشيخ / حسين باسلامه في منزله في الطائف ، وأراد باسلامه أن يداعب الغزاوي أمام ضيوفه فقال :

يا أيها الناس أشكو إليكم هذا الإنسان لمشاغبته إياي ، دخل بيتي في

---

(١) الادب الحجازي ٣ : ١٣٢٥ .

(٢) الادب الحجازي الحديث ٣ : ١٣٢٥ .

(٣) قريش ٦٤/ جمادى الثانية ١٣٧٩هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(حارة الباب) بمكة فما شعرت بعد مدة إلا وقد أقام إلى جانبه مثله أو أوسع منه ونظر إلى مكتبتي فنافسني خيراً منها ، وصرت عضواً في مجلس الشورى فصار عضواً وسكرتيراً معاً وأخيراً بنيت بيتاً في السلامة بالطائف فجاء أمامي ووضع له أربعاً ، فهو يقلدني حتى في الملبس[1] . . .

علاقته بالآخرين

إن الاتصال بالحياة الاجتماعية والعملية يثري الفكر ، وينميه ، ويكون له رصيداً من التجارب الحياتية ، وحياة الغزاوي سجل حافل بالعلاقات الإنسانية التي أثرت في حياته الفكرية ، وكانت هذه العلاقات صورة حية واقعية لحياة مجتمعه من جوانب متعددة ، ولقد منَّ الله بهذه الروافد من العلاقات على رجل منتج أتحفنا بتجاربه لمدة سبعين عاماً ، فقد سجل في آثاره قيام وتكوين مجتمع ، وبناء نهضة ، وإننا هنا نعطي القارىء لمحة عن بعض علاقاته تلك : ـ

علاقته في دولة الاشراف :

لقد كان له اتصاله بقاضي القضاة الشيخ / عبد الله سراج ، وعن طريقه اتصل بمن يدير شؤون الحياة في إقليم الحجاز الملك حسين بن علي ، وكان له معرفة بالامور الخارجية المضطربة في ذلك الحين ، من ناحية الدولة التركية وضعفها وعلاقتها مع دولة الأشراف ، والاستقلال الذي أعلنه الشريف حسين ثم إعلان الثورة العربية الكبرى التي روج لها لذلك فمدحه الغزاوي ومن ذلك قوله :

إن الحسين مليك العرب منقذهم ... من سد مأرب حتى نهر زوراء
قد خصه ربه فاختاره ملكاً ... لخير شعب بإجماع وإيحاء

(١) الادب الحجازي الحديث ٣ : ١٢٢٨ د. إبراهيم الفوزان.
(٢) الفلاح السنة الخامسة العدد الثالث ص ٣ ـ ٢٦ محرم ١٣٤٢ هـ.

علاقته بالملك عبد العزيز :

ولما توحدت البلاد تحت قيادة الملك عبد العزيز رحمه الله ، خرج الغزاوي مع جماعة الحزب إلى الهند ، ولكنه لم يلبث إلا أشهراً معدودة ، حتى عاد إلى الحجاز ، واتصل بالملك عبد العزيز عام ١٣٤٥ هـ ومدحه بقصيدته الميمية التي مطلعها :

ألا لا تلمني اليوم أن اتكلما ... فإن فؤادي بالأسى قد تكلما
لعلي إذا أبثثت ما بي من ضنى ... أفرج عن قلبي الذي قد تجهما

وفيها يقول :

إمام الهدى لا زلت للدين موئلا ... يعز بك الإسلام والعرب والحمى
فسر في طريق الرشد تجني ثماره ... قريباً فقد ما فاز من تقدما

وقد صحب الغزاوي الملك عبد العزيز في مسيرة البناء لهذه البلاد فقد شهد وضع الأساس السياسي والفكري والاجتماعي والتعليمي لهذه المملكة الفتية وقد حضر المشاهد الوطنية واللقاءات الفكرية والإسلامية مع الملك عبد العزيز من ذلك المؤتمرات الإسلامية وتكريم وفود الحج والمناسبات الوطنية وسجل تلك الأحداث من عام ١٣٤٥ حتى عام ١٣٧٣ هـ حيث انتقل الملك عبد العزيز الى جوار ربه ، وقد حفلت جريدة أم القرى وصوت الحجاز بالآثار التي صورت تلك الفترة أكمل تصوير .

علاقته بالملك سعود :

وقد استمرت صلة الغزاوي بحاكمه وولاة أمره على نهجه الأول ، وظل وثيق الصلة بالملك سعود رحمه الله ، فيحضر مجالسه واستقبالاته وحفلاته ويشيد بأعماله التي أرساها مثل جامعة الملك سعود في الرياض والمصانع الحربية في الخرج وتوسعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد صحبه لافتتاح مشروع التوسعة ومن أقواله في الملك سعود قصيدته التي مطلعها :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مطالعكم في المشرقين (سعود) ورايـاتكم فـي الخـافـقيـن شهـود
فيـا حبذا (نجـد المكـارم) والعـلا فمـا كـل نجـد كيف كـان يسـود
«رياض» عليها من سنى الملك عاهله وفيهـا بـدور في الـدجى وأسـود
وفيهـا محـاريب الـعبـادة رحبـة ومـنهـم عـليـهـا ركـع وسـجـود

علاقته بالملك فيصل :

إن الملك عبـد العزيـز رحمه الله عهـد إلى ابنه فيصـل بولايـة الحجاز ، وإدارة شؤونه وأصبح نائباً له ، الأمر الذي غرس حب الفيصل في قلوب أهله ، وكان الغزاوي من أولئك الذين تـربطهم بـالفيصل روابط وثيقـة ، وهو يجـالسه ويحادثه ويصاحبه أضف إلى ذلك كون الغزاوي شغـل مناصب عليـا في الدولـة لهـا ارتبـاط مبـاشـر بنـائب الملك كمثـل مجلس الشـورى ، ورئيس المجلس البلدي ، وكـان الملك فيصل يشـرف عليهما إشـرافاً مبـاشراً فيحضـر جلسـات مجلس الشورى ويتابعها .

ولمـا توّج الملك فيصـل على البـلاد ظـل الغـزاوي مخلصـاً لـه ، وزاده إخـلاصاً المـواقف العالميـة التي وقفهـا الملك فيصـل من الأحـداث العـالميـة وخاصة احداث العالم الإسلامي ، حيث عمل على التضـامن الإسلامي ووحـد الصف العـربي مما جعـل له منـزلة خـاصة في نفـوس العـرب والمسلمين وقـد صحب الغزاوي المسيرة الفيصلية في بدايتها حتى نهايتهـا ، فمدحـه غازيـاً في اليمن ومدحه باني نهضة وباني تضامن إسلامي وباني وحدة عربية .

وكانت هذه الصحبة أكثر من أربعين عاماً سجل أحداثها الغزاوي بمـداده وببنات أفكاره ومن ذلك قوله[1] :

يـا أميـري فـداك نـفـسي إنـي لست أسـطيع في (الـوداع) نظيمـا

---

(١) صوت الحجاز ع ٤ ص ٤ في ١٣٥٠/١٢/٢٦هـ .

ومنها قوله :

قد بلوناك « قائداً » و« وزيرا » و« أميراً » و« نائباً » و« زعيما »
فوجدناك « حازماً » و« حكيما » و« كريماً و« عادلاً » و« رحيما »

وقال فيه أيضاً[1] :

وتناجيك ما استمعت قلوب لمس الوجد ، وجدها الأعماقا
شاخصات تروح فيك وتغدو سابحات ، وفي الهوى تتلاقى
تشهد المجد في بساطك طلقا حيث أقبلت والجلال نطاقا
وتوفيك بالولاء ـ ديونا باهظات ، ظننتها أوساقا

علاقته بالملك خالد :

ومن الملوك الذين حظي الغزاوي عندهم بمنزلة عالية الملك خالد رحمه الله وقد قدر للغزاوي مواقفه المشرفة ، وخدمته للدولة السعودية ، وأمر بالعناية به والرعاية له وظل الغزاوي محاطاً بالعطف الأبوي من الملك خالد حتى توفي فأمر جلالته بضم مكتبة الغزاوي إلى جامعة أم القرى .

علاقته الأخرى :

وكانت له اتصالات ولقاءات وصداقات مع كبار رجالات الدولة من أمراء آل سعود فالأمير / محمد بن عبد العزيز ، والملك / فهد حينما كان وزيراً للمعارف ووزيراً للداخلية ثم ولياً للعهد وله كثير من القصائد في الأمير/ عبد الله الفيصل الذي رعى الغزاوي واهتم بتراثه ، كما له صداقات مع كبار المفكرين من الأدباء السعوديين والعرب وهذه الاتصالات والتحاقه بالحياة العملية ، ومشاركاته بجهده الفكري والعملي في بناء النهضة لهذه البلاد المباركة ، وهذه العلاقات الودية برجال السياسة جعلته عالماً بأسرارها

---

(١) أم القرى ع ٨٨٨ ص ٤ الجمعة ١٥ ذي الحجة ١٣٦٠هـ ـ الموافق (٢) يناير ١٩٤٢ م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واتجاهاتها العالمية والداخلية الأمر الذي جعله مقدراً لجهود رجال السياسة معلناً ذلك على الملأ ، وكذلك له علاقة تعاون ومحبة وصداقة مع رجال الفكر في هذه المرحلة ، وله نفس العلاقة مع رجال العلم والأدب فكان من ثمرة هذه الاتصالات آثاره التي سجلت صوراً صادقة للحياة في فترة قيام هذه الدولة الفتية .

رحلاته

يبدو أن أول رحلة لأحمد الغزاوي خارج المملكة كانت في عام ١٣٤٢ هـ حينما سافر إلى السودان من اثر الحرب وقد مكث بعض الوقت في بورسودان ووصفها ثم سافر الى الهند ومكث فيها ثلاثة أشهر وعشرة أيام وقد اطلع على مجتمع الهند وغاباته وآثاره وكان له معارف وأصدقاء .

وقد صحب الملك عبد العزيز في زيارته لمصر عام ١٣٦٥ هـ وكان الملك قد سافر الى مصر وأرسل برقية إلى نائبه في الحجاز الامير / فيصل يطلب فيها بعث الغزاوي له، فلما أبدى الأمير فيصل تلك الرغبة للغزاوي قال له :

أنت تعلم خوفي من ركوب الطائرة فاعفني من ذلك فرد عليه الأمير فيصل لا بد من ذلك ولو كنت مكبلاً فذهب إلى مصر وكانت نهاية وحشته من الطائرة وفي مصر ألقى قصيدة في مدح الملك عبد العزيز والملك فاروق نشرتها الصحف المصرية وقد التقى أيضاً بأدبائها وعلمائها وشرب من ماء نيلها وتجول في ربوع معالمها وزار متاحفها. أما السودان فقد زارها تلبية لدعوة من برلمانها الذي احتفل بافتتاحه لأول مرة في عام ١٣٧٣ هـ وقد أعد البرلمان لضيوفه برنامجاً حافلاً بالزيارات التي أطلعتهم على الطبيعة الحية في السودان وخاصة في جنوبه حيث الغابات الكثيفة والحيوانات المتعددة الأجناس وسافر كذلك الى أريتريا ذات الطبيعة الجميلة والمناظر الخلابة قبل أن تدمرها الحروب وينعدم فيها الأمن والاستقرار .

ومن البلدان التي زارها اليمن الجنوبية فزار عدن ولحج واليمن الشمالي وحضرموت أما داخل المملكة فقد زار معظم اقاليمها فسافر الى نجد أكثر من ثلاث مرات عن طريق الخط البري قبل التمهيد والتعبيد وعانى من جراء ذلك الصعوبات والمشاق كما سافر الى شمال الحجاز بتكليف من الملك عبد العزيز ليكتب تقريراً عن أوضاع واحتياجات المناطق والإمارات .

أوسمتـــه

لقد منحه الملك حسين بن علي ثلاثة اوسمة : وسام النهضة الثالثة ووسام النهضة الرابعة ووسام الاستقلال ومنحه ملك مصر نيشان إسماعيل من الطبقة الثالثة ومنحه ملك الأفغان (محمد ظاهر شاه) وسام المعارف من الدرجة الثانية .

وحاز على أوسمة من الدرجة العالية من قبل الدولة السعودية وحاز على لقب شاعر الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٣٥١ هـ وسماه الملك عبد العزيز (حسان الملك عبد العزيز) وحاز على رتبة وزير مفوض من الدولة السعودية في عام ١٣٧٣ هـ وقد أهدى إليه ضيوف البلاد بعض الهدايا ومنها وسام المعارف من ملك أفغانستان (محمد ظاهر شاه) تقديراً لشعره وقد أشارت صحيفة البلاد إلى أن الغزاوي يحمل سبعة أوسمة من دول مختلفة وقد أوحى الوسام الأخير تجربة الشاعر / خالد الفرج فبعث بهذه الأبيات مهنئاً صديقه الغزاوي :

يا معيناً للشعر قد فاض كالبحر ... هيهات ينزح البحر غارف
وسجلاً لمجد كل مليك ... خالداً فيه من تليد وطارف
يا خلود يجزي عليه بفان ... «عبقري» والكل بالغبن عارف
أنت تعطيهم خلوداً يجازون ... عليه مراتباً ومطارف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لـك من شعـرك الشهيـر مقـام دون رتبته (وسام المعـارف)[1]

هدايا الملوك والامراء للغزاوي

أهدى الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية للغزاوي سيفاً ذهبياً كما أهدى له الملك سعود رحمه الله سيفاً مكتوباً على سلته بماء الذهب وأهدى إليه الملك فيصل رحمه الله حينما كان نائباً لجلالة الملك في الحجاز ساعة ذهبية وقلماً ذهبياً مكتوب عليه الإهداء وأهديت له ساعة ملكية من ملك المملكة الأردنية الهاشمية الملك حسين بن طلال حينما زار الرياض وقد تبادل الهدايا مع العلماء والأدباء والمفكرين السعوديين والعرب كما أهدوا إليه كتبهم ومؤلفاتهم ومنهم الأمير / عبد الله الفيصل الذي أهدى للغزاوي ديوانه محروم وتوجه بالإهداء والإمضاء وأهدى الدكتور عبد الوهاب عزام للغزاوي قلماً ذهبياً وأرفقه ببطاقة تحتوي على أبيات جميلة هي[2] : ـ

تنافست الأقلام في خط شاعر يضيء بأنوار المعاني سواده
تشفع منها واحد أن ازفه إليك ليحظى بالخلود مداده
فديتك فاقبله هدية صاحب وفيّ على الأيام باق وداده

مناصب الغزاوي

أحمد الغزاوي واحد من أولئك الذين أحبوا خدمة الوطن فالتحق بها وهو في السادسة عشرة من عمره وظل عاملاً مخلصاً لدينه ووطنه وأمته أكثر من ستين سنة ، وقد شغل وظائف ذات أهمية في عهد حكومة الملك حسين بن علي في مكة المكرمة وفي العهد السعودي من بعده .

(١) البلاد السعودية ع ٩٠٣ ص ٥ ٣٠ جمادى الثانية ١٣٦٩هـ .
(٢) حراء ع ٧٣ ص ٦ في ١٠/٨/١٣٧٧هـ.

أعماله في عهد الملك حسين :

لقد التحق أحمد ابراهيم الغزاوي بالخدمة الرسمية في الأعمال الحكومية في وزارة الأوقاف براتب ضئيل جداً وقد تحدث الغزاوي عن هذه الفترة فقال[1] :

(وتذكرت اختاً لهذه القصة سمعتها قبل نحو من ستين سنة من المرحوم مدير الأوقاف والحرم الشريف بمكة المكرمة الشيخ / محمد أمين (أما سيلي) رحمه الله سنة ١٣٣٤ هـ وكنت حينئذ أباشر وظيفة تافهة في إدارته أول عهدي بالخدمة وسني بعد لم يتجاوز السادسة عشر) وقد اشتهر في هذه الوظيفة بجمال خطه ومثابرته على العمل وحيويته المتدفقة مما دعا الشيخ عبد الله سراج رئيس القضاة أن يقدمه على غيره ، فجعله كاتباً في ديوانه منذ غرة محرم عام ١٣٣٥ هـ ولم يلبث أن حظي بثقة رئيس القضاة فجعله نائباً له في امور كثيرة ، وخاصة أموره المالية التي تحتاج إلى كتابات كالرواتب والأمانات التي تخص المحاكم وقد وجدت في أوراقه الخاصة نماذج من الكتابات التي تخص ميزانية بلدية مكة والضرائب التي تحصل عليه ، وحسابات الواردات والمصاريف ومقدار دخلها واطلعت على اوراق مدونة بخط يديه وعليها إمضاء أشخاص تم استلامهم لحقوقهم ، ويطلق عليه في هذه الأوراق (نائب رئيس ديوان حجة الأمة مولانا قاضي القضاة) .

وأول هذه الأوراق مؤرخ في عام ١٣٣٧ هـ وظل مستمراً في هذه الوظيفة حتى عام ١٣٤١هـ حيث وكل برئاسة ديوان رئيس القضاة ، ثم عين سكرتيراً لمجلس الشورى والخلافة في عهد الملك حسين .

مناصبه في العهد السعودي :

وعندما توحدت البلاد تحت ظلال العهد السعودي كان الغزاوي في

---

(١) المنهل المجلد ٣٤ ـ رجب ١٣٩٣هـ ص ٤٣٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ريعان شبابه وفي أوج عطائه العلمي والفكري والبلاد في أشد الحاجة إليه وإلى أمثاله ، وأتاح لهم الملك عبد العزيز الفرصة كي يخدموا دينهم ووطنهم وأمتهم في كل حقل من حقول العمل ، وكان الغزاوي ذا خبرة بشؤون القضاء ، وإدارة أعماله لذا عينه الملك في رئاسة ديوان القضاء الذي غير مسماه من ديوان قاضي القضاة في عهد الملك حسين إلى رئاسة القضاء في العهد السعودي وذلك في أواخر عام ١٣٤٤ هـ وكان يرأسه الشيخ / عبد الله بن سليمان بن بلهيد الذي ولاه الملك عبد العزيز رئاسة القضاء حتى توفي رحمه الله في مكة المكرمة وقد عثرت على نماذج من كتابات الغزاوي لأمور مصرفية تخص الشيخ / ابن بلهيد ثم عين مساعداً لمدير الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة بعد أن تأسست في عام ١٣٤٥ هـ وتعتبر هذه الوظيفة من أهم الوظائف في مديرية المعارف في ذلك الحين ونظراً لاشتهاره بالكتابة الصحفية وإجادته اللغة العربية فقد أوكل إليه الملك عبد العزيز تحرير جريدة أم القرى ، ثم تحرير صوت الحجاز ، ومجلة الإصلاح وهذه الوظائف أكسبته خبرة لا يستهان بها من حيث إدارة الأعمال أو التحريرات والكتابات الأدبية والاجتماعية الأمر الذي أدى إلى نجاح الغزاوي في الأعمال الرسمية وسعة أفقه فيها .

وكان الغزاوي أول رجل عرض عليه منصب مدير الإذاعة السعودية حين تأسيسها ولكنه رفض ذلك وقد ترقى في درجات الوظائف الإدارية حتى بلغ القمة وكان آخرها وزير مفوض من الدرجة الأولى الفخرية وقد صدر بذلك المرسوم التالي :

« نحن سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية تقديراً للمجهود الذي قام ويقوم به الشيخ / أحمد ابراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى الحالي وتشجيعاً لامثاله من الرجال العالمين فقد أمرنا بأنه توجه إليه مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى الفخرية فعلى رئيس مجلس الوزراء إنفاذ أمرنا هذا بإبلاغه إليه ونشره والله ولي التوفيق ـ التوقيع الملكي (سعود) .

الغزاوي والإذاعة :

لقد ذكر هاشم الزوادي أن الغزاوى عين عام ١٣٦٨[١] هـ أول مدير للاذاعة السعودية بأمر ملكي واستمر في عمله ستة أشهر ثم ترك العمل بينما ذكر طاهر الزمخشري أنه عرض عليه المنصب ورفضه وأغلب الظن أن الغزاوي استمر في عمله ستة أشهر في مرحلة تكوين الإذاعة ولكنه إعتزل قبل افتتاحها في ١٣٦٨/١٢/٩ هـ .

الغزاوي ومجلس الشورى : -

من الأعمال الجليلة التي قام بها الغزاوي وظائفه داخل مجلس الشورى ، وقد صحب فيه رجالات الدولة من الملوك والقادة الامراء والعلماء ورجال الفكر الذين التحقوا بمجلس الشورى والذين ساهموا في بناء النهضة ووضع أنظمة الدولة ومنهم الشيخ / صالح شطا والشريف رضا ومحمد الفضل وعبد القادر الشيبي ومحمد صالح نصيف ومحمد سعيد العمودي ومحمد البياري وأحمد العربي وأحمد شطا وأحمد محمد جمال وهاشم يوسف زواوي وصادق دحلان .

ومن هذه النخبة من رجال المجتمع كونت اللجان التي وضعت الأنظمة الرئيسية للدولة إبان نشأتها فقد كان مجلس الشورى هو الوحدة الاستشارية الرسمية التي تتولى دراسة الانظمة واصدارها عن طريق اللجان المختصة داخل المجلس كلجنة الإدارة ولجنة الأنظمة ولجنة المالية ، ومهمة هذه اللجان استقبال القضايا المحولة لها من ادارة رئاسة المجلس ثم يدرس التقرير في جلسة عامة يتطارح الحضور الموضوع من جميع جوانبه ويتم توقيعه منهم ثم يرفع للمقام السامي وقد صحب الغزاوي مسيرة مجلس الشورى لأكثر من ثلاثين

---

(١) الجزيرة ع ٤٤٢٥ حتى ١٦ صفر ١٤٠٥ هـ الموافق ٩ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٨٤ مقابلة اذاعية مع هاشم الزواوي.

(٢) سمعتها في مقابلة اذاعية مع هاشم الزواوي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عاماً فكان عالماً ومرجعاً في قوانين الدولة السعودية، حيث شارك في صياغة معظمها وكان التحاقه بمجلس الشورى إدارياً حيث عين سكرتيراً للمجلس ، ثم عين عضواً إلى جانب قيامه بالسكرتارية ، فجمع بين الأعمال الإدارية والنقاش والحوار والأمور الأساسية في المجلس ، ثم عين نائباً ثانياً للرئيس في المجلس واستمر في عمله يشده حب الوطن وخدمته فكان اكثر أهل المجلس حضوراً وتقيداً بالجلسات وحاز على ثقة الملك فيصل حينما كان نائباً للملك في الحجاز مما جعله في مقدمة المرشحين لما توفي رئيس مجلس الشورى الشيخ / صالح شطا لذلك رشح لان يكون نائب الرئيس في عام ١٣٧٣ هـ واستمر في شغل هذا المنصب حتى توفي رحمه الله ، وقد شغل ذلك المنصب لمدة تسعة وعشرين عاماً ، كان خلالها حلقة الاتصال بين المجلس ورئيسه الأعلى الذي هو رجل الدولة الأول الملك أو من ينوب عنه ، وكثيراً ما يرأس الاجتماع نائب الحجاز الأمير / فيصل نيابة عن أبيه فاذا لم يحضر الملك أو نائبه الجلسات ، فإن الغزاوي هو الذي يعد التقرير ويرفعه إلى المقام السامي ، ويعرض ما دار من حوار ونقاش ويحاور الملك أو نائبه في الأمور التي صدرت ، وكان الغزاوي اللسان الناطق للمجلس الذي يتحدث في المناسبات الوطنية ويقوم بجولات استطلاعية في مدن المملكة وقد مثل المجلس أيضاً في مؤتمرات دولية كما حدث في السودان وقد تبادل الرسائل والبرقيات مع الملوك والأمراء وولاة العهد وأصحاب الشأن وكانت تذيل بامضاء الغزاوي وقد دونت جلها الصحف المحلية ، وتلك امور أكسبت الغزاوي خبرة عريضة في شؤون الدولة وانظمتها وقد قدرت الدولة جهوده ومواقفه وانجازاته فمنحته رتبة وزير مفوض في دولة المملكة العربية السعودية من الدرجة الأولى عام ١٣٧٣ هـ .

ومن الوظائف التي شغلها أحمد الغزاوي في العهد السعودي توليته لرئاسة لجنة الحج العليا نيفاً وعامين في عام ١٣٥١هـ وعام ١٣٥٢هـ وقد كانت له علاقة واتصالات مع كل الدوائر الحكومية التي لها علاقة بخدمة الحجاج في مكة المكرمة ومن الوظائف التي قام بها ايضاً رئاسته للمجلس البلدي . بالنيابة عن طريق الانتخابات العامة وقد أبدى الكثير من المقترحات على البلدية وأمانة

العاصمة من عمل ميادين وأنظمة جديدة وتغيير مسميات أخذ بأكثرها من ذلك :

مثل اقتراحه بتغيير اسم (حوض البقر) الى العزيزية التي تعتبر من أرقى أحياء مكة .

وكذلك عمل في عضوية لجنة التعويض والتنسيق والتقاعد بوزارة المالية وكذلك عضواً في لجنة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين ثم هو أحد مؤسسي جمعية الإسعاف الخيرية المتشعبة الأهداف الاجتماعية .

أسلوبه في الحياة

لقد كان الغزاوي يأتمر بأمر والده لأن رب الأسرة له دوره الفعال فلا خروج من المنزل ولا سفر إلا بعد الاستئذان منه وكثيراً ما يصحب الغزاوي أباه في أعماله وزياراته لأعيان البلد من التجار والعلماء . ولما توفي والده وقد شب الغزاوي عن الطوق ، أخذ يسير على نهج من سيرة الشباب الواعي الذي يمتطي سفينة الجد في معترك الحياة ، ويروح عن النفس فإن القلوب تمل ، فهو يعمل في نهاره أعمالاً حكومية صرفة أما اذا جن الليل فانه يقترن بطبقات المجتمع في مجالسهم ومجالسه ، ويشاركهم ندواتهم واحتفالاتهم ومسامراتهم وولائمهم ، ويحذو حذو عاداتهم وينتقد بعض الهفوات في تلك العادات من مثل تأخير موعد الولائم وعدم التقيد الدقيق بالمواعيد وتحديدها وقد أولع صاحبنا بالنزهة والمنتزهات وبالصحاب وبالرفاق وبالوقوف على الجبال والشعاب ، وملىء عينيه بالغيث والغمام والأعشاب وشنف أذنيه بتغريد الطيور والعصافير الجميلة .

وأغرم بالرحلات مع أصدقائه (بشكته) ومن بينهم أهل الظرف والظرفاء وكذلك أهل الأدب. فيجتمع عدد منهم ممن يأنسون ببعضهم ويخرجون لأجمل المناطق وهناك يتأنقون في الطهي وصنع الأطباق الشهية وقد أطال الحديث عن هذه الرحلات والنزهات فوصفها في المطالعات والمختارات والشذرات وأشعاره أيضاً ومما قاله عنها :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« وكنا في عنفوان الصبا وإبان الحرب العظمى الأولى ما بين عامي ١٣٣٥ / ١٣٣٦ هـ نرتاده في الامسيات مشياً على الأقدام . . ابتداء من (أجياد) فالصفا فالقشاشية فالغزوة فشعب عامر ، فالمعابدة فالأبطح ، ثم إلى العدل بعد السد الى (خريق العشر) ثم الى الزاهر ، أو الشهداء ، وتبدأ هذه الرحلة من الساعة التاسعة أو العاشرة أصيلاً وتنتهي قبيل المغرب ، ومنا أو أكثرنا من هو بلباسه الرسمي (الجبة والشاية والعمامة) و(بالشمسية) أحياناً فاذا ما خرجنا من محيط العمران . . تبادلنا القفز والنقر والجري والعدو (بسكون الدال) وتسابقنا بمقدار ما يحمل الشباب من حيوية دافقة .

وهناك نقيم العشاء ، ونسمر إلى أن يطيب السمر ، ونعود إلى منازلنا عن طريق أبي لهب بين دعابات ومفاكهات ، ومجارير ومجسات ، وما كان ذلك عجزاً عن الركوب ولكنه الحرص على الوثوب ، والسعي والركض والدؤوب» . تلك كانت الطريقة التي يقضي بها وقته فتلحظ معي أن رحلاته ومنتزهاته تقرب من مكة أو في أطرافها وذلك لصغر سنه ، وقلة المواصلات وضيق ذات اليد ، ولكننا نراه لا يترك هذه العادة بعد أن امتطى العربات ومهدت الطرقات ، وأصبحت لديه القدرة المادية ، فقد آثر وطنه على غيره فتنقل بين ربوع الطائف وبين أشجارها الزاهية وينابيعها المتدفقة وهوائها اللطيف ، وقد حدد تلك الفترة التي تعلقت بنفسه وأحس بجمالها بعد فراقها بين عامي ١٣٤٩ هـ حتى عام ١٣٧٢ هـ وهي تمثل القوة والفتوة والقدرة الجسمية والإحساس بالمناظر الطبيعية لبعدها عن الشيخوخة وأثقالها وقد حدثنا عن تلك المرحلة من حياته بقوله :

« كنت خلال اصطيافي السنوي المتوالي بمدينة (الطائف) نحو من ثلاثين عاماً أتخير في العشيات (مكاناً) عالياً يتوسط محلتي (السلامة) و(المثناة) وهو (ربوة) أو جبيل يقع على يمين السائر الى المثناة ، من بطن قروة ويشرف على كل ما حوله من الحدائق والبساتين ، ويفصل بينه وبين جبل (السكارى) واد يبدأ من (بئر عجلان) وتتأود أمامه مباشرة غروس ميادة مياسة من شجر الخوخ وغيره ،

---

(١) المنهل السنة ٣٢ مجلد ٢٨ جمادى الثانية ١٣٨٧هـ ص ٦٠٦ .

وتنبسط ركبان (البرسيم الأخضر . . الهفهاف) من كل الجوانب وكنت قد حاولت أن اجتازه بالتملك والتحكير . . ولم يأذن الله بذلك وكان في ذروته . . مقعد صخري طبيعي منحوت في أصل الصخر ، أتمكن فيه من الاتكاء والاستناد ، من جوانبه الثلاث غير واجهته وكأنما هو كرسي ممهد للجلوس واحسبه ما يزال باقياً كما هو حتى الآن وهناك قضيت أمسيات ذات ذكريات وقيلات وسمرات ، بين الطرف والتحف وكل ما حوله ينضح بالبشر والحبور . . وكان أكثر ما استمتعنا بذلك . . بين عامي ١٣٤٩ هـ ـ ١٣٧٢ هـ ثم طوى البساط ولم يقدر لي بعد ذلك الاصطياف الطويل مع الحسرة والندم ، وافتقدت جلّ من كان معي من الرفاق والأصدقاء وسبحان من له الدوام جل وعلا .

والغزاوي من أولئك الرجال الذين يسيرون في الحياة على نهج منظم في منازلهم وفي أعمالهم الحكومية فيعمل التنظيم ويراقبه وتؤلمه الفوضى وقد كان أمره مطاعاً ، ونداؤه مستجاباً في ريعان شبابه وكهولته ، فهو نافذ الأمر ولكن يبدو أن الامر طرأ عليه التهاون حينما دبت الشيخوخة للغزاوي فتجرأ عليه الخادم ، وعصى أمره الأقارب ، وفقد القدرة على أن يقوم بأعماله وهو يصور تلك الحالة التي سئم منها في قصيدته التي بعنوان (تباريح) :

فطرت على الأناقة وهي مني ... تمنع في الحديث . . وفي الاثاث
وليس يغيظني ـ فيما أراه ... سوى الفوضى تنم عن التياث
ولا ارتاح إلا حين ـ ألقى ... أموري تستقيم ـ بدون غاث
وكم حاولتها عبثاً ـ (قواما) ... وتأبى غير . . طيش . وانبثاث

* * *

بذلك عشت في رهق عظيم ... ومالي منه ـ يوماً ـ من غياث
هي الدنيا ـ تخادع كل غر ... وتهزأ بالرجال ـ وبالإناث
تروض كل ذي بطش شديد ... وتملي . . في التدهور والخباث
خيال كلها ـ إلا (يقين) ... و(إيمان) بيوم الابتعاث

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عجبت لها . . تناوؤني كأني ... بمنطقها ـ أعاقب بارتياثي
وتفرط في النكاية ـ وهي حمقى ... وتبلوني ـ بأخلاق ـ رثاث

* * *

فأما أن أكون هديت وحدي ... وضل الناس في هذا (التراث) . .
واما أنهم كانوا ـ جميعاً ... (ضراغمة) وكنت من البغاث
سواء عندهم غزل ـ وغزل ... وسيان ـ المدائح ـ والمراثي
وما السلوى لديهم غير ما هم ... عليه ـ دونما اي اكتراث
همو لم يعبأوا حسا ، ومعنى ... بما أشجى به من كل عاث
ولو هم أحسنوا فيها صنيعاً ... لما وهنوا ـ بضعف وانتكاث
وما لي (حيلة) فيها ـ ولكن ... هي (التقوى) فما لي واللهاث

وقد اخذ يصور لنا حياته في سنيه الأخيرة مسجلاً فيها عمره وما يحدث له في هذه السنين ، من فقد الأحبة ، وعدوان الأحداث من اقاربه ، والآلام والأسقام ، وطيش الأقارب فيرسل آهاته وزفراته المشتعلة ولكنه يعالجها بحكمة المسلم الواعي الصابر الملتجىء إلى الله وقد مثل لنا هذه الحالة حينما بلغ الخامسة والستين من عمره فقال[1] :

برغمي ، أني ما برحت مقطباً ... وقلبي (مفطور) ، وعقلي حائر
وما خلقي إلا (البشاشة) فطره ... والا (ابتغاء الخير) فيه ابادر
ظللت على هذين (ستين) حجة ... وخمساً ، .وأشلائي بها تتناثر

* * *

(حفائظ أحقاد) و(فقد أحبة) ... و(عدوان أحداث) بها الغدر جائر
و(آلام أسقام) و(طيش اقارب) ... و(أطلال أقران) دحتها الاعاصر

---

(١) المنهل السنة ٣٠ ـ مجلد (٢٥) ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ ص ٢٥٠ .

مضى جلهم عني ـ وأصبحت بعدهم تؤرقني ـ أشباحهم ، والمقابر
اولئك (إخواني) الذين اصطفيتهم وهيهات منهم أن ينال التدابر

* * *

تنكرت (الأخلاق) لولا (بقية) بها أتباهى في الورى وأفاخر
وأكبر فيها (المكرمات) سجية وفي ضوئها الهادي تضيء الدياجر
كلفت بها منذ (اليفاعة) والصبا وروضي فواح ، وغصني ناضر
يشع بها (النادي) ويأتلف (النهي) ويستلهم التحليق من هو شاعر
هي (الواحة) الخضراءفي المهمةالذي تضل به الأرياح ـ وهي صراصر
تجافي عن (الضراء) مهما تنمرت وتهفو إلى (السراء) ـ وهي سرائر
أعيش (حياتي) ما بقيت مصلياً عليهم و(بالذكرى) بهم أتعاشر
وأعجب ما أصلي به ـ وبناره (صنائع معروف) بهن أضارر
وأني مكبوت ـ وماءمن جريمة سوى أنني أسخو بما أنا قادر
وأرحم من يقسو علي ـ تقرباً إلى الله ، مهما جشمتني الجرائر
وأعلم أن الله عدل قضاؤه وأني مهما أسرف الجهل عاذر
ولو كنت جواظاً ـ ولو كنت ظالما اذن لتحاماني (الأذى) وهو صاغر . .
ولكنني ـ والعمر ـ ما امتد ساعة أكافح في ظل الهدى واصابر

* * *

وما هذه الدنيا وان هي زخرفت سوى معبر ، والمرء لله صائر
تبرج أحياناً ، وتسقى (علاقماً) ويغتر فيها الساخر ، المتجاهر
وأفضل ما فيها (ادخار) لموعد هو الحق كل الحق ـ ليس يكابر
و«لله» مني جانب لا أضيعه وذلك ما أرجوه ، و(العرض) وافر

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يتبعها بقصيدة أخرى لما بلغ عمره ستاً وستين سنة تكون أشمل لتصوير حالته في حياته عامة ولكني إخالها تصدق أكثر على حالته في هذا العمر ولكن نظراته تغير للغابر والحاضر معاً :

(ستون حولاً) . . وستاً بعدها فرطت ... وكلها (كبد) أو جلها (محن)
شربت فيها (مراراً) واصطليت بها ... نار الاذى . .والقذى. . واشتفني الوهم
في وحدة هي لا أزر ولا عضد ... إنما هي شجو أو هي الشجن
شققت فيها (طريقي) بين (أودية) ... يضل فيها النهي والرأي يفتتن
وما استعنت بغير الله يلهمني ... رشدي ، ويغمرني من فضله المنن[1]

ومعلوم أن أولاد الغزاوي كلهم إناث وليس له بنين مما جعله يتحسر بصفة مستديمة وتظهر في شعره ويرمز لها (بالوحدة) .

في وحدة هي لا أزر ولا عضد ... انما هي شجو أو هي الشجن

ان هذه القصائد تمثل جانباً مقبولاً من حياة الرجل التي أحاطها بنوع من الكتمان مع معاصرته ومع قربه استطاع أن يبني أسواراً على خصائص حياته التي عاشها في سنيه الأخيرة وخاصة بعد عام ١٣٨٠ هـ فقد شعر الرجل بتقدم السن وانفض من حوله أحبابه فقد تزوجت بناته ولم يبق في البيت الا هو وزوجته ومن يخدمهما فأحس بالوحشة والعزلة والوحدة ولم يغن المال الكثير الذي يملكه شيئاً ـ فعندما توفي قدرت أملاكه وأمواله بخمسين مليون ريال ـ بل ان هذا المال كان من عوامل الشقاء بالنسبة له فكان سبباً في تنافس ابنتيه الوحيدتين وأسرته من حوله على هذا المال . . وربما اعتقد هو نفسه ان احترام الناس حوله وتقديرهم له منصب على هذه الثروة ويعود لهذا المال مما أوجد حاجزاً من الجفاء وعدم الثقة بينه وبينهم وقد أخبرني أحد أقاربه بأنه أراد أن يتزوج لكي ينجب ذكوراً فاعترض على ذلك ابنتاه ومن أجل رضائهما لم يفعل . . ولما توفيت زوجته أصرا على ذلك أيضاً فعاش سنيه الأخيرة في ضائقة ووحدة شديدتين وصراع نفسي مرير فاجتمع المرض الجسمي والنفسي وكونا لديه انهياراً عصبياً . . . وقد سجل لنا هذه الحالة النفسية والحياة

التي عاشها والتي تحفها المكدرات والمزعجات والمنغصات من أشخاص قدم لهم الحب والود والعون والنصح وبذل لهم كل ما يملك فقوبل ذلك بالنكران والقطيعة التامة من أقرب المقربين له بل رموه بالخور والضعف والجبن ، واستهان به كل من حوله وهو يكتم ذلك ولكنه يودي به الى الداء العضال والانهيار العصبي . . وقد كتب هذه الشذرة التي تصور تلك الحياة أكمل تصوير . . . وأتركك تعيش معه في هذه الحالة النفسية فأنقل اليك النص كاملاً فهو أكمل تصوير لهذه السيرة الذاتية في حياة الشاعر الأخيرة . . . قال : ١٠٣٧ ـ ثمن المثالية : ـ

قال لي صاحبي : ما هذا ، كيف أصنع ؟ لقد ضاق ذرعي ونفد صبري وأعياني الاحتمال .

قلت : ما بك يا أخي ؟ قال :

وبي كل ما يبكي العيون أقله وان كنت منه دائماً أتبسم

ألا ترى ما ألاقي من مكدرات ومزعجات ، ومنغصات ، ؟ وما والله أجد في نفسي لأحد ، أو أضمرت له شراً ، وأشعر بأنني في براءة الطفل سلامة النية ، وابتغاء خير ، واتقاء شر ومصانعة صديق ، ومؤنسة مستوحش ، واكرام زائر ومداراة جاهل ، ومجاهدة نفس واعانة محتاج ومواساة مكروب . . وأحاول جهدي أن أكون كما يجب أن يعيش (المسلم) الحق . . وأن أكون ممن سلم المسلمون من يده ولسانه وربما آثرت في غبطة واحتملت على مضض ودفعت السيئة بالحسنة ، لا زعماً ولا وهماً ، وانما اعتقاداً ، بأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يُرَى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وان من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سيجعل لي من كل هم فرجاً ومن كل ضيق وكرب مخرجاً . . .

كل ذلك أعرفه ولا أنكره من تصرفاتي ، مع الاطمئنان الى أنها ائتمار بالمعروف وانتهاء عن المنكر . . وما زلت أرى (الطلاقة والاستبشار والتفاؤل الحسن وحسن المعاشرة والصفح عن الزلة من أعظم ما يتمتع به ذوو القلب السليم . . . وأورد مع الشاعر العربي الصميم :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وأجد لذة كبرى في التفكر والتمعن في الحديث النبوي الشريف (صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك) وأروض نفسي على ذلك ما استطعت وأتوخى أن لا أسيء الى الناس بلفظ أو بلحظ ان لم استطع أن احسن اليهم . . فماذا لقيت ؟ لا أريد أن اسهب في ذلك . . فقد رميت بالخور وبالضعف والجبن . . وبالخوف والرياء . . واستهان بي الأجراء . . ولم أسلم من السفهاء . . وأوذيت حتى انتهى بي الاحتمال الى الداء العياء ، والكبت الى الاحتراق والانطواء ، وانهارت أعصابي وتمزق اهابي ، وصرت الى حال تستحق الرحمة حتى من قساة القلوب . . وما أزعم أنني أخلو من النقائص والعيوب والأخطاء والذنوب فذلك مما لا يسلم منه أبناء آدم وحواء الا من عصمه الله ورحمه . . .

ثم قال مستطرداً : وكذلك رأيتني بهذه المثالية أو الطيبة أو السذاجة بين شقي الرحى ، فأما أن أندفع من التيار الجارف (والى حيث ألقت رحلها أم قشعم) أو أن استكمل ما بقي لي من العمر الى الأجل المحتوم وبين عيني ما سبق أن أنشده الشاعر المكظوم :

ومكلف الأيام ضد طباعها متكلف في الماء جذوة نار

وان كنت أراه قد أحسن ظنه كثيراً بالايام فجعلها كالماء تمثيلاً وهو (الحياة) لكل ذي كبد حرى . .

وهنا أنا ذا في موقف لا أحسد عليه هدف لكل رام وذام . . .

قلت : رويدك يا أخي أراك شديد التبرم والتألم مما تعاني وأنت على ثقة من ربك وانك الى الخير أقرب وبالسلامة والمسالمة أحفل وأطلب ، وكأنك قد نسيت أن صفوة خلق الله من الرسل والانبياء والصالحين والأتقياء لم يغادروا هذه الدنيا حتى امتحنوا بما زاغت به الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وابتلوا بما لا يصبر عليه الا عباده المخلصون ألم تقرأ قوله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ الٓمٓ ، أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾[1] .

فما عليك . . . وأنت من البشر ولك من السيئات ما ربما استصغرته وهو عند الله عظيم الا أن تؤمن بأن ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[2] وان من المصائب ما تكفر به الذنوب أو ترفع به الدرجات، وأنت في ذلك بين هذين وليس لك من الأمر شيء فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وأحسن كما أحسن الله اليك﴾[3] ولا يغرنك ما ترى من هوس أو إفك أو ضلال أو شذوذ أو تهور أو غرور أو مكر أو خديعة فان ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[4] ﴿ واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواء الذين لا يعقلون واستغفر لذنبك واتق الله ما استطعت ﴾[5] وحسبك ان تتلو قوله تعالى . . . :

﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾[6] . . .

(وسل الله العافية، فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين . . ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الأمور) . .

وهنا ـ رفع صاحبي يديه ـ الى السماء وقال : اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انصرف قانعاً راضياً يحمد الله ويسأله المغفرة والرضوان .

وترى أنه كتب هذه الحال في عام ١٣٨٩هـ . . .وعاش بعدها احدى عشر سنة وكانت أشد فتكاً به وألماً وضراوة ، وعصياناً ، وهجراناً ، وغمزاً ولمزاً عليه وطعناً في مقدرته العقلية واستهجاناً لفكره وأعماله وآرائه ثم زاد الطين بلة في وفاة زوجته فأصبح وحيداً عاجزاً معتزلاً منفرداً بهمومه وأحزانه وآلامه بل انها تجد من يشعلها عليه من أولئك الذين زرعهم ونما الحب لهم في قلبه فخابت آماله وظل كسيراً جريحاً يتألم ويتأوه ولا يخفف من ذلك الا الايمان الذي في قلب الرجل واحتساب أجره الى الله العلي القدير وظل هذا الوضع يزداد يوماً بعد يوم حتى اشتد

(*) المصدر : المنهل ١٣٨٩ هـ . .

(١) العنكبوت ، ١، ٢ ، ٣ .
(٢) النساء ٧٩ .
(٣) القصص ٧٧ .
(٤) الزلزلة ٧ ، ٨ .
(٥) الشورى ١٥ .
(٦) الزخرف ٣٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المرض عليه وأقعده في داره أياماً وأصيب بانهيار عصبي أثر على لسانه فعجز عن الكلام قبل وفاته بثلاثة أيام . . . .

وفـــاتـــه :

لقد استمرت حياة الغزاوي الحافلة بين البحث عن كل جديد والالتقاء بالقمة وعليه القوم وبين أعماله في مجلس الشورى وظل شعلة من النشاط حتى بدأت تدب فيه الأمراض ، وعاجله مرض المفاصل الذي أطال منه الشكوى ، ومع ذلك استمر يكتب ويقتني الكتب ويبحث عن المطبوعات الجديدة ومن هذا القبيل مراسلاته مع الدكتور[1] / محمد بن سعد بن حسين الذي كان يواصل دراسته للدكتوراه في القاهرة فقد ارسل له الغزاوي في إحدى مكاتباته يطلب اليه الاجزاء الأخيرة من كتاب (نهاية الارب) ومع هذه العزيمة الجبارة أخذت الشعلة تذبل في هذا الرجل المعطاء في عمله وعقله حتى كان الأمر الذي أثقل كاهله وأشعره بالوحدة في هذا الكون ذلك هو وفاة زوجته في عام ١٣٩٩[2] هـ فأحسن بالوحشة من بعدها وفقد الأنيس والرفيق وتفرق عنه الأصحاب وتشاغل عنه الأقرباء والأرحام وتكالبت عليه الأمراض ومما قاله مصوراً هذه الحالة[3] : ـ

اذهب السقم يـا لقومي (حمـاسي) ... ووهت صحتي ، بـشتى المـآسـي
وتـجـرعـت مـن زمـانـي كـؤوسـاً ... هي في مهجتي . . كحز المـواسي
وافتقـدت (الصـديق) الا قـليـلاً ... حيث غاض (الوفـا) وعز المـواسي
غيـر أن الفـرقـان بـالصبـر وصى ... وبـه اهتـدي . . ومنـه اقتبـاسـي

واستمرت هذه الحالة حتى وافاه الأجل الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة الأحد (٢٢) جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ وقد صلى عليه في الحرم المكي واشترك

(١) روى لي ذلك الدكتور/ محمد بن سعد بن حسين مشافهة .
(٢) المنهل ـ مجلد ٤٠ رجب ١٣٩٩هـ .
(٣) المنهل السنة ٣٧ مجلد ٣٢ شوال ١٣٩١هـ نوفمبر / ديسمبر ١٩٧١ ص ١٠٨٤ .

في تشييع جنازته جمهور كبير من العلماء والوجهاء والأدباء والمواطنين ودفن في مكة المكرمة في مقبرة المعلى يوم الأحد .

وقد رثاه الشعراء وكبار الكتاب في المملكة وخارجها بكلمات تحدثت عن حياته الحافلة بالأعمال الأدبية والشعرية ومنهم الاديب / عبد القدوس الانصاري رحمه الله والشيخ عثمان الصالح وحسن عبد الحق قزاز ومحمود عارف . . وغيرهم وقد رثاه الشعراء أيضاً ومنهم أحمد عبد السلام غالي الذي قال فيه :

شاعر نبض قلبه في لهاته ... فسل الكون عن صدر نبراته
شاعر رافق الزمان طويلاً ... فحباه الزمان فيض عطاته
شاعر فتق المعاني فجاءت ... كنضار الربيع في بسماته
شاعر ، ناثر ، أديب ، أريب ... فتمل الطريف من « شذراته »
هي كالتبر إن أردت سمواً ... وهي كالطيب فاح من زهراته
شاعر سار في طريق المعالي ... فدعته تعتز في خطواته
ورقي من مناصب العز ماشا ... وكان السباق في أعطياته
إن سألت الشورى أجابت : أصيخوا ... لكمال الآراء في كلماته
عبقري في كل أمر أتاه ... وتراه الأبي في وقفاته
شاعر والملوك تصغي إليه ... كرم القول مشرقاً في سماته
كم وسام قد حازه لم يزده ... غير نبل ينم عن درجاته
إن شدا « احمد » فإن القوافي ... طيعات تنساب في أبياته
«احمد» راد كل روض من الفكر ... ونال الشهي في ثمراته
وبها جاد كالغمام نميراً ... قم نعب النمير من ديماته
بحتري الأداء ينداح في السمع ... لحوناً تشوق من نغماته
تارة يبدي النسيج وحيناً ... حكم تستفيض من تجرباته
حكم خلتها عطاء أبي الطيب ... في دفقه وفي وثباته

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عـاش دهـراً يسقي غـراساً ويلقى موسم الخصب من جنى غـرساتـه

* * *

يـا لـطيب التـراث يخلد في الـدهـر ويـبقـى الـنبـوغ نـفـح هـبـاتـه
كان «صوت الحجاز» صوت ديار العرب صـوت الإسـلام فـي أمـنـيـاتاته
كـان (عبد العـزيز) يـدعوه حسـانـاً وحـسـان قـمـة فـي صـفـاتـه
فـكـفـاه فـخـراً ثـنـاء مـلوك عـرفـوا قـدره وصـدق صـلاتـه
ومضى «احـمـد» وثـارت شجـون وغـرقـنـا نعيش في ذكـريـاتـه
وعـلا صـوتـه يـدافـع عـنـهـا رب قـول أصـمـى فـؤد عـداتـه
وسـلاح الـجـهـاد سـيـف وقـول يـنـشـر الـحق رافـعـاً رايـاتـه
فـاشهـدوا للفقيـد كـان سـخيـاً فـي جـهـاد وشـد أزر دعـاتـه
واشهـدوا وجـوده من الأدب السمـ ـح من الشعـر من نـدى لمسـاتـه

* * *

طـاب ذكـراً كمـا تسامى مقـامـاً يحفظ الـذكـر من غـدا من رواتـه
وتـمـر الأيـام يـبـقـى نـشـيـداً في فم الـدهـر في صـدى أغنياتـه
ويـظل الـرواد يـحـسـون فـكـراً مـن مـعـيـن الآداب مـن دفـقـاتـه

* * *

رحـم الله شـاعـراً كـان فـذاً وحـبـاه الـرفـيـع مـن جـنـاتـه[1]

وقد رثاه الشاعر ابراهيم خليل علاف بقصيدة طويلة في الذكرى الثانية لوفاته صدرت في الندوة[2] وهي تلخيص لحياة الرجل ومنازله في مكة المكرمة ، وتعداد

---

(١) المنهل جمادى الآخرة ١٤٠١هـ .

(٢) الندوة العدد ٧٣٢٥ الاثنين ٢٨ / جمادي الثانية ١٤٠٣هـ.

أوصافه الجسمية والنفسية وتدوين لتاريخه ، وتحدثت عن مكانته العلمية والأدبية ومنزلته الاجتماعية . . وقد أودع الشاعر قصيدته كل ما لديه من معلومات عن شاعرنا كما ذكر ذلك لي مشافهة[1] ثم أرسل لي القصيدة بتاريخ ٢٥/٤/١٤٠٥ هـ مع طلبه تغيير البيت الأول من القصيدة الى ما هو مدون حسب رغبته

١ ـ تطلع للآفاق واستقبل الأخرى ... أديب به عزت النهضة الكبرى
٢ ـ همام بعيد الطرف يسخو تواضعاً ... طروب بليغ ينثر الدر والتبرا
٣ ـ عصبي زئيره . . مستجاب ... عبقري المزاج يفتر ثغرا
٤ ـ وذو هيكل فخم يروق رجولة ... جليل حوى جل التجاريب واستشرى
٥ ـ وفي الجبل الهندي طال مقامه ... وفي (حارة الباب) استوى توأماً بدرا
٦ ـ وقد كان للزهراء منه بقية ... ومن بعدها أوصى الممات به قبرا
٧ ـ وحيد أبيه لم يخلف مذكرا ... يباهي به الشبان يسعى له وترا
٨ ـ وكان مثالي في الطفولة والصبا ... وكان أبي في الروح أعظم به فخرا
٩ ـ لقد كان لي نعم الصديق افتقدته ... وخالا وحيداً يسعد الرأس والصدرا
١٠ ـ تربى عصامياً يشق طريقه ... بعزم وحزم وما عاش مغترا
١١ ـ وما كان خداعاً ولا ذا طوية ... مسممة بالحقد أو تضمر الشرا
١٢ ـ ولا كان طماعاً وللافك شانيء ... يمدك بالثورى وقد نضجت ذخرا
١٣ ـ وما كان سوقي السلوك مراوغاً ... وما كان مهزوز الضمير به أثرى
١٤ ـ وما كان يعلو الجو الا ضرورة ... سياحته الأسفار مستمتعاً يقرا
١٥ ـ ولم تك للصهباء منه التفاتة ... ولا اللغو ، فالأوقات أشبعها فكرا
١٦ ـ رعى الله أيام المصيف بطائف ... ضواحيه تستهويه تأسرنا أسرا
١٧ ـ رواحُ أشجار نجوس خلالها ... تموج الأغصان قد فتّحت زهرا

---

(١) عن طريق مكالمة هاتفية في ١٠/٤/١٤٠٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٨ ـ تعانقها الأنسام هبت رقيقة ... تآلف فيها الحسن فاستنشد الطيرا
١٩ ـ فما أروع التغريد والماء سلسل ... جداول عطفاها هو المخمل أخضرا
٢٠ ـ ينافسه حلو السماع مساجلاً ... به رعشة الأوتار قد أوقعت سحرا
٢١ ـ وللصحب أنس مفرط وتجاوب ... تناسى الجميع السوء واستطلقوا بشرا
٢٢ ـ ودب شباب في الشيوخ مشعشع ... وشاع ارتياح يبعث السر والذكرى
٢٣ ـ فكم كان ذياك الجمال مؤثراً ... عميق الرؤى في نفسه يشحن الشعرا
٢٤ ـ ألمعي الحجا تنزى نشاطاً ... رغم شيخوخته أذاها اسبطرا
٢٥ ـ جهوري النداء سامي المعاني ... ووفي لم ينثر الشعر حرا
٢٦ ـ وهو تقليد ولكن أصالة ... وقد جدد الأهداف واستوعب العصرا
٢٧ ـ أخوة (الفقي) لم يحطم الوزن ردة ... لنشأته خلف القرون وما أزرى
٢٨ ـ وحمزة أيضاً والخميس ومثلهم ... هو الشعر موسيقى تموج بنا سكرا
٢٩ ـ والياً وخوري وصاحب منهل ... وأحمد والعقاد ما فرنجوا شعرا
٣٠ ـ ولا يعجز الفنان بعض قيوده ... اذا أحسن التصريف عزبه قدرا
٣١ ـ بحور قريض قد تناهى اكتمالها ... قوالبها يمنى تشاكلها يسرى
٣٢ ـ ولا ضير من عرض القوافي تنوعت ... تيسر ما استعصى وتنظيمها أغرى
٣٣ ـ أوائل بالتوشيح جادوا وجددوا ... وما كان فوضى أو تهاويل أو كرا
٣٤ ـ وانا لمن قوم تمادى تراثهم ... جليلاً وما يرضى التنكر والهجرا
٣٥ ـ لقد كان في (عبد العزيز) وآله ... مشيداً بمجد يرتقي هامة الشعرى
٣٦ ـ مضى نصف قرن بل يزيد وشعره ... حوافز للعلياء تستدرج الصخرا
٣٧ ـ وأهدافه أن ينهض الغرب نهضة ... شمول سناها يملأ الجو والبحرا
٣٨ ـ وآماله للمسلمين تضامن ... وموفور عز يجلب السعد والنصرا
٣٩ ـ لم يقل كل ما لديه واني ... لسعيد بأن يكرر نشرا
٤٠ ـ وقد ترك الدنيا قريرا بفرقة ... وخلف فيها رائعاً خالد ذكرا
٤١ ـ تحمل فيها للعناء مواقفاً ... لذاك انحنت عليا عصاه له قدرا

آثـــاره

لم يترك الغزاوي ديواناً مدوناً ولم يؤلف كتاباً مجموعاً ، ولكن له آثار كثيرة من شعر ونثر فقد ذكروا أن له أربعين صندوقاً مملوءاً بأوراق مكتوبة بالآلة الكاتبة تمثل انتاجه الأدبي والفكري . . .

وذكر الأستاذ (محمود عارف) أن شعره يزيد على عشرة دواوين وحجم النثر يتجاوز اثني عشر مجلداً مع ضم التحقيقات اللغوية والشذرات الأدبية ، وهذه الآثار موجودة لدى ابن أخت الغزاوي السيد ياسين علاف وابن ابنة الغزاوي فهد بن محمد علي الغزاوي وهما وكيلا ورثته ، وقد ترك مكتبة ضخمة تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب أهديت الى مكتبة جامعة أم القرى المركزية . . . واسهامات كثيرة في الصحف المحلية فقد كتب كثيراً منها في (أم القرى) ومجلة (الاصلاح) التي صدرت في مكة المكرمة و(صوت الحجاز) و(البلاد السعودية) و(حراء) و(الندوة) و(عرفات) و (قريش) و(قافلة الزيت) و(المنهل) و(المدينة المنورة) و(مجلة الحج) . .

ولكي أعطي صورة واضحة عن آثار الغزاوي فاني أنقل النص الذي صدر عن عائلة الغزاوي ومن كبار أدبائها ـ حول هذه الآثار والظروف التي أحاطت بها وقد نشر هذا التوضيح متأخراً اذ انه صدر يوم السبت ١٤/ربيع الآخر / ١٤٠٥ هـ . . . أي عندما قاربت الانتهاء من طباعة البحث . . . والنص للأديب الشاعر ابراهيم خليل العلاف . الذي تربطه بشاعرنا صلة القرابة والمودة فقد قال[1] : ـ

(تعقيباً على ما انتهى اليه أمر شعر ونثر سعادة الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوي رحمه الله ورضي عنه فقد تريثت بعض الوقت لأستكمل جوانب الاجابة الصحيحة وأتعرف على آخر الأنباء ونظراً لأن ما خلفه المرحوم من الشعر فقط وعلى مدى ستين عاماً تقريباً قد يزيد على ثلاثين مجلداً ، فان محاولة جمع المنشور منه في الصحف

(١) الندوة ع ٧٨٥٥ ص ١٦ السبت ١٤ ربيع الآخرة ١٤٠٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمجلات وتصنيفه عمل يقتضي الكثير من العناء والجهد والوقت والتخصص والتفرغ والتعاون . . .

وقد رأى أخي ياسين باعتباره وكيلاً شرعياً عن والدته وكذلك الأخ فهد غزاوي ، وجمال فائق غزاوي وكلاهما وكيلان أيضاً ومحمد العشماوي أن يجهزوا كثيراً من شعره ويسلموه الى جامعة أم القرى وذلك منذ أكثر من عامين ، واستقبلت الجامعة ممثلة في سعادة مديرها وفي كبار مسؤوليها لا سيما عميد المكتبة حينذاك كل ما جاء من شعره بترحيب وتقدير ، بالاضافة الى مكتبته القيمة ، وبالاضافة الى الأشياء الثمينة المهداة له من ملوك ورؤساء العالم العربي والاسلامي ، ومنها الأوسمة العديدة التقديرية ، وسيف أهداه له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، وكان شاعره الخاص . وقد راجعت منذ بضعة أيام وتكلمت مع سعادة عميد المكتبة عما آل اليه انتاج المرحوم ، ومعه بعض الأوراق النثرية والخطابة الشخصية فأخبرني بأنه سوف يقدم لسعادة مدير الجامعة اقتراحاته الايجابية بمشيئة الله ، ومنها تكوين لجنة من أساتذة الجامعة المختصين لمباشرة أعمال الفرز والتصنيف والدراسة تمهيداً للطبع وقال : أرجو أن تمهلنا شهراً لنأخذ الأسباب . . .

أما مكتبة المرحوم فقد رأيتها ضمن المكتبات الخاصة لرجالنا أمثال الشيخ محمد سرور الصبان ، والسيد علوي وسواهم رحمهم الله ، وما يزال العمل جاداً في ادراج بقيتها وإلحاقها بما سبقها . وفيها الكثير من المطبوعات الهامة التي يستفيد منها القراء . وما تزال هناك متفرقات من شعره ونثره وأوراقه الشخصية لدى أخي ياسين كأمانة . لأنه ليس له من فراغ الوقت وقوة الطاقة ما ينجز بها تصنيف وترتيب هذه الأوراق المختلطة والكثيرة جداً في عشرات الكراتين ولا أستطيع أنا أيضاً فبالاضافة الى ثقل العبء والمسؤولية وطول الوقت والعناء وحساسية وأهمية بعض الأوراق ضمن هذا الركام الضخم الذي تجمع منذ ستين عاماً تقريباً ، فانه لا يمكن لفرد أو اثنين من خاصة أهله في وقت قصير اعداد ما هو صالح للاطلاع العام والنشر . . وعزل الأوراق الشخصية والعائلية السرية وهي كثيرة جداً . . والذي يهمني أكثر ليس المطبوع والمنشور من انتاجه بل هو ما آثر اخفاءه وكتمانه أو اهداءه الى محبي شعره ، ولا توجد منه صور أو أصول ضمن أوراقه .

وعسى أن يتمكن أساتذة الجامعة (ويتعاون معهم من لديهم قصائد مهداة) من التعرف عليه أو على معظمه أو تقديمه من أصدقائه رحمه الله . فهو الجانب الذي يكمل شخصيته ، أما أنا فتحيط بي أوضاع وظروف شخصية تؤثر حتى على انتاجي الأدبي الخاص .

وأنا أرى أنه أفضل للجامعة أن تقوم بهذا الواجب المشرف لأحد رواد الفكر والشعر أول عصر النهضة العربية وخلالها حتى وافته وفاته ، تخليداً لذكرى أحد أبناء مكة المكرمة النابغين ، ومن أولى بجامعة أم القرى غيرها . وقد بشرني عميد المكتبة بأنهم سوف يوجهون بعض طلاب الدراسات العليا بأن يتوفروا على انتاج وشخصية المرحوم ويتقدموا بمجهوداتهم للحصول على درجة الماجستير فالدكتوراه في هذا الصدد قريباً بعون الله ، وأرى أن تجمع وتطبع حولياته في شهر ذي الحجة سنوياً في مجلد أو أكثر تمييزاً لها عن سواها من شعره ، لأنه لا يقتصر سماعها وقراءتها على المواطنين وانما تشاركهم الوفود العربية والاسلامية من مفكرين وقادة وزعماء وأدباء وصحفيين وأعيان ورجال دين . . .

وأسأل الله لكل من يساهم فرداً أو جماعة أو صحافة أو نوادي أدبية تمام التمهيد والتوفيق مشكورين على ذلك كما أرجوهم معذرتي في أي تقصير تضطرني اليه أمور شتى ولست أتنصل في الحقيقة وعسى أن أساهم بجهد المقل ﴿ ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .

وقد استقصيت مكتبة الغزاوي الموجودة في أم القرى ونقبت عن الأوراق التي تحتويها الصناديق الكثيرة المقفلة ، فلم أعثر له على نص من شعر أو نثر مخطوط ، فلست أدري هل ستحتفظ بها في مكان آخر خاص غير الحجرات الخاصة بمكتبة الغزاوي داخل مكتبة الجامعة في أم القرى ؟؟؟؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دراسة آثار الغزاوي

الفصل الأول :

الملامح الفنية في شعر الغزاوي

أولاً : تكوين شاعريته وبدايتها :

المؤثرات في شعره .

أطوار شعره .

ثانياً : موقف الغزاوي من التيارات الأدبية .

الخيال عند الغزاوي .

المقدمة عند الغزاوي .

بناء القصيدة عند الغزاوي .

الصورة الشعرية .

المضمون عند الغزاوي .

الشكل في شعر الغزاوي .

لمحة عن الغزاوي من خلال شعره .

الخصائص العامة في شعر الغزاوي .

حوليات الغزاوي .

شعر الغزاوي والأحداث .

الاتجاه الاسلامي في شعر الغزاوي .

الباب الثاني

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تكوين شاعريتـــه :

المؤثرات في شعره ـ أطوار شعره

إن الأدب نضال وكفاح فمن ينزع إليه لا بد أن يمتطي متن الصعاب ويجوب حلك الليالي ، ويخوض عباب التراث والجديد بالحفظ والاحتذاء والاقتداء والإعجاب والممارسة ، فالمواهب تحتاج إلى سقاية وإصلاح وتنمية والدراسة تستدعي الحفظ والرواية والتراكيب تستوجب إدراك علمي النحو والبلاغة ، (والشعر علم من علوم العرب التي يشترك فيها الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدُّربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان)[1] . . .

وإذا كان الغزاوي من أولئك الذين منحهم الله الملكة الشعرية ، ثم هيأ له أسباب التحصيل والممارسة حتى تفجرت شاعريته ، وتدفقت موهبته فإن لذلك كله اسباباً هيأت سبله ، ويسرت طريق السير فيه ومن الأمور التي هيأت الأسباب لتكون هذه الشاعرية الأصيلة الغريزة .

(أ) أساليب التدريس ومناهجه :

تنوعت الدراسة التي تلقى الغزاوي معارفه عن طريقها ، فقد التحق في الحرم المكي بالحلقات العلمية القديمة ، فسمع المناقشات الحرة وشارك فيها وهذه الكيفية في الدراسة تنمي الفكر ، وتكون الشخصية ذات التفكير المنظم وتجعل الشخص يتلمس مكانة رأيه وآراء الآخرين وقد درس أيضاً في المدارس . .

(١) العمد لابن رشيق ١ : ١٢٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النظامية حيث المنهج المعد مما يلائم ثقافة العصر ويمثل تطور الحياة العلمية وأثرها في المجتمع ، وتزرع الحماسة الوطنية بين أبنائها الى ما فيها من استصحاب منهج الأسلاف في علومهم وآدابهم . وهذه المدارس متنوعة الاتجاهات ، فمنها الأهلي الذي يسعى إلى تحقيق الاهداف العامة للمجتمع كالمدرسة الصولتية والمدرسة الخيرية ، ومدرسة الفلاح ، وهناك المدارس الحكومية التي تمثل اتجاهاً معيناً ونعني بذلك ما كان قبل العهد السعودي الذي وحد اتجاه وشاعرنا أحمد الغزاوي قد التحق بأنواع من هذه المدارس الأمر الذي جعله أكثر ثقافة وأوسع اطلاعاً . . .

(ب) ومن عوامل تكوين شاعرية الغزاوي ، وضع الطلاب داخل المدارس ، حيث تقوم روح المنافسة على أشدها وأبرز ما تكون هذه المنافسة في النواحي الشعرية والخطب والخطوط ، ويبرز نشاط الطلاب وإنتاجهم للجمهور من خلال الاحتفالات والأندية الثقافية التي تقام في المدارس ، ويشهدها ويرعاها علية القوم ، وكانت المدارس هي الحقل الوحيد الذي يقيم احتفالاً دورياً كل عام .

والغزاوي ربيب هذه المدارس وابن هذه المنافسات ، ظل مخلصاً لها كل الإخلاص محافظاً على رعاية نواديها واحتفالاتها وقد تأخر عن حضور إحدى احتفالاتها فافتقده مديرها وتمنى لو كان الغزاوي إلى جانبه يساجله الشعر فلما حضر الغزاوي وعلم الخبر قال :

(أبا الخير) قد قلدت جيدي منةً ... غداة تبارت في عكاظ المقاول
ونوهت باسمي حين أكبرني النوى ... ودونك طوعاً يقصر ـ المتناول

ومنها :

يقولون : ما اسمى الذي هو ناظم ... فقلت (فلاحي) فليس ينازل
اذا هو لم يوف (البلاغة) قسطها ... فمن بعده للمكرمات يحاول

(جـ) تنوع الشخصيات :

وقد اختلفت الينابيع التي استقى منها الغزاوي ، فقد استتبع تنوع دراسته كما

وصفنا سابقاً تنوع الشخصيات المؤثرة في حياته العلمية ، فأخذ عن العالم وصاحب الحلقة في المسجد الحرام الذي يشار إلى علمه وفضله بالبنان ، فصحب العلم ولازمه وأعجبه ورع وزهد وعفة وأخلاق هؤلاء العلماء الذين من أهدافهم غرس العقيدة في نفوس التلاميذ واضطلاعهم بالعلوم الشرعية ، وإجادتهم للغة العربية وعلومها بينما الأمر لدى مدرسي المدارس النظامية يختلف اختلافاً حسب اتجاه وهدف كل مدرسة ويتأثر المدرس بتخصصه ، والغزاوي قد قطف خير تلك الاتجاهات فقد كان عالماً دينياً عميق الغور في اللغة العربية ، ومطلعاً على الاتجاهات الفكرية الحديثة ، فكان بحق من الطبقة التي شذبت القديم وأخذت الصالح منه، وقد ظهر أثر ذلك في شعر الغزاوي الذي التزم فيه بالأسس الفنية في الأدب العربي .

(د) الاطلاع على الثقافات الاخرى :

وإلى مكة يفد الحجاج كل عام وهم ذوو ثقافات شتى ، وفيهم العلماء والأدباء والشعراء . وقد ذكر الشيخ / مسعود رحمت الله مدير المدرسة الصولتية ولع الغزاوي الشديد وحبه ورغبته الصادقة في مقابلة وفود الحجاج والتحدث معهم ومحاورتهم ومناقشتهم ومناظرتهم وتبادل القصائد الإخوانية معهم كاليعقوبي والأمير شكيب ارسلان الذي قال فيه الغزاوي[1] :

(وكوكب هذا الجمع من راح ذكره) حديث المعالي في اكتظاظ المحافل
(شكيب) أبو غسان ذو السيرة التي بها تقتدى الأجيال ، جم الفواضل
رحيب فناء الصدر والمدرة الذي تملك بالتبيان رق المقاول

ورجالات هذه الوفود تحمل كتبها هدايا لأعيان الحجاز وأصدقائهم ، وكان ذلك كفيلاً بوضع لبنة في بناء ثقافة الغزاوي الواسعة ، حيث زاد من اطلاعه ووعيه بنهضة الأدب في الدول العربية المجاورة .

---

(١) صوت الحجاز ع ١٠٤ ص ٢ يوم الاثنين ٩ محرم ١٣٥٣ الموافق ٢٣ من ابريل ١٩٣٤م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(هـ) تصارع الأفكار :

واختلفت الاتجاهات الفكرية في الحجاز تبعاً لاختلاف المشارب وتباين الاتجاهات التي هي من ثمار التأثير والتأثر حتى في ميدان الأدب وجدنا اتجاهات الأدباء تتباين وتتغاير فهذا متأثر بالمصريين وذاك ينحو منحى المهجريين وآخر يروم نهج الشاميين وهكذا ، فكان طبيعياً أن تترك هذه الاتجاهات أثرها في فكر الغزاوي وأدبه تأييداً لهذا أو معارضة لذاك .

(و) ومنها التحاق الغزاوي بالعمل في ديوان كبير القضاة الشيخ / عبد الله سراج وعناية ذلك العالم بهذا الشاب النابغ فقد كان له دوره في تعبئة الروح المعنوية عند الشاعر وحثه على الجد في مواصلة العمل لخدمة المجتمع فكانت هذه الخدمة لها أثرها الطيب على الغزاوي حيث نال ثقافة عالية وتمكن من معرفة الأحوال السياسية والاجتماعية والادارية ، فكان طبيعياً أن تتفتح أفكاره على أشياء جديدة وتهز مشاعره أمور كثيرة إمّا رغبة وحباً وإمّا إنكاراً وسخطاً ، مما جعل تجربته الشعرية خصبة بالافكار الحية، وهذه الممارسة للحياة الاجتماعية كانت من وراء اتجاه شعره الذي يميل للأمور العامة الاجتماعية منها والوطنية ، بل إن اندماجه في الأعمال واستجابته لتأثير الظروف المحيطة كان سبباً في تضاؤل ذاته بعض الشيء في شعره . .

ومنها حفظه كتاب الله وكثيراً من نصوص السنة المطهرة وقمم المنثور والمنظوم عن العرب ، ومنه حفظه كثيراً من أشعار الجاهليين والإسلاميين والعباسيين وشعراء العصور المختلفة وكانت له مختارات يرتاح إلى استعادتها والترنم بها مثل لامية العرب للشنفري ولامية العجم للطغرائي وكثير مما أشبههما من عيون الشعر العربي كسينية البحتري ونونية ابن زيدون مثلاً وقد دعا الأجيال الصاعدة الى التزود بذخائر الشعر التي لا ترخص بمرور الأيام والأعوام والعصور ومما قاله في لاميات العرب[1] :

---

(١) المنهل ـ المجلد ٣٤ شوال ١٣٩٣هـ ص ٧٤٧ .

« وانها لأربع لاميات ، سارت بها الركبان . . الأولى (لامية أبي طالب) والاخرى لامية العرب للشنفري والثالثة (لامية العجم) للطغرائي والرابعة (لامية ابن الوردي) وكنت إبان شبابي أحفظها كلها وأترنم بها في خلوتي وقد جمعت فأوعت من الأدب الرفيع ، والنصائح الثمينة . . ما يعجب ويطرب ، وإني لانصح الجيل الصاعد أن لا يغفل عنها حفظاً وتطبيقاً . . ومناشدة . . . ومساجلة وهي ثروة عظيمة من اللغة والأخلاق ، ومادة غزيرة تتقوم بها الألسنة ، وتتنور الأذهان وتهذب الطباع » . .

تجربة الغزاوي الشعرية :

لقد تحدثت عن مواهبه واستعداداته وثقافته وتجاربه وتكوينه الشعري ، ولكن ما هي الكيفية والخصائص التي نتجت بها هذه التجربة الشعرية لدى الغزاوي ؟؟ ولأنه شاعر . . ولا بد لكل شاعر من دواع تثير كوامن نفسه وتستولي على عقله وفكره وعواطفه لتتدفق أعماله الأدبية . . . ولكل شاعر خصائص تواكب هذه التجربة فمنهم من ينطلق من الحدائق الغناء والزهور المتفتحة والأشجار الباسقة والجداول المتدفقة والطيور المغردة كأحمد شوقي ، ومنهم من يؤثر العزلة ويجول في حجرته ويعود الى مكتبه ويرفع صوته ويتمتم ويبتسم كالشاعر (علي الجارم) ومنهم من يجمع أفكاره وألفاظه ويعيش تجربته ثم يتركها تبيت في مخيلته ليستيقظ في الصباح الباكر وعندها يشدو بألحانها كالشاعر (عمر أبو ريشة) أما الغزاوي فانه يميل للهدوء والبعد عن كل ما لا يمت الى الموضوع بصلة ، وقد تحدث عن ذلك فقال :

(وكل ما أعرفه الصمت . . . والاستجماع التام ، ونسيان كل ما لا يمت الى موضوعي بسبب ، والويل لمشاغب يصرخ ، أو طفل يعبث ، أو كتاب يختبىء ، والعادة محكمة وكل ميسر لما خلق له . . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . . .)[1] .

فالغزاوي من أولئك الشعراء الذين يغمرهم الاحساس بالتجربة التي تملك

---

(١) الندوة ـ السبت ٢١/٧/١٣٧٨هـ . . ع ١٣ ص ٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه نفسه ، وينصهر فيها ، وتتوهج وتجعله في نشوة في بوتقة هذه التجربة فتمتزج بها نفسه وتثور لها عواطفه، ويتحرك لها اللاشعور وتختلط بها تجاربه وتسخر لها لغته وألفاظه وأساليبه ، فتتواكب عليه لتلتبس بالمعاني وتكسوها ، ومن ثم تتجسد تجربته وتتدفق بالعطاء الذي يمثل الشاعر في ماضيه وحاضره ، ومستقبله ، وشعوره وثقافته واتجاهاته ومشاهداته ، وانها لتنطلق في أعمال متناسقة متناغمة مع الانفعال الشعوري بقدر عمق التجربة وقوتها وبقدر مواهب الشاعر أو قدرته اللفظية ومخزونه من الصور سعة وادراكاً . . .

ولنستمع الى الغزاوي نفسه وهو يصور لنا اندماجه الشعوري في اللاشعور ونسيانه الوقت والزمن عند نزول الحالة الشعرية عليه فهو يقول :

(وأذكر مرة أنني كنت أجمع الشوارد لمناسبة هامة في احدى ليالي رمضان وذلك قبل ربع قرن تقريباً . . وأقلقني البعوض جداً فدخلت (الكلة) أو الناموسية وقربت (الأتريك) بعد السحور مباشرة . . واستغرقت فيما كنت أعانيه من التفكير والتسطير والتحبير والتحرير . . . ونام الناس والأهل والخدم ـ وما أن فرغت من مهمتي حتى عدت الى واقعي . . وزمني وأرضي . . وعجلت الى النافذة أفتحها لأتنسم منها الهواء النقي . . فاذا بالشمس تبلغ من الغرفة وسطها . . واذا بالساعة تتجاوز الرابعة نهاراً وحمدت الله أنني استيقظت في الوقت المناسب . . فلم أتناول ما يفطر . . .)[1] .

المؤثرات في شعره :

ان الإنسان بطبيعته متأثر ومؤثر بل أن علماء الاجتماع يرون أن أكثر من تسعين في المائة من تصرفاته تقليداً للآخرين ، فحركاته تقليد واهتماماته واتجاهاته محاكاة أيضاً ثم تتطور لتتجسد أسلوباً طبيعياً واعتقاداً فكرياً والإنتاج الأدبي أكثر ارتباطاً بالحياة ماضيها وحاضرها ومستقبلها والأديب أكثر احساساً وادراكاً وإلماماً وتصوراً

(١) الندوة ـ السبت ٢١/٧/١٣٧٨هـ . . . العدد ١٣ ص ٢ .

وتفاعلاً مع الحياة ، فالأدب أفكار تصاغ في قوالب لفظية تخاطب عالم المشاعر والأدب قبل أنْ يكون تعبيراً فنياً ـ أفكار تصاغ في ذلك التعبير وآراء تصب في قوالبها الفنية وقد ترجع تلك الأفكار أو هذه الآراء في أدب ما إلى مادة عامة متوازنة عبر الأجيال عن آداب كثيرة .

من ذلك ندرك أن فكر الأديب خاضع لتأثيرات مختلفة ، وهذه التأثيرات الجمة تسحب ظلالها على الأعمال الفنية للاديب ذلك ما حدث لاديبنا وشاعرنا الشيخ / أحمد الغزاوي وبخاصة في بداية حياته الأدبية ونحن هنا نتلمس ونحلل تلك المؤثرات في أدبه لنصل لمعرفة خصائصه الفنية .

ومن تلك المؤثرات :

١ ـ ان الغزاوي فتح بصره وبصيرته على صحيفة القبلة تلك الصحيفة التي تلتهب حماساً ، وتمتاز بأسلوبها الأدبي الراقي وتنشر القصائد ذات الأسلوب العربي لأدباء الشام وصاحبها فؤاد الخطيب فكان الغزاوي معجباً كل الإعجاب بهذا الاسلوب الفصيح والشعر الحماسي ، وقد ضم فؤاد الخطيب وشاعرنا ديوان واحد هو رئاسة رئيس القضاة مما أدى الى احتكاك الغزاوي بهذا الأديب فتأثر به لفظاً وأسلوباً وفكراً فضلاً عن متابعته المستمرة لقراءة القبلة ذات الأسلوب الجزل وما ينشر فيها من شعر انعتق من ربقه القديم واغراقه في المحسنات اللفظية من جناس وطباق وعناية بالشكل قبل المضمون ، نلحظ أثر ذلك في أدب الغزاوي فأنت تراه قد التزم الأسلوب الجزل واستخدام الألفاظ اللغوية العريقة في عربيتها ولم يحد عن ذلك في شعره ويتجلى ذلك أيضاً في كتاباته النثرية حيث الأسلوب الجزل والتصوير القوي الذي ينقلك معه في كل عبارة من عباراته .

٢ ـ صلة الغزاوي برجال السياسة :

إن الغزاوي رجل عالم وأديب يتطلع إلى إصلاح مجتمعه ، وبنائه البناء الحَضاري وهو على استعداد للإسهام في تحقيق هذا الهدف السامي بنفسه وماله وعقله لذلك نجده يتجاوب مع أحداث مجتمعه ويلتحق بخدمته ولجانه ، ومع ذلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شارك بقلمه في الدعوة إلى هذا البناء وأشاد بأولئك المصلحين وقادة الفكر والتزم بمسايرة هذا الهدف عن وعي وعقيدة فهو يقول[1] :

ما المجد لهو وتخريف وشنشنة ... ولا ادعاء وتفريط وإذعان
المجد سيف وإقدام وتضحية ... والمجد عدل وإصلاح وعمران
المجد دين وتوحيد على سنن ... مضى عليه الأُلى بالفتح قد بانوا

فكان هذا الاتجاه له أثره في حياته الادبية ، فقد جاراه بأدبه أيضاً وامتزج بنفسه واحتوى تفكيره مما جعل أدبه يصور الأمور العامة لمجتمعه وهذا الأدب يلقى على الملأ فلا بد أن يكون عربياً فصيحاً موزوناً وما دام أنه يتحدث عن أمور عامة فربما يتناسى الحديث عن ذاته وبالأحرى فإن ما نشر من أدبه هو الذي يساير حياته الاجتماعية لأن له أدباً ثراً في نواحي متعددة نشر بعضه وحجب أكثره .

٣ ـ طموحه إلى ان يحظى بما حظي به الشعراء أحمد شوقي والرصافي وحافظ ابراهيم حيث تربعوا على عرش الشعر في تلك الحقبة من الزمن والتزموا بأسباب الأصالة في أشكالهم ومضامينهم إلى ما جنحوا إليه من أسباب الجدة والمسايرة لذوق أهل زمانهم فيما لا ينافي الأصالة التي حرصوا على المحافظة عليها فنحا نحوهم في تمجيد الأمة ومعالجة مشكلاتها وقضاياها الى ما كان من إشادته بماضي أمجادها في مثل قوله[2] :

فما بنفسي مما تشتكي حرق ... ولا تعشقت آراما وغزلانا . . .
ولكن سكبت دمي دمعاً على وطني ... قد كان في المجد والتاريخ ما كانا
أرسى قواعده الأبطال من مضر ... فراح ينشد فوق النجم أكفانا

فكان منهجه وضع الفكر والعقل واللسان في خدمة الأمة والوطن والدين

---

(١) وحي الصحراء ـ جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بالخير الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ جدة ص ٨٧ .

(٢) وحي الصحراء جمعه/ محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بالخير ٨٧ .

والعقيدة وقد سار الغزاوي على هذا النهج حتى لقي وجه ربه .

وتلقى من النقاد ما تلقى كمثل الذي تعرض له احمد شوقي من العقاد والمازني وغيرهما ، حتى قيل عنه أنه شاعر المناسبات فحسب وتناسوا ما له من الآثار الفنية الاخرى[1] .

٤ ـ كان أقران الغزاوي من علية القوم وعلمائهم فأثروا في شعر الغزاوي من حيث الشكل والمضمون إذ كانوا أهل جد وعقل وعلماء أفاضل منهم أصحاب فكر منطقي واقعي عقلي لذلك كان أدبه ملتزماً ، ولم يقتنع بالشعر الحر وروافده ، ولا بالأفكار المستحدثة التي تدعو الى التحلل في الأدب وسواه بل هاجم هذا الاتجاه بقوله :

« وهذه الغارة الشعواء يشنونها على اللغة ، ويسعون في أن يقضوا على أبنية قواعدها ويجتثوا أعراق أحكامها ، ليضمنوا خلو جو العيث والإفساد من كل واقف بالمرصاد ، فيتسنى لهم أن يذهبوا في الكتابة كل مذهب لا يبالون في استعمال الكلمات بما نصت عليه معاجم اللغة ، ولا يكترثون في صوغ الجمل والتراكيب »[2] .

٥ ـ البحث في التراث العربي ، ومتابعته متابعة دائمة ومتصلة قراءة وكتابة فلقد كتب المطالعات والتعليقات المستمدة من أمهات الكتب التراثية وقد نشرها في صحيفة البلاد السعودية ، وصحيفة حراء والندوة ومجلة المنهل .

وفي ذلك كله دلالة واضحة على متانة صلة الرجل بالتراث العربي ، واعتداده به ، واعتماده عليه ، فيما يكتب من نثر وشعر ، ولم يمنعه ذلك الاعتداد والاعتماد من أن يتصل بالجديد ، ويتأثر به ويأخذ منه ما يناسب ذوقه العربي وثقافته ذات الجذور المتأصلة في تاريخ التراث لفظاً وأسلوباً واتجاهاً .

٦ ـ ولقد حدب آل سعود من أيام الإمام محمد على نصر الدعوة السلفية وبنوا

---

(١) يأتي في الحديث عن شعر المناسبات .

(٢) المعرض جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ٢٥ المطبعة العربية بمصر شارع المزين بالموسكي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أسس دولتهم عليها ، وما تزال كذلك والحمد لله ـ وستظل ـ وكان طبيعياً ان يتأثر شاعرنا بهذه الدعوة ، وبخاصة بعد ضم الحجاز والتقاء الإخوة على كلمة واحدة هي المملكة العربية السعودية .

وكان طبيعياً أيضاً أن يتأثر الغزاوي بإمام وقائد هذه البلاد الملك / عبد العزيز رحمه الله .

ومن هنا وجدنا انعكاس هذه التأثيرات يتجلى في شعر شاعرنا حيث يقول مخاطباً الملك عبد العزيز :

دعـوتم لأمـر الله فـانقـاد شـامس ... وأصغى إلى معـروفكم من تصـممـا
أجـاب بنـوا الإسـلام طـراً نـداءكم ... (لمـؤتمـر الشورى) فكـان مجسمـا
وخاضوا عباب البحر كيمـا يشاهـدوا ... حقـائق كـانت في ذراهم تـوهمـا

وكان لهذا الاتجاه السلفي أثره الكبير في الأدب السعودي بصفة عامة وأدب الغزاوي بصفة خاصة .

٧ ـ ومن المؤثرات في شعر الغزاوي في العهد السعودي النهضة الشاملة التي أتت ثمارها في المملكة والاتصال بالعالم العربي ، فالعهد السعودي فتح الابواب للاتصال بآداب العرب نظراً لتيسير المواصلات وسهولتها الى جانب النهضة الشاملة التي هبت في هذا الوطن ، واستجلاب المذياع ثم الرائي ، واستقدام الخبرات العربية والعالمية الى البلاد ، كل ذلك هز كيان الامة وغير مجرى حياتها الى الأفضل فلامس مشاعر وإحساسات الشعراء فرسمت براعتهم صوراً جميلة لهذه النهضة وكانوا عوامل مساعدة في توجيهها الوجهة السليمة .

وقد تمثل ذلك في شعر الغزاوي ، فكان شعره ديواناً وسجلاً لنمو وتطور النهضة في هذه البلاد ، ولم يقتصر الغزاوي على تسجيل الأحداث فحسب بل مثل الاتجاه الذي هو أكثر اعتدالاً في النظرة إلى العادات والتقاليد والتزام أسباب

---

(١) صوت الحجاز ع ٥٧ ص ٣ (٢٠) محرم الحرام ١٣٥٢ هـ ١٥ مايو ١٩٣٣م .

الاصالة في الفكر واللغة ولذا وجدناه يعجب بمنهج الملك عبد العزيز في أعماله واتجاهاته فيقول :

وتخـذت من دين الإلّـه هـداية ... فتوطدت بالصالحات دعامها
وتـوحـدت آمـالـهـا وميـولـهـا ... وأطـل كـالصبـح المبين مـرامهـا
فـاذا بهـا بين الشعـوب كـأنهـا ... (عمـريـة) سلفت وعـز مقـامهـا

(اطوار شعره)

الطور الأول :

من البديهي أن يمر شعر الغزاوي بما مر به شعر أقرانه من الشعراء ، فقد بدأ بالمحاكاة الفعلية لشطر بيت أو بيتين ثم شرع يشطر القصيدة ، ويخمسها وتلك الطريقة لها فضل كبير حيث جعلت الغزاوي يعايش نماذج الشعر العربي ، ويتفحص ميزاته ، ويظل على صلة بجلائل الأعمال الأدبية يوازن بين تراكيبها وأساليبها يقلدها ويحاكيها ، فكان لذلك أثره في الفاظ الغزاوي ومعانيه وانقياده لعمود الشعر كما يفهمه النقاد الأقدمون وان احتذى حذو كبار الشعراء يقتبس منهم كقوله[1] :

ولـقـد شـاقـنـي وشـاق سـوائـي ... نـهضـة الـجيـل والـحيـاة نـهـاز
« واذا كـانـت الـنـفـوس كـبـاراً » ... لـم تحـل دون عـزمـهـا الأجـواز

وقد قام بتشطير أبيات كثيرة منها أبيات الشيخ / عبد الرحيم بن أحمد العباسي صاحب (معاهد التنصيص) المتوفى سنة ٩٦٣هـ .

أرعـشـنـي الـدهـر أي رعش ... وكـنـت ذا قـوة وبـطش
وكـنت أمـشي ـ ولـسـت اعـيـا ... وصـرت أعيـا ـ ولـسـت أمشي

(١) صوت الحجاز ع ص ٦ (٦) شوال ١٣٥١هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فشطرهما الغزاوي بقوله :

أرعشني الدهر أي رعش ... وقل (دشي[1]) ، وزاد هرشي
ونؤت وهناً بما ألاقي ... وكنت ذا قوة ـ وبطش
وكنت أمشي ـ ولست أعيا ... فمن « شهار » الى « معش »
ومن « كداء » الى « كدي » ... فصرت أعيا ولست أمشي[2]

ثم ظهرت ظاهرة بين أدباء الحجاز كانت إحدى روافد تنمية المواهب الأدبية تلك الظاهرة تتمثل في التجمعات الأدبية لأولئك الشباب تماماً كما كان يفعل آباؤهم في عصر بني أمية وأنجبت شعراء يشار إليهم بالبنان كمثل عمر بن أبي ربيعة والعرجي وأمثالهما كما تذكرنا بتجمعات الشباب الأدبية في العصر العباسي في الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق .

وهذه المجالس كونت كبار الأدباء والشعراء، ومع ذلك يجب أن ندرك أن لكل تجمع سببه الخاص ، فتجمع أدباء الشباب الحجازي في عصر بني أمية كان مرده إلى الشباب والفراغ والجدة ، بينما نرى أن أسباب التقاء وتآلف مجالس أدباء العصر العباسي هي العناصر الفارسية وأخلاقها الدخيلة واختلاف مدارسها الأدبية ومعتقداتها .

بينما نجد الوضع مختلفاً تماماً لشباب الحجاز في عصر النهضة الحديثة حيث قاموا بروح عصامية يطلبون الأدب ويلتقون من أجله ، فكان همهم أن يخرجوا أدباء ومفكرين، فكان لهم ما أرادوا وأعانهم الله على تحقيقه فلكل مجتهد نصيب وكان من بين هؤلاء أديبنا وشاعرنا وشيخ اللغة أحمد ابراهيم الغزاوي ، فقد كون له جماعته الأدبية بين زملائه في الدراسة ، فأخذوا يتنافسون في حفظ القرآن وحفظ التراث وإجادة الخطابة ثم كان هو من أولئك الشباب الذين كونوا لهم أندية أدبية

---

(١) كناية عن ضعف القوة الهاضمة والقاضمة .
(٢) المنهل السنة ٤٤ ـ المجلد ٣٩ جمادى الثانية ورجب ١٣٩٨هـ مايو/ يونيو ١٩٧٨م ص ٢٦ .
(٣) صوت الحجاز ع ٣٧ ص ٨ ١٣٥١/٨/٢١ هـ .

قرب الحرم المكي فيتطارحون فيها الشعر ، ويقرأون الكتب ، وينقدونها وهذه الجلسات الأدبية صاحبت الغزاوي في بداية حياته وظل يعشقها في كهولته وشيخوخته ومن ذلك ما دار في جلسة أدبية اجتمع فيها أحمد الغزاوي مع محمد حسن العواد فقال العواد :

أيها البلبل المغرد بالشعر ... ألا أين ذلك التغريد
لم آثرت تنزوي الشهر تلو الشهر ... مستعصماً عليك القصيد
«أو لا هجرته أم ملألأً ... أم أتاه منك القلى والصدود
لا تغادر فن النظيم يعاني ... منك ما لا يطيقه المعمود
فلقد كنت والنظيم شقيقين ... وسيان منشد ونشيد

ورد عليه الغزاوي بقوله :

أي هذا الذي تواضع : شكراً ... انما أنت في (البيان) المجيد
كيف لا أوثر السكوت وأصغي ... لشعور يصوغه (التجديد)
أنا ما قلته تضالع ضعفاً ... والذي حكته الضليع الشديد
قد عصاني وما تجافيت عنه ... محكم النظم والنتاج المفيد
وتعالى جد (الإلّه) فماذا ... بعد (فرقانه) يحيط (النشيد)
مازج الروح وحيه فهو حي ... وهو الرشد والهدى والخلود

إن تلك المنتديات الأدبية ، والنزهات الاخوانية والمسامرات الأدبية وحفظهم لدواوين شعراء العربية ألهمت الغزاوي قول الشعر وكانت أول قصيدة له هي التي نشرها عمر شاكر صاحب جريدة الفلاح في محرم ١٣٤٢ هـ ومنها قوله[1] :

يا من يريد بنا سوءاً ويقصدنا ... بكل منقصة في الكون شنعاء
إنا أناس إذا ما الخصم قابلنا ... يؤب يلهج من شكر وسراء
فناشدوا كل من سارت ركائبه ... عنا فليس البعيد الغر كالرائي

---

(١) الفلاح السنة الخامسة العدد ٣ ص ٣ ٢٦ محرم ١٣٤٣هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والذي دلنا دلالة واضحة على كون هذه القصيدة أول قصيدة تنشر للغزاوي في الصحف المحلية رسالة الغزاوي نفسه في مقدمة قصيدته الثانية التي نشرتها الفلاح ، فقد قال في رسالته لعمر شاكر صاحب الفلاح[1] :

« ان تفضلكم بنشر قصيدتي الأولى قد كان مشجعاً لي على الاستمرار في طريقي الذي رسمته لإنتهاجه في مزاولة قرض الشعر عسى أن يأتي يوم يكون فيه قد بلغ أشده » .

دلنا على أنه يعني بقصيدته الأولى التي أشرت إليها كون القصيدة الثانية في العدد الثاني لها فالأولى في العدد الثالث من السنة الخامسة والقصيدة الثانية في العدد الرابع من السنة نفسها .

ويلاحظ في هذه القصيدة روح الشباب وحماسه واندفاعه ، فهي فخر حماسي ودفاع تنقصه الحجة المقنعة ، والأفكار العميقة ، ونلحظ عليه الوقوع في الاخطاء المعنوية قوله :

إنا أناس إذا ما الخصم قابلنا يؤب يلهج من شكر وسراء

فمقابلة الخصم غالباً ما تكون للفتك والقتل فلا شكر ولا سراء ، حتى وفود الخصوم لا تلهج بالشكر والثناء انما تعرض وضعاً قائماً .

والقصيدة الثانية قريبة العهد بالأولى ، وهي تعبر عن حالة العرب السائدة حينما ثاروا ضد الاتراك ، فقد رأى الشباب من تخلف الشعوب العربية ما رأوا فأثار ذلك حفيظتها ، وقارنوا بين الحياة العلمية والحضارية في الغرب وحالة المشرق التي يعيشها بعيداً عن النهضة ومواكبة الحياة ، فقام الشباب يستنهضون الهمم يستثيرون العزائم ، وقد تحدث الغزاوي عن ذلك فقال :

أيها الشرق قد أطلت الرقود فانهض اليوم واحطمن القيود

---

(١) الفلاح السنة الخامسة العدد ٤ ص ٣ ٤ صفر ١٣٤٢هـ .

(٢) الفلاح السنة الخامسة العدد ٤ ص ٣ (٤) صفر ١٣٤٢هـ .

لا يصـدنـك عن طـلابـك صـد ... واحشـد الغـور والنجـود ، جنـودا
ارجـع الطرف نحـو ماضيـك تـزهـو ... واحمـل السيف والقنـا كي تسـودا
كم أضـاءت شمـوس فضلك دهـراً ... فيـه قـد سـدت والانـام عبيـد

ويذكر العرب فيها بقوله :

يـا بني العـرب ، والأنـام حـديث ... اذكـروا مجـدكم وأحيـوا التليـدا
وتـأسـو وواصـلوا السـعي كـيمـا ... تقهـروا الـضـد والعـدو والـلدودا

ومجمل قصائده المنشورة في هذه المرحلة خمسة قصائد بدأت في محرم ١٣٤٢ هـ ونشرت له آخر قصيدة في الفلاح في السنة الخامسة العدد التاسع في العاشر من ربيع الأول لعام ١٣٤٢ هـ ويلاحظ كثافتها في هذه الفترة ففي ثلاثة أشهر أصدر خمس قصائد ولكنه توقف عن النشر .

وألحظ في قصائده الأولى تمثيلها لروح الشباب وحماسه ، وتمثيلها الجـو والظروف التي تحيط بالشباب في الحجاز ، حيث عهد الثورة العربية وقدوم الوفود من شخصيات عربية إسلامية للحجاز لتسهم في هذه الثورة فألهبوا نفوس الشباب ، وشدوا من أزر معنوياتهم ، ونلحظ معالمها ظاهرة في قصائد الغزاوي الأولى .

والغزاوي في قصائده الأولى يجنح الى القومية العربية أكثر من غيرها وإن ذكر الشرق الذي يموج بالجهل والتخلف كما سبق في النماذج التي اخترتها .

أما العاطفة الدينية والدعوة اليها فقليلة جداً ، ولم يجعل من القصيدة علاجاً لمشاكل العرب بخلاف قصائده المتأخرة .

(الطور الثاني)

بدأ هذا الطور إبان النهضة الأدبية بعد توحيد البلاد في العهد السعودي عام ١٣٤٥ هـ حيث تم الاستقرار وانفتاح اقطار الجزيرة بعضها على بعض واتصالها بالعالم الخارجي ، وقد كانت النهضة الادبية جزء من شعب النهضة الشاملة فبرزت معالم الأدب القوي كما برزت معالم العمران والتعليم .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد كان شعر الغزاوي مظهر من مظاهر هذه النهضة فبدأت معالم التطور والنضوج والقوة والجزالة والمعاني الهادفة تتدفق في شعره وقد تبلورت بعض الخصائص في شعره منها :

١ ـ توحيد موضوع القصيدة بوجه عام ، فهو لم يعدد أغراض القصيدة كما عددها القدامى حيث بدأوا بالمقدمة الطللية وذكر المحبوبة ، ووصفوا الراحلة والاطلال والديار ، أما شاعرنا فوحد موضوع القصيدة ، حيث خصّ كل قصيدة بموضوع معين لا يتجاوزه إلى غيره ، واجتنب البناء التقليدي للقصيدة العربية الذي يقوم على تعدد الأغراض ومن أوائل قصائده قصيدته التي مطلعها :

أشمس (سعود) أشرقت من سماء المجد ... فضاء بها أفق الحجاز الى نجد
أم البدر أبدى صفحتيه فبدرت ... أشعته ما بالقلب من الوجد
أم الروضة الغناء رنحها الصبا ... ففاح شذاها بالخزامى وبالرند

٢ ـ ومن السمات التي اتسم بها شعر الغزاوي في هذه المرحلة طول النفس في القصائد حيث كثرت كثرة واضحة القصائد المطولة وقد بدأت من منتصف عام ١٣٤٥ هـ واستمر على نهجه هذا بل رأيتها تزداد طولاً في ما بين عام ١٣٥٨ حتى ١٣٦٩ هـ بل أن هذه الفترة اختصت بالقصائد الطوال التي تجاوزت أبياتها المائة بيت ، وتلحظ قلة المقطوعات الشعرية في هذه المرحلة اللهم الا في حالات محصورة كمثل الاخوانيات أو مقطوعات وصفية أو قصائد أجبر على ارتجالها[٢] . . من تلك القصائد المطولة قصيدته التي بعنوان : (وحدة العرب في السياسة نصر) التي نشرها عام ١٣٦٤ هـ وتبلغ اثنين وثلاثين ومائة بيت ومطلعها[٣] :

حبذا (الفجر) من ضحى الاسلام ... في حمى (البيت) مشرقاً و(المقام)

---

(١) أم القرى ع ٩٤ ص ٣ في ١٣٤٥/٣/٢٢ هـ .
(٢) أم القرى ع ٢٣ ص ٣ الاربعاء ١٧ ذي الحجة ١٣٤٧هـ .
(٣) أم القرى ع ١٠٨١/ ١١ ذي الحجة سنة ١٣٦٤ هـ .

وقصيدة اخرى بلغت ثلاثة ومائة بيت بعنوان : (بردى والفرات والنيل شعب) ومطلعها[1] :

في حمى عدله وظل لوائه أشرق العيد وازدهى بلقائه

وقصيدة أخرى تبلغ أربعة وسبعين بيتاً وهي بعنوان : (هي الأخلاق فاسبغها دروعا) ومطلعها[2] :

هتكنا الشمس دونك والحجابا وخضنا بين موكبك العبابا

٣ ـ ومن خصائص هذه المرحلة اختياره للبحور الطويلة التي من خلالها يستطيع التعبير عن جل معانيه وأغلب البحور التي رأيناه يبني قصائده عليها تنحصر في أربعة أبحر هي : الطويل والبسيط والوافر والخفيف . .

٤ ـ براعته اللغوية فقد كون له ثروة لغوية من تعهده لقراءة كتب التراث . . التي تعني باللغة العربية ودأبه على حفظ التراث الشعري العربي من دواوين كبار شعراء العربية فأصبحت لديه المقدرة اللغوية على تكوين التراكيب اللفظية وتقليب المعنى على أكثر من وجه بعبارات مختلفة . . . فانظر اليه مثلاً كيف يصف الأنظار بأنها شاخصة كما في قوله :

فكل عين اليك اليوم شاخصة قد أعلن الود من أحداقها النور

ويصف العين مرة ثانية بالخشوع حين يقول [3] :

أشهد القوم يهرعون اليه خاشعي الطرف حرمة لجنابه

ويصفها مرة ثالثة بأنها ترنو الى الممدوح فيقول[4] :

---

(١) أم القرى ٩٣٩ الجمعة ١٧ سنة ١٣٦١ هـ .

(٢) أم القرى ٣٩٢ في ٥ محرم ١٣٦٣هـ .

(٣) أم القرى ع ٢٥٣ ص ٣ الجمعة ٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ .

(٤) أم القرى ع ٥٨٨ الجمعة ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ هـ الموافق ١٤ مارس ١٩٣٦م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتـرنـو الـيـه كـل عين قـريـرة تـمثـل في أسـراره ـ مـا تـبـادره

وتشقيق المعاني وزيادتها وتصريفها أمر وارد في شعر الغزاوي لأنه يقول قصائد متعددة في موضوع واحد يتكرر لسنوات متعددة أيضاً ذلك مثل حولياته في عيد الفطر السعيد وحولياته في عيد الأضحى المبارك . .

والغزاوي يهتم كثيراً بالمضمون الجيد أهمية بالغة من ذلك الحث على أسباب النهضة والتمسك بالعقيدة والوقوف في وجه التيارات المعادية ، وأشاد ببناء المؤسسات الوطنية التي تخدم المجتمع ومن ذلك قصيدته التي تحمل عنوان : (أمة تبني وشعب لن يخور) ومنها قوله[1] :

وانـبـرت نـحـو الـمـعـالـي أمـم أشـربت حب التفـاني والصـدور
لـم يـزعـهـا غـيـر مـا أبـلت بـه مـن نـزاع فـي بـقـاء ودثـور
كـافحت واستبسلت واستعصمت فحماها السيف والعلم الحذور

(الطور الثالث)

يبدأ الطور الثالث من حياة الغزاوي الفنية من عام ١٣٩١ هـ حينما قارب السبعين من عمره في هذا السن تكالبت عليه الأمراض ، وتثاقل من وطأة مرض المفاصل ، وأحس بالوحدة في هذا الكون الصاخب ، فلا بنين يواسونه ويملأون عليه البيت حركة ونشاطاً ، والأقارب كانوا عنه في شغل شاغل بمعترك الحياة ، ووقف المرض حاجزاً له عن مواصلة القراءة والكتابة على النهج الذي سلكه طوال حياته ، فتغير مجرى حياته من حركة وحيوية ونشاط وأمل الى عجز وفتور وفقدان للأمل .

ولقد أحس الغزاوي ذلك فأثر على انتاجه الأدبي وعبر عن ذلك في حفل افتتاح النادي الأدبي الثقافي بمكة المكرمة ، وتمنى لو كان في مقتبل العمر ليبارز

---

(١) أم القرى ٥٩٢ الجمعة ١٨ محرم ١٣٥٥ هـ . . .
(٢) المنهل السنة ٤٢ ـ مجلد ٣٧ محرم وصفر ١٣٩٦ ص ٧٢ .

الشباب ويجاريهم ، ولكن أضناه المرض وتجاوز سن الثمانين فلا حول ولا قوة :

ألا ليتني بين (الشباب) المثقف ... أهيب بهم في كل (ناد) بموقف
وددت لو أني اليوم في ميعة الصبا ... وأني أباري الطير دون توقف
ولكنها الآلام ـ وهي (ملحة) ... ذرتني ، حتى لم تذر غير مدنف

كان ذلك بعد أن جاوز الثمانين فدخل صراعاً جديداً بين طموحه ووهن قوته :

لئن أوهنت مني (الثمانون) كاهلي ... فأعظم منها بالطموح تلهفي
وبالرغم مما مسني ، واستشفني ... وما هو أضناني ، وما هو متلفي
تحاملت ، واستوحيت كل تقدم ... به الشعب يمضي في النهوض المشرف

ويصور انطفاء الأمل والشعلة المضيئة :

فما عاد لي بعد الذبول (ذبالة) ... تضيء ، وقد كادت تذوب وتنطفي
ولكنه بعض (الدماء) وأنني ... لأشدو به ما اسطعت من كل معزف

والواقع أن هذه مرحلة نضب فيها معين الشعر عند الغزاوي ، فقصر نفسه وأنحسرت معانيه ، بل انحصرت في معاني قديمة ، وفترت عاطفته وانشغل بحاله ، وأثقلته الشيخوخة ، فتلاشى اندفاع الشباب وقوته وأخذت تبدو له الأمور بصور عقلية أبعد ما تكون عن خيال الشعر ونظرته فاضمحل شعره ، واحتجب الا في أغراض معدودة كمثل أبيات في الحكمة والشكوى من الزمن وأهله ، وما نتج عن قضية التأثير والتأثر بين العادات الأصلية والمستوردة ، ففترت صلة الرحم والاهتمام بالجار فحاول معالجة ذلك في مقطوعات شعرية معدودة وربما كان اتجاهه للشكوى بعد أن الح عليه تقصير أقاربه في واجبهم نحوه فهي تمثل حكمة مجرب من مواقف أقربائه .

وهذه الموضوعات هي التي طالعتنا في المنهل من بعد ١٣٩٠ هـ . ومع هذه الحالة التي داهمت الغزاوي من ضعف عام في قواه الجسمية فانه أصر على مواصلة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السنة الحسنة التي استنها لنفسها وهي مواظبته على حولياته التي بدأها من عام ١٣٤٧ هـ وظل محافظاً على تلاوتها في جموع المسلمين في موسم الحج المبارك ومع هذه المحافظة فان معالم الشيخوخة ظهرت على حولياته حيث نرى عدد أبيات القصائد يقل فقد كانت تتجاوز المائة بيت أو تنقص قليلاً ، لكننا نراها في سنيه الاخيرة تقل كثيراً حتى لا تتجاوز خمسة وعشرين بيتاً كما في حولية عام ١٣٩٧ هـ والتي مطلعها[١] :

(عيد) به تتضاعف الأفراح ... ومناطه الأجسام ، والأرواح
أضحى الحجيج به سعيداً هانئاً ... يزهو به الإمساء والإصباح
يستقبل (الغفران) فيه مكبراً ... وتفيض منه ـ (مشاعر) وبطاح

وكذلك نرى ان نفسه الشعري بدأ يتناقص ـ على غير عادته ـ في قصائد المدح أمام الملوك في قصائده المطولة فقد عهدناه يميل إلى الإطالة عندما يمتدح الملك عبد العزيز والملك سعود والملك فيصل ، لكنه في عهد الملك خالد أثقلته الشيخوخة وأمراضها لذلك نرى مدائحه في الملك قليلة أيضاً كما في قصيدته التي ألقاها المذيع المشهور بدر كريّم نيابة عن الغزاوي وهي لا تتجاوز الثمانية عشر بيتاً والتي يقول في مطلعها[٢] :

في (باب ، بيت الله) ذكرك عاطر ... بالبر ، وهو مفاخر ـ ومواعد
وقد ، اصطفاك الله ـ جل جلاله ... للمجد ، وهو على البرايا (خالد)
لم يعهد التاريخ مثلك (عاهلا) ... وله جميع (الباقيات) شواهد

ثم اننا نرى في حولياته الحديث المطول عن الملك أو من ينيبه عنه لرعاية الحجاج ولكنه في أيامه الاخيرة لا يتجاوز البيتين أو الثلاثة وذلك يعود لعامل السن

---

(١) المنهل مجلد ٣٩ محرم ١٣٩٨هـ . ديسمبر / يناير ١٩٧٨/٧٧ م ص ٥٨ .
(٢) المنهل مجلد ٤٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩ هـ / اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٩ ص ٧٤٠ .
(٣) المنهل السنة ٤٥ المجلد ٤٠ ذو القعدة والحجة ١٣٩٩هـ ص ٧٥١ .

وتقدمها ومن ذلك أبياته في الملك خالد والملك فهد (حينما كان ولياً للعهد) في حوليته لعام ١٣٩٩ هـ :

وعـاش لـديـن الله حـرزاً وقـوة (أبـو بنـدر) ملك بـه الغيث ممطر
« مليك » أقام العدل وازدان «تاجـه» بـمـا فيـه ديـن الله يعـلو وينـصـر
(فهد) و(عبد الله) في نعمـة الهدى فـهـم لـسـمـاء الـديـن بـدر منـور

موقف الغزاوي
من التيارات الأدبية الحديثة

قبل أن نعلق بالحديث عن الاتجاه الأدبي للغزاوي وموقفه من الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي بعامة والشعر بخاصة . لا بـد لي من أن أتحدث عن الأفكار الأدبية ومكانتها ونقدها حتى أضع شعر شاعرنا . وشاعرنا نفسه في المكانة التي تليق بهما ، متوخياً في ذلك العدل والإنصاف ، ليكون الحكم نتيجة اطلاع ودراسة وتقويم .

فلقد أشرنا سلفاً إلى موقف شباب الحجاز من الاتجاهات الحديثة التي جدت في مصـر والشام والعـراق والمهجر ، حيث قـويت صلتهم بأدبـاء هذه الأقـاليم فاحتذوهم في بداية النهضة ، وتتلمذوا عليهم ، ومن هنا ترك شعر شعراء تلك البلاد أثره واضحاً فيما نظم شباب الحجاز في بداية نهضته فكان منهم من نزع الى تقليد المحافظين ورواد الأصالة كشوقي وكان فيهم من نـزع إلى محاكـاة ذوي النزعـة الحديثة الذين احتذوا حذو الرومانسيين الغربيين بخاصة ، فاحتذاهم بعض شعراء شباب الحجاز مثل حمزة شحاته ، محمد حسن عواد ، وكان فيهم من نزع الى الاصالة والحفاظ على عمود الشعر العربي مثل حسين سرحان والغزاوي وحسين عرب ، وعبد الله بلخير وفؤاد شاكر .ونجد العواد يقف لهذه المدرسة بالمرصاد كما وقف العقاد لأحمد شوقي ، وان كان أعنف ، في دعوته للجديد من العقاد ولكن العقاد يمتاز بطول نفسه في النقد متوخياً التحليل والتعليل وإبداء الرأي المؤيد بالحجج والبراهين بينما العواد لا نجد لديه شيئاً من ذلك مما جعل أثره على الأدب السعودي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أقل من صاحبه على الأدب المصري والعربي .

والأمر الآخر الذي أجد نفسي ملزماً بالحديث عنه في هذه الجزئية لكي أحدد مكانة أدب الغزاوي هو أن أتعرف على مفهوم التجديد في الأدب العربي .

فأقول : ان الجديد في اللغة هو ما له أصل موجود من نوعه ثم طرأ عليه تغيير ، فهو يدل على التغيير والتطوير ، ومن هنا نرى هذه اللفظة لازمت الأطوار الأدبية في مصطلح النقاد من بداية منتصف القرن الثاني الهجري فكلما لبس الأدب حلة تناسب ظروفه وبيئته ومجتمعه وعصره أطلقوا عليه تجديداً ، ويطلق على كل دعوة أدت إلى إبداع أو ابتكار في فنون الأدب من وضع أو تغيير أو تطوير في مضمونه أو شكله أو فنونه أو أغراضه ، ويشمل ذلك الموضوعات والأفكار ، والمعاني والألفاظ والأساليب ، والأخيلة والصور كمثل ثورة بشار بن برد وأبو نواس على النهج الذي كانت تسير فيه المطالع الشعرية غالباً ومن هنا نبذوا المقدمات الطللية بخاصة ونحوها ، وكذلك جدد أبو تمام حينما أوغل في العمق في المعاني والفلسفة تمشياً مع ثقافة عصره .

وجاءت طبقة المقلدين الذين جاروا عصرهم في الجمود الفكري ولم تنفك هذه المرحلة عن العالم العربي وأدبه حتى جاءت طبقة البعث والتجديد في الموضوعات والأغراض والأفكار والأخيلة التي عبرت عن شعورها أصدق تعبير مع محافظتهم على القواعد التي لا غنى عنها لضبط المسيرة الأدبية ، وتحللوا من القيود التي تكبل الذوق السليم .

والتجديد أمر ضروري وحتمي فالعادات والتقاليد وظروف الحياة ، ومصطلحاتها وأشكالها والعوامل الداخلية وعوامل التأثير والتأثر ـ وعوامل التطور والتغيير إلى جانب التغير الذي طرأ في القرنين التاسع عشر والعشرين في أساسيات الحياة وكمالياتها كل ذلك يتغلغل في أحاسيس الأديب ، ويؤثر فيه ، ويظهر أثره ذلك كله في إنتاجه ومن هنا لا بد أن يحدث تغيير وتجديد في الأدب ، والأدباء أكثر شفافية وحساسية ومن ثم أسبق تصوراً لما يتوقع حدوثه ، وهم الذين يعبرون عن نفسيات المجتمع لذلك فإنهم يتصدون للتجديد ويتجلى في إنتاجهم ، فيكون ذلك

محل نقد واستغراب ، وهم ينشرون أفكارهم قبل أن يقتنع أكثر المجتمع بهذا التغيير .

والحقيقة أن التجديد أمر معترف به ويدركه كل الأدباء والنقاد فلا خلاف عليه ولكنه الخلاف في كيفيته وما هي الأمور التي يجب أن تنقاد للتجديد ؟ وما موقف النقاد منها ؟ ولقد وقع الخلاف بين فئتين هما قطبا المدارس الأدبية .

فالفئة الأولى ترى أن التجديد المعاصر يقع في الأدب كوحدة متكاملة فيكون في الشكل والمضمون أي في الموضوعات والأفكار والمعاني والألفاظ ، والأساليب والأخيلة والصور والأوزان والقوافي وقد تبنى هذا المذهب كثير من الادباء والنقاد والعرب كمثل الدكتور زكي أبو شادي ، والشابي وشايع ذلك من النقاد محمد حسن العواد .

أما الفئة الثانية ، فوقفت موقفاً معتدلاً فرأت أن التجديد في الأدب والشعر بصفة خاصة أمر ضروري ، فلا بد أن يطرأ تغير بسبب عوامل التأثير والتأثر التي وجدت أسبابها من جميع جوانب الحياة الفكرية والعملية بين أبناء هذه الأرض قاطبة فتقبلوا التجديد عن وعي وإدراك وتعقل ولزموا ضوابط للأدب بعامة وللشعر بخاصة وأنه لا بد منها وهناك ضوابط أخرى لا حرج في التخلص منها فاعتبروا التقيد بالأوزان الشعرية وسلامة اللغة ضوابط أساسية لا غنى عنها وجددوا فيما عداها وقد قال حافظ ابراهيم[1] :

آن يا شعر أن نفك قيودا ... قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ... ودعونا نشم ريح الشمال

وقد جدد حافظ ابراهيم في المضمون أما الاوزان فقد التزم بها لم يحد عنها الى سواها . وقد أوضح هذا المذهب الشاعر هاشم الرفاعي الذي يقول[2] :

---

(١) الادب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد د/ ابراهيم الفوزان ١ : ٣١٨ .

(٢) نظرية الفن المتجدد ٨٠ لعز الدين الامين ، الادب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد جـ١ : ٣١٨ للدكتور ابراهيم الفوزان الطبعة الأولى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا أنادي بأن تحاكوا زهيراً ... فيه أو أن تقلدوا حسانه
راح عهد الوقوف بالطلل البا ... كي فلا تذكروا به سكانه
جددوا ما استطعتم في المعاني ... وقفوا لا تحطموا أوزانه
ليست الفكرة الجديدة تأبى ... عرضها في جزالة ورصانه
ألبسوها من القوافي خلودا ... ومن الوزن قوة ومتانه

وغير هؤلاء الكثير في مصر والحجاز ممن يعبرون عن آرائهم وافكارهم وخلجات نفسهم في قوالب ملونة مع التزامهم باللغة السليمة والموسيقى العروضية .

ومن هذا المنطلق في التجديد الذي سبق إليه أدباء أسلافنا في العصور الإسلامية الأولى فكانوا يسمونه القديم والحديث ، وتوالت هذه الكلمة على مسامعنا في كل عصر حتى يتآلف الحديث مع القديم فينضم هذا الجديد ليكون لبنة في بناء الأدب العربي ، وذلك لاتفاق القديم والجديد أو أنصار القديم وأنصار الجديد في أمور أساسية تلك الأمور تدور حول سلامة اللغة والتقيد بالأوزان العربية فكانت هذه الأسس أشبه بالأمور التوقيفية أو القواعد العامة فإذا ما ظهرت ظاهرة أدبية جديدة ، فإنهم لا يعدمون اسماً صالحاً لها كمثل فن الموشحات والزجل والمقامات .

ومن ناحية أخرى فإن أسباب التغيير في الشعر وكثرة اتجاهاته يعود الى مظاهر الحياة والعوامل المؤثرة فيه ، فالحضارة الغربية بدأت تدب في المجتمع في كل صغيرة وكبيرة منها الحسن ، وأكثرها لا يتفق مع ديننا وعاداتنا وصدق علماء الاجتماع الذين لا يرضون أن تمس الأسس الثابتة للمجتمع ولا يقبلون تغييرها ومع هذا فإن بعض المجتمعات الإسلامية تنازلت عن هذه الأسس فتاهت في فيافي التقليد .

ولأن الأدب ابن المجتمع فقد حدث له ما حدث للمجتمع فبعضهم مس الأدب مساً خفيفاً والآخر تجاوز حدوده وضوابطه فنجم عن ذلك اختلاف في

الاتجاهات الأدبية ، وإن كان هناك من سلك اتجاها معتدلاً . غير أن هناك اتجاهات أخرى لا نرتضيها لأدبنا لأن فيها إذابة لشخصيتنا في تقليد لمجتمع بني على أسس مادية ، وقد عبنا التقليد والمقلدين في أدبنا ، فكيف نهرب إلى تقليد الآخرين في أدبهم الغريب على أدبنا وفكره ولماذا نعتبر صفة التقليد عيباً يطعن به الشعراء ، والتقليد للآخرين محمدة ترفع من قيمته ذلك أعظم من تقليد عامة الناس للظواهر المستوردة لأن أصحاب الأدب أهل فكر ووعي أما أولئك فمن عامة الناس .

والحقيقة أن كثيرين من العرب قد ساروا وراء الغرب في أكثر المظاهر الاجتماعية والأدبية ولكن بدأ العرب يستفيقون ، فبدأوا بتأصيل كثير من العلوم الاجتماعية وغيرها ، فلماذا لم نسمع من الأدباء بالعودة إلى تأصيل الأدب أيضاً ، وليس معنى هذا الدعوة إلى التقليد ، وإنما أدعو إلى رصد مظاهر كل عصر واستخدام اللغة السليمة بأسلوب يناسب كل فكرة ومجتمع فاللغة أهل لذلك .

وقد تبنى الغزاوي الاتجاه المعتدل الذي يدعو الى التجديد في الفكرة والمضمون مع محافظته على سلامة اللغة وأساليبها الجزلة لأنه ينزع عن تأثر بالثقافة العربية القديمة ويعدها مصدره الأول ، وهذا سر محافظته على القوالب العروضية ، مع أنه ادرك الثورة الموجهة ضد العروض والقوافي وسلامة اللغة العربية وعبر عن ذلك بقوله[1] :

« فلا وربك لأن أستعيد رسائل « ابن زيدون » ومن في طبقته من أساطين الأدب وحماته في عصره المجيد في كل فرصة تسنح ألف مرة ومرة أحب إليّ من كل ما خطه بنان مهاجر الأميركان لما في الأولى من الألفاظ الفصيحة السالمة من الشوائب والتعقيد والمعاني البليغة التي تمتلك الأفئدة وتستوجب التمجيد » .

وعلى هذا الاعتبار من مبدأ التجديد الذي حددت معالمه فإن الغزاوي من المجددين في الشعر وليس من المقلدين فهو عدّ سلامة اللغة والأوزان ضوابط لا

---

(١) المعرض جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ٢١ المطبعة العربية بمصر الطبعة الاولى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غنى عنها في الشعر . والذين رموه بالتقليد استدلوا بعاملين هما المحافظة على الاوزان وإكثاره من المديح .

أما محافظته على الأوزان ، فهي في نظري محمدة ، وليست بالمذمة لأننا قلنا إنها إحدى الضوابط الأساسية في الشعر .

أما تفرغه للمدح كما قال عنه ذلك عبد الله عبد الجبار ، وشاركه أكثر من واحد في هذا الرأي . والواقع فانها أقوال مرفوضة من عدة وجوه :

١ ـ إنّ أولئك الذين حصروا إنتاج الغزاوي في المدح فلعلهم لم يطلعوا على جميع إنتاجه ، لأنهم لم يقرأوا إلا ما نشر منه في الصحف وبعض المختارات القليلة التي فيها ما هو حجة عليهم مثل ما في وحي الصحراء وشعراء الحجاز والعصر الحديث .

أضف الى ذلك شعره الذي لا يمت بصلة للمدح وقد نشرته جريدة (صوت الحجاز) و(البلاد) وحراء و(المنهل) و(الندوة) ، زد على ذلك أن حولياته لا تشتمل من المدح إلا على النزر اليسير ثم إن مدائحه كانت في جملتها أحاديث عن المجتمع وأحواله وواقعه في الماضي والحاضر والمستقبل وكانت المناسبة مدخل الحديث فيها .

٢ ـ ان المقربين له والعارفين بخصائصه وظروفه يشهدون بأن له شعراً كثيراً في غير المناسبات الوطنية واستمع إلى الأديب الباحث الشيخ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله يقول :

« فالذي أعرفه ويعرفه غيري أيضاً ممن يعنون بدراسات أدبنا الحديث من مصادره الأصيلة، أن لشاعرنا الغزاوي نصيباً كبيراً من الشعر الوصفي والاجتماعي والفكاهي والغزلي ، والابتهال إلى البارىء جل وعلا ، وقد يرتفع الكثير من شعره في هذه الميادين إلى درجة عالية من الإبداع . وليس الخبر كالعيان . والعيان هنا يتمثل فيما لو نشر سائر شعره ، بشتى ألوانه وأفنانه في ديوان مستقل وقام الدارسون الفطناء من ذوي الثقافة العربية ، والقدم العالية في النقد الأدبي المنزه الصحيح

الذي هو : ـ التمحيص ، والتحليل الحق الهادف الكشاف .

وعندي من قصائده المنشورة والمخطوطة بخطه ، ما يقوم برهاناً ساطعاً في قضية شمول شاعريته العريقة والمرموقة »[1] .

٣ ـ ومع ذلك فإن شهرة الغزاوي في سجل المناسبات الوطنية تعود إلى قدرة الرجل على متابعة الأحداث ومعايشتها وتصويرها بإجادة بارعة لم يقدر عليها إلا القليل من الشعراء كالبحتري والمتنبي كما يقول حسن عبد الحي قزاز :

« أحسسنا جميعاً بفقد الوالد الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي يوم عيد الفطر المبارك في انتظار المليك المفدى لتهنئته بالعيد . . . ولقد كان يرحمه الله ـ يملأ قلوبنا وأفئدتنا وأفكارنا بقدرته على تسجيل الأحداث بعمومها في مناسبات كهذه . . . بشعر رصين . . . وإلقاء يشد الأسماع والقلوب . . . . وإعجاب كله تقدير واحترام .

انه بفقده قد اثبت للجميع ، ولنفس هذه المحافل بأنه فارسها المجلى وقلبها الحي . . . وابن بجدتها »[2] .

٤ ـ أما إكثاره من المدائح فمسألة تفرضها ظروفه التي تحيط به من ملازمته للملوك والأمراء الذين أعجب بهم أيما اعجاب لما يقدمونه لمجتمعهم من إنجازات جليلة شدته إلى الإشادة بها معبراً من خلالها عن آماله وآمال الشعب مثله كمثل الذي أخلص شعره في ناحية (ما) واهتم بها وانصرف عن غيرها .

حيث لزم مجالسهم وسامرهم إذا فهو يعبر عن واقع في حياته الخاصة والعامة .

والواقع أن هؤلاء المشنعين بشعراء المدح لم يبنوا آراءهم على أسلوب علمي موضوعي منهجي ، وإنما هي شهوة مهاجمة المتفوقين ومحاولة هدمهم مع عجزهم ـ وهم يهدمون ـ عن البناء وبخاصة في ميدان العمل الشعري .

---

(١) المنهل السنة ٤٧ المجلد ٤٢ جمادى الاولى والثانية ١٤٠١ مارس ـ أبريل ١٩٨١م ص ١ .

(٢) المدينة المنورة ع ٥٦٠٣ الثلاثاء ٧ شوال ١٤٠٢م من مقال لحسن عبد الحي قزاز .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخيال

أمد الله الغزاوي بخيال خصب وقدرة على تأليف الصور وربط الأشياء بعضها ببعض وتكوين أشكال مهذبة فيؤلف بخياله المؤثر ، ويقرن صورة بصورة ويفيض على الصورة التي يراها صفات ومعاني روحية تؤثر في النفس وهو يغوص إلى باطن الأمور فيحللها إلى عناصرها ويمزجها بحسه وشعوره ليخرجها مجللة بشخصية الغزاوي ذاتها فانظر إليه كيف يؤلف الصور المحسوسة المتباعدة حينما يصف الحجاج حيث شبه تلك التجمعات الإنسانية بالبحر المتلاطم الأمواج حين يقول[1] :

ما في الوجود بأسره من مشهد ... كالحج يزحف بالعباد ويزخر
بحر تدفق بالخلائق موجه ... وبه السرائر لا البواخر تمخر
تتجاوب الأصداء فيه كأنها ... بالأرض تعرج للسماء وتعبر

ولست أظنه يغيب عن القارىء تخيل الغزاوي للقلوب المؤمنة بربها حيث تخيلها تقود هذا البحر المتلاطم ، فعبر بالجزء لاهميته في هذا المجاز .

وانظر إلى بيته في الملك فيصل حينما يقول[2] :

وله المواقف كلها مشهودة ... لهجت به الاثبات وهي صحاح

فالشاعر يبتكر شخصيات عديدة من الأدلة الثابتة فتشهد لممدوحه فجعل هذه الأدلة أشخاصاً عندهم القناعة والإيمان والصدق فيما يقولون ، فهم لا يستطيعون كتمان ما يعرفون كالذي رأى مظلمة فيؤنبه دينه وضميره حتى يشهد بما رأى فهو يعلن ذلك للملأ ويردده المرة تلو الأخرى .

وننتقل بك الى خيال أبعد حيث هداه خياله الى تأليف صورته الشعرية من

(١) المنهل مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢هـ .
(٢) المنهل مجلد ٣٩ محرم ١٣٩٨ هـ ص ٥٨ .

الاخطبوط والإنسان ، فروض نفسه على امتصاص الاحقاد واحتوائها كما يحتوي الاخطبوط فريسته[1] :

هي نفسي كـأخـطبـوط و(دوده) رضت منها بالجمـاح فهي « ودوده »
لـم أطـلع أمـرهـا بـسـوء ولـكـن سمتها (الكدح) فهي تسعى كـدوده

وهو يقرن صورة بصورة ويفيض على الصـورة التي أراد إخراجهـا صفات ومعاني مؤثرة في النفس تجعلك تقترن مع نفسية الغزاوي وتـأثره بهـذه الصورة فاستمع اليه وهو يتخيل الوفاء والإخلاص بين الناس ويظهرها أكثر حين يربطها بمائة من الإبل لا يوجد فيها صالحة للسفر إلا واحدة ، فهي نسبة ضئيلة جداً[2] :

ومـا النـاس الا الاكثـرون تـطاولاً وتحـامـلاً ، وتحـابـلاً ، وتقحمـا
لا تأس !! ما في الالف منهم واحـد تهنى بـه ، شهمـاً تقيـاً مسلمـا
مئـة من الابـل الشـوارد مـا بهـا للسفـر (اراحلة) تتـاح ! ، وقلمـا

ولا يفوتنا ان هذه الصورة عربية اسلامية وهذا كثير في شعره بل خاصية له فخياله يرتبط بخيال العربي ، فهو يصور الإنسان خالي الوفاض من الإيمان بالأفعى وهذا لا ريب خيال عربي فاستمع اليه يقول[3] :

مـا هـو الإنـسـان ، إن لـم يـتـذرع (بـالـعـقـيـده)
حـيـوان ، أفـعـوان ذو غـوايـات ، مـريـده
يـنـفـث الـسـم ـ زعـافـاً فـي ضـحـايـاه ، الـعـديـده

وخيال الغزاوي ممزوج بحياته الخاصة واهتماماته العاطفية والـدينية حيث نلاحظ الروح المؤمنة التي أضفى بها شعره ، فنجده يستخدم القلوب بكثرة وذلك

---

(١) المنهل مجلد ٣٩ ربيع أول ١٣٩٨هـ ص ٢٤٠ .
(٢) المنهل مجلد ٣٣ رجب ١٣٩٢ هـ .
(٣) المنهل مجلد ٣٢ رجب ١٣٩١هـ ص ٧٠١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعبيراً عن الإيمان الذي يستقر في هذه القلوب والألباب فاستمع اليه يقول[1] :

أغـذ اليـك السيـر ـ كـل مـوحـد وفي قلبـه الشـوق الملح المبـرح

ونتابعه في نفس القصيدة فيقول :

تناجيـكمنهـا في الـديـاجي قلوبهـا مـروعـة ممـا بـه الأرض تـرضـخ

ويقول :

ومـا (فيصـل) للدين ، إلا منـارة ومـا هـو الا قـلبـه ، المتـفـتـح
سينثرهـا من (أصغـريـه) جـواهـراً بمـا هـو يمليـه ومـا هـو يفصـح

فإن هذا الخيال صادر عن عاطفة مؤمنة صورهـا بخيالـه الذي انغمس في الإيمان بالله العظيم ، فبالقلب الذي عبر عنه يرمز إلى الإيمان الذي سيطر على النفس الإنسانية « ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » .

وانظر إليه حينما يتخيل تلك القلوب الطاهرة الخالصة من الشوائب وهي تتجلى وتطير نقاءً وصفـاءً كأنها الطيور المحلقة في الجو التي لم ترتكب آثاماً وذنوباً وذلك في قوله[2] :

فـيـه القـلوب تـطهـرت وتمـثـلت كـالـطيـر وهي إلى السمـاء تحلق

وانظر معي إلى هذا الخيال الجميل :

أيـان مـا حلوا ـ وحيثمـا تـوجهـوا ووردوا حيـاض البر من خيـراتـه

فهل هناك خيال أجمل من تخيله للبر حيث جعله منه حياضاً مشاعه ينهل منها كل وارد .

وانظر اليه يجعل من تفكيره وتدبره بواسطة خيال واقعي يمتد في غيـاهب

---

(١) المنهل مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢هـ ص ١٤ .
(٢) المنهل مجلد ٣٩ ذو الحجة ١٣٩٨ هـ ص ٨٤٥ .

القرون ويدور هذا الكون في بحر من التفكير الانساني بواسطة هذا الخيال[1] :

تحيط (الحياة) وأسرارها (باطراقة) دونها (المجهر)
ويعدو (بوعيك) عبر السماء (خيال) يمد وما يجزر
وتدنو اليك (القرون) الطوا ل ، وتغرق في لجة الأبحر[2]
وتحسب أنك - من بعدهم تجوس (الكواكب) - أو - تعمر

فقد شحذ مخزوناته الحسية والعقلية في اللاشعور وجاب هذه الآفاق بخياله الذي يعتقد بأنه أدق تصويراً من المجهر .

من هذا ندرك أن الغزاوي لديه مخزون من صور العالم في ذاكرته كوّنه من خلال اطلاعه على الأدب العربي والعلوم العربية والإسلامية ، وكذلك من خلال حالة العالم حوله وما فيه من تغييرات جذرية ، ثم من اطلاعه على النهضات الأدبية في العالم العربي ، فهو حينما يتأمل مخزونه الثقافي ، فإنه يحاول اكتشاف العلاقة التي تجمع بين هذه المخزونات ، فيختار ما يلائم بعضها ، ويعبر عن شعوره وعواطفه وأهدافه ، ويكتشف التناسب والتجانس في نسق يقبله العقل ولا يتعارض مع دينه ووطنيته .

ومع ذلك فانني ألحظ في شعره عدم الاكثار بل والندرة في تأليف أمور متباعدة ، كما أكثر أبو تمام مثلاً ، وذلك يعود إلى عقلية الغزاوي العلمية وان خياله خاضع لعقل العالم المدرك لأمور الحياة الاجتماعية والسياسية وعاطفة مصبوغة بالصبغة الإسلامية ، وقد أدرك النقاد تأثير هذه الأمور على الخيال الشعري[3] : (فالشرع والعقل - في النهاية - متلازمان كل التلازم لأن العقل « لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لن يتبين الا بالعقل ولا بد أن تقل قيمة الخيال وتتضاءل - في ظل هذه النظرة الى أقصى درجة وينظر إليه في حذر واتهام) .

---

(١) المنهل مجلد ٣٠ جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ أغسطس ١٩٦٩م .
(٢) فيه اقواء .
(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - دكتور جابر أحمد عصفور ٥٨ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وملخص القول أن الخيال عند الغزاوي يعود لثلاثة أمور :

١ ـ الحياة البدوية التي أدركها قبل النهضة واستقاها من البادية التي تحيط مضاربها بمكة المكرمة فهو كثير ما يختار الصور البدوية فيصف بالكرم والمروءة والشجاعة . ويمثل الانسان بالثعبان والذئاب وغيرها من الحيوانات المتواجدة في الجزيرة .

٢ ـ مصدر ثقافته العربية البحتة والعلوم الشرعية لها أثرها في خياله فاستمد أغلب صوره من القرآن الكريم والحديث ودواوين العرب .

٣ ـ استمد خياله من الحياة الحضرية التي عاشها والنهضة الشاملة التي لازمها ووصفها .

المقدمة عند الغزاوي

المقدمة في القصيدة العربية وصلت إلينا مستوفية جميع العناصر والظواهر اللغوية والفنية من هنا فإنه من الرجم بالغيب أن نبحث عن طفولة المقدمات ونشأتها . وقد وجدنا أنواعاً من المقدمات في الشعر العربي فقد شاع الابتداء بالمقدمة الطللية وقد بدأها ابن حذام كما يشير إلى ذلك امرؤ القيس في بيته[1] :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ولكن يعد النقاد امرؤ القيس من أوائل الشعراء الذين أرسوا تقاليد المقدمة الطللية ، ثم جاءت المقدمة الغزلية ، والوصفية ، وقد تعددت أشكال المقدمات وأنواعها عند الشعراء الجاهليين ، واختلفت أيضاً مضامينها الموضوعية وتقاليدها الفنية ، واستمرت القصيدة العربية على هذا النسج حتى جاء العصر العباسي ، فثار الشعراء على مضمون المقدمة كما قال أبو نواس[2] :

---

(١) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي د/ حسين عطوان ٧٧ دار المعارف طبعة أولى ١٩٧٠م .

(٢) من تاريخ الادب العربي لطه حسين ٢ : ١٣١ دار العلم للملايين بيروت .

لتلك أبكي ولا أبكي لمنزلة كانت تحل بها هند وأسماء

الإشارة هنا للخمر وقال[1] :

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضرّ لو كان جلس
تصف الربع من كان به مثل سلمى ولبنى وخنس
اترك الربع وسلمى جانباً واصطبح كرخية مثل القبس

واستهلوا قصائدهم بالخمر لأن كل اناء ينضح بما فيه فهؤلاء الشعراء في العصر العباسي الأول تحدثوا عن واقعهم ، فقد شاع بينهم الخمر وقد استوطنوا القرى والمدن ، ولم يعد للاطلال والديار تأثير في نفوسهم لاختفائها من واقع حياتهم والتغيير الحتمي هذا يدل على أن لكل مقدمة حالة فريدة متميزة فهي تصور وتعبر عن تجربة خاصة ، وهكذا استمرت المقدمات حتى في هذا العصر الحديث سلك سبيلها فحول الشعراء بل وأئمة الشعر وفي مقدمتهم أحمد شوقي . فالشكل ظل صامداً على مر السنين أما المضمون فهو الذي طرأ عليه التغيير والتجديد لظروف كل عصر وكل شاعر حتى جاء العصر الحديث فطرأت على الشعر المعاصر تغييرات كثيرة في الشكل والمضمون معاً وكان يعتريها بعض التطرف فيها .

ويهمنا في بحثنا هذا شاعرنا أحمد الغزاوي فهو من أوائل الذين ربطوا معناها ومضمونها بمضمون القصيدة وقد تذبذبت عنده المقدمة فأحيانا يدخل في الموضوع وأحياناً أخرى يأتي بمقدمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوع كمثل وصف الرحلة أو وصف الطبيعة فلنصحب الغزاوي في مطالع قصائده لنتلمس خصائص المقدمات عنده :

فإذا نظرنا الى أول قصيدة اشتهرت للغزاوي ، فإنه يطالعنا بأمور تجديدية وأخرى سبق إليها الشعراء من قبل فأما الألفاظ فيها فقد بدأها بكلمة « ألا » مخاطباً

---

(١) من تاريخ الادب العربي لطه حسين ٢ : ١٣١ دار العلم للملايين بيروت .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رفيقه وهذه المخاطبة استهل بها الشعراء من قبل وكان أسبقهم إلى ذلك امرؤ القيس حين يقول[1] :

قفـا نبكِ من ذكـرى حبيب ومنـزل بسقط اللّوى بين الـدخـول وحـومـل

وكما طلب امرؤ القيس من صاحبيه أن يقفا كما وقف ، وأن يبكيا كما بكى . فإن الغزاوي طلب من صاحبه عدم الملامة والتقريع ولكن المضمون يختلف فامرؤ القيس يبكي محبوبته والغزاوي يتألم من الضياع وفراق الوطن والحيرة التي تراوده حين يقول[1] :

ألا لا تـلمني اليـوم أن أتـكـلمـا فـان فؤادي بـالأسى قـد تـكلمـا
فـإني امرؤ قـد أخلق الدهـر جـدتي ونـقصـني حـتى غـدوت مـقـومـا
سقـاني من كأس الصـروف أجـاجـة وألبسني بـردا مـن الـرأي معـلمـا

من ذلك نلاحظ أن الغزاوي نهج في هذه القصيدة منهج القدماء في المقدمة إلا أنه لم يجعلها معرضاً لعدة أغراض ولم يقف على الطلل كما وقفوا ولم يتشبب بالنساء كما تشببوا ، وانما اكتفى بمقدمة تناسب الموضوع وتعبر عن تجربة متميزة واقعية ، ولها ارتباط وثيق بموضوع القصيدة .

ومع أن المقدمة مبدوءة بكلمة «ألا» التي تعاب في المقدمات في العصور الاسلامية المتأخرة أرى لها أفضليتها لدلالتها على المشاركة الشعورية وانفعال الشاعر مع موضوعه انفعالاً أعطاه الأهمية ما جعل الشاعر يحس بأنه لا بدّ له من وسيلة توصله إلى هدفه وتلك الوسيلة هي المقدمة .

والمقدمة الوحيدة التي حاكى بها الشعر العربي القديم مقدمته لقصيدته التي تحت عنوان (تلك المكارم لا مزاعم نمقت) وهو يصف ناقلته في سفره (السيارة) وما تكابده من أحوال ومشاق السفر ، وما تقطعه من الفيافي مع اختلاف

---

(١) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي الدكتور حسين عطوان ٨٢ دار المعارف ١٢٧ .

وسيلته عن وسيلة الجاهلي إلا أنه وصف وصفاً اعرابيا قحاً حتى إن القارىء يشك في أمره هل يصف ناقة أم يصف سيارة في بداية المقدمة فهو يقول[1] : ـ

طوت الفدافد حزنها وسهولها ... ومحت بخصب (الراحتين) محولها
وفرت من الدو الطويل ، عريضة ... ومن القلوب سقيمها ، وعليلها
وترجحت بين الهضاب ، وسابقت ... زعر العقاب ، وما استعطن ذيلها
جوابة ـ صخابة ، هدارة ... مثل السهام إذا أرشت نصولها
هزئت بأكناف الصلاد وأسلمت ... حبل القياد ، لمن أراد عدولها
وتسنمت شعف الجبال ، وشققت ... حقف الرمال كثيبها ومهيلها
ومضت كبرق خاطف متلامع ... ثم استدرت بالحباء مخيلها
واستصغرت ما قد تعاظم دونها ... وتقحمت صعب الفلا وذلولها
طافت بأنجاد البلاد وغورها ... وتوغلت حتى امتطت مجهولها

وأنت تراه أطال في المقدمة بعض الشيء ووصف سيارته بأنها سابقت زعر العقاب ، جوابه ، صخابه ـ هداره ، وهزأت بأكناف الصلاد وتقحمت صعب الفلا ، هذه أوصاف تدل على القوة ولكنه لم يسهب في وصف سيارته ذاتها وربما التمسنا عذراً له فهو لا يقدر على ذلك لعدم معرفته بأسرارها ففي تلك الأيام يندر تواجد السيارات في الحجاز وقليل هم ذو الحظ الذين يمتطونها فلم يتداولها الأكثرية حتى يعرف الكثير من أسرارها ومسمياتها بل أن خبراءها والذين يقودونها فئة نادرة .

وهذه المقدمة جديدة في مضمونها ولكنها متأثرة بالصور القديمة للناقة ومع ذلك فهذا إبداع من الغزاوي فهو شاعر عربي استهل قصيدته بوصف السيارة مما يدل على أن شعر الرجل يبنى على تجربته الذاتية ولا سيما وأنه في هذه الرحلة بالذات تنقل على السيارة لأجل حضور مناسبة القصيدة ذاتها .

فالغزاوي في مقدمته يجمع بين مخاطبة الممدوح وبين الوصف الذي يصدر

---

(١) أم القرى ع ٢٢٨ ص ١ أول ذي الحجة ١٣٤٧هـ ـ ١٠ مايو ١٩٢٩م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بـه قصيدتـه فيجعل نـوعـاً من المقـارنـة بين الـطبيعـة المعـطاء وبين الممـدوح فيقول[1] :

أشمس (سعود) أشرقت من سماالمجد ... فـضـاء أفق الـحجـاز الـى نـجـد
أم البـدر أبـدى صفحتيـه فبـددت ... أشعتـه مـا بـالقلب من الـوجـد
أم الـروضـة الغنـاء رنحهـا الصبـا ... ففـاح شذاهـا بـالخـزامى وبـالـرنـد
أم البلبـل الغـريـد أصبح شـاديـاً ... يبشـر بـاللقيـا ويصـدح بـالحمـد
أم الـديمـة الهـطلاء كـامـل وبلهـا ... بسـاط الـروابي بـالـزهـور وبـالـورد
أم الـظبيـة اللمياء جـادت بـوصلهـا ... غداة اكتوى قلب المشـوق من الصد
أجـل قـد زهى وجـه البـلاد وحلهـا ... ركـاب الأمير البـاسق المجد والجـد

فقد قدم لقصيدته بوصف الطبيعة وزاد في ملاحة المقدمة عن المتقدمين من الشعراء بأن جعل الشك يداعب السامع هل هو يصف الطبيعة أو الممدوح وهذه ظاهرة إبداعية من الغزاوي وتكثر مثل هذه المقدمة في شعره ، ونحا في المقدمة منحى جديداً يشاكل المناسبة التي قيلت فيها فهو قد تحدث عن مكة حينما استقبلت الملك عبد العزيز ، وكيف تزينت له ويعلل ويوضح كيف لبست حلتها فيقول[2] :

تنعمت بـأوبـك (مكـة) وبـطاحهـا ... واخضـر واديهـا وسـح شحـاحهـا
حنت إليـك فلـو أطـاقت مـرتقـى ... لسمت إليـك بهـا الغـداة وشـاحهـا
أوليتهـا مـنـنـا تـقـلد جيـدهـا ... بعقـودها وبهـا استدار وشـاحها
أمنت خـائفهـا وشـدت صـروحهـا ... وبـك استنـار غـدوهـا ورواحهـا
وسلكت في إرشادها سنن الهدى ... حتى استقـام نجـاحهـا وفـلاحهـا

ونلحظ في هذا الاستهلال أن الغزاوي يخاطب ممدوحه في كل بيت .

---

(١) أم القرى ع ٩٤ ص ٣ سنة ١٣٤٥ض هـ .
(٢) أم القرى ع ١٢٦ ص ٣ في ١٣٤٥/١١/٩هـ .

ومن ذلك قصيدته في مديرية الصحة حيث جعل مقدمتها تناسب الموضوع فقال[1] :

هتف الشعر في رياض « الطبابه » وتناجى بهمسة واستطابه
حلقت بالحنان أجنحة الطب وأمرت على الوجود سحابه
إن قلب الطبيب قلب ملاك وهو في الحق كالسماء رحابه
فهو يأسو المريض غير محاب فيه أعداءه ولا أحبابه
يلمس الداء باسماً وهو يبكي حين يخفي مع السرور اكتئابه

وهو في مقدمته يتعمد على الإشارة إلى أساس الموضوع وصحيحه من أول بيت يقوله وقد مر معنا أمثلة لذلك وهذه الظاهرة تغلب في قصائده ومن ذلك قصيدته بمناسبة الشروع في تأسيس جمعية الطيران العربي[2] :

اليوم تسمو ـ مع الأحياء ـ دنيانا وترتجى (نهضة الأوطان) جدوانا

فانظر إلى كلمتي (تسمو ، وترتجى) نهضة الأوطان « ففيهما اشارة الى الأماني والآمال التي تنتظر هذا الوطن» .

والغزاوي يخاطب ممدوحه في مقدمته فيهتم به من البداية ولا يغفله على خلاف القصائد العربية التي تبدأ بمقدمات متنوعة تتحدث عن الشاعر ذاته وأسباب رحلته وما كابده ومن ذلك قوله[3] :

بالله ثم بك ـ الهناء يعود والأرض تشرق والسماء تجود
والبشر مبسوط الرواق كأنه فوق الجوانح والقلوب بنود
والشعب يهتف والعيون قريرة والطير تشدو بهجة ونشيد

---

(١) أم القرى ع ٧٣٧ ص ٩ في ١٣٥٧/١٢/٧هـ .
(٢) أم القرى ع ٣١٤ في ١٨ رجب سنة ١٣٤٩ هـ .
(٣) أم القرى ع ٧٨٧ ص ١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو في هذه المقدمة اشترك بذاته وعبر عن نفسه وعن غيره تعبيراً ينبىء عن المشاركة الذاتية من الشاعر بل إن هذه المقدمة امتازت باستنطاق الطبيعة ومشاركتها للإنسان حيث يقول :

والشعب يهتف والعيون قريرة والطير تشدو بهجة وتشيد

وهو في قصائد التهاني يستهلها بما يشير للشخصية الرفيعة التي تحتل الصدارة فيخاطبه مباشرة ثم يستمر في وصف المناسبة مترجماً أثر تلك الشخصية في النفوس فهو يقول :

مطالع (عيد) قد تجلت (بدورها) ومنك ثناها في العيون ونورها
لها منك ما في الصوم والفطر من هدى كما لك منها أنسها وحبورها

وبعض الأحيان لا يقيد نفسه بمقدمة بل يبدأ بالموضوع مباشرة في كثير من قصائده مثله في ذلك كمثل شعراء العصر الحديث من ذلك قصيدته في المعهد السعودي وتحضير البعثات :

(فجره) ثم (ضحاه) ناشىء يهوى الحياه
حالف السهر طويلاً فتشكى ناظراه
ورأى النجم ـ واحيا ليلة رغم دجاه
وانتضى للدرس عزما ربما أضنى قواه

وهو بهذه المقدمة يحاكي عصره عصر السرعة فيختصر السبل ليصل إلى غايته وقد تحلل من المقدمات في قصائده الذاتية والوطنية ومن ذلك قصيدته الشرق التي يرد بها على شاعر بريطانيا حيثما قال (الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيان) .

فبدأ الغزاوي قصيدته بالموضوع مباشرة دون تمهيد أو مقدمة فقال[1] : ـ

---

(١) أم القرى ٢٢٣ ص ٢ في ٢٥ شوال سنة ١٣٤٧ هـ .

لا (الشرق شرق) إذا ما ثارت الهمم كلا ، ولا (الغرب غرب) يوم يصطدم
لكنهـا (سنن التكـوين) ثـابتـة على العصـور ، فلم تحفظ لهـا ذمم

ومن المقدمات اللطيفة للغزاوي قوله[1] :

هتفت باسمك ما استعظمت أنصاري وراعني الوصف فاستصوبت إقصاري
ومـا اصطنعت المعـاني فيـك أغنيـة ولا جعلت (فـروع الغيـد) أوتـاري
ولا التمست جمـال العين عـاريـة أصوغ منها (غـداة العيد) أشعـاري
أغنت خـلائقـك السمحـاء مشـرقـة عن كـل مائسه الأعـطاف معـطار

فانظر إلى هذا العذر اللطيف في تركه للمقدمة فجعل العذر مقدمة لطيفة وهو بهذا يحاكي مقدمة الكميت حين يقول[2] :

طربت وما شـوقاً الى البيض أطـرب ولا لـعبـا مـني وذو الـشّيب يلعـب
ولكن إلى أهـل الفضـائـل والنّهى وخيـر بني حـواء والخيـر يـطلب

أما المقدمة في حولياته فإنها تقوم على التركيز والدعاء والتسبيح وربما تحدث فيهـا عن العيد ومحـاسن الحج ومن ذلـك حوليتـه لعام ١٣٩٢ هـ حيث بـدأهـا بالتكبير :

الله أكبـر ، مـا انتـدى (الإسـلام) وبـه الـفـجـاج تـعـج والآكـام
الله أكبـر ، مـا السمـاء تـزينـت بـنجـومـهـا ـ وتـهـادت الأجـرام
الله أكبـر ، مـا الـروابي اعشـوشبت وتفتحت بـزهـورهـا الاكـمـام[3]

ومن مقدماته في الحوليات مقدمته لعام ١٣٩٩ هـ التي استهلها بالحديث عن

---

(١) أم القرى ع ٧٢٩ ص ٥ ـ ١٠ شوال ١٣٥٧ هـ .
(٢) التطور والتجديد في الشعر الاموي الدكتور شوقي ضيف ٢٧٣ دار المعارف بمصر .
(٣) المنهل مجلد ٣٤ محرم وصفر ١٣٩٣ هـ مارس ـ أبريل ١٩٧٣ ص ١٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العيد والوحدة الكبرى والغفران المنزل من الله وذلك في قوله :

«عيد» به الإسلام يزهو ، ويظهر ... وفيه «وفود الله» بالعفو تظفر
به تشرق الدنيا برضوان ربنا ... وترتفع الأصوات وهي تكبر
يباهي به الرحمن أملاك عرشه ... بمن (وحدوه) واستقاموا وبكروا
ويعلن بالغفران عنهم وكلهم ... بنعمته الكبرى يلح ويشكر
به يتلاقى المسلمون (ببيته) ... وقد طوفوا من حوله وتطهروا[1]

وإزاء هذه الدراسة للمقدمة عن الغزاوي فإنه يعبر فيها عن تجاربه وانفعالاته الصادقة تعبيراً سهلاً يسيراً لا تكلف فيه ولا تصنع فتنساب عبارات المقدمة لديه صافية رقراقة لأنها تصدر عن ذاته وواقع حياته ، فلا يقهر الكلام ولا يغتصب الألفاظ ولا غرابة في ذلك فإنه يكتفي بالتعبير عن مشاعره وانفعالاته الفردية والمتميزة عن كل تجربة ذاتية فهي مشاعر وانفعالات أراد أن يفرغ شحناتها فيما تفيض به طبائعه ذلك ما جعل مقدمات قصائده سهلة واضحة مرتبطة بموضوع القصيدة مباشرة .

وانني ألخص ظواهر المقدمة عند الغزاوي في الأمور الآتية :

١ ـ أنه لم يهتم بالمقدمة ذات المواضيع المختلفة ، فترك الأطلال والغزل ، والرحلات في استهلاله للقصائد ما عدا قصيدته في الملك عبد العزيز عند استقباله في المدينة المنورة ولأن الغزاوي سافر من مكة الى المدينة المنورة على السيارة فقد وصف هذه الرحلة في مقدمة القصيدة كما وضحت ذلك .

٢ ـ وليس من المعقول أن يبتدي الغزاوي مقدمته بوصف الخمر لأنه ليس من أهلها ولأن اتجاهه الديني يمنعه من ذلك فلم أعثر في شعره على شيء من ذلك إطلاقاً .

٣ ـ يختار المقدمة مما يناسب الموضوع ويشاكله ، وقد كثر ذلك في جل قصائده بل إنه يختارها في مناسبة الموضوع ذاته .

---

(١) المنهل مجلد ٤٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ ـ أكتوبر ونوفمبر ١٩٧٩ م ص ٧٥٠ .

٤ ـ وهو يحاول أن تكون بعض مقدماته مطبوعة بطابع الطبيعة مع إدخال الممدوح وتأثيره في هذه الطبيعة أو مشاكلته لها .

٥ ـ والغزاوي يواجهك بالموضوع مباشرة في كثير من قصائده فمثلاً يخاطب الممدوح في مستهل قصيدته وهذا فيه تحلل من قيود المقدمة وينتشل قصيدته من تعدد الأغراض ومستلزماته كمثل حسن الخروج من غرض إلى غرض وهكذا .

٦ ـ تجنب الإطالة في المقدمة للقصيدة حيث لم تتجاوز أبياتاً معدودة ولم تتجاوز غرضاً واحداً .

٧ ـ تجنب المقدمات التي توحي للسامعين بالتطير والتشاؤم كما تجنب الكلمات النابية ، ولم يكثر من البدء بقوله : ألا ، وخليلي فالنقاد عابوا ذلك .

٨ ـ لم يظهر التعب والعناء والكد والمشقة من أجل لقاء الممدوح استدراراً لعطفه ليزيد في النوال وشأن المقدمة في ذلك شأن كل شعره فلم يطلب به العطاء إطلاقاً .

بناء القصيدة عند الغزاوي

بناء القصيدة الفني عند الغزاوي يعتمد على الأسس الفنية للقصيدة العربية مثله كمثل الشعراء العرب ، وقد قامت قصيدته على شرف المعنى وصحته ، فالغزاوي يضع المعاني في موضعها الملائم لها ويحلها في المكان المناسب لها وتكون موافقة للمقام الذي تقال فيه ، فإنك تلاحظه يوجه معاني وأفكاراً ذات صبغة خاصة للملوك والرؤساء ويحرص على كيفية أداء الفكرة ، وينتقي الألفاظ التي تناسبهم ، وغالباً مما يكون على وعي كامل وإدراك تام للشيء الذي يتحدث عنه لذلك فان أخطاءه المعنوية في أوصافه قليلة جداً ، وقد يتضح إدراكه للمعاني والأفكار وتصريفها من خلال مخاطبته الملك والأمراء فإذا توجه بالخطاب إلى الملوك فانه يتأتى بما يناسب المقام كقوله[1] :

(١) أم القرى ع ٥٧٨ ص ٢ الجمعة ٨ شوال سنة ١٣٥٤هـ الموافق ٣ يناير ١٩٣٦ م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رفع اللواء مجاهداً ومكافحاً ... والأرض جور ، والسّماء دعاء
فأباد منها الظلم دون هوادة ... وأذلّ فيها الشرك وهو بلاء
وأعادها عمريّة مرهوبة ... بالله واستخذى له العظماء
ظهرت به أخرى الحوادث آية ... لله فيها والرسول ضياء
هي غاية الآمال أومن أنّها ... صح السقيم بها وزال الداء
هي وحدة الشعب التي لم تلتئم ... منذ استبدّ بهديه الأغواء
فجلى بها صبح الحياة وانها ... لهي الحياة ، هزيمة ومضاء

وانظر إليه كيف يمدح ولي العهد سعود الملك فيما بعد فيصفه وصفاً ذاتياً ويقول إنه الأمل للشعب ويطلب فيه الاستعداد للمستقبل يقول فيها[1] :

فاقبل بوجهك وضّاحاً فما برحت ... بك (الشعوب) مع الأملاك تحتفل
واسلم لأمتك الأخرى بك ابتهجت ... فإنما أنت في عليائها مثل
وخذ سبيلك موفور الجلال غدا ... إذا تصدرت التيجان والدول
فأنت ثمة ما شاءت مفاخرنا ... المجد والعزّ والتاريخ والأمل

ويصفه في قصيدة ثانية بأنه الرجاء للمستقبل المشرق[2] :

رجا البلاد وابن المفدى ... وأخا الخالدين من أعقابه
وولي العهد الذي بك أضحى ... وارف الظل شامخاً بقبابه
كلنا فيك بالمودة قلب ... وأنت منه موكل باصطحابه

فأنت تراه يعدد المناقب والأعمال التي تجسدت للملك عبد العزيز بينما يقول لولي العهد (يا رجاء البلاد وابن المفدى) .

وانني أرى هذه السمة في مدحه للملك فيصل رحمه الله حينما كان نائباً

---

(١) أم القرى ع ٦٤٥ .
(٢) أم القرى ع ٧٢٠ ص ٢ الجمعة ٢٩ رجب ١٣٥٧هـ - ٢٣ سبتمبر ١٩٣٨م .

لجلالة الملك عبد العزيز في الحجاز ، فهو على مودته للفيصل وإعجابه به وكثرة مجالسته ، فانه يختار المعاني والألفاظ التي تناسب المقام فإذا ما أدرك أنه تجاوز حده أو أوصله الى درجة أبيه فإنه يستثني الملك عبد العزيز كما في قوله[1] :

فمـا تجلت لي الآفـاق مـن كثـب ... الا و(فيصل) فيها الكوكب الساري
ولا عهـدت لـه في الحكم من مثـل ... حاشا (المليك المفدى) منذ أعصاري
تهفـو اليـك قلوب فيـك شـائعـة ... مـا بين حبّ ، وإعجـاب وإكبـار

ومن الأسس التي بنى الغزاوي قصائده عليها اعتماده على الجزالة في اللفظ واستقامته والقارىء أو السامع لقصائده يحس بجزالة لفظه وقوة سبكه فهو اقتفى كلام العرب الفصحاء في غير توعر وعنجهية واغراب في اللفظ مما جعل قصائده تمتاز بمتانة أسرها ، وقوة نسجها ولم تخالطها العجمة ولم يتسرب اليها اللحن لـذلك جاءت ألفاظه مستقيمة متفقة مع أصول اللغة وقواعدها المتعارف عليها ومن ذلك قوله يخاطب حجاج بيت الله[2] :

يـا بني الشام ، والعـراق ومصـر ... وطـراز (التـاريـخ) في عنعنـاتـه
وبني (الضـاد) حيثمـا امتـد أفق ... نـحن منـه ـ وفـخـرنـا بـبـزاتـه
(بـردى) والفرات والنيـل جسم ... نـتشكى جـمـيـعـاً مـن شكـاتـه
كـلنـا أمـة الى الـخيـر تـسـعى ... مـن صـراط وكـلنـا مـن رعـاتـه
(وطـن جـامـع) و(دين قـويـم) ... ولسـان (مـوحّـد) في لـغـاتـه
(مهبط الـوحي) قلبـه ، وهـو منـه ... بمكـان الضيـاء من بـاصـراتـه
وبـلاد الاسـلام طـرّاً مـهـاد ... لـتـعـاليـمـه ـ وهـدى حـمـاتـه

والغزاوي من أولئك الذين عنوا بوحدة الموضوع في القصيدة ، فلم يعدد أعراضها وانما اقتصرها على غرض واحد فإن مدح جعلها قصيدة للمدح وإن رثا

---

(١) أم القرى ٧٢٩ ص ٥ الجمعة ١٠ شوال ١٣٥٧هـ ـ ٢ ديسمبر ١٩٣٨م .
(٢) أم القرى ع ٧٨٩ ص ٣ الجمعة ١٨ ذي الحجة ١٣٥٦هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٣٨م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جعلها قصيدة للرثاء فحسب ، وإن وصف جعلها محض وصف لا غير وان كانت وطنية جعلها تدور حول الأمة وما تحتاجه من ايمان وتعليم وتقدم وعمران ووعي .

والغزاوي في أغلب قصائده حاول أن يجعلها متسلسلة الأفكار موحدة الأهداف والغاية وتكون أفكاره الجزئية مؤدية إلى الهدف الأساسي من القصيدة ويكون تحقيق الهدف والشعور نحوها هو الرابط بين هذه الأفكار الجزئية مما جعل القصيدة عند الغزاوي كالدوحة المتفرعة الأغصان التي تسقى من ماء واحد وتثمر من نوع واحد وإن اختلفت أغصانها بجودة الانتاج الأمر الذي جعلنا نرى التحام النظام في البيت الواحد فهو شديد الارتباط مع بعضه متماسكاً تماسكاً متيناً وتحس ارتباطاً وثيقاً بين المصراع الاول من البيت والمصراع الثاني مناسباً لمعناه كقول[1] :

وبحزمه وأناته ساس الرعية وازدجر
يقضي الامور منفذاً أمر القضاء والقدر

ومما يلاحظ في البناء الفني في أبيات الغزاوي سهولة مخارج الحروف وعدم تنافرها أو ثقل نطقها على اللسان فهو بارع بانتقاء الكلمات العذبة المتجانسة الحروف والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى نكتفي بما أوردناه من أبيات سابقة ولاحقة . ونتناول من نماذج شعر الغزاوي ما تظهر فيه وحدة الموضوع والتحام النظم وتسخيره أبيات القصيدة لهدف القصيدة الموحد ، وأول ما يلفت انتباهنا دخول الغزاوي في موضوع القصيدة فهو يفضي إلى الموضوع ويستهلّ به قصيدته مباشرة كقصيدته في تهنئة الملك عبد العزيز بعيد الفطر المبارك لعام ١٣٥٥ هـ التي بدأها بالتفكير والتدبر في حكمة الله حينما يولج الليل في النهار فيتكون الشهر والعام فيقول[2] :

يا عيد « هل أنت الا الشّهر والعام فهل لديك بما أمليت إلمام ؟؟
طلعت والشمس شمس مثلها أبداً والشهر كالشهر والأيام أيام» !!

---

(١) أم القرى ع ٦٩٣ ص ٤ الجمعة ١٧ محرم ١٣٥٧هـ الموافق ١٨ مارس ١٩٣٨م.
(٢) أم القرى ع ٦٢٧ ص ١ في ٢ شوال سنة ١٣٥٥هـ .

لكنّما هي أسرار أبحت بها ... أو زينة وتماثيل وأجرام
أو أنها حلل تزهى مزركشة ... أو جنّة ، ورياحين ، وأكمام
أو أنها نعم تترى ، وأكسية ... تجلى وأغنية تتلى ، وأحلام
أو أنها مثل عليا ، تشعّ بها ... كأنما هي إذ وافيت إلهام
تبدو وشيكا ـ وتخفى وهي كامنة ... وعرفها كشذى الازهار نمّام

فنظرة الغزاوي للعيد تتضح من خلال هذه الابيات بأنه يوم كسائر الايام ، لكن الله فضل هذا اليوم بما فيه من حقائق تستهوي وما يعد فيه من زينة وأجرام وتماثيل ، وتغير الدنيا بين عشية وضحاها من حال إلى حال فكأنها لبست حللاً مزركشة أو كأنها قطعة من الجنة تعبق بالرياحين والورود ، وكأن البشر كلهم في رغد من العيش فلا تعب ولا شقاء ولا فكر فكأنهم في أغنية تتلى وأحلام ذات مسرة . فهذه معان تناسب المقام مترابطة متناسقة ذات التحام ومقام في هذه الحلة الجميلة التي رسمها الغزاوي بريشته للعيد السعيد . ثم ما زالت الصورة ناقصة في مخيلته فيحاول أن يجلوها لنا ويبرزها بصورة مقدسة عند البشر فيربطها بالجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر :

هل أنت روح من الفردوس منطلق ... أم الملائك في برديك أجسام
لا ريب أنك ـ كالدنيا ـ وزينتها ... وليس فيك ـ وان أغريت ابهام

ثم ينتقل الى جزئية ثالثة تكون عضواً في بناء القصيدة ويظهر الالتحام فيها بلفظ مباشر فيذكر العيد وكأنه يقول لقد طال الحديث بنا ولم نذكره فلنعد له ، وما زال الحديث مستمراً بمعان تفصيلية لبعض الأمور العامة التي فيها خير لكل البشر :

يا « عيد » فيك معاني الخير سابغة ... شكر ، وحمد ، وتثويب ، وإجمام
وأنت لا شك ذخر المتقين غداً ... وأنت للجهل أثواب وآثام
كل يميل إلى ما اختار من حسن ... وإنما الدين توحيد وإسلام
وفي الحياة لخلق الله مضطرب ... وللموازين ـ يوم القسط ـ أحكام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويستمر في إكمال الصورة حين ينقلنا الى مقطع آخر من مقاطع القصيدة فيربطه برباط وثيق حيث يستهل بذكر (الشهر) الذي انقضى ويعدد ميزاته على غيره من أيام السنة بما فيه من فتح أبواب الجنان وإغلاق أبواب النيران ، وصفد الشياطين بالأغلال ففيه إيحاء باستحقاق هذا الشهر للتكريم وختمه بيوم فاضل :

شهر تقضى ، لياليه مرهفة ... لذى ثراء ـ وأخرى ما لها ذام
ولي بأيامه غرّاً محجّلة ... ترفّ فيها بذكر الله ـ أعلام
يمتاز عن كل ما في الدهر من حقب ... شتى ـ ويغمره بر ـ وإكرام
تغدو الشياطين ـ في الأغلال واجمة ... فيه ويرهقها ذل وارغام
ويستقيم به من كان ذا عوج ... ويرتجى الأجر صوام وقوّام
قد وفق الله فيه كلّ مدّخر ... للباقيات ، وجفت قبل أقلام

ونجده في البيت ما قبل الأخير في هذا المقطع يذكر بما يجب عليه في ختام هذا الشهر الكريم بالعطف على الأيتام والحنو عليهم فيجاز من يعمله بالغفران من رب العالمين :

فقل ـ لاكثرنا ـ والله يعلمنا ... هل مر بالفكر « إسعاف » و«أيتام»
تلك المثوبة إن شئتم مضاعفة ... اذ لم يكن ثمّ آباء ـ وأعمام
ونسأل الله أن نحظى ـ بمغفرة ... منه ويشملنا عفو وإنعام

ويختمها برفع التهنئة للملك عبد العزيز فيكون الختام مرتبطاً بالموضوع كل الارتباط وملتحماً معه كل الالتحام وقد زاد على ذلك التصريح بقوله (ليهنك الفطر) التي هي في أواخر أبياته الآتية :

يابن الذي صان مجد العرب صارمة ... ومن له في سبيل الله إقدام
« عبد العزيز » المفدى من له خضعت ... بقدرة الله أعداء وأخصام
ليهنك الفطر ـ عيد ـ أنت طالعه ... وأنت في ثغره المفتر بسّام
مهما نراك ففي لقياك من كثب ... عيد ـ وعاد عليك الشهر والعام

وهذه القصيدة أشبه ما تكون بالسجادة الجميلة التي أتقنت صناعتها فأنت تلاحظ سهولة مخارج الحروف وعدم تنافرها ثم اختياره لموقع الكلمات وتركيبها مع غيرها من الألفاظ مع صحة المضمون وسلامته مما أوجد التحام النظم في البيت الواحد وبناء شطره الثاني على الأول ومن ثم الالتحام بين أبيات القصيدة كوحدة كاملة قائمة على غرض واحد .

وإذا ما انتقلنا إلى قصيدة أخرى من قصائده الوطنية نجده يخصها بموضوع واحد يورد ينابيع من الأفكار التي تنبع من هدفه السامي لهذا الوطن وتتدفق هذه الينابيع لتسقي نبت النهضة لهذا الوطن الحبيب . فيقول في مطلع قصيدته التي أراد بها تشجيع الاكتتاب في مشروع شركة الطيران[1] :

دعـا الـداعي ـ فلبتـه الجمـوع ... وحـان الجدّ ، واحتـدم الشـروع
ونـافس كـل ذي سـعـة أخـاه ... وأبـذل جـاهـد ، مـا يستـطيـع
تبـاروا في (اكتتـاب المجـد) حتى ... تـبلجـت الـمـطامـح ـ والـربـوع
وحـاروا في (المفاخـر) كـلّ شعب ... تحـامتـه الأسنـة والـدروع . . . .
وهـبّـوا يـرأبـون صـدوع مـاض ... بـعـزم ـ لا يـخـامـره خـنـوع
يحيـون (العـروبـة) في حمـاهـا ... (شهـاب) خـطوهم فيهـا سـريـع
سـواء في الشعـور ـ وفي التفـاني ... (أخـو السبعين) كهلا و(الـرضيع)

هذه الأبيات هي تجربة شعورية عميقة متميزة حركها حماس أبناء الوطن ، حينما يلبون داعي النهضة ، فيتنافسون ، ويتبارون في الوصول إلى المجد ، ويفخرون على الشعوب الأخرى ويرأبون الصدوع والكلوم . الكل من الشعب يعمل لهذا الهدف من شباب وكهول وشيوخ .

هذه الأبيات متلاحمة بشعور موحد ولكن يلاحظ أن الغزاوي لم يرتب الأفكار الجزئية ترتيباً منطقياً ، فالمنطق أن التباري يوجد أولاً ومنه يتولد التنافس لكنه قدم هنا التنافس على التباري .

---

(١) أم القرى ع ٣١٧ ص ٣ ـ ١٣ شعبان ١٣٤٩هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم ينتقل إلى الفكرة الثانية الى أحد الروابط القوية لهذا الشعب تلك الوطنية والانتماء للجزيرة العربية وهو يمزج أفكاره بين تراث قديم حيث الفخر بما قدم الآباء وبالعهد الجديد حيث التطلع إلى الحضارة الزاهية فيقول :

كأني (بالجزيرة) ـ وهي ترنو ... إلى مستقبل فيها يضوع
ترى (فتيانها) في الجو حسما ... إذا ما (الصيف) حلّ أو (الربيع)
تقرّ عيونها ـ ممّا أبرّت ... ايادينا ـ وما تطوى (الضلوع)
وتعزونا الى (آباء صدق) ... كرام الاصل نحن لهم (فروع)

والخيط ما زال مرتبطاً بين أفكار هذه القصيدة فالشعور واحد والهدف واحد وهو قوة هذه الأمة في القديم والحديث فهي منيعة قديما وتسعى للمناعة حديثاً ، وتصميم هذا الشعب على إزاحة العقبات التي تعترض طريقه وهو يزيد هذا الشعور بالدعوة اليه من أعماق قلبه :

ألا ـ لا يفخرن ـ أحد علينا ... فان كياننا أبداً منيع
أخذنا في (النّهوض) وما انثنينا ... وسرنا في الطريق ولا رجوع
وآلينا (الحياة) بكلّ باب ... نفتحه ـ وما منّا جزوع
وأقسمنا على أن لا نبالي ... بما يعرو (التقدّم) أو يروع
ونجري (شوطنا) ونعيد عهداً ... به طاب التحدث والشّيوع
زمان (الناس) مرتعهم وبيل ... من الدنيا ، ومغنانا مريع
زمان ، (الخلق) تنهل من هدانا ... (علوم الكون) ـ والعاصي مطيع
زمان ، (الشرق) يجهش في بكاء ... ويجري من (ضلالته) النجيع
زمان ، (الغرب) يرهقه صعودا ... بغاة الظلم ـ والجهل المريع

وبعد هذه المقارنة بين الشرق والغرب ينتقل إلى أقوى الروابط والأواصر لهذه الأمة إنه كتاب الله وإرادة الله لنا بالهداية فيشدو بحمد الله وشكره مفتخراً بهذه العناية :

فـإنـا ـ والأنـام شـهـود حـال ... أسـاة الكلم و(الشعب الضليع)
تبـارك من تـأذن فـاصـطفـاكم ... لـرشـد عبـاده : (الله السميـع)
سيهـدي سعيكم ، منـذ اتبعتم ... (كتـابـاً) شملنـا فيـه جميـع
وينصـركم ويشف صـدور قـوم ... لهم من كـلّ مكـرمـة صنيـع

ونحن نرى شعوره المتدفق في ثنايا الأبيات السالفة الذكر إلا أننا نرى صراحته في محادثة نفسه حول الموضوع ذاته ، فيجلو عنها اليأس وآلام القلب بما شاهد من تقدم لهذه الأمة ولكن يخالط ذلك شعور ألم وحسرة من أولئك المتواكلين ، فيشكو تقاعسهم ويتألم من يأسهم :

وكيف أسيـغ بعـد اليـوم يـأسـاً ... وقـد بسقت على الـروض الجـذوع
أجـل : قـد كنت منقبض الثنـايـا ... وقـلبي رغـم آمـالي ـ وجـيـع
تجـول (نـواظـري) وتضيق كفي ... ويؤلمـني ، الـتـواكـل والهـجـوع

ثم يتحدث عن داعي الإشادة بهذا الوطن الغالي فيما قدم وما سيقدم لبلاده ويجيش في صدر الشاعر من إخلاص نحو أمته وبلاده فيقول :

ولـمّـا أن شـهـدت سـراة قـوم ... ومـا منهـم ـ عن العليـا ـ منـوع
نـثلت كـنـانتي ـ وطفـقـت أشـدو ... وبـشـر مـا تفيض بـه الـدمـوع
عـلى لـعـزة الاسـلام ديـن ... ولي (بسـلافهـا) الصـافي ولـوع
أكـاد أضيء حين يجيش صـدري ... بـذكـراهـا وتـحتـجب الـشمـوع
ولـولا مـا أعـالـج من شجـوني ... إذن : لسموت ، وابتكر (البديع)
ولست محـاذراً هفـوات هـجـري ... إذا (الإخـلاص) كـان هـو الـذ ميع
أبـث خـواطـري ، وأحب شعبي ... وللمـزري بـه ـ الأنف الـجـديـع

* * *

ألا فـلتهـتـفـوا سـرّاً وجـهـراً ... لـيحيـا طـودنـا العـالي الـرفيـع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(مليـك العـرب) راعينـا المفـدى وذاك الشبـل (نـائبـه) الـوديـع[1]

* * *

فهذه قصيدة وطنية ذات موضوع واحد وهدف واحد كل بيت منها ينبثق من شعور وتجربة لابن هذا الوطن فأبياتها مستمدة من هذا الشعور وهو الرابط الذي أوجد التلاحم بين أبياتها فكانت متناسقة ذات صبغة شعورية موحدة ، ومزج نفسه بآمال وأحلام المجتمع الذي ينتسب إليه .

ولكي أصل إلى نتيجة في البناء الفني لقصيدة الغزاوي فإني درست قصائده في المديح وقصائده في التهنئة بعيد الفطر المبارك ووصفياته وحولياته ، ووطنياته ، فرأيت أنها لا تختلف كثيراً عن الميزات في النصين اللذين درستهما له ، فهو يوحد الموضوع فلا يعدد أغراض القصيدة غير أنه يبدأ أحياناً قصائد المدح بما يشبه المقدمة لكنها تدور حول الغرض نفسه فاجتنب تعدد الأغراض شأنه شأن شعراء عصره المبدعين .

أما أفكاره الجزئية ، فكل قصيدة تمتاز بفكرة رئيسية يتفرع عنها أفكار جانبية وقد نتج عن ذلك تقسيمه القصيدة إلى مقاطع أو مفاصل وهذا منهج سلكه في شعره من أول عهده بالشعر حتى وافته المنية ، وهذه المقاطع تدور حول هدف القصيدة العام ، فكل جزء منها يساهم في بناء القصيدة غير أنه لم يجعل المقطع الأول أساساً يبني عليه المقطع الثاني والثالث يبنى على الثاني وهكذا . .

إذن فالقصيدة عند الغزاوي لم تكن ذات هيكل هندسي مخطط لم يحد عنه .

اما البيت في قصيدة الغزاوي فقد حرص على تلاحمه وتلاصقه وتناسقه بداية باختيار الحروف والالفاظ مع تلاحم شطريه الأول والثاني . . .

وقد التزم في شعره كله بهذا المبدأ . . ما عدا قصائده التي تحكي قصة اجتماعية مأسوية . . . فإنه بناها البناء المترابط ، بحيث جعل لها أسساً وربط كل

---

(١) الوديع : وكلمة وديع ليست من ألفاظ المديح وليست مما يمدح به الرجل الشجاع بل لا تستحسن في الحديث عن الرجال بعامة .

معنى بصاحبه وكل بيت بسابقه ، حتى تكامل البناء للقصيدة واصبح البيت الثاني مبنياً على البيت الأول ، والثاني على الثالث ، وهكذا . . حتى صارت القصيدة وحدة متكاملة لها هيكل قائم بذاته . . . . وذلك مثل قصيدته : (فاطمة)[1] وقصيدته : (السخلة)[2] و(مدينة تبكي واسرة تنكب)[3] و(امسية على الشاطىء)[4] . . . . وغيرها كثير . . . .

ومن القصائد التي ارتبط سابقها بلاحقها وبني ثانيها على أولها قصيدته (صريعة المرح) . . . فقد استهلها بوصف حالته بين (الغداة وقبل الظهر) ، والجو بغيمه يغريه بخطو متئد والشمس تتلألأ برفق وراء الأفق ومن خلال السحب :

بين الغداة وقبل الظهر وا حربي ... أقصى ما شهدت عيناي من كثب
أقبلت أذرع خطوي جد متئد ... والغيم ضاف ورأد الشمس في الحجب

فتراه وصف الجو الذي يدعو للمرح ، فلا حر شديد تتبلد فيه الأحاسيس ولا برد قارس ينكمش عنده الإنسان ، ووصف النهار في مقتبله فلا جهد بذل ولا نصب حل . . وهنا في هذا الجو الجميل . . تقبل (سخلة) في الدرب . . سارية . . تمشي حيناً . . وتقفز أخرى (من لهو ومن طرب) . . . تتجاوز أمها حيناً . . وتتأخر عنها حيناً . . وبينما هي لاهية في سربها آمنة . . دهمتها (سيارة الموت) فألوت بها وألصقتها بأديم الأرض جثة هامدة . . وتبعثر (البرسيم) من (كرشها) :

وأعرضت (سخلة) في الدرب سارية ... تمشي وتقفز من لهو ومن لعب
تحبو (الطفولة) منها في قوائمها ... خشف (أمها) ولها حاد من الخبب
ففاجأتها ـ ولم تشعر ـ مدمدمة ... (سيارة) من ذوات البطش والغضب

---

(١) وردت في جريدة البلاد السعودية عدد ٧٠١ في ٧/جمادى الاولى/١٣٦٧هـ .
(٢) وردت في البلاد السعودية بعنوان (صريعة المرح) عدد ١٧٣٤ في ٤/٥/١٣٧٤هـ .
(٣) وردت في البلاد السعودية عدد ٦١٧ ص ١ في ٢٢/٩/١٣٦٥ هـ
(٤) وردت في البلاد السعودية عدد ٦٩٨ في ٢٦/٤/١٣٦٧هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ألوت بها ـ وهي نشوى من رشاقتها (دبابة) ورماها الجمح بالعطب
فألصقتها ببطن الأرض (هامدة) وطار من كرشها البرسيم والعشب

وبعد الحادث مباشرة أول ما يتبادر إلى الذهن (نجدة المصاب) ولم يتجاوز الغزاوي ذلك . . بل نظر حوله فلم يجد لها مغيثاً ولا نصيراً :

ولم يغثها من (الإنسان) محتسب (ولا الحديد) المدوي أي مضطرب

ثم يعيد النظرة الى هذه الأشلاء الممزقة فيرى اختلاط الرأس بالذنب :

رأيتها وهي اشلاء ممزقة ورأسها ينطوي منها على الذنب
في (طرفة) لم تكن الا (كلا) ومضت إلى (الفناء) وباءت شر منقلب

ويشاركه في هذه النظرة غيره من أهل الحي وهم يدمدمون : لماذا تقتل هذه المسكينة من غير سبب :

وأقبل الناس شتى ينظرون بها (ضحية سقطت في غير ما سبب)

ثم يعود بعد أن تساءل عن السبب : . . من القاتل الجاني . . وهل شعر بالاثم فقدم الإغاثة ؟؟

وطار (بالموتر) الجاني لطيته ولم يرعه امتزاج الدم بالترب

وبعد أن يطيل النظر والتفكر في هذه (المقتولة) يلتفت الى أثر ذلك على أمها التي وقع الحادث على مرأى ومسمع منها . . . فهي متألمة (ألما حيوانياً صامتاً) حسرى ثكلى مسترخية من هول المصيبة . . . . :

وزادني ألماً في (أمها) حزن يكاد في صمته ـ يعلو ـ على الصخب
تأوهت (ثاكلاً) حسرى مفطرة (مجنونة) ـ كبدها ـ تشوى من اللهب
أصابها (الرعن) القاسي بفلذتها من دون ذنب ولم يعبأ بمنتحب

وقد شارك الغزاوي الأم العجماء آلامها وأحزانها وأوقع اللوم والجناية على

ربها الذي يتغذى بألبانها ولحومها ويتركها سائبة في الطرقات :

ورحت من دونها أشكو مواجعها ... في (نقمة) و(حنان) جد مكتئب
فليس من ذنبها (عجماء) مرسلة ... أن تستجيب إلى (الترفيه) في الرحب
وإنما الذنب كل الذنب مجتمعاً ... في (المهملين) ذوي الألباب والحدب

ولما اكتملت المشاهد المؤلمة أخذ يتدبر أسباب وقعها . . . وَلِمَ لمْ يقها الناس الحتوف بأخذهم بأسباب النظام الذي اعتاد المهملون تخطيه وتجاوزه دون رهبة ولا زاجر . . والا فأين المسؤول عن النظام الذي هو راع لهذه العجماوات كما هو راع للبشر . . . ثم أين صاحب هذه الأغنام السائبة . . إذ اطلق لها العنان في الشوارع لتلقى حتفها وهلاكها ؟؟؟ :

فما لهم لم يوقوها الحتوف بما ... (يقضي النظام) وما يخشون من ارب
تعودوه (أهازيجاً) فما لبثوا ... أن (جانفوه) ولا زجر بلا رهب
وكان من أمرهم ألا تنفذه ... الا (البهيمة) تهوي بالدم السرب
فأين من (حفظها) المسؤول وهولها ... (راع) ويعصرها بالدر والحلب
وأين منه الجزاء الحق يدركه ... بالأمر والنهي في الإهمال والهرب
وكيف تنطلق (الأغنام) سائبة ... عبر الشوارع بين القشر والقصب
وحولها دائماً ـ أو فوقها أبداً ... ينقض كل صليد حاطم صلب

ثم يختتم القصيدة بمرارة على ما فات ويطلب الحماية والاحتياط لما هو آت :

لا بأس ما فات يمضي في مرارته ... فهل لنا عبرة من ذلك العجب
خير المواعظ ما تهدى القلوب به ... حقاً وصدقاً وشر القول في الكذب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصورة

اتجه الغزاوي الى اللغة يتحسس مضمراتها ، ويتلمس دقائق الأحوال فيها ليجد من بينها ما وجده في نفسه ، فتظهر عبارته معبرة عن نفسه ، وهذه المادة المعبرة تحتاج إلى نظرة للأشياء الكائنة في حياة الناس ، فيقلِّب وجهه فيما حوله ، ويرجع الى أعماق نفسه يفتش عن الأشباه والنظائر والأشياء التي تبعث على تداعي الأفكار فيختار منها الشاعر حسب قدرته وثقافته ما يراه مناسباً لإضاءة جوانب الفكرة ، ويكشف ما فيها من خوالج ليجعل منها في النهاية كلمة دالة على حاله ، وقد عمد الغزاوي إلى الابتعاد عن الغموض ، فسعى جاهداً إلى توضيح أفكاره ومعانيه مع العناية بجمال الأسلوب وتحسينه في غير مبالغة ، ولا تكلف ومن هذا المنطلق نجد أن للصور عنده دوراً في شعره سواء كانت من خلال تصويره للأشياء تصويراً واقعياً بدون استخدام أي وسائل أو باستخدام الصورة التي تقرب المعنى إلى الذهن لتكون الفكرة واضحة جلية فيجمع لك عناصر الصورة حتى تكتمل ، فتكون ذات جمال وإقناع ، وهذه كثيرة في شعره وقد استعان بالتشبيه والاستعارة في تكوين صورة أيضاً بل هما الاساسان للصورة وسنستعرض نماذجاً من صوره الشعرية حتى نكون على بينة من هذا الجانب الفني عند الغزاوي فقد قال مادحاً :

ومنك اجتلينا يا ابن ذي التاج طلعة ... هي البدر في آفاقه يتنقل

وفيك اختبرنا في (المواقف) باسلاً ... تخر له أسد العرين وتجفل

هاتان الصورتان من الصور المتداولة المكررة في المدح أيام الجاهليين والعباسيين ولكنه زاد فيهما تحسيناً حيث جعل البدر يتنقل وهو دائماً بدر في آفاق بلاده اشارة الى أنه كامل لا يتناقص تناقص القمر في أبراجه ، وتصويره للملك فيصل بصورة البدر المكتمل مع خاصية الاستمرارية للملك ونقصان البدر في أبراجه أفضل من تصوير زهير بن ابي سُلمى لهرم بن سنان حين يقول فيه :

(١) ديوان زهير بن ابي سلمى ٥٩ وكتاب الصورة الفنية في الشعر الجاهلي تأليف الدكتور نصرت عبد الرحمن ٦٠٢ مكتبة الاقصى عمان ط١ .

لـو كـنت فـي شيء سـوى بـشـر كـنـت الـمـنـيـر لـلـيـلة الـبـدر

فقد ضعف تشبيه زهير بأداة الامتناع (لو) والاستثناء (سوى) .

اما البيت الثاني فإنه جعل أعداءه أسوداً شجعاناً ، وهزيمة الخصم مع قوته أكثر دلالة على شجاعة الممدوح من هزيمة الخصم الضعيف ، والشاعر زاد في الصورة حيث جمع الأسد ونسب هذه الأسود الى العرين المشتهر بالأسود الشرسة .

فكان اكثر إيحاء في التصوير ثم زاد الصورة تحسيناً بوصفه للأسود بأنها تخر أمام ممدوحه راكعة مستسلمة ، فأعطى الصورة أهمية وأثراً نفسياً يدل على الرعب والخوف ولكني أرى أن خاتمة البيت غير مناسبة وهي كلمة (تجفل) فتدل الكلمة على أن ممدوحه لم يتمكن من أعدائه كلهم .

وواضح في هاتين الصورتين أنه استخدم الاستعارة التصريحية ، وقد جمع هاتين الصورتين للعلاقة القوية بينهما فإن ممدوحه له طلعة جميلة وشهرة مثل البدر والجمال وحده ليس بذات اهمية اذا لم يقترن بالشجاعة والقوة وقريب منه قول المتنبي في سيف الدولة :

تمـر بـك الأبـطال كلمى هـزيمـة ووجهـك وضـاح وثغـرك بـاسـم

واليك صورة أخرى متقنة تميل لها كل النفوس ، ويفتخر فيها كل حاكم وذلك في قوله :

فـأنت لأمجاد (الجـزيـرة) مـأرز[1] وللدين و(التـوحيد) حصن ومعقـل

فأول ما يطلعنا ذلك التشخيص للامجاد والدين والتوحيد حيث صـور هذه المعنويات بصور محسوسة ترى وتشاهد زيـادة على تصويـره لقوة الملك فيصـل فجسدها بالمأرز وهو الحصن القوي ، فأبرز المعنوي في صورة المحسوس أيضاً وهذه الامور التي استعارها تناسب تلك المعاني ، ومثل هذه الصور ، وهذه المعاني

---

(١) حصن .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاسلامية تشيع وتكثر في مدائح الغزاوي وتتضاءل بالنسبة لها مدائحه بالكرم والشجاعة والمروءة . ومن الصور النادرة في شعره قوله :

مشيد أركان العروبة (بالظبا) وناظمها في (وحدة) تتسربل

فممدوحه وحد شمل العرب وجمع بين قلوبهم ، وجعلها متآلفة متآخية ، الكل عرف دوره في هذا المجتمع والكل تسنم مكانته حسب ما قدمه لمجتمعه ، وهذه الامة في تآلفها وتآخيها وتعاونها ، أصبحت منظومة كحبات العقد الثمين التي تكون منها ذلك العقد الجميل تلك صورة بديعة ، ولكن ينقصها التأثير النفسي وكذلك تعاون الامة وتآخيها أفضل قيمة من أثمن وأجمل عقد ، فكان المشبه اقوى من المشبه به لكن يخفف من ذلك كون العقد محسوساً .

وكلمة تسربل أضفت معنى لطيفاً فجعلت كل من أفراد الشعب لابساً حلة جميلة من هذه الوحدة .

ولننتقل لصورة أخرى في قوله :

سليل العلا من لست أحصي ثناءه ولو أن شعري بالثنا يتغلغل

انه لتشخيص رائع حيث جعل العلا اشخاصاً مشهورين حيث نقل المعنوي (العلا) الى محسوس (الانسان) وهذا التصوير غاية في المدح ، فالممدوح فيصل وأبوه وأجداده لازمتهم المعالي ، واقترنت بهم ثم عرفوا بها دون غيرهم ، فنال كل منهم هذه المعالي حتى أصبح كل واحد منه متلبساً بهذه الصفة ونهى الشاعر المشبه به فكان ذلك أبلغ بل إن بعض البلاغيين يرون أن إظهار الامر على حقيقته ، أجود من تصويره لتقريبه للذهن ، فالمعالي حقيقة واقعة ، وليست تشبيهاً ، فالإغراق في المعالي أدى الى وجود هذه الحقيقة فيكون ذلك زيادة في القيمة المعنوية وإمعاناً في دقة التصوير ، وقوله (سليل) توحي بأن الأمر نزعة عرق وراثية فهي متأصلة أكثر .

والأبيات التالية يرسم فيها الغزاوي صورة متكاملة لمشهد تهنئة بالعيد ويرصد

معالمها الحسية والخلجات المعنوية بقوله[1] :

ومشت لسدتك الجموع وانها ... فيما تقدم ، طاعة وولاء
وافتك تستبق البساط كأنها ... بحر تمور بموجه الأرجاء
غصت بها الساحات وهي رحيبة ... وتدفقت بوفودها الأبهاء
كل يرنحه جلالك بالتقى ... ويروقه في حلمك الإغضاء
فلو استطعت كشفت عن خلجاتهم ... حيث الهواجس كلهن ثناء

إنه يصف تلك الجموع التي عبرت سبلاً مختلفة فامتلأت بها هذه السبل على سعتها وكثرتها ، وسرعة حركتها ، فتزاحمت بها هذه الطرقات والساحات تلك الصورة عادت بمخيلته ليصورها لنا عن طريق الاستعارة بصورة البحر المائج المتلاطم الأرجاء حيث اصطدام الأمواج بالصخور التي تتكاثر على جانب البحر إلا أن هذا البحر الخضم ليس الا هذه الجموع المحتشدة ، ودخل إلى أعماق النفوس في هذه الصورة ، فرسم لنا تلك الخلجات الداخلية التي تحرك هؤلاء الأشخاص ، وما يضمرون نحو أميرهم نقلنا الى مضمونها بهذه الصورة التي امتزج فيها تصويره المجرد من علاقة التشبيه في بعض الأبيات مع علاقة التشبيه في أبيات أخرى وقد أبان عن شدة إعجاب الالباب وتعلقها بالممدوح ، ومع أنه أدخل العنصر النفسي في هذه الصور غير أنه لم يشارك بأحاسيسه فيها فهو إنما ينقل لنا صورة واقعية رصدها ببراعة فحسب ، دون تبيان أثرها عليه أو يظهر لنا تفاعله معها .

وقد واصل تكوين الصور التي تدل على تمسك هذا الوطن بعقيدته حاكماً ومحكومين فهو يقول :

نظم (الجزيرة) بالسيوف قلادة ... في جيد (دين الله) فهي ذكاء
وأحاطها بالسمهرية هالة ... والخيل تصهل دون ذاك رغاء

والتشخيص واضح في هذه الصورة حيث جعل من المعنوي (دين الله) إنساناً

---

(١) أم القرى ٥٧٨ ص٣ ٨ شوال ١٣٥٤هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شامخاً له جيد وأبناء الجزيرة كل متشح سيفه الحاد منتظم في هذا الجيد للدفاع عن دين الله وأضفى على الصور منظراً آخر وهو تلك التعبئة الحربية من الأسلحة والخيل المسومة والابل كل هذه جنود مجندة للدفاع عن الدين والوطن .

ان هذه الصورة تمثل الواقع الذي انتقل اليه أبناء الجزيرة عبر الصراع الذي قام في البلاد بين الهدى والضلال . حيث استخدموا السيوف والسنان والخيل والإبل في توحيد هذه البلاد ولمّ شملها ، ونجد أنه حسّن الصورة بكلمتين لهما إيحاءهما المعنوي في قوله (ذكاء) التي تدل على أن السيوف مشحوذة حادة وقوله (هالة) تعطي الجيش ثقة بالنفس فهم يشعرون بالقوة .

وقد استخدم الاستعارة وسيلة للصورة في قوله في (جيد دين الله) مما أعطى الصورة قوة ومع ذلك يلاحظ أنه أورد الصور عن طريق الإخبار وهذا تقلل من تفاعل المتكلم مع الصور .

والصورة عند الغزاوي لا تقتصر على الصورة التي تأتي عن طريق التشبيه والاستعارة والمجاز فربما رسمها بحديث وصفي واقعي .

كقوله في وصف المطر[1] :

ما رأيت السماء . . كالامس يوماً ... أطبقت بالغمام . . طلا ووبلا
وبه الأرض أظلمت ، وأضاءت ... وانطوت بالركام . . حزناً وسهلا
في دوي من الرعود . وومضٍ ... من بروق . . تهول . . منذ استهلا
(ساعة) تشبه (يوم القيامة) لولا ... (رحمة الله) . . ادركتنا . . فولى
ومن الحق أن نخاف ، ونخشى ... و(المثاني) بمن مضى . . هي تتلى

هذه صورة لوصف الطبيعة ونحن نرى أنه وصف واقعي لا خيال فيه ، ولكننا نرى في هذه الصورة تفاعل الشاعر معها وتأثره البليغ بها ، واتخاذه عظة منها ، ولا يقلل من قيمة هذا التأثير النفسي للحدث المصور حيث انه لم يدخل ذلك الاثر في

---

(١) المنهل مجلد ٣٨ ذو القعدة ١٣٩٧هـ .

كل حركة من الصورة انما جعل ذلك في بيتين تاليين للصورة الأصلية حين قال :

(ساعة) تشبه يوم القيامة[1]) لولا (رحمة الله) . . ادركتنا . . فولى
ومن الحق أن نخاف ونخشى و(المثاني) بمن مضى . . وهي تتلى

ويلفت الانتباه هنا قوله (ساعة تشبه يوم القيامة) حيث صور لنا الاثر النفسي لما حدث للطبيعة في خلال المطر فجعل يوم القيامة محسوساً ظاهراً يشبه به مع انه ما زال معنوياً غيبياً وفيه هذا دلالة على إيمان الشاعر بالغيب واليوم الآخر .

وما يحدث به من أحوال تدخل الرهبة والخوف في النفوس كما أدخلها اليوم الماطر الذي نقل لنا صورة . وفي قوله (فولى) دلالة على التولية هي إدارة الظهر بمعنى الفراق الذي لا يرجى عودته وفيها ثقل وجفاء .

ومن الصور الجميلة التي تفاعل معها الغزاوي وامتزج فيها شعوره الداخلي مع الطبيعة تلك القصيدة التي قالها في ذي الحجة عام ١٣٨٨هـ في وصف المطر ومنها قوله[2] :

كنا نسابقه (ركضاً) ويبهرنا (ومضا) ونوسعه (عرضاً) ونحتبر
كنا به نتحدى (السيل) نقطعه مشمرين . . ولا نبقي ـ ولا نذر
كنا به كالظباء العفر آمنة ترعى ـ وتمرح في دل هو الخفر
كنا تشنفنا (الألحان) صادحة تشدو به الطير ـ والآصال ، والبكر
والمزن منبجس ، والرعد مرتجس والبرق مقتبس ، والروض مزدهر
والعين ما أن ترى الا (الجمال) بها و(الحسن) في كل ما يرنو له النظر
والقلب في فرح ، والنفس في مرح والروح من دونها الظلماء تنحسر

فالغزاوي هنا قد انفعل بالحدث وتأثر به وعادت نفسه إلى طفولتها فنقل لنا هذه الصور التي تمثل الفطرة الإنسانية وتعكس لنا صور الطفولة البريئة وتلاحمها مع

---

(١) في البيت افراط في الغلو .

(٢) المنهل مجلد ٣٠ محرم ١٣٨٩هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مظاهر الطبيعة ، فالأطفال يعدون ، والمطر ينهمر ، ويحدث وميض البرق في النفوس رهبة وخشية في صورة جميلة تشبه الظباء التي تمرح وترعى بدون تفكير في عاقبة ، وتشنفت آذانهم بألحان الطيور إذاً فهو رسم لنا لوحة تذكارية جميلة ليوم ماطر أدخل فيها العناصر المحسوسة والمعنوية والشعورية مشركاً حواسه جميعها في تكوين الإطار العام لهذه الصورة .

ويستمر في تصويره المتكامل لحالة الاطفال وهم يمرحون والسماء وهي تمطر ويزيد تفاعله مع الطبيعة حينما يدخل العين والقلب والنفس والروح :

والعين ما أن ترى الا (الجمال) بها و(الحسن) في كل ما يرنو له النظر
والقلب في فرح ، والنفس في مرح والروح من دونها الظلماء تنحسر

وهذه الصورة الجميلة تدل على براعة الغزاوي في وصف الطبيعة ، ولكننا نلاحظ أن الغزاوي لم يستنطق الطبيعة ، ويجعلها تقبل على الأطفال كما أقبلوا عليها هذه الصور تضيء لنا جانباً من حياة الغزاوي في طفولته وها هو اليوم يتلهف على تلك الأيام وينكر ما حدث من تغيير في نظرة الناس للمطر فهم كانوا يحبونه ويفرحون له ويعشقونه أما اليوم فهم يخافونه ويجفلون منه فكأن المطر في هذه الأيام غيره في الايام السابقة :

ما بالنا كلما مر السحاب بنا نلوذ بالله منه وهو ينتشر
وما تبدل إسفار ـ ولا غلس ولا نهار ـ ولا ليل ـ ولا سحر

فهو يقارن بين نظرة الناس للمطر في عصرين مختلفين عهد الطفولة البريئة التي عاشها الغزاوي والناس من حوله ونظرتهم في عهد التكالب على المادة عهد الشيخوخة وتعقد الحياة .

ولكنني أرى أن هاتين الصورتين انما تمثل نظرتين مختلفتين تمام الاختلاف ألا وهي نظرة الناس في عهد طفولة الغزاوي عندما كانت حياة الناس تعتمد على الرعي ، والرعي يعتمد على الأمطار فسقوطها هو الخير والبركة والرزق من الله عز وجل وبين نظرة متأخرة في عهد الرخاء وتوفر المادة بين أيدي الناس وابتعادهم عن

الرعي وإشادتهم المباني والطرق والجسور في الأودية والتلال حيث أصبحت سبباً في عرقلة السير وانقطاعه أحياناً .

ومن خلال هذه العجالة الموجزة في دراسة بعض الصور والتشخيص عند الغزاوي التي تمثل كيفية نظرته للصورة واستخدامها وتعدد سبل أخذها لديه ومن خلال استقرائي لشعره اتضح لي عدة ملاحظات حول الصورة في شعره وهذه الملاحظات هي :

١) ترد عند الغزاوي صور تمثل ارتباط مفاهيمه بمفهوم الشعر العربي القديم فاغلب صوره يجمعها التشابه فمعظم صوره من تشبيه ومجاز وكناية تعود الى ناحيتين أولهما : التراث العربي والصور المتداولة في الشعر العربي القديم . وثانيهما : ما طرأ على الحياة الحجازية من تغيير في المحسوسات والمعنويات .

٢) ويستخدم الجملة الخبرية في تصويره ، وهذا يجعله في معزل عنها ، فيوحي بعدم تفاعله معها كمثل قوله[١] :

منذ اعتليت سنام (العرش) ما برحت تجري بموكبك الأرياح والسفن

فالصورة هنا بدوية استمدها من ارتباط البدوي بجمله وصورة الارتباط قديمة وردت كثيراً في الشعر القديم واتى بها عن طريق الجملة الخبرية .

٣) وفي شعر الغزاوي لمحات جيدة من الصور العالية التي تعطي الصورة حقها وتتعمق في نفس الشاعر وعواطفه وتعبر عنها وعما يختلج في نفسه من مشاعر واحاسيس كما في نقله الصور التي تمثل طفولته وأحاسيسه آنذاك .

٤) ويلاحظ في إيراد الغزاوي للصور عدم إيغاله وراءها وليس هناك مبالغة ولا تكلف للبحث عنها ، فلم يتكلفها ويحشدها ويحشو بها شعره لأن ذلك كفيل بتدهور شعره كما تدهورت المدرسة التصويرية في اميركا عام ١٩١٣ م حيث لم تستطع مواصلة سيرها الأدبي باعتمادها على تركيب الصور[٢] .

---

(١) البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٥٩٩ ص١ في ١٣٧٣/١١/١٧ .

(٢) المدخل في النقد لنجيب فايق اندراوس ١٥٠ ط ١٩٧٤ مكتبة الانجلو المصرية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولأن التكلف يثقل كاهل الشعر ويكون سبباً في نفور نفوس السامعين منه .

٥) والغزاوي يرسم صوراً أنيقة ذات فعالية وإن لم تبنْ على المجاز والتشبيه ولكنها أعطت قدرة على الإشعاع وما تزخر به من طاقات إيحائية نتيجة لاعتمادها على الواقعية وهذا يدل على قدرته الشاعرية وقد سبق التمثيل لها .

٦) وهو يبتعد عن الغموض في صوره كل البعد وهذا ناتج عن وضوح فكره ورضاه عن حياته وصراحته وعقليته العلمية ، فقد اجتنب الغموض ، والغموض يوحي بحالة الشاعر المضطربة التي سلم منها الغزاوي .

٧) وهو لا يحاول مزج المتناقضات في صوره الشعرية ، وقد اعتمد على علاقة المشابهة الممتزجة بايحاءاتها الهامسة التي تفتح باباً للرؤية البعيدة .

٨) واجتنب تراسل الحواس في الصورة فلم يعط المسموع صورة المشموم أو المرئي صورة المذاق كما يكثر ذلك في الشعر المتأخر ، بل أعطى لكل حاسة حقها فيما خلقت له .

٩) ويلاحظ أنه اعتمد في تركيب صوره على الصور العربية المستوحاة من القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربي القديم ، ويظهر ذلك بصورة واضحة وهذا يعد نتيجة حتمية لسعة اطلاعه على القرآن والحديث والأدب القديم إلى جانب تكوين صور خاصة به بعد توحيد البلاد وبزوغ النهضة . نتيجة لمعايشته لواقع الجزيرة العربية في مختلف مراحل حياته .

١٠) وقد كثرت أمثلتها في شعره بحيث لا تخفى على عين ناظر وربما باسماء السور ذاتها كقوله[1] :

في مهبط الوحي الذي بحرائه ... نزل الهدى وتزمل المدثر
في موقف كالعرض الا أنه ... في الارض ينذر تارة ويبشر
تتقلب الابصار فيه شواخصاً ... به البصائر بالهداية تغمر

---

(١) المنهل مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢هـ ص ٢١ .

فقد استمد الصور في البيت الاخير من قوله تعالى ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار﴾[1] .

من ذلك قوله في احدى حولياته[2] :

والباقيات الصالحات ذخائر من دونها كل الحطام مبتر

فقد أخذ من قوله تعالى ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردا﴾[3] .

ومن الصور التي اقتبسها الغزاوي في شعره صورة الامر الخاطف كما في قوله[4] :

وما أمره الا كلمح ـ وانه بما شاء يقضي في العباد ويأمر

فهي مأخوذة من قوله تعالى ﴿وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو اقرب﴾[5] ومن ذلك قوله :

فان لم نكن ممن يراه فانه يرانا وما نخفيه عنه يسطر[6]

مستمدة من قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ . وقد قال الشاعر أيضاً[8] :

هو الملك القدوس لا شيء مثله وما هو الا الخالق المتكبر

---

(١) النور ٣٧ .

(٢) المنهل مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢هـ ص ٢٠ .

(٣) مريم ٧٦ .

(٤) المنهل مجلد ٤٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ ص ٧٥٠ .

(٥) القمر ٥٠ .

(٦) المنهل مجلد ٤٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ ص ٣٥١ .

(٧) الزلزلة (٧ ، ٨) .

(٨) المنهل مجلد ٤٠ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩ ص ٧٥١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اقتبسها من آخر سورة الحشر من قوله تعالى ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس[1] ﴾ .

١١) يستمد الغزاوي صورة من البيئة الطبيعية المحيطة به ويتجسد ذلك في إكثاره من صور البحر والثعبان حيث وصف الحجاج وازدحامهم بالبحر المتلاطم الامواج المزدحم بالبواخر[2] :

ما في الوجود بأسره من مشهد ... كالحج يزحف بالعباد ويزخر
بحر تدفق بالخلائق موجه ... وبه السرائر لا البواخر تمخر
تتجاوب الأصداء فيه كأنها ... بالارض تعرج للسماء وتعبر

وهو يكثر من الصور القديمة في شعره كمثل تشبيهه للإنسان الذي لم يتذرع بالإيمان بانواع من الحيوانات الضارة :

ما هو الانسان إن لم ... يتذرع بالعقيده
حيوان أفعوان ... ذو غوايات مريده
ينفث السم زعافاً ... في ضحاياه العديده
انه وحش فظيع ... يتوقى أن تصيده
بشراً يبدو ولكن ... هو جني المكيده
بل هو الذئب افتراساً ... ولو استمرى (وليده)
سافراً من كل دين ... جاحداً فيه (قصيده)
انما يخشى اذا ما ... دغدغ السيف وريده
انه الشيطان فاحذر ... منه أو كنت نديده

---

(١) الحشر ٢٣ .
(٢) المنهل سنة ٣٨ مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢هـ ص ٢٠ .
(٣) المنهل مجلد ٣٢ رجب ١٣٩١ هـ ص ٧٠١ .

المضمون عند الغزاوي

يعد المضمون من أهم الجوانب التي يجب أن تتجه اليها عناية الأديب لأنه روح العمل الأدبي ، ومن هنا لا بد أن ينال من كل دارس نصيبه الأوفر . . .

ولسنا نقصد من وراء ذلك مخالفة ما ورد في كلام شيخ الأدباء أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في قوله : (ان المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي[1]) وذلك لأننا لا نتصور وجود جنس أدبي لا يقوم على أساس من اتفاق (الشكل والمضمون) . وهنا لا بد أن ننظر الى المضمون عند الغزاوي من زاويتين :

أحدهما : ـ المعاني الشاملة . . . فالشعراء الجاهليون اشتكوا من سبق الأوائل بها عليهم ، وأن السابقين استنفدوا المعاني (فما ترك الأول للآخر شيئاً) . . كما قال عنترة عن هذا قديماً[2] :

(هل غادر الشعراء من متردم) . . . . . .

وقال زهير :

ما أرانا نقول الا معارا أو معاداً من لفظنا مكرورا[3]

فهما يحسان أنهما قد أدركا الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا لهما شيئاً وقد أيدهم النقاد في ذلك بعد عملية تدوين الشعر ووجود طبقة حافظة وناقدة ومميزة للشعر . . . . وقد اشتهر في ذلك قول الجاحظ : (لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً، ولا لفظاً بهياً الا أخذه[4]) . . . .

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣/١٣١ .

(٢) (قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم ـ للدكتور وليد قصاب ٤٨ دار العلوم بالرياض ١٤٠٠هـ .

(٣) المرجع السابق ٤٨ .

(٤) المرجع السابق ٤٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما جاء القرآن الكريم باعجازه ، وبحث العلماء أسباب الاعجاز هل هو بلفظه أم بمعناه تأثر نقاد الشعر بذلك وقد تصدرهم الجاحظ بقوله : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير »[1] .

وقد توهم بعض النقاد تفضيل الجاحظ للفظ على المعنى ، واعطاءه المزية والسبق ، ولكن الواقع ان الجاحظ يهدف الى التلاحم بين اللفظ والمعنى وانما يقصد بقوله هذه ان المعنى الشريف لا قيمة له وحده ، ولا يملك التأثير في النفوس ، اذا لم يعرض في لفظ بليغ سليم بعيد عن الاستكراه والتكلف وهذا ما عناه بقوله :

« فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع ، بعيد عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال ، ومصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة »[2] .

والحقيقة ان التلاحم والتناسق بين اللفظ والمعنى هو بغية كل أديب وقد رأينا الغزاوي يهتم بهما معاً ، فله قدرته اللغوية والبلاغية بما وهبه الله من موهبة ، وبما اكتسبه عن طريق معالجة التراث والدربة عليه، واني احصر حديثي عن الهدف من المضمون عند الغزاوي لان البحث عن اللفظ المفرد انما هو شأن أهل اللغة ، واما الشكل فسنفرد له بحثاً خاصاً .

ب ـ الهدف من المضمون :

ان العرب لم يضعوا أموراً توقيفية ، وحدوداً صارمة لمضمون الشعر فلم

---

(١) الحيوان للجاحظ ٣/١٣١ .

(٢) قضية عمود الشعر في النقد العربي د/وليد قصاب ٥٥ منقول عن البيان والتربية ٢ : ١٠٦ (ط سندوبي) .

يقيدوه بحدود دينية أو اخلاقية وانما أشادوا بالمعنى الشريف ، واشاروا اليه بالبنان . وقد تأثر بعض نقاد العرب في العصر الحديث بنظرية (الفن للفن) والتي تقصر ان الشعر نشاط خاص يعتمد على خصائصه الداخلية وان المتعة في الفن ، وليس له أي هدف تعليمي .

وهناك اتجاه آخر يهدف الى ربط الانتاج الادبي بالواقع الاجتماعي فيكون موجهاً ومرشداً وناقداً فحينئذ يكون ميل الادب للجماعة أكثر من انطوائه في شعور فردي خاص ، وقد نادى بهذا الرأي العالم الانجليزي آرنولد، كما نقل عنه الدكتور ـ محمود الربيعي :

« ويقول آرنولد : ان المستقبل سيثبت بشكل أكيد أننا نتحول الى الشعر ونلوذ به لا ليساعدنا على تفسير الحياة ، أو ليخفف عنا من ضغطها فحسب وانما ليكمل لنا صورة الحياة ، هذه الحياة التي ستبدو ناقصة بالعلم وحده وعنده ان دور الشاعر في المجتمع المفتوح الذي اتسعت فيه دائرة التربية دور تربوي يقوم على ارشاد الانسانية وهدايتها »[1] .

والاديب المجري جورج لوكاش : أكثر صراحة في الموضوع حين يقول : ـ

« والاديب الحق في أيامنا هو الذي ينغمس في السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم ونظم الحكم ونظم العدل ووسائل الثراء الذي يحقق للشعب رفاهته»[2] فهؤلاء وغيرهم يرون وجوب أن يكون المضمون انعكاساً للواقع الاجتماعي ، والغزاوي تبنى هذه الأفكار ، وواضح أن هدف جلّ شعره التقدم والنهضة لهذا الوطن الذي لمّ شمله على وحدة تتمثل في القيادة السعودية ، فقد اختار مادته الخام من عناصر المجتمع وعلاقاته المتفاعلة مع قادته وعلمائه ورجاله ، فربط أدبه بقضايا المجتمع من حيث التحمس الشديد ، ومن حيث وضوح النظرية التي تهدف الى بناء نهضة شاملة واستخدام العلم لاشعاع النور في الاذهان والرفاهية في المدن

---

(١) في نقد الشعر د/ محمود الربيعي ٤٥ ط دار المعارف بمصر ط ٣ .

(٢) المرجع السابق ٦٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والقرى ، مع الارتباط بأواصر العقيدة وانظر كيف يصور المجد لنا[1] :

ما المجد لهو وتخريف وشنشنة ... ولا ادعاء وتفريط واذعان
المجد سيف وإقدام وتضحية ... والمجد عدل واصلاح وعمران
المجد دين وتوحيد على سنن ... مضى عليه الأُلى بالفتح قد بانوا
كانوا ولا شيء من غل ومن حسد ... عونا على الحق مهما لاح طغيان

والغزاوي في ذلك شأنه شأن أغلب الشعراء العرب الذين يجمع الدارسون للادب على أن شعرهم خلد المكارم والمحامد والاخلاق الفاضلة ووضعها في منزلة سامية ترنو اليها أبصار الشباب ، وتكون بمثابة المثل العليا لهم التي يتمنى كل واحد منهم أن تكون فيه ، فالشعر أثار كوامن قلوبهم ، وهزّ عواطفهم الخيرة ، واستحثهم على المروءة والسماحة والحلم والكرم والعفة والشجاعة فكانت هذه السمات ـ التي تغنى بها الشعراء بذرة مغروسة في قلوب شيوخهم وشبابهم يظل أحدهم يدافع عنها ، ويحاول الوصول اليها ولو أدى ذلك لفقد حياته في سبيلها ، وكثيراً ما تثور الحروب الطاحنة بين القبائل ، ولو تتبعنا مشاهير الجاهليين لوجدنا أن هذه السمات هي مقياس الشهرة لديهم .

ولما جاء العصر الاسلامي وما بعده زاد التوسع في مفهوم المثل العليا التي يجب أن يتصف بها الممدوح ، فظهرت في صفات المشاهير من الممدوحين الورع والتقوى والتمسك بشريعة الله والعمل بها ، فكانت بغية الشعب بلقيها الشعراء على مسامع الخطباء والقادة حتى أصبحت هذه المثل والمفاهيم هدفاً للخلفاء والمشاهير من الناس ، يصبون اليه وبه يفتخرون ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات وفي مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله ... تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء

(١) وحي الصحراء/ جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله بلخير ص ٨٧ ط ٢/ ١٤٠٣ هـ .

يـتـقـي الله فـي الامـور وقـد أفـا ح مـن كـان هـمـه الاتـقـاء[1]

وقد كان للغزاوي اسهام كبير بمضمون شعره في هذا الميدان ، فقد خص ممدوحيه بالاخلاق الحميدة ، والكرم والشجاعة ، والتمسك بأهداب الدين وجعل الحكم بشرع الله قمة المفاخر واساس المدائح ، وقد جدد الغزاوي في أفكار المضمون هذه وزاد فيها زيادة واضحة قلّ من يطاوله على تلك المنزلة ، فزخر شعره بمفاخر الملوك ومدائحهم على تلك الاعمال الجليلة التي يقدمونها لشعوبهم ، كتشييد المصانع وافتتاح المستشفيات ، والمطارات والشركات ،والموانىء وكل مشروع يبنى ويشاد لصالح المجتمع ، وأوضح في مدائحه أن نهضة الامة هي هدف المواطن ، ومن ثمّ هدف الشعب كله وكل ملك أو أمير يسعى الى تحقيق أمنيات شعبه ، فكان النهوض بالامة هدفاً لهؤلاء الملوك .

والغزاوي كان لسان النهضة الناطق ولسان الامة الذي يلهج بالثناء على كل من يضع لبنة في بناء هذه الحضارة ليحقق رفاهيتها وأمانيها ، فقد مدح آل سعود الذين شادوا المشرعات الضخمة ومن ذلك قوله في الملك عبد العزيز[2] :

أمنت خـائفها وشـدت صـروحهـا وبهـا استنـار غـدوهـا ورواحهـا
وسلكت في ارشـادهـا سنن الهـدى حتى استقـام نجاحهـا وفـلاحهـا
ورفعت رايتهـا وصـنت ربـوعهـا وحميت بيضتهـا فتم صـلاحهـا
وحكمت بالشرع الشـريف فاصبحت ترتـاع خـوفاً بـالحدود وقـاحهـا
ومـلكت حبـات القـلوب تحببـاً فلذاك من رؤياك طـابت صبـاحهـا

ولم يقف عند هذا الحد فقد أشاد بانشاء دور العلم والاحتفالات التي تقام فيها ، فهو يشدو بشعره ليثير في القائمين على أمر العلم الحماس ، ويدفع بهم الى الامام ، من ذلك قوله في المعهد العلمي السعودي[3] :

---

(١) التطور والتجديد في الشعر الاموي د/ شوقي ضيف ٦٤ دار المعارف بمصر .
(٢) أم القرى ع ١٢٦ ص٣ ـ ٩ ذي القعدة ١٣٤٥ ـ ١ مايو ١٩٢٧م .
(٣) صوت الحجاز ٦/ ١٠/ ١٣٥١هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ان في (المعهد السعودي) قامت ... حجة (الدين) وانجلى الاعجاز
ولقد شاقني ، وشاق سوائي ... نهضة الجيل والحياة نهاز
واذا كانت النفوس كباراً ... لم تخل دون عزمها الأجواز
تلك أمنية الطموح تجلت ... بين فتياننا الذين اجتازوا
فالى (المجد) نرتجيه (غداة) ... وانهلوا (العلم) فالعلوم طراز
بلغوا منه ما يفيد ويبقى ... فالنجيب النجيب من يمتاز

وهو يستقبل كل مشروع من المشاريع الوطنية بقصائد وطنية تفيض حباً لهذا الوطن والرغبة في نهوضه . . . ففي مناسبة الشروع في تأسيس جمعية الطيران العربية يقول قصيدة مفعمة بالوطنية وتمجيد العلم والحث على نهضة الوطن وبناء الحضارة ومنها[1] :

اليوم تسمو مع الأحياء دنيانا ... وترتجي نهضة الأوطان جدوانا
واليوم نقضي ديون المجد وافية ... لأمة رفعت للعلم بنيانا
لا ينهض الشعب بالدنيا يصورها ... محض الخيال ـ أساطيراً وألوانا
ولا يركز فوق النجم رايته ... الا اذا هو ضحى النفس قربانا

ومع أن الغزاوي كان يمثل في مضمون شعره الاتجاهات الاجتماعية والوطنية ويصور بهذا المضمون موضوعات معاصرة كالعلم والعناية به ونشره ورعاية المعوزين والفقراء من أبناء المجتمع . . هذه المضامين التي برزت للوجود في أدبنا الحديث . . والغزاوي واحد ممن ساهموا في هذا الأدب الا أنه كان يتأثر بالمضامين القديمة التي كانت تبرز بين الحين والآخر في شعره كالتأريخ بالشعر . . هذا الفن الذي ساد في عصور الانحطاط . . يقول الغزاوي مؤرخاً لولادة الأمير خالد بن فيصل :

قد نضاه الله سيفاً ... في ظلال التاج يصقل

---

(١) أم القرى ع ٣١٤ ص ٣ ص ٣ في ١٨ رجب ١٣٤٩هـ . . .

خـالـد الـذكـر كـريـم فـي سـعـود يـتـنـقـل
قـلـت فـي مـيـلاده (سـنـه محـفـوظ فيـصـل)[1]

وفي تاريخ آخر لميلاد الأمير خالد يقول :

ان مـيـلادك فـأل بـيـت شـعـر قـد حـواه
تـوسـع الـشـعـب سـعـودا جـاوز الأفـق مـداه

٥٣٦ ٤٠٣ ١٤١ ١٧ ٢١٢ ٥١

كما رصد ولادة غيرهم من الأمراء شعراً سالكاً طريق الأقدمين في تأريخهم الشعري . . ولعل هذه الظاهرة ـ التي اختفت من شعرنا الحديث ـ هي نتيجة الثقافة أو انعكاس لما أخذه عن أساتذته ومعلميه الذين عايشوا التراث القديم .

فالغزاوي اذن جمع بين الحديث بمضامينه وبين القديم في مضامين أخرى كما سبق وأن استعرضناها خلال هذا البحث .

ومما يجدر الاشارة اليه في ختام دراستي للمضمون أن أشير الى أنه مع اهتمام الغزاوي بمضمونه فان الفكرة لقيت عنده التعبير المناسب للمقام التي يظهر فيها الاتزان الرصين والتناسق الصميم ، والائتلاف العميق والأداء المحكم وتجانس التراكيب .

الشكل

كان الغزاوي من الشعراء الذين اهتموا كثيراً بأشكالهم الأدبية وتظهر عنايته بالشكل في شعره أكثر فلقد أدرك كيف يؤثر كلمة على كلمة لتكون أدل على المراد ، وأدق في وصف المشاعر ، وأبين لما يراد بيانه ، ولديه المقدرة الفائقة على وضع الكلمة في موضعها الأكثر مناسبة لها في الجملة لتكون أبين دلالة ، وأدق وصفاً فإن الدارس للبلاغة الشعرية عند الغزاوي يطالعه الائتلاف بين حروف اللفظة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأجزاء الكلام فهي متجاورة متجانسة متآلفة ، ومن ثم ترى الطلاوة الموسيقية الناتجة عن تآلف الحروف والألفاظ والأوزان ، فغلبت على جل شعره سلاسة السياق اللفظي وخفته على اللسان ولا غرابة في ذلك فالرجل ربيب الحفظ والراوية والممارسة وربيب اللغة العربية يبحث وينقب في أمهات المصادر اللغوية والبلاغية حتى أصبح علماً من أعلامها في الجزيرة العربية وحتى صارت بحوثه تنشر في المجلات والجرائد كجريدة (أم القرى) و(البلاد السعودية) و(المنهل) .

ومن ميزات الأسلوب عند الغزاوي قدرته على التأليف والتلاحم بين مضمون شعره وقالبه فإنه يختار الأسلوب الجزل الفخم عند تناوله للأغراض الوطنية ، ووصف النهضة والمدائح فينتقي البحور الطويلة ذات التفعيلات المتعددة واللغة الجزلة ذات التأثير القوي على العاطفة بحيث تجعلها عاطفة جياشة تستثير في النفوس معاني القوة والاعتزاز وإنما يكون ذلك في المديح والوطنيات والحوليات والتهاني ، حتى تتيح له النفس الطويل ليعبر عما يجول ويدور بخلده وهذه الظاهرة بارزة لكل من ألقى نظرة يسيرة على قصائده التي يدور جلها حول تلك الأغراض .

حينما يشيد بصنائع الملك وأياديه البيضاء لأهل الجزيرة التي لمَّ شعثها ، وحكَّم فيها الدين الإسلامي ، فعم الأمن والاستقرار وتوفرت طيبات الرزق وغضارة العيش وما ذلك إلا من توفيق الرب وعنايته فجعل منه عز التوحيد والرخاء للشعب وإزهاق الفتن والهوجاء .

ومن ذلك قوله في مدح الملك عبد العزيز رحمه الله :

بل ابتهج الإسلام واختالت العرب ... وصافحك الإخلاص والنصح والحبّ
وحالفك التوفيق في كل رحلة ... ودانت لك الآمال واستسهل الصعب
فما وطئت أقدامك الغر تربة ... وإن أجدبت إلا وأرغدها الخصب
ولا ائتلقت سيماك في كل مطلع ... بعيد المدى إلا ولج به العجب

---

(١) أم القرى ع ٥٨٦ ص ٣ الجمعة ٥ ذو الحجة ١٣٥٤هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٣٦م .

فماذا يطيق النظم فيك وقد وفى ... وأنت الذي في دينه اختارك الرب
وأنت الذي شيدت للعرب دولة ... هي الحلم المنشود والمطمح الوثب
وزانت بك الدنيا وصح اعتلالها ... وعز بك (التوحيد) والتأم الشعب[1]
فكم من صروف في (الجزيرة) اطبقت ... تبارى بها الأبطال والطعن والضرب
وكم فتنة هوجاء أزهقت روحها ... تبادت مع الأشرار وانفرج الكرب
وكم سهرت عيناك في حالك الدجى ... خشوعاً وتدبيراً يسود به الشعب
وكم موقف فرجته وهو مظلم ... برأي سديد دونه السمر والقضب

فهذه الأبيات تبدوعليها الجزالة في وضوح ظاهر مع البعد عن الابهام والتوعر والتقعر كما يظهر فيها قوة السبك والائتلاف بين الحروف وتركيب الجملة والتلاحم بين اجزاء البيت ، والقصيدة كوحدة كاملة .

وهو ينتقي الاسلوب السهل ذا الالفاظ والمعاني الرقيقة حينما يتطلب الموضوع ذلك لتتم الملاءمة بين المضمون والشكل، وذلك في اغراض كثيرة من مثل الغزل والإخوانيات ، ومخاطبته لأبناء المدارس من ذلك قصيدته (من بنى مدرسة أغلق السجن وراه) التي يقول فيها[2] :

(فجره) ثم (ضحاه) ... ناشىء يهوى الحياه
حالف السهر طويلاً ... فتشكى ناظراه
وانتضى للدرس عزماً ... ربما أضنى قواه
ونضى ثوب خمول ... في نشاط وإباه
في سبيل العلم ضحى ... كل شيء وابتغاه
حمل العبء ثقيلاً ... وعناه ما عناه
ثم لم يلبث قليلاً ... فاذا هو بمناه

---

(١) الشعب : الصدع .
(٢) أم القرى ع ٨٤٢ ص ٣ الجمعة ١١ محرم ١٣٦٠هـ الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤١م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فأنت ترى السهولة في اللفظ والرقة والليونة ففيه غضارة وعليه طلاوة مع خفة البحر وقصره ليتناسب وموضوع القصيدة ، والشباب الذين يستمعونها حيث قيلت في احتفال المعهد العلمي السعودي وتحضير البعثات .

ولقد توفرت في أسلوب الغزاوي خصائص كثيرة أعطت شعره أهمية كبيرة منها :

١ ـ أن من يقرأ ويدرس شعر الغزاوي دراسة متعمقة يتضح له الصحة التي هي أساس جودة الكلام ، وتتحقق معالمها في حفاظه على قواعد اللغة والنحو ، وقد حافظ على ترتيبها المنطقي حسب المقاييس الصحيحة التي سمعت من أربابها فمثلاً لم يفضل في الغالب الأكثر بين الحروف والافعال التي تقوم بها ، ولا بين المتعلقات ، وأجاد تأليف الجمل وتركيبها ، وهذا ما جعل أسلوب الغزاوي يمتاز بفصاحته .

وهذه الصحة في الأسلوب تناسب الصحة في المضمون التي ذكرتها من قبل ، تلك سمة شعر الغزاوي بوجه عام ، ولكن مع حرص الغزاوي على هذا المقياس النقدي وبراعته في اللغة العربية ، وتبحره فيها ، فاني أجد عنده بعض الخروج عن هذا المنهج ، وذلك للضرورات الشعرية ، من ذلك فصله بين أداة الجزم وفعلها في قوله[1] :

بئسما أفتنت (الحضارة) إن لم هي بالخير . . لا الشرور تحلى

٢ ـ والغزاوي قد يؤاخي بين لفظه ومعناه ، حتى امتاز شعره بالدقة المتناهية في هذا الجانب فهو يختار لشعره القوالب والأشكال التي تناسب المضمون حتى أن أسلوبه يوحي إيحاء بالمناسبة التي قيلت فيها القصيدة ، فانظر اليه كيف يختار الكلمات التي تناسب الحج من مثل التكبير والتسبيح والإشارة الى اجتماع المسلمين حيث شبه ذلك الاجتماع بالمنتدى وقد يعد هذا من التشبيه المقلوب

---

(١) المنهل سنة ٤٣ مجلد ٣٨ ذو الحجة ١٣٩٧هـ ص ١٥٣٥ .

الذي بنيت عليه الاستعارة فهو يقول[1] :

الله أكبر ما انتدى (الاسلام) وبه الفجاج تعج والأكام
الله أكبر ، ما السماء تزينت بنجومها وتهادت الأجرام
الله أكبر ، ما لروابي اعشوشبت وتفتحت بزهورها الأكمام

وعلى مثل هذا الإيحاء جرى الغزاوي في حولياته .

٣ ـ والغزاوي يختار اللفظ الأنسب مع وجود المناسب حيث ينتقي اللفظ الأكثر إبانة ودلالة وتصويراً وإيحاء وهذا كثير في شعره ، ولكن القليل هو وقوعه في ألفاظ غير مناسبة تؤدي إلى تشبيه غير مألوف كقوله[2] :

بكل ذي طلعة كالبدر تحسبه (ريما) ويغبط منه السمع ، والبصر

فإن الريم يشبه بها الفتيات لا الفتيان ، ومع إن الغزاوي قد أخطأ في التشبيه فوصف الذكور بما توصف به الفتيات ، وهو لم يكن وحيداً في هذا الخطأ ، فقد وقع فيه شاعر جاهلي هو المتلمس إذ وصف الجمل بما توصف به الناقة مما دفع بطرفة بن العبد الى قول كلمته النقدية المشهورة ـ استنوق الجمل دالاً على أن الشاعر قد وصف الذكور بما توصف به الإناث ذلك في بيت المتلمس الذي يقول فيه :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

وأعود لبيت الغزاوي لأدلك على مسألة أخرى هي كلمة (يغبط) فإنها كلمة جميلة نسخ جمالها بسوء الربط بينها وبين ما بعدها . فلو أنه قال ويضبط فيه السمع والبصر ، وليس من حق قائل أن يحمل هذا التعبير على محمل آخر إذ لم يعرف ذلك ـ والحمد لله ـ عن شاعرنا .

---

(١) المنهل مجلد ٣٠ محرم ١٣٨٩ هـ مارس ابريل ١٩٦٩م ص ٥١٣٨ .
(٢) طرفة بن العبد حياته وشعره ٢٤ د/ محمد علي الهاشمي ط بيروت ـ لبنان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك قوله :

انطقوني بمجدكم ـ واستجيبوا دعوة الله ـ وصدعوا بانتهاره[1]

حيث أن (انتهاره) هنا بعيدة المخرج فان معناها القريب يوحي بالزجر ولكنه قصد المعنى البعيد غير المتداول وهو التوسع والدعوة ، وهو تكلف واضح يبدو أن للقافية يد في فرضه عليه .

ومن الألفاظ الثقيلة التي جرت على لسان الغزاوي كلمة (قعقع) في قوله[2] :

وسواء إذا قنعت : فشار أم قفار ، وفستق أو قعقع

فهذا البيت تحس فيه ثقل في الحروف وخاصة (قعقع) وخفف ثقلها في الحروف وقوعها بعد فستق .

ومن الكلمات التي استعملت في غير محلها ذوقيا كلمة (ولي) البيت[3] :

ولي (الصيام) وعاود (الإفطار) وعلى (القلوب) من الرجاء أطار

فان لا غبار عليها من حيث الصحة اللغوية لكنها وردت في غير موضعها لما قد توحي به من سأم وملال من طول صحبة شهر الصيام وذلك عكس ما عليه المؤمنون الذين يسرون بقدومه ويألمون لفراقه وكان يمكنه أن يستعمل ألفاظاً اخرى تؤدي المعنى ولا تحتمل ذلك الاحتمال مثل ذهب ، ورحل ، وما إلى ذلك .

٤ ـ والغزاوي واضح الفكرة لذلك كان يحاول في كثير من الأحيان أن يصوغها بقالب واضح ، وبناء على نظريته هذه فقد ابتعد عن المجازات والصور الغربية والألفاظ الوحشية الغامضة ، ولا يقدح في هذا كثرة استعماله لكلمات عربية

---

(١) صوت الحجاز ١٠ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ .

(٢) المنهل مجلد ٣٤ ربيع اول ١٣٩٣هـ .

(٣) أم القرى ع ٣٧٤ ص ٣ في الاحد ٧ شوال ١٣٥٠هـ ١٤ فبراير سنة ١٩٣٧م .

فصيحة ، حيث أصبحت عنده مألوفة ، لا يرى فيها غرابة ، ولا يحس فيها تقصراً لتعمقه في اللغة وليس من الصعب على القارىء تناول معنى هذه اللفظة من المعاجم من هذا الفيض من اللغة فإنه وقع للغزاوي ما وقع لغيره من الفحول الذين قويت صلتهم بلغة العرب . وتراثهم حتى صارت تجري على ألسنتهم ألفاظ غريبة كما يجري اللفظ المبتذل في ألسن الآخرين .

وقد يتخلى الغزاوي عن أصالته اللغوية ، ويجنح إلى استعمال بعض الألفاظ الأعجمية التي درجت في لسان عصره ، وكان أحرى به ألا تنسل إلى لسانه ، بعد ما حذق لغة العرب ، وتمرس بألفاظها وأساليبها .

وسأتناول أمثلة لما أسلفت فمن الكلمات العربية التي لم يحسن اختيارها الشغن في قوله[1] :

كأنما هم وقد ضاقت سرائرهم من السجود جباه زانها (الشغن)[2]

فالشغن كلمة ثقيلة غريبة اعطت صورة ضئيلة ، فالمقام فرضها على الغزاوي لانها قافية ، فلا بد أن تكون بالنون ، ولانها وصف لجزء من الجبهة أخذ هذا الوصف ، فقد يصعب وجود بديل لها ، فمن هنا لا بد من استعمالها .

وانظر اليه كيف يختار البرق ليصور به العدل مع أن العدل يجب ان يكون مستديماً ولكنه يريد أن يقول : ان العدل في العهد السعودي أخذ صفتين هو أن فيه الامن وفيه إخافة المجرمين ، ولذا فهو يشبه البرق الذي يفرح الناس لأنه بشير خير لما يأتي بعده من غيث ، ولكنه يخيف لكونه ينبي عن احتمال وجود الصواعق[3] .

وعدل كومض البرق أمناً وخيفة وتفرط أسماع العصور شنائفه

---

(١) المرصاد ١٧٤ .

(٢) الشغن : الشغن ما تناثر من الورق او العشب بعد يبسه وهو يقصد آثار السجود ليبسها .

(٣) أم القرى ع ٨٧٩ ص ٣ ١١/١١/١٣٦٠هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأحياناً يدنو الى مبتذل القول وساذجه حتى يصل الى حد السذاجة كقول في الحج[1] :

أن اسراره العظيمة دقت فهي من دونها يضيق الكلام

ومن الأمثلة على استعماله للكلمات الاجنبية قوله[2] :

كان لم يكن (غليوم[3]) يوماً و(هتلر)[4] ولا من هو (الدوتشي[5]) جميعاً تزحزحوا

٥ ـ والغزاوي حمل لواء العودة الى اللغة العربية وأساليبها في الشعر في الحجاز إبان النهضة المباركة ، فكان أغلب الكتاب يتجهون إلى الكتب المترجمة ، فيقرأونها ويتأثرون بها والغزاوي وإن شاركهم فيها لكنه أعطى اللغة العربية حقها من البحث والتنقيب ، فقد أقبل على التعمق فيها ، وسبر اغوارها ، والاستفادة من ألفاظها ومعانيها كما يتضح ذلك من أبحاثه في مطالعات وتعلقات ثم (شذرات الذهب) وكان يرجع إلى المعاجم ليختار منها ما يناسب من الألفاظ لشعره فتكوّن عنده رصيد جيد من اللغة ، وأصبح متبحراً فيها عارفاً بأسرارها، وقد برز ذلك جلياً في شعره فرصعه ووشاه بألفاظ اللغة العربية الفصيحة وقد أحسن اختيارها ووضعها في تآليف متلاحم واجتنب حوشيها وغريبها وثقيلها ومن ذلك قوله[6] :

لا يليك المجد الا بالظبا[7] وانتشار العلم ، والسعي الخبب[8]

---

(١) صوت الحجاز ١٥/١٢/١٣٥١هـ .

(٢) المنهل مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢ هـ ص٥ .

(٣) غليوم ملك بروسيا (المانيا)

(٤) هتلر رئيس المانيا في الحرب العالمية الثانية .

(٥) الدوتشي قائد من قادة ايطاليا .

(٦) ام القرى ع ٤٧٤ ص ٣ الجمعة ٢٦ رمضان ١٣٥٢هـ ١٢ يناير ١٩٣٤م .

(٧) الظبا : السيوف .

(٨) الخبيث : الجسري الخفيف .

لست أخشى حين يهدي (وطني) (ويقيني) من تعامى واضطرب
كيف تشجيني خطيئات الهوى بأنه بالآثام ـ انضاه اللغب[1]
إنما أمنيتي ـ في وحدة تجعل (الامة) حصناً كالاشب[2]

٦ ـ ويلاحظ عند الغزاوي كثرة استعماله للأقواس الصغيرة والكبيرة وكذلك الشرطة وعلامات التعجب في آخر الأبيات وهذه يقصد به التزيين والتجميل وقد صرح بذلك (وما عملت الأقواس في اسمائها وأفعالها وألوانها وأشكالها إلا متعة للبصر وبهجة للفؤاد فقوس قزح وان كان هو في زعم العامة دليل على انقشاع المزن وتحولها إلى جهات أخرى ، فإنه لذو منظر بديع خلاب ووضع هندسي جذاب وأقواس النصر تنصب لإعلان الأفراح وإقامة الزينات ، وأقواس الرمي ما كانت إلا من أسباب الفلج والظفر ، وأقواس الحواجب . . كل أولئك مما يشفع للكاتب حين يتخذ من التقويس حلية لكلامه) .

ولكن هذه الحجة لم يقتنع بها الأدباء ورأوا أن فيها إشكالاً على القارىء ، ويحدث نشازاً في الأفكار والمعنى وربما أضر بالنحو أيضاً ولذلك طلبوا منه الإقلاع عنها وقد عابها عليه إبراهيم هاشم الفلالي فقال : (لا اعتراض لي إلا على هذين القوسين اللتين حصرتا فيها كلمة الأناس فما معنى ذلك) في قوله :

قلب ترف به الذكرى محلقة فوق (الأناسي) بالأملاك يقترن[4]

وكذلك كتب للغزاوي أحد كبار الأدباء[5] من جدة وقال في رسالته[6] :

(فإني انتهزها فرصة مرحة لاسألك عن سر هذه الأقواس الكبيرة ترسلها بين

---

(١) اللغب : التعب .
(٢) الاشب : النخيل المتلف .
(٣) البلاد السعودية ١٥٧٠ في ١٣ شوال ١٣٧٣هـ .
(٤) المرصاد ابراهيم هاشم الفلالي : ١٧١ ط ٣ مطابع الفرزدق التجارية ١٤٠٠هـ .
(٥) لم يصرح باسمه واغلب الظن أنه يشير الى احمد السباعي .
(٦) البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٥٥٦ ص ٤ في ١٣٧٣/٩/٢١هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السطور كلما مضيت بها فتودعها كلمات لا أعتقد أنها مما يودع فيها ، وليس هذا نقداً ذلك ذوقك الخاص ولكنه ضرب من الدراسة والامتزاج اللذَيْن أعلنهما لك . وليس هنا ما يشكل على القارىء من هذه الأقواس ، إلا أن هنا ما يصدم بعض الأذواق ومنها ذوقي ، وليس هذا وحده بل أن فيها ما يقلل من قيمة الاثر فنياً وإليك مثال من هذا :

(كتبت في طرفة بن جدعان هذه الجمل هكذا (وكنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان (صكة عمي) يعني في الهاجرة وسميت الهاجرة (صكة عمي) بخبر ذكره أبو حنيفة . . الخ) والقارىء الحديث يفهم من هذا الوضع أن جفنة بنت جدعان كانت تسمى (صكة عمي) لولا تفسيرك بعد ذلك لها بالهاجرة.

وهذا التفسير يغنيك عن القوسين بل يحتم الى طرحهما حتى لا يقع القارىء الحديث في فهم مضطرب حيث تشعر الجملة الأولى أن صكة عمي من اسماء الجفنة . . ويخبره التفسير بصراحة إنها الهاجرة . . فكأن هنا كاتبين اختلفا في الرأي احدهما يقول بالمعنى الأول والآخر يخالفه بالمعنى الثاني لأن هذين القوسين ولا مؤاخذة يا صديقي العزيز لا يوضع بينهما :إلا اللفظ المكرر لمعنى ما قبله أو الفضول من الكلام أو الجملة المعترضة التي يمكن الاستغناء عنها . . فهل لي أن ادعوك إلى إهمال هذه الأقواس أم أن هنا عقدة ملازمة يخضع لها القلم والقلم من وراء النفس) .

وقد علق الغزاوي على ذلك بقوله :

(ان عقدة (الأقواس) متمكنة مني وما زلت أدمن استعمالها إن صح هذا التعبير في شعري ونثري ، وطالما لاحظ عليها الكثيرون ولكن هيهات الأمر الذي اضطرني أن اعهد إلى تحرير الجريدة بأن يعقب عليها ويجري فيها ما يجب من الشطب والحذف والتعديل فإذا كان هناك مؤاخذة فعلى صديقي (الأستاذ عبد العزيز الرفاعي) حيث لم يتسع وقته لهذا . . أو رأى أن يظهرني على حقيقتي . . وما أراني مسؤولاً بعد ذلك الا عن بذل أقصى ما يمكن من التحري في حذف الأقواس . .)

ومع ذلك اعترض عليها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي أيضاً ورد عليه الغزاوي معلناً إقلاعه عنها ونبذه لها مع طول معاشرته لها خضوعاً للذوق العام فهو يقول[1] :

(أما وأخي الأستاذ الرفاعي ومن سبقه من المعترضين ـ لا يرون مناصاً من التماس مندوحة للتخلص منه فإني أعلن طائعاً غير مختار بالنزول على ما ارتأوه ـ وحسب القارىء وحسبهم أن يتعقبوا هذه الأسطر من أولها الى آخرها فيجدون انها قد خلت مما كرهوا ولو صغرت مما أحب ؟ واسأل الله الثبات والتوفيق . .

بلى : الا جملة صاحب كل اسبوع فقد اضطررت أن (أقوسها) اقتناعاً بلزومها . .

فإن لم تكن إلا حشواً أيضاً فها أنذا اكتبها دون سياج وعسى أن اكون بذلك قد أرضيت الكثيرين من ذوي المزاج . . وعلى الله العوض فيما أحرجت فيه كل الإحراج : على أنني ـ أحفظ لنفسي باستعمال هذا الحق فيما لا ينشر أضعافاً مضاعفة إلا أن أسد باب الذريعة . . فأروض قلمي على أن يساير الذوق العام . . عملاً بقاعدة «كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس» . وبالطبع فإن الحكمة في ذلك تهدف إلى أن لا يشذ المرء عما يستحسنه المحيط أو الوسط . ومرة اخرى أشكر صديقي الأستاذ الرفاعي على كياسته ونصيحته واستصفحه عما عزوته إليه تخلصاً من المعقبين (وأهنئه) أنه استطاع أخيراً أن يحملني على تحري الخلاص من هذه اللازمة الثقيلة بعد العشرة الطويلة والعلاقة الجميلة . وإن كنت كما يقول ابو الطيب[1] :

خلقت وفيا لو رجعت الى الصبا لراجعت شيبي موجع القلب باكيا

واخيرا وداعاً أيتها القوس إلى حيث أراك في أيمان الدارعين ومواكب المحتفين . .

---

(١) البلاد السعودية ع ١٥٧٠ في ٣ شوال ١٣٧٣هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي أذيال السحاب الماطر ، ونواحي الجمال القاهر ، ولله الامر من قبل ومن بعد) .

ولكني أرى أن هذه الأقواس توحي إلي أهمية الكلمة ذاتها عند الغزاوي في هذا المكان بالذات ، وربما نشير إلى أنه استعملها استعمالاً خاصاً ، فهو يلفت الانتباه إلى ذلك ، وإذا قصد بالكلمة التورية فإنه يضعها بين قوسين وفي أحيان كثيرة تعبر هذه الكلمة عن نفسية الغزاوي تجاه مضمونها وإلا لماذا خصها قلمه بهذا السياج دون غيرها .

وإذا نظرت إلى شعر الغزاوي نظرة عامة فإنك تراه التزم بالقافية وشروطها ولم يجنح عنها إلى الشعر المرسل إلا في أربع قصائد من شعره كان أولها مرثيته لحافظ ابراهيم وقد لجأ في أوزانه الى البحور الشعرية الطويلة وذلك لتفي له بغرضه لأن موضوعاته تميل إلى مخاطبة العقل وتستدعي الحديث المطول وقد غلب على شعره بحر الطويل ، والكامل ، والخفيف ، والرمل .

٧ ـ ومن الأمور التي تستوقف القارىء عند مطالع قصائد الغزاوي التصريع وهو أن تكون الكلمة في آخر الشطر الأول من البيت الأول في القصيدة تجانس آخر كلمة في الشطر الثاني ، فإذا لم تجانسها ، فإن الحرف الأخير يكون مثل الروي تلك سمة خاصة بالبيت الأول في كل قصيدة ، فكأن الغزاوي يجاري القدماء في البيت الأول من قصائدهم فهم يصرعونها به كما نجد ذلك في المعلقات كمطلع معلقة عنترة :

يـا دار عـبلة بـالـجـواء تـكـلمـي وعمى صبـاحـاً دار عبلة واسلمـي

ومعقلة زهير :

أمـن أم أوفى دمـنـة لـم تـكـلمـي بـحـومـانـة الـدراج فـالمـتـثـلم

وغيرهما من شعر القدماء .

المحسنات اللفظية عند الغزاوي :

يحاول الغزاوي أن ينمق ويزخرف شعره بألوان من المحسنات البديعية ، فمن المحسنات البارزة في شعره أن مطالع قصائده تحمل محسناً لفظياً ذلك هو التصريع الذي يظهر بصفة لافتة للانتباه : فهو يقول في مطلع أحد قصائده[1] :

ألا لا تلمني اليوم أن (أتكلما) فإن فؤادي بالأسى قد (تكلما)

ومع انه أراد تصريع قصيدته الا أننا نرى أنه أضاف الى تصريع محسناً بديعياً آخر هو الجناس الناقص بين (أتكلما في نهاية الشطر الأول و(تكلما) في نهاية الشطر الثاني الاولى معناها الكلام والإفصاح عنه ، والثانية معناها الندوب والجروح .

من ذلك أيضاً ما ذكره في مطلع قصيدته التي بعنوان (يا بن الامام ونجد وسيد العرب[2]) :

لمن السناء أطل من (أجياد) فهفت إليه طوالع (الأجياد)

فأجياد هي من أحياء مكة والأجياد الثانية هي الخيل .

ومن الجناس عنده قوله في مطلع قصيدته بعنوان (مأدبة إفطار ملوكية[3]) .

يا من غدا الحب طول الدهر يحمله على البصيرة منا أو على البصر

وهو لم يخصص الجناس لمطالع قصائده فحسب بل نجده في ثناياها كثيراً من ذلك[4] :

وإنما هو قول الحق منبعثاً من الفؤاد وليس الخبر كالخبر

---

(١) أم القرى ٨٩ ص ٤ ١٧ صفر ١٣٤٥هـ .
(٢) أم القرى ٩٥ ص ٤ ٣٠ ربيع الثاني ١٣٤٥ هـ .
(٣) أم القرى ٣٢٤ ص ٢ .
(٤) أم القرى ٣٢٤ ص ٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والغزاوي زين شعره بأنواع كثيرة من البديع فمن ذلك التذييل كقوله[1] : ـ

ولـه المـواقف كلهـا مشهـودة لهجت بها الإثبات وهي صحـاح

فقوله : ـ (وهي صحاح) تذييل للاحتراز ، لانه لو قال (الاثبات) وسكت لظن أن بعض الأدلة ضعيف أو غير صحيح .

ومن التذييل أيضاً قوله[2] :

يشتغها إلى الإيمان صاعدة به أرواحها لله وهي تطهر
عجلت إلى ديانها وتجردت للواحد القهار وهي تكبر

وقد ورد في شعره التضمين والاقتباس نتيجة لإعجابه بالتراث وذلك كقوله[3] :

(وإذا كانت النفوس كباراً) لم تحل دون عزمها الأجواز

ومن المحسنات استعماله للتورية كما قال في مقدمة إحدى قصائده :

لك (يا فيصل السعود) الهناء (وحدة) بشرت بها العظماء

فان السعود تورية فالمعنى القريب كونه من آل سعود ، ولكن الشاعر قصد أو اراد الايحاء بأنه من السعد وحسن الطالع ، وكلا المعنيين محبب لنفس الممدوح ، وهذه اجادة وتسخير للغة أحسن فيها الشاعر وقد استخدم المطابقة في قوله : ـ

هابطات صاعدات كلما كيف الأجيال خصب أو جدب

فنلاحظها بين هابطات وصاعدات وبين خصب وجدب .

---

(١) المنهل مجلد ٣٩ محرم ١٣٩٨هـ .
(٢) المنهل حوليه ١٣٩١هـ .
(٣) صوت الحجاز ٦/ ١٠/ ١٣٥١هـ .

ومنها قوله مطابقاً بين السهل (المنبسط من الارض و(النجد) المرتفع منها[1] :

تبلج بالبشرى وأشرق بالهنا وضاءت سهول دونه ونجود

ومنها طباقة بين البادية والحضر[2] :

وخير من زين (الصمصام) مفرقه بتاج يعرب من البادين والحضر

من هذه الدراسة التي أوردت نماذج لها للمحسنات البديعية ومن معرفة تاريخ الغزاوي وسيرة حياته نستطيع أن نضعه في منزلة الريادة والعودة الى أساليب العربية السهلة السلسة التي لا تكلف فيها ولا تقعر ولا غوص وراء المحسنات المتكلفة ، فالغزاوي من الجيل الأول من شعراء المملكة والحجاز بصفة خاصة وهذا الجيل عاصر الشعراء الذين التزموا الصنعة ، فجمد الشعر عندهم لسعيهم وراء زخرف القول فحسب ، وتناسوا المضمون ، واهتموا بالتاريخ وتدوين السنين ومع إدراك الغزاوي لهذه الطبقة فإنه قفز قفزة كبرى بالشعر انتشله وصحبه من أدباء الرعيل الأول من الجمود والخمول والإغراق في الصنعة وتكلفها والإعراض عن المضمون إلى المعادلة والتوازن بين المعنى والمضمون ، فأعطى المضمون حقه ، وكان الأساس والجوهر ، وأعطى الأسلوب حقه فجاء متزناً مبتعداً عن التكلف متآلفاً متلاحماً فألفاظه قوية تقودها الجرأة وتدفعها الرغبة والحماس الوطني في الأغراض التي تمت إلى الوطن والمجتمع بصلة وتشرق بالطرب والمرح إن كانت إخوانيات وغزليات فأثر الموضوع يظهر في شعره ويصبغ أسلوبه .

والغزاوي لم يتأثر بسلفه الشعراء المقلدين بل تجاوزهم إلى متابعة النهضة في البلاد العربية ، واعتنى بدواوين الشعراء القدامى ، وشعراء العصر العباسي وكان ذلك سبباً في ابتعاد الغزاوي عن الصنعة والتكلف والإيغال وراء المحسنات اللفظية ، ولكن إذا جاءت عفو الخاطر دون تأثير على المعنى الذي يقصده فانه

---

(١) أم القرى ع ٦٨٥ ص ٢ الجمعة ٢٠ ذو القعدة ١٣٥٦هـ الموافق ٢١ يناير ١٩٣٨م .

(٢) أم القرى ع ٣٢٤ ص٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحبها ، ويدخلها في شعره وأستطيع أن أقول في شعر الغزاوي بعد دراستي له : انه وقف موقفاً وسطا بين شعراء الطبع والصنعة ، فلا هـو الذي أمعن في البـديع ، وغاص وراءه وتكلفه كما يفعل أتباع مدرسة الصنعة وليس هو بالتارك له ، فأخذ منه ما يناسب المقام والحال ، ولا يجني على الأسلوب والمعنى .

لمحة عن الغزاوي من خلال شعره

من خلال شعر الغزاوي وإنتاجه الأدبي ندرك مدى ارتباطه ببيئته وأمته وأن الغزاوي رجل علم . التحق بالعمل الحكومي فوسع له ذلك طريق الاتصال برجال الفكر في ميادين مختلفة فاجتهد في ملازمة أهل الفضل ومن بيدهم الحل والعقد ، فاصطدم بالواقع وبالصعوبات الجمة التي تقف في وجه النهضة . بينما بعض الأدباء ينظر اليها نظرة خيالية ، غير مدركاً للعقبات الواقعية ومجاراته لهذا التيار الواقعي يدل على عقليته الراجحة وواقعيته فأدرك أن إنجاز المشروع وراءه همة وعزم وإقدام كما يقول[1] :

ولـتهـتفـوا أبـدا بـالـفضـل قـلده عبـد العـزيـز المفـدى بـالأعـزّاء

ومن بنـى أمـة كـانت مـحـطمـة فكيف لا يسعف الـظمـآن بـالمـاء

وشعر الغزاوي يمثل حياته العامة وحياته الخاصة فقد اشتغل بالتجارة تلك الخاصية التي امتازت بها مكة المكرمة منذ أرسى ابـراهيم الخليل قـواعد البيت العتيق ، وأمّه الناس فأصبح أهلها أغنى أهل الجزيرة لـرواج التجارة التي تمثـل مصدرهم المالي الهام ووالد الغزاوي كان تاجراً واستعان بولده وأراد أن يتعلم هذه المهنة فاشتغل الغزاوي بها حتى قارب العشرين عاماً وهو يصور لنا تجاربه فيهـا واجتهاده حينما يغدو الحجاج وما يدخره من أرباح لتفي بمتطلبات العام كاملة ، وقد أشار الى ما يعانونه مـن كسـاد في تجارتهم أثناء السنة بل إنها موسمية خاصة بموسم الحج فيقول :

(١) الادب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ٣ : ١٢٢٦ د/ ابراهيم فوزان .

أول (الدينار) باره ذلكم أصل التجارة
كلما فرطت فيها عشت نهباً للخسارة
ومن الامثال قالوا : (تركز الزير الجرارة)
وهم قد عززوه معظم النار (الشرارة)
فاذا الموسم ولى وقست فيك (البصارة)
ومضى الحجاج حتى لم تجد الا الدوارة
بين سوق الليل حينا وجياد والقرارة
لم تروع ، باحتياج ولجاج ومرارة
أو فما تظفر الا بالذي يشكو اضطراره[1]

وكان الغزاوي ينظر الى المستقبل المشرق ، والأمل الباسم نظرة تفاؤلية ويتوقع ما سيأتي من الرخاء ونضارة العيش :

كأني بالغد الضاحي مطلا تهلل مقبلاً ، ورنى ورنّا
يفيض بشائرا ، ويدل فخراً بما أوردنا وما عدنا وشدنا[2]

نراه في هذه الأبيات ينظر الى زاوية تهلل لها واستبشر بها ولكنه لما تقدمت به السن رأى الخير يعم ، والرخاء يشمل البلاد وأصبح الناس في بحبوحة من العيش ومع ذلك نسي أمله القديم الذي تحقق ونظر نظرة جديدة كلها ظلام وتشاؤم ورأى الدنيا بمنظاره الأسود متعقباً الأمراض والأدواء التي ابتلي بها المجتمع من جراء العادات والتقاليد الوافدة وأحس بها ومن تلك الأمراض الغرور ذلك المرض العضال الذي يجعل أفراد المجتمع يفقدون التوازن العقلي ، فيتركب المجتمع من نفوس طائشة .

وهو يوضح رأيه الشخصي من هذا التغيير الذي لم يبن على أساس من الدين

---

(١) المنهل مجلد ٣٢ ـ شعبان ١٣٩١هـ ص ٨٢٤ .
(٢) الندوة ع ٢ في ١٥/١١/١٣٧٧هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا وعي من العقل فيقول :

ما تلك والله الا فتنة وبها نسام خسفا ، وقد ضقنا بها عبرا

والغزاوي اهتم اهتماماً كبيراً بمجتمعه فحاول معالجة أمراضه الوافدة غيرة عليه وحباً للإصلاح ، ومن تلك الأمراض الغرور :

وما أرى في الغرور إلا عضالا (مرضاً) يسلب الحليم نهاه
وسعيد من اتقى من هواه (بهداه) وصده ونهاه
إنه والجنون صنوان ـ الا أنه الطيش حددت شفرتاه
فاقد العقل لا يعاقب ـ أما هو في الناس شوهدت عورتاه
غير أن المغرور بالمقت يخزي وهو يجزي بما جنته يداه[1]

وهو له فلسفته الدينية المنبثقة عن عقيدة راسخة وعن تراث أصيل وعن اعتزاز بموطنه المقدس ، وهو يجهر بتحكيم الشريعة السمحاء أمام من لديهم المقدرة على العمل بها ويرى أن فيها النجاة ، وأن العزوف عنها انحلال ، وأنها السلاح للنهضة في وجه العواصف التي تعوي حول المسلمين ويعلن عن ذلك في قصيدته في حفل رابطة العالم الاسلامي أمام الملك فيصل ورئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة[1] :

(شرعة الله) ما لنا من محيص دونها والصدوف عنها انحلال
وبها ينشرون بعد (خمود) وانطواء به يحيق الوبال
ولقد هبت العواصف غضبى وهي تعوي كأنها الأغوال
يتمطى في حضنها كل راغ زائغ راغه بها الإيغال
ما نجاة العباد الا بمن عم خلقه والهوى له الامهال
ثم يغدو . . بكل ماض وآت عبرة لا يشك فيها الجدال

(١) المنهل مجلد ٣٣ ص ٣١٦ ـ ربيع أول ١٣٩٢هـ .

والغزاوي يستمد حكمته من الواقع الاجتماعي ومن التجارب الإنسانية ، وقد رزقه الله عقلية تستلهم العبر والحيثيات الاجتماعية ، وهو قادر على استشفاف ما يعتمل في النفوس ، بل إنه يحاكي العوامل الطبيعية ، والفطرية ، والقدرات الحيوانية المنظمة ويجعل منها تجربة وقدوة للإنسان العقلي ويرى أن سنن الحياة وسر بقائها تشترك بين الإنسان وبقية الحيوان وهو يأخذ عبرة من النمل وغرائزه وإصراره وتعاونه وتضامنه فيتمنى أن يعمل أهل العقول عملها[1] :

سبحان ربي ، كم جلَت آياته ... (سنن الحياة) وحكمة الاقدار
في كل ما هو ماثل من خلقه ... (سر البقاء) وسطوة القهار
(النمل) يدرك بالغريزة كل ما ... يعنيه من رغد ومن أضرار ؟
فتراه (صفاً) واحداً متكتلا ... تحت الأديم ـ وفوق كل جدار
أبصرته متسلسلاً في (غزوة) ... متعجلاً في (قوة) وبدار
وقذفته (بالماء) منحدراً به ... كالسيل منطلقاً الى الأغوار
فتحاجز القسم الذي من فوقه ... متوقفاً ـ وأراغ في استبصار
وكأنما هو في النكوص الى عل ... (قضبان خط) ،أو (مرور قطار)
وكأنما هو في عميق شعوره ... بشر يحس بفجأة الأخطار
حتى اطمأن الى السلامة موقناً ... بالأمن أقبل في هدى وحذار
يا ليت من وهبوا العقول تمثلوا ... (بالنمل) في الإيراد والإصدار

والغزاوي ذلك الرجل العصامي يرى في النبات أيضاً حكمة وعبرة ، فكما رأى النمل ذلك الكائن الحي يصارع بفطرته من أجل البقاء وكما صارع الشاعر نفسه فانه رأى صراع النبات أيضاً ، وأدرك سنن الحياة والتكوين فهو يرقب غرسة العطرة في دارة تلك النبتة التي أحبها وشهد مقاومتها في عناد وتماسكها في تحد وجلد وصبر ، ويربط تلك الحالة بحالة الإنسان الذي اعتراه السقم فهو يصارع من أجل البقاء[2] :

---

(١) الندوة ع ١٨٤٤ في ٢٦/١٠/١٣٨٤ هـ .
(٢) الندوة /ع ٣٨٩ في ٩/١١/١٣٧٩هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عنيت (بغرسة) كالزهر طيباً ... ويدعى نوعها في (النبت) (عطرا)
وظلت بعض أيام وكانت ... مع (الإرواء) تأبى أن تطرى
وكنت أحبها صبا معنى ... بأن تحيا طويلاً - وهي تعرى
وما فتئت بها الادواء حتى ... ذوت ، وتناثرت فرعاً وجذرا
سوى غصن تماسك في عناد ... وقاوم - كي يعيش - فكان نضرا
تألب ضده الموت انتقاماً ... وأمعن في نكايته ، وأزرى
أبت منه (عناصره) التلاشي ... وكان كفاحه جلداً وصبرا
وذبت عنه وهو يكاد يقضي ... قوى حيواته - سرا وجهرا
كذلك نحن ما كنا صحاحاً ... نعيش وان عرانا السقم نذرى

وهو يمثل الظرف الحجازي والرقة التي صحبت هذا البلد منذ العصر الأموي ، فهو شاعر رقيق الأحاسيس ميال إلى تذوق الجمال ، ومع ذلك يحضن غيرة المسلم ، فينظر إلى الفاتنات ومرحهن وألحاظهن ، وهن يجبن الأسواق متبرجات سافرات ، فيتألم خوفاً على هذا الجمال من الذئاب الضارية ، ومن العاقبة السيئة في دار القرار فيرى أن علينا صونه وحمايته وهي نظرة اسلامية يتلطف في عرضها[1] :

و(فاتنة) تصدت وهي ترنو ... بلحظيها - وتفتن اجتذابا
تأطرت في الضحى مرحاً - ودلا ... وتحكي الموج - خطوة واضطرابا
يلج بها (السفور) وكان أحرى ... لو اعتصمت ، وأسدلت (الحجابا)
حصان تستبي الألباب نشوى ... بروعتها ، وتستهوي الشبابا
نحاذر أن نلم بها - وتأبى ... وتحرص أن نضل - وأن نرابا
ألم تعلم بما لقيت وتلقى ... وقد برزت ، وأطمعت الذئابا
تعالى الله (آمنا) جميعاً ... بحكمته - و(صدقنا) الكتابا

(١) الندوة ع ٣٩٤ - في ١٣٧٩/١١/١٥ هـ .

اذا امتنع (الجمال) فلم يرنق فأجدر أن يطاع وأن يهابا
فأما ما تعرى ـ فهو ـ (عار) تطرف ـ أو تظرف أو تغابى
معاذ الله ـ نرميها بسوء وقد ألقت عن الحسن النقابا
علينا (صونها) ولها (تقاها) ولكن (غيرة) نبكي انتحابا

ويمتد العمر بالغزاوي حتى يرى الاختلاف التام بين الحياة التي نشأ فيها والحياة التي غمرت البلاد في التسعينات ، فيصيبه الهول من التضخم في الثروات ، والتنافس الشديد عليها ورأى أن هذا التكاثر في الأموال الذي وصل إليه الناس بأهون الأسباب ، وأقصر السبل ، قد أثر في أخلاقهم وغير من عاداتهم وساعد في تفكك الأسر ، وعدم ترابطها وهو يحكي هذه الظاهرة بروح يعصرها الألم والحسرة بما يتهاون الناس فيه ويتهافتون عليه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، لذلك فهو يدعو إلى الكسب الحلال وعزة النفس[1] :

طر إذا شئت في أمانيك أوقع ان (حق اليقين) في القلب أوقع
ان لم يكن رزقك المتاح ـ حلالا فلأنت السعيد ، مهما توقع
لن تساوي لذائذ الحس طرا ألم الذل بالذي أنت تطمع
هبك أدركت في حياتك كدحاً (مال قارون) ما عسى أنت تصنع
هو كرب عليك يفنى ـ وهم فيه تشقى ، من حيث لا تتوقع

فتراه أبان أن بعض الناس يجني المال على جسر من كرامته وعقيدته فيلاقي الإهانة تلو الاهانة في سبيل دريهمات معدودات[2] :

لن تساوي لذائذ الحس طراً ألم الذل بالذي أنت تطمع

وأخيراً يحذر من فتنة المال ويدعو إلى النجاة منها :

انه فتنة وفيك ابتلاء فانج منها ، بما به لك يرفع

---

(١) الندوة ع ٤٠٧ ـ في ١٣٧٩/١١/٣٠هـ .
(٢) المنهل مجلد ٣٤ ص ١٦٦ ـ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والغزاوي الذي ارتوى من النبع الإسلامي ينكر الحالات الاجتماعية الهدامة التي وفدت من الغرب ، وتطورت بسبب الطفرة المادية التي صورها الغزاوي سابقاً ، فعملت هذه الأمور مجتمعة بيد من الخراب والدمار ليتنصل الفرد المسلم من التعاليم الاسلامية والعادات الحميدة[٢] :

عجبت كيف يطيب العيش في ملأ ... ما همهم غير أن يمتد أوقاتا
قضما ـ وهضما ـ وتضليلا ـ وعجرفة ... وغفلة ـ وترانيما ـ وأصواتا

ويقول لهم ألم تكن النذر المحدقة بهم كافية لصحوتهم ، وإيقاظ ضمائرهم ليتفكروا ويتدبروا ما حولهم :

وحولهم (نذر) تنقضي مطبقة ... وما لها (مثل) في كل ما فاتا
وكان أولى بهم والأرض راجفة ... أن يتقوا الله ـ إشفاقاً ـ واخباتا

ويستمر في وصف التدابر والتناحر وتداعي الود والحب والإيثار ، وتناسي الناس بعضهم بعضاً :

تدابر الناس في الدنيا وما برحوا ... في (بغضه) وتداعى الحب أشتاتا
حتى لتفترس الأسقام ـ أكثرهم ... حيناً ـ ويحتمل الآلام أعناتا
وخيرهم من إذا قالوا : فلان قضى ... يقول : من صده عنه : (متى ماتا)

والغزاوي يصور حالته الشخصية ، وما يحول في نفسه من حسرة وألم إبان شيخوخته وتقدمه في السن مقرونة بظروف زمانه التي لم ترحم كبير السن وتقدره ، ويتهم أهل هذا الزمان بإقبالهم على الفرد ما أقبل المال والجاه ، وينحسرون عنه متى انحسر عنه المال والجاه[٣] :

أذهب السقم يا لقومي حماسي ... ووهت صحتي ، بشتى المآسي

---

(١) المنهل مجلد ٣٤ ص ١٦٦ ربيع الثاني ١٣٩٣هـ .
(٢) المنهل مجلد ٤٤ ص ٤٢٤ رمضان وشوال ١٤٠٢ ، يوليو وأغسطس ١٩٨٢م .
(٣) المنهل مجلد ٣٢ شوال ١٣٩١ هـ ص ١٠٨٤ .

وتجرعت من زماني كؤوسا هي في مهجتي ـ كحز المواسي
وافتقدت (الصديق) ـ إلا قليلاً حيث غاض (الوفا) وعز المواسي

ورغم ذلك فان الشاعر ما يلبث أن تعود له عاطفته الدينية ، وعقليته البصيرة ، حينما يعتصم بتعاليم دينه فترتاح نفسه ويهدأ غضبه فيقول : ـ

غير أن (الفرقان) بالصبر وصى وبه أهتدي . . . ومنه اقتباسي
ليس للمرء من سبيل قويم غير دفع الأذى ، ونفع الناس

هذا علاج نفسي إسلامي يجعل القلوب عامرة بالإيمان ، فتكون أرحب صدراً وأكثر اطمئناناً وأقوى تحملاً ، وأقل تعرضاً للأمراض .

وهو يصور حالته النفسية إزاء تعامله مع أحد أقاربه وعقوق هذا القريب ، فالغزاوي يروض نفسه على أعمال الخير حتى أصبحت ودودة أليفة ويجعل نفسه مستضعفاً وهو قوي ويتناسى مكانته الاجتماعية مع علوها من أجل صلة الرحم بل لم يقتصر على ذلك فهو يسعى لصالح هذا الشخص ولكن هذا القريب تناسى ذلك ونسي السعي له بالرفعة والخير[1] :

هي « نفسي » كأخطبوط و« دوده » رضت منها بالجماح ـ فهي «ودوده »
لم أطع أمرها ـ بسوء ولكن سمتها (الكدح) فهي تسعى كدوده
وتطامنت « حسبه » فازدراني من تناسى هبوطه . . . وصعوده
بل تجشمت ، أن يسود ويرقى وتوخيت رشده ـ ورقوده
كلما ازددت بالتسامح « حلما » صعر الخد ـ حافراً أخدوده

وفي ختام هذه الصور يعود إلى تعاليمنا الاسلامية فيلقى العوض والجزاء الأوفى وما أعد الله لمثل هذه الحالة : ـ

ايه !! ما غره سوى الصفح عنه وسألقى ربي . . . . . ويلقى جحوده

---

(١) المنهل مجلد ٣٩ ص ٣٤٠ ربيع الاول ١٣٩٨ هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خصائص شعر الغزاوي

١ ـ الوضوح :

فان المطالع والقارىء والمستمع لشعر الغزاوي ، يجده واضح الفكرة ، واضح المعنى ، واضح الاسلوب ، فلم يذهب مذهب المتنبي في بعض أبياته التي يقصد منها التعمية والإبهام على ممدوحه ، ولم يساور أحد الشك إلا في قصيدته التي نشرتها له جريدة القبلة عام ١٣٤٢ هـ قبل سيطرة آل سعود على الحجاز فقد اختلف حيالها النقاد هل يخاطب الجيش السعودي أو جيش الملك حسين حين يقول فيها :

عصبة التوحيد هيا فانبذوا ... ما أثارته دعاة المارقين
يمموا قصدكم (أم القرى) ... مظهر التقديس مثوى المتقين
فلقد خط على أبوابها ... ادخلوها بسلام آمنين[1]

ولم يذهب المذهب الرمزي ، إنما يقول ما يدور في مخيلته في صراحة ووضوح سواء ذلك في قصيدة كاملة أو في البيت والبيتين وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى إن لم يكن شعره كله ومع هذا الوضوح الذي عم أفكاره وشعره فإن ابراهيم الفلالي يرى أن بعض أبياته غامض الفكرة كما في هذه الابيات[2] :

عاقت بهم مثيلات ما لهم قبل ... بمثلها وخطوب حصدها الفطن
من كل فاتحة عمياء مطبقة ... كأنما زجرها بالوعد محتجن
لا يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً ... الا بما شيئت والدنيا هي الفتن

وهو لا يقصد الإبهام أو الغموض إنما صعب عليه اللفظ الذي يجلي الفكرة شأنه شأن غيره من الشعراء . حتى المشهورين منهم من أمثال المتنبي وأبي تمام .

---

(١) جريدة القبلة ع ٧٨٦ شوال ١٣٤٢ هـ .
(٢) المرصاد لابراهيم هاشم الفلالي ١٧٥ .

فأبو تمام يغرب في مطلع قصيدته :

هنّ عـوادي يـوسف وصـواحبـه فعز ما فقد ما أدرك السؤ ل صاحبه[1]

ويصف فارساً وقد عيب عليه تشبيهه للفارس بعود تحرك به النار ـ المحراث .

ضـاحي المحيا للهجيـر وللقنـا تحت العجـاج تخالـه محراثـا[2]

وكلاهما تعرض لنقد فليس من المستغرب اذاً أن يقع الغزاوي في مشكلة الغموض طالما أن كبار الشعراء قد وقعوا فيها .

٢ ـ الواقعية :

وشعر الغزاوي يميل للواقعية ، فهو عالم ومفكر إلى جانب مواهبه الشعرية أضف إلى ذلك خوضه لغمار الحياة العملية فعاش واقعها ، ولم يتوهمها خلال الأفكار الخيالية والنظريات الفلسفية لذا فان فكره اتسم بالواقعية ، ومعالجته للأمور نابعة من الواقع ، لهذا السبب وغيره أعجب بنهج الدولة في بناء النهضة ورأى أن هذا السبيل أسلم السبل ، وأفضل الخيارات الممكنة ، لذا تجده يشيد بتذليل تلك الصعاب ، التي يتوهم بعض الأدباء سهولتها فهو يخاطب من يسمع صوته ويكون له صدى يخاطب أهل بلاده الذين يحيطون به فيدعوهم إلى نشر العلم وإقامة الأخلاق الفاضلة فيقول[3] :

يـا بـلادي ، وأمـتي وهنـائي وعـزائي وقبلتي واعتـقـادي
ونـعيـمي وشـقـوتي وعـيـونـي وشجـوني ، وطـارفي وتـلادي
انـظر الناس كيف كـانـوا حيـارى حينمـا كنت كـوثـر الـورادى
طمنـوني عن « الفنـون » فـإني لأرى الـفن مـصـدر الإرشـادى
وذروا الـلغـو إن أردتـم سـمـواً وانشـروا العلم في أقاصي البـلاد

---

(١) ديوان ابن تمام ج١ (٣١٧) سلسلة ذخائر العرب ـ دار المعارف بمصر .
(٢) ديوان أبي تمام ج١ ٣١٧ سلسلة ذخائر العرب ـ دار المعارف بمصر .
(٣) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ٣ : ١٣٢٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأقيموا « الأخلاق » صرحاً منيعاً فهي ذخر الجدود والأحفاد

فالغزاوي يدرك مشكلة بلاده التي أطبقت عليها ظلمات الجهل والتخلف والفرقة فينشد الهدف الأسمى الذي يتمثل في النهضة الشاملة ولم يكتف بذلك بل يكشف عن سبل الحضارة التي تكون عن طريق التقدم في أنواع الفنون ، ونشر العلوم ، والمحافظة على أسس العقيدة والأخلاق الحميدة .

بينما نجد الأديب / محمد حسن عواد المعاصر له يذهب به خياله الى الوحدة الشاملة للأمة الاسلامية فتكون أمنيته حين يقول[1] : -

عرب الجزيرة ! كم تكون سعيدة هذي الحياة بوحدة الأبعاد !
تتوحد الأشتات في مجموعها ويعزز المجموع بالأفراد
فيقوم من بردى الى صنعائها أمل يرن صداه في بغداد
ومن القصيم الى رُبى غرناطة تبني الحياة عميقة الأوتاد

فهي أمنية خيال لشاعر رومانسي يصعب تحقيقها في أيامنا هذه فهو لم يحدد المشكلة ولم يضع حلولها وهو تجاوز صدى صوته إلى حيث يضيع في متاهات يضعف أثره .

من هذه الواقعية يتضح أنه إذا دعا إلى فكرة دعا اليها دعوة عقلانية واجتنب المبالغة في فكره واسلوبه لأنه يزنها بميزان عقل العالم المفكر الأمر الذي حدّ من شطحات الخيال .

٣ ـ الاعتدال في العواطف :

والغزاوي من أولئك الذين اعتدلوا في عواطفهم ، ولم تخرج بهم بمنأى عن العقل والتفكير وإن عواطفه الذاتية كان لها دورها المعقول ، فشعره لم ينجرف وراء آهاته وأناته وخوالج نفسه الشخصية فحسب ، بل انتقل بعواطفه إلى مشاركة أمته

---

(١) الأدب الحجازي الحديث د . ابراهيم الفوزان ٣ : ١٣٢٤ وخواطر مصر ص ١٤٤ لمحمد حسن عواد .

ومجتمعه ، فتأثر بما يؤثر في أمته ، وفرح لما ينهض بها وغضب لما يقع عليها من مصائب وكوارث وعقبات في سبيل النهضة ، الأمر الذي يجعلك تجد في شعره ما يعبر عن شخصيته متبلوراً مع التعبير عن جوانب الحياة في مجتمعه كما في قوله[1] :

والامـاني لا تـنـال ـ ارتـجـالاً ... بل هي السعي ، والعتاد المريد
قد كفانا تهافتاً وخيالاً ... أن نخوض (البحور) وهي (قصيد)
لم تصبنا الخطوب تفتنّ ، لولا ... نزوات ، بذورهن الحقود
غادرتنا الغوائر الخرس صماً ... ورمانا ـ بدائه ـ (التقليد)

* * *

راعنا الموتُ ـ فاتّقيناه حرصاً ... وهو حتم ، وأين منه المحيد
وارتقبنا السماء تمطر (تبراً) ... دون جهد ، وفاتنا المقصود
ونسينا (الفرقان) تنهض فيه ... بيِّنات ، قواطعٌ ، وشهود
والتمسنا النجاة في غير كدح ... حيث لا يبعث الرفات الجمود

٤ ـ عمود الشعر :

والغزاوي وقف موقفاً وسطا من قضية عمود الشعر ، فهو لم ينهج نهج الأوائل في تعداد أغراض القصيدة ، بل التزم غرضاً واحداً ، وظل محافظاً على أوزانها وقوافيها . أما الوحدة العضوية ، فان الذين قصدوا بها الوحدة النفسية الشعورية في القصيدة بحيث تنطوي الأبيات تحت ظلال شعورية واحدة وتتلاحم مع بعضها لتحقيق الهدف من القصيدة فقد أخذ بها كل من أحمد شوقي وأحمد الغزاوي وغيرهما من كبار الشعراء المعاصرين .

أما الوحدة العضوية المبنية على أسس هندسية وتخطيط من حيث المضمون

---

(١) شعراء الحجاز في العصر الحديث ٨٨ عبد السلام طاهر الساسي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والشكل ، وتكون القصيدة كالبناء المتماسك ، فيحمل كل جزء مترتباً على سابقه مقتضياً للاحقه لا يجوز أن يفصل بينهما بفاصل ، فانها لا تتحقق في الشعر الغنائي تحققاً كاملاً ، ولكنها تتحقق في القصائد التي تحكي قصة أو تجربة شعرية نحو قصة من التاريخ أو الواقع كما في الشعر الملحمي والقصصي والمسرحي وقد أجاد شعراؤنا فيها وخاصة في تجربة شعورية تتناول في جوانبها قصة تاريخية كما ألف أحمد شوقي مسرحيته الشعرية (مصرع كليوباترة) وكذلك (مجنون ليلى) . ومنهم من حكى قصة واقعية ذاتية أحس بها ورأى مشاهدها تحدث أمامه كما في قصيدة معروف الرصافي :

اليتيم في العيد وقصيدة الأرملة المرضع والتي منها :

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها ... تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها
أثوابها رثة والرجل حافية ... والدمع تذرفه في الخدّ عيناها
تمشي وتحمل باليسرى وليدتها ... حملاً على الصدر مدعوماً بيمناها
قد قمطتها بأهدام ممزقة ... في العين منظرها سمج ومرآها
مات الذي كان يحميها ويسعدها ... فالدهر من بعده بالفقر أشقاها[1]

وقد مرت مثل هذه التجربة بشاعر الحجاز / أحمد ابراهيم الغزاوي ، فأنشأ قصيدته التي يقول في تقديمها عبد السلام طاهر الساسي : ـ « ليست هذه القصيدة من نسج الخيال ، ولكنها بنت الواقع الذي أوحى الى الشاعر هذه الزفرة الحارة تتصعد من قلب انسان يمزقه الألم فلا يجد مفراً من ارسال هذه الزفرات التي نظمها[2] :

نشأت تحت (سماء) غائمة ... طفلة تحيا وتغني (صائمه)
عالها حينا ، فلما أينعت ... وآشرأبت للأماني الحائمه

(١) ديوان الرصافي ـ الأرملة المرضع .
(٢) شعراء الحجاز في العصر الحديث ٨٤ عبد السلام طاهر الساسي جـ/١ دار الكتاب العربي ١٩٥١م .

عـاد (كهـلاً) يعثـر الخـطوبـة وهي تشـدو في رُؤاهـا واهمـه
ورأت (أتـرابهـا) من حـولهـا يتنـافسن (المـروط) النـاعمـه
يحتسين (كؤوسـاً) قـد صفت ويـداعبن (الثغـور) البـاسمـه

ان هذه البداية تمثل النمو العضوي للقصيدة فقد بدأت ببداية الحياة الانسانية تنشأ تحت ظلال يشوبها الكدر والضيق وكأنهما كانا صغيران ففيه أشد منهما فوصلا غاية البؤس والشقاء . حينما عاد الآن كهلاً وبدأت تشعر بما يحيط بها وبعد أن كانت حائرة في أمرها لا تدري له من أسباب استبان لها الامر فأفاض الشاعر في شرح الاسباب التي جعلتها بهذه الحالة :

راعـهـا فقـر أبـيهـا ـ فـبكـت وانـطوت تشكو الهمـوم الجاثمـه
كبـرت في صدرهـا (أشجانهـا) وهي في الخدر (الفتاة) الحـالمه
كـل مـا تملكـه مـن شـأنهـا إنهـا في عقـرهـا ـ كـالسـائمـه
تتـلاقى في الـدجى أسـرارهـا وهي حتى عن (ذويهـا) كـاتمـه

ثم يصل الى النتيجة الحتمية وأثرها على الفتاة (فاطمة) :

ذبـلت أوراقـهـا وانـهـصـرت وتـوارت في الـزوايـا القـاتمـه
تغمـر الاسـتـار في (كـلَّتِهـا) بـالدمـوع السـاخنـات السـاجمـه

وتزيد المرارة قوة بوفاة والدتها :

يـتـمـت مـن أمـهـا يـافـعـةً ومشت بين (الغـواني) سـاهمـه
كلمـا مـرت بهـا (صـادحـة) من بنات (الأيك) أنت (بـاغمه)
يهمس الشجـو بـأذنيهـا الهـوى وهي عنـه في (حروب قـائمـه)
شفهـا (السقم) طويـلاً وارتمت حين لم تلق (القلوب الـراحمـه)

ولسان حال الغزاوي يلهج باللوم على المجتمع الذي لا يحس بمن حوله فيضفي الغني على الفقير ظلاله ليجبر بخاطره وليقيل عثره:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيــن مــنــهــا ذو فــؤاد خــافــق يــرقــأ الــدمــع ويخشى الــلّائمــه
أين منهـا شـطرهـا الحـاني لهـا أين ذات (العطف) أين (الرّائمه)

وانظر إلى الصور الرائعة التي رسمها الغزاوي حينما يصور الحرمان والشقاء والضنك بالجيوش المهاجمة :

أجلب (الضنك) عليها (خيله) وتـغشـاهـا وأغـضـت واجـمـه

وهي في هذه الحالة اليائسة التي شعرت بها وشعر أبوها بمرارة الشقاء والبؤس يداهم أباها خاطبها، فيغتنمها فرصة ولكنه لم يقلّب الأمر على جوانبه فأرغم ابنته عليه :

ثـم أرداهـا (أبـوهـا) غـيـلةً (بقـرين) ذي قـيـود ظـالمـه
لم يسعهـا وهـي في عـصمتـه غير أن تـرضى وتمضي راغمـه

وينتقل لوصف هذا الزوج بما يزيد الصورة سواداً وظلاماً :

زوجـت من (مـقتـر) مـعتـسـف يحسب (الـزوجة) منـه (خادمـه)
عـاث في (أخبـاتهـا) شيـطانُـه فـهي مـنـه في شـرور واهـمـه
مـذ بنى منهـا سقـاهـا علقمـاً و(شـواهـا) بـالشـظايـا الآثمـه
فـاستبـد (الـداء)في أحشـائهـا وتـمـطى في الليـالي الفـاحمـة
غـرقت في لجـة من (يـأسهـا) وطغت فـوق الـرزايـا عـائمـه
تنـدب (الحظ) وتشكـو ضعفهـا يـا لهـول البؤس ؟ يـا للقـاصمـه

ويتدرج في زيادة ومضاعفة الألم وقسوته على فاطمة فيحل بها الطلاق وتكون عالة على أبيها المعوز ذي العيال المتقدم في السن فلا حول ولا قوة له يحمل في أحشائه آهات مكبوتة تجمع في ثنايا ضلوعه كلما أرادت الظهور أراد لها الخفاء والاستقرار في قلبه الحزين :

وجفـاها (الـزوج) في لأوائهـا بعـد شهرين ـ وريعت (فـاطمـه)

و(أبـوهـا) مـعـوزٌ ذو عـيـلةٍ ... أكلت منه (الضروس) القاضمه
بلغ السن بـه أقصى المدى ... فهو يحكي (المومياء) النائمه
آهـة (مكبـوتـة) يـرسلهـا ... إثـر أخـرى من ضلوع جـاحمـة
وتـراه حـين يـبـدو في غـنـى ... مشرق الجبهة ، رغم الفـاقمه
عـزّ بين النـاس في مـظهـره ... وأمترت فيه الظنون الراجمه
وإذا مـا الليـل أرخـى سـتـره ... ذرف الـدمـع سيـولاً عـارمـه
حمـل الأعبـاء قـد نـاء بـهـا ... فهـو يستعجل (حُسْنَ الخاتمه)
بئست الـدنيـا ـ ومـا أهـونهـا ... إن قضى غما ـ وتلك (الغارمه)

وهو يختمها بنداء موجه إلى الأثرياء ليفيقوا من غفلتهم وليطلبوا الأجر من الله وينفقوا أموالهم في سبيله :

أيهـا (المثـرون) مـا أغفـلكم ... هل على الأرض ظلال دائمه ؟ !
فـاتـقـوا الله وآتـوا حـقـه ... وأعـينـوا كـل نـفـس هـائـمـة

وهنا كان الشاعر أكمل حظاً في التعبير عن تجربته الشعورية ، ونظرته الاجتماعية وكان أكثر حظاً في نغمة القافية ذات الهاء الساكنة التي توحي بالسكون حول هذه الفتاة البائسة وأكثر توفيقاً في سهولة التعبير واختيار الالفاظ المنسجمة مع الصورة المعبرة « ذبلت أوراقها » وتوارت في الزوايا القاتمة ، ويهمس الشحو ، واجلب الضنك عليها خيله ، وشواها بالشظايا الآثمة ، واستبد الداء في أحشائها ، وغيرها من الالفاظ التي تعانق الصورة الاجتماعية الواقعية ، فلا تكلف في الألفاظ ولا في المعاني والافكار .

وكـان التوفيق حليف الشـاعر في بنـاء القصيدة ونمـوها العضـوي ، فهي كالشجرة النامية التي تحيا وتحف بها أهوالها من داخل الأرض ومن خارجها كنقص الماء وآفات الأرض وعواصف كعواصف الريح ثم يأتيها عهد الذبول والاضمحلال ونلاحظ أن الشاعر بدأ بالفتاة من نشأتها واستمر يصور أحزانها من شديد إلى أشد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى اكتملت الصورة القاتمة مع ملاءمة تلك الأرزاء لمراحل العمر حتى بلغت سن اليأس .

وفي الختام يشعر القارىء بالاطار القوي الذي يربط الغزاوي بمجتمعه التي تحتل الفتاة جزءاً منه . ذلك هو اطار العقيدة الاسلامية التي تحث على التعاون والتلاحم بين أفراد المجتمع .

والواقع ان هذه القصيدة تدل على قدرة الغزاوي الشعرية واستطاعته التنويع في فنه وانه يستجيب لكل مثير حوله لتنبثق منه تجربة شعورية متميزة بذاتها .

٥ ـ خصائص المعاني عند الغزاوي :

حاول الغزاوي ربط شعره بالحياة ، ومصلحة الشعب ، وقلل أو لم ينشر الشعر الوجداني الذي يمثل تجربة فردية خاصة ، بل حلق في ميادين السياسة الصحيحة المسار ، ومجد المحسنين إلى شعوبهم ، وأمتهم ووطنهم كما ألمحت إليه في المضمون .

أضف الى ذلك أن المعاني لدى الغزاوي تمثل شعوره الداخلي نحو موضوعاته ، الأمر الذي جعله يجتنب التعمق في المعاني ومحاولة تقليبها من جوانب متعددة أو اخراجها على شكل أفكار فلسفية أو منطقية كأبي تمام وأبي العلاء المعري ، وهو لم يجنح بصوره الشعرية ويغالي ويبالغ ليجلب صوراً بعيدة المأخذ ولكنك تحس بأن صورة قريبة المتناول من ذلك قوله :

ما هو الانسان إن لم ... يتذرع « بالعقيده »
حيوان أفعوان ... ذو غوايات ، مريده
ينفث السم ـ زعافاً ... في ضحاياه ـ العديده
إنه وحش فظيع ... يتوقى أن تصيده
بشراً ـ يبدو ـ ولكن ... هو حتى المكيده
بل هو الذئب افتراساً ... ولو استمرأ وليده[1]

(١) المنهل مجلد ٣٢ رجب ١٣٩١هـ ١٩٧١م ص ٧٠١ .

هذه الخاصية لا تنفي عنه توليد المعاني وتصريفها وقد نراه يولد للرؤية معاني كثيرة ويعبر عنها من جوانب متعددة فتارة يعبر عنها بألحاظه وأخرى بنظراته وتارة أخرى صراحة بعينه ومن ذلك قوله في الألحاظ والنواظر :

يقولون هذا شبل سيد قومه فتشرع ألحاظ إليك ونواظر

ومن ذلك الرؤية البصرية :

رأيت بني عدنان نحوك طلعا تلح بهم ـ قبل الجسوم ـ السرائر

ومن ذلك :

طويل النجاد أهلاً وسهلاً قد فرشنا لسيرك الاحداقا

ومنه قوله :

« والتمس في العيون أبلغ وحي » .

ويؤخذ على الغزاوي تكراره للمعاني واعادته لبعض أفكاره أكثر من مرة وذلك للفيض الهائل من عطائه الشعري ولتكرار التجربة الشعورية نحو الموضوع الواحد أكثر من مرة وللتشابه في المواقف بين الحالات ولتداعي الأفكار ويبدو ذلك واضحاً في حولياته وأشعاره في المدح ومن ذلك تكراره للأمن في البلاد في حوليتين متتابعتين فهو يقول في عام ١٣٥٥ هـ :[١]

واستظلوا بالأمن في كل فجّ كان بالأمس قاتم الأفق شاحب
يوم كان الحجيج نهباً مشاعاً مستباح الدماء حول الحقائب

وقال في حولية عام ١٣٥٦ هـ[٢] :

ورأى القوم في الجزيرة بحرا زاخر البغي ، ممعناً في افتئاته

---

(١) أم القرى ع ٦٣٨ ص٦ الاثنين ١١ ذي الحجة١٣٥٥ـ ٢٢ فبراير ١٩٣٧م .
(٢) أم القرى ع ٧٨٩ ص ٣ الجمعة ١٨ ذي الحجة ١٣٥٦ ـ ١٨ فبراير ١٩٣٨م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يتحدى البريء فهو مريب ... ويمدّ المسيء في إعناته
ودم مزهق على غير حد ... في حمى الله مهرق بفلاته
أهدرته الاطماع إثماً وبغياً ... واستهانت بالله في حرماته

٦ ـ الألفاظ :

لقد اختار الغزاوي الألفاظ العربية الناصعة ، ذات الديباجة المشرقة ، والعبارات الرشيقة السهلة المخرج، ذات الجرس الموسيقي ، ونجم ذلك عن اهتمامه بالحرف وادراكه لمكانته وفائدة تكراره من حيث المعنى والنغمة الموسيقية ، والتأثير النفسي ، وهذه سمة تلمح في أغلب شعره من ذلك ما نلحظه في حرف الجر (الى) التي تفيد انتهاء الغاية المكانية ، فهو ينقلنا بها نقلاً ظريفاً من مشهد الى مشهد ومن حسن الى أحسن كقوله[1] :

فانظر الى الظل المرقرق في الضحى ... خلل الغصون كأنه اللألاءُ
والى الرياض وقد تفتّح نورها ... والى الشعاب وقد سقاها الماءُ
والى النّبات وقد أطلّ ربيعه ... ري الجوانب حيث سرت نماء

ومن السمات البارزة في الألفاظ عند الغزاوي تكوينه لتراكيبه من الألفاظ المتقاربة الحروف واشتقاقاتها جملة موسيقية كما في المزهور وأزاهر في قوله[2] :

فدارت أحاديث الرجال سلامة ... عن البطل المزهور وهي ازاهر

وتكرار اللفظ الطرف في قوله[3] :

تروق العيون الشاخصات قدودها ... ويرتد عنها الطرف والطرف حاسر

أما من حيث تكوين الكلمة ذاتها فهو يبتعد عن الحروف المتقاربة المخرج والمتنافرة ويركز على تباعد مخارج الحروف حتى يسهل جمعها مع بعضها ومن ثم يسهل النطق بها .

---

(١) أم القرى ع٥٧٨ ص ٢ ـ ٨ شوال ١٣٥٤ الموافق ٣ يناير ١٩٣٦م .
(٢) أم القرى ع ٦٦١ ص ١ ـ ٢٩ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ ـ الموافق ١٩٣٧م .
(٣) المرجع السابق .

حولياته

اشتهر الغزاوي بحولياته المتعددة ذات الجوانب المتشعبة ، والموضوعات المتجددة ، والتي التزمها لأكثر من خمسين عاماً ، كانت سجلاً حافلاً ، لأعظم تجمع إسلامي على أطهر وأقدس مكان في العالم وللإنجازات العظيمة في النهضة والعمران ، والتطور الحضاري ، وتخليداً لأولئك القائمين على الأمر من الملوك والامراء والعلماء والكتاب ، ويمكنني تقسيمها حسب موضوعاتها إلى أربعة أقسام هي :

١ ـ حوليات موسم الحج وقد بدأ بها في عام ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٩ م .

٢ ـ حوليات عيد الفطر المبارك وأول قصيدة قالها في عام ١٣٤٧ هـ .

٣ ـ حوليات ذكرى جلوس العرش وأكثر ما التزم بها في عهد الملك سعود بن عبد العزيز .

٤ ـ حوليات الذكرى السنوية للصحف والمجلات مثل جريدة صوت الحجاز وحراء والبلاد السعودية والمنهل ، وهذه تنتهي بنهاية الصحيفة أو بتغيير أحوالها .

أولاً ـ حوليات موسم الحج :

إن المكانة المرموقة في الأدب والفكر التي تسنمها الغزاوي إلى جانب إقامته المستديمة في مكة المكرمة كان له كبير الأثر في تكوين هذه الحوليات والتزامه بها كل عام ، فهو يشهد موسم الحج مع الملك ، وهو لكونه من أعيان مكة ومن القائمين على الحفل أو من كبار المدعوين ، لذا فقد التزم بها أدبياً ، وربما رأى بأنه أحق بها ما دام أنه ابن مكة المكرمة وربيبها ، وفوق ذلك أحب أن يخاطب الأمة الاسلامية والعربية من هذا المنبر المشهود الذي يسمعه القاصي والداني .

ونظراً لأن هذه الحوليات تلقى في حشد من العلماء والوجهاء والمثقفين وتنقل على الملأ وعلى مرأى ومسمع من ممثلي العالم العربي والاسلامي ، فقد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اعتنى بموضوعاتها وضمنها المعاني الاسلامية ، معبراً عن واقع العالم الاسلامي وما يحاك فيه من كيد للاسلام وأهله ، فناشد الملوك والرؤساء الذين بيدهم الحل والعقد في الأمة الاسلامية ، أن يأخذوا حذرهم ، ويجمعوا كلمتهم ، ويوحدوا صفهم ، ويتصدوا لأعدائهم .

وسميت هذه القصائد حوليات لأنها قيلت في مناسبة حولية بخلاف تسمية حوليات زهير بن أبي سلمى التي سميت من أجل تنقيحها والإعادة تلو الإعادة عليها حتى لا تخرج الى الناس الا بعد عام كامل ، والحقيقة أن حوليات الغزاوي تشترك معه حوليات زهير في هذه الصفة لأننا نرى جلّها أعطى حظاً وافراً من الاجادة والاتقان ، ولا سيما وان الرجل يعلم الوقت والمكان والمناسبة ، والأهمية لهذه الحوليات ، فلا بدّ وأن تحظى بالعناية الفائقة منه .

وتطالعنا أول حولياته في موسم الحج عام ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٩ م ـ وهي قصيدة ليست بالطويلة ومع ذلك تحتوي على معان تتعلق بوضع الحج في تلك السنة ، ويبدو أن الحفل الذي يقيمه ملوك آل سعود لرؤساء الوفود والعلماء لم تتضح معالمه في تلك السنة لأنه لم يذكر إلقاءها وانما صدرها بقوله :

« مرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . . . » وهو يستهلها بالاشادة بالملك عبد العزيز فيمدحه بالايمان وسيرته على نهج المختار صلى الله عليه وسلم ويشير باسهاب الى الخدمات التي قدمت للحجاج وذللت أمامهم الصعاب ، وأمنت السبل ومنها[1] :

أمن مكين ، وظل وارف ، وقرى ... والماء بين الفيافي الشسع مغمور
أعددت كل الذي يغدو (الحجيج) به ... مرفهاً ، لا يضره فيه تكدير
وحطتهم مشفقاً ـ تعني براحتهم ... كأنما الفرد فيهم منك (منصور)

وفيها يقول مخاطباً الحجاج :

---

(١) أم القرى ع ٢٣٠ ص ٣ في ١٧ ذي الحجة ١٣٤٧هـ ـ ٢٦ مايو ١٩٢٩م .

يـا مغذ السيـر لـلأوطـان في عجـل ... حـدث ربـوعـك ان الحـج ميسـور
واقـر السـلام عليهم ، ثم صـارحهم ... بمـا شهدت فمـا في المكث معذور
وامح الذي قام في الاذهان من زمن ... عن الحجـاز ولا يغـريـك تـزويـر
وانثـل كنـانـة مـا عـاينت محتسباً ... فالمرء بالصدق ، والاخلاص ، مأجور
قـل الحقيقـة وانشـرهـا مجـردة ... فحسبنـا هي ، في الآفـاق تـذكير
لعـل من بـات في همّ ، اشـاح بـه ... عن (الفـريضـة) يستهـويـه تبشيـر

وكثيراً ما يدعو في حولياتـه المسلمين الى التوحيـد ، واليقظة من غفلتهم والابتعاد عن أهوائهم ، ويصرخ بهم لينالوا المجد كما نالته الأمم فقد غاصوا البحار وامتطوا جو السماء ، وحال المسلمين يزداد فرقة وشقاقاً كما قال في ثالث حولياته عام ١٣٤٩ هـ :[1]

يـا أمة (التـوحيد) حسبـك ضجعـة ... أبكت عـيـون المـجـد والأجـداد
فـالـدين ـ بـالـدنيـا ـ وليس بباسط ... أفـيـاءه مـن غـيـر قـدح زنـاد
كم ذا تمـر الحـادثـات ـ وتنـطوي ... والـمسـلمـون على هـوى وبـعـاد
الناس قد غاصوا (البحار) وخططوا ... جـو (السمـاء) وحلقـوا بجمـاد
وتبادلوا (الخـطب الطوال) بلحـظة ... مـن دون واسـطة ـ بـكـل بـلاد

ومحتوى الحوليات يتجدد بتجدد الأحداث فتمثل سجلاً واقعياً للاحـداث الداخلية والخـارجية وتحكي تـطلعات شعـوب العالم الاسـلامي لمعالجـة تلك الأحداث فمن الاحداث الداخلية حديثه عن فرية الجوع التي أشيع عنها في الحجاز عام ١٣٥٠ هـ :

وقـالـوا في الحجـاز الجـوع عـاث ... ذريـعـة أن نـمـلّ وان نـصـابـا
ومـا في الجـوع مـن عـار اذا مـا ... أطـعـنـا الله ـ وازددنـا اقـتـراباً

(١) أم القرى ع٣٣٣ ص ٤ الجمعة ١٣ ذي الحجة ١٣٤٩هـ الموافق ٨ مايو ١٩٣١م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مـزاعـم كـلّهـا إفـك دمـيـن ولكن فـالهم في الصدّ خـابـا[1]

وللغزاوي آراء وأفكار كثيرة في الحياة ضمنها حولياته الأمر الذي جعله يسترسل فيها حتى تجاوزت المائة بيت مع سهولة نظمها والإجادة الفنية فهذه حولية عام ١٣٦١هـ التي بلغت مائة وثلاثة أبيات تنبيء عن كثافة وعمق الفكر والقدرة العقلية والبلاغية ويستهلها بمدح الملك عبد العزيز[2] :

في حمى عـدلـة وظـل لـوائـه أشـرق العيـد ، وازدهى بلقـائـه
وعـلى بـابـه نـروح ونـغـدو زمـراً شـاقهـا ائتـلاق ضيـائـه

يعرج على حالة العرب في الجزيرة قبل توحيد البلاد واصفها وصفاً مؤثراً :

فـرق فـرّق الـشـقـاق عـصـاهـا وتـلظّت عـلى سـعـيـر شـقـائـه
واسـتـبـدت بـهـا الـنـوائـب حـتـى كـاد يقضي كيـانهـا من عـيـائـه
عـاث فيها الضـلال قـرنـاً فقـرنـا ومـشـى فـوقـهـا عـلى أشـلائـه

والقارىء لهذه الحولية يستنتج منها آراءه تجاه وحدة الامة العربية التي يشبهها بالجسم لأنها ذات وطن واحد ولغة واحدة ، ودم عربي عريق :

(بردى) و(الفرات) و(النيل) شعب نـحن مـنـه الـجـذور مـن آبـائـه
نـتـبـارى جـمـيـعـنـا ـ فـي اعـتـزاز بشعـور يـضيـيء من كـهـربـائـه
ليس منـا الـدعي في الحب أو من راح يـدعـو لـفـرقـة بـافـترائـه
كـلـنـا في الـحـيـاة جـسـم ولـكـن جـعـل الله بـرءنـا فـي اتـقـائـه

المنطقية التي تبرهن على صدق فكره وواقعيته :

انـمـا هـذه الـحـيـاة غـرور والبصـيـر الـبـصـيـر فـي أخـطـائـه
هـي جـسـر لـكـل عـاد وداع ثم يـطوي غـداة كشـف غـطـائـه

---

(١) أم القرى ع ٣٨٣ ص ٤ حولية عام ١٣٥٠هـ .
(٢) أم القرى ع ٩٣٩ في يوم ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٦١هـ ـ الموافق ٢٥ ديسمبر ١٩٢٢م ـ ص ٢ .

يـوم لا يـنفـع الـمفـرط « مـال» أو بنـوه ومـا احتـوى في اقتنـائـه
غـيـر مـن جـاء بـقـلب سـلـيـم راضـه طـائعـاً على استعصـائـه
ومـن النـاس مـن يمـوت ويـحيـا فـي هـوى نفسـه وفـي اغـرائـه
همـه أن يعـيش مـا عـاش دهـراً فـي مـلذاتـه وفـي أهـوائـه
مستحثـاً مـن سيـره وهـو يـدري أنـه صـائـر مـصـيـر سـوائـه

وفي عام ١٣٦٤ هـ يلحقها بأخرى أطول منها نفساً ، وقد قدمت لها الصحيفة بأنها (حولية الموسم الكبرى وهي الدرة اليتيمة) فقد بلغت اثنين وثلاثين ومائة بيت تحدث فيها عن الاسلام ومجده وضحاه وإشراقه المتجدد على يد المسلمين[1] :

حبّـذا (الفجر) من ضحى الاسـلام في حمى (البيت) مشـرقـاً والمقـام

واستطرد فيها الى الحديث عن الأوضاع العالمية التي جدت في تلك السنة وكان قمتها القنبلة الذرية التي ضربت بها المدن اليابانية فخلفت الدمار التي أشبه ما تكون بالعقوبات السماوية فكأنه تصورهم مساكن ثمود :

قـال لي صـاحبي : وفيـه انبهـار أنت في الكهـف أم وراء المـوامي
قلت مـاذا ، فقـال دونـك وانـظر (طـاقـة الـذر) والـدواجي العـظام
كـرة تـعبـث الـطفـولـة فـيهـا (بيضـة الـديـك) أو عيـون النّعـام
سـحـقـت أمـة واذرت ديـارا في مـدى طـرفـة وجـذب زمـام
خضـع الصقـر بعـدهـا واستكـانـوا كـالـثـكـالـى يـنـؤون بـالآلام
بـيـن هـاب كـأنـه مـن تـراب ومـصـاب كـأنـه مـن رمـام
وشـجـاع كـأنـه بـعض صـخـر وجـبـان مـعـفـر فـي الـرغـام
وقـصـور كـأنـهـا فـي ثـمـود عـافـيـات تقصّ في اسنعـجـام

وتمتاز هذه الحولية بأنها تضمنت أول حديث عن فلسطين وادعاء اليهود بأنها

---

(١) أم القرى ع ١٠٨١ ص ٢ في ١١ ذي الحجة ١٣٦٤هـ ـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٤٥م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موطنهم الاصلي فأخذ يرد على هذه الفرية رداً عقلياً مدعماً بالبراهين التاريخية الدامغة :

وفلسطين ، ما فلسطين الا ... وطن العرب ، لا عبيد الحطام
ان من دونها ودون بنيها ... وهج النار واشتعال الضرام
زعموا أنها لهم من قديم ... قبل (كسرى) وقيصر وابرهام
نحن أيضاً لنا (بلاد) وعنها ... قد نزحنا منيعة الأطام
علم الغرب أنها بين (مدريد) ... و(روما) وما وراء سيام
قد أقمنا بها عصورا وعدنا ... بعد ألف مقرن الاعوام

والظاهرة التي تجسدت معالمها في هذه الحوليات هي حماسه للمشاكل السياسية والاجتماعية والدولية منها بعامة والعربية والإسلامية بخاصة فأخذت ترجح كفتها على كفة المدح بل أخذ يمدح من خلال السياسة وتصريف أمورها لصالح الوطن والشعوب الاسلامية ، وظل الغزاوي ينهج هذا النهج في حولياته حتى بلغ سن الشيخوخة التي بدأت آثارها وانعكاساتها تظهر في انتاجه الشعري ، فقصر نفسه ، وقلت مشاركته وأخذت قصائده تدور حول التسبيح والتكبير شأنه شأن كل من أحس بوطئة الدهر من الصالحين الذين يلجأون الى الله ، وتقلص حديثه عن المدح ، وعن الشؤون العامة للعرب والمسلمين ، وأصبحت بعض حولياته لا تتجاوز الثلاثين بيتاً ، يختمها بالاشادة بولاة الأمر والقائمين عليه كمثل قوله في الملك فهد حينما كان ولياً للعهد :

وليحيى (فهد) في سوابغ نعمة ... وبنو أبينه القادة النصاح
ولينصرن الله كل موحد ... وله الهدى في العالمين سلاح[1]

والواقع أن حوليات الغزاوي تدور حول موضوع واحد وفي مكان واحد والمشاهد تتشابه ، في كل عام لذا أكثر فيها من تكرار المعاني ولكن يخفف من ذلك

---

(١) المنهل محرم ١٣٩٨هـ - ص ٥٩ .

أن المستمعين لهذه الحولية غيرهم في العام الماضي أو المقبل أضف الى ذلك تجدد الأحداث وتطورها التي توحي للغزاوي بقصائده ومن ثم تكون ذات تجديد وسجل في أكثرها .

وهذه الحوليات تمثل التطور العمراني للحجاز فهو يشيد بالإصلاحات العمرانية التي تطرأ كل عام ويشير الى ما هيأته الدولة من أجل حجاج بيت الله الحرام فيقول مثلاً[1] :

اتاح لكم هذا النعيم بحجكم ... وفيه لكم هذا الهناء ميسر
ألا فانظروا العمران كيف رواقه ... بكل مكان يستفيض ويعمر
(جسور) بها الأفواج تمشي كأنها ... سيول تهادى أو مياه تهدر
بها مهدت شتى الجبال وذللت ... فعادت سهولاً و(للملبين) تعبر
ومن تحتها الأنفاق شتى كأنها ... من السمت والأسمنت مرو ومرمر

ثانياً ـ حوليات عيد الفطر المبارك :

في مطلع الحكم السعودي عين الملك عبد العزيز ابنه فيصلاً نائباً للملك في الحجاز وإدارة الحجاز كان لها دوره القيادي ففيها الحرمان الشريفان ، وفيها مجلس الشورى الذي يصدر أنظمة الدولة ، وفيها ممثليات الدول الاجنبية والعربية ، وفيها صدرت أوائل الصحف في العهد السعودي ، وانطلق منها أول صوت للمذياع من هذا ندرك عظم المهمة التي أنيطت بهذا الشاب في مقتبل حياته ، ومع ذلك ساس البلاد سياسة المدبر الحكيم ، والواعي القدير ، والذكي الألمعي مما جعل أهل الحجاز يلتفون حول أميرهم فأحبوه وأجلوه وقدروه مما أوحى للغزاوي بتجارب شعرية كثيرة أشهرها حولياته في عيد الفطر المبارك وكان البداية الاولى في عام ١٣٤٧ هـ حيث قال أول حولياته في هذه المناسبة ومطلعها[2] :

---

(١) المنهل ذو الحجة ١٣٩٩هـ .
(٢) أم القرى ع ٢٢٠ ـ ٤ شوال سنة ١٣٤٧هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على طاعة (الرحمن) قد قضى الشهر ... ومن فضله حل الغداة لنا الفطر
وأصبح هذا العيد يختال نشوة ... فما فيه الا السعد والوعد والأجر
به آفتر ثغر الصائمين ، وأشرقت ... أسرتهم والقلب أفعمه البشر
وفيه ثوى الاقتار في جوف لحده ... وعم العفاة الجود وانتشر اليسر

ويختمها بالإشادة بفيصل نائب الملك على الحجاز :

فديتك يابن الاكرمين وحسبنا ... (بفيصل) بساماً اذا عبس الدهر
رعيت شؤون الملك في خير بقعة ... عشية كانت لا ينهنها الزجر
فقومت منها ما تمايل عوده ... (وها هي لا يرقى لامجادها النسر)

أما مضمون تلك الحوليات فيجمع بين التهنئة ، والحديث عن العيد والاستعداد له وآثاره على النفوس ، والتحام الناس مع بعضهم وتناسيهم التشاحن والتباغض وما تلبسه الناس فيه من حلل وما تزدان به المدن من فرح وأنوار تتلألأ .

مع الإشادة بأمجاد الفيصل ، والتنويه بأعماله الخيرة ، ومن القصائد التي تمثل أكثر الجوانب التي ذكرتها حوليته في عام ١٣٥٥ هـ وهي[1] :

ليهنك الفطر ـ عيد أنت طالعه ـ

يا « عيد » هل أنت الا الشهر والعام ... فهل لديك بما أمليت إلمام ؟
طلعت والشمس شمس مثلها أبداً ... والشهر كالشهر ـ والايام أيام !
لكنما فيك أطياف مرنحة ... منها حقائق تستهوي وأوهام !
كأنما هي أسرار أبحت بها ... أو زينة وتماثيل ، وأجرام !
أو أنها حلل تزهو مزركشة ... أو جنة ورياحين ، وأكمام !
أو أنها نعم تترى ، وأكسية ... تجلى ـ وأغنية تتلى ، وأحلام !
أو أنها مثل عليا ، تشعّ بها ... كأنما هي إذ وافيت إلهام !

---

(١) أم القرى ع ٦٢٨ ص ١ ـ ٤ شوال ١٣٥٥هـ ـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٣٦م .

تبدو وشيكاً ـ وتخفى وهي كامنة ... وعرفها كشذى الأزهار نمّام !

* * *

هل أنت روح من الفردوس منطلق ... أم الملائك في برديك أجسام !
لا ريب أنك ـ كالدنيا ـ وزينتها ... وليس فيك ـ وان أغريت ـ إبهام !

* * *

يا « عيد » فيك معاني الخير سابغة ... شكر وحمد ، وتثويب ، واجمام !
وأنت لا شك ذخر المتقين غداً ... وأنت للجهل أثواب وآثام !
كل يميل الى ما اختار من حسن ... وانما الدين توحيد ، واسلام !
وفي الحياة لخلق الله مضطرب ... وللموازين ـ يوم القسط ـ أحكام
شهر تقضي ، لياليه مرفهة ... لذي ثراء ـ وأخرى ما لها ذام
ولّى بأيامه غراً محجلة ... تزف فيها بذكر الله ـ أعلام
يمتاز عن كل ما في الدهر من حقب ... شتى ـ ويغمره بر ـ واكرام
تغدو الشياطين ـ في الأغلال ـ واجمة ... فيه ويرهقها ذل وإرغام
ويستقيم به من كان ذا عوج ... ويرتجي الأجر صوّام وقوّام
قد وفق الله فيه كلّ مدّخر ... للباقيات ، وجفت قبل أقلام

* * *

فقل لأكثرنا ـ والله يعلمنا ... هل مر بالفكر « إسعاف » و« أيتام » ؟
تلك المثوبة إن شئتم مضاعفة ... إذا لم يكن ثمّ آباء ـ وأعمام
ونسأل الله أن نحظى ـ بمغفرة ... منه ويشملنا عفو وإنعام

* * *

يا ابن الذي صان مجد العرب صارمة ... ومن له في سبيل الله إقدام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« عبد العزيز » المفدى ـ من له خضعت ... بقدرة الله أعداء وأخصام
ليهنك الفطر ـ عيد ـ أنت طالعه ... وأنت في ثغره المفترّ بسّام
مهما نراك ففي لقياك من كثب ... عيد ـ وعاد عليك الشهر والعام

ثالثاً ـ حوليات ذكرى الجلوس والايام الوطنية :

ويدخل ضمن هذه الذكرى السنوية لفتح الرياض التي انطلقت منها المسيرة الخيرة لتوحيد البلاد ، وامتداد رواق الأمن على الجزيرة ، وانتشار التعليم ، والنهضة العمرانية ، وأكثر ما التزم بهذا النوع من الحوليات حوليات الملك سعود حيث وجد أكثر من عشر قصائد قيلت في هذه المناسبة من ذلك قصيدة تحية ذكرى الجلوس التي نشرتها(الندوة) في عددها الخاص في ١٣٨٢/٦/١٦ هـ ـ وفيها يقول :

حبذا « الذكريات » فينا تعود ... وهي خير ونعمة وسعود
وهنيئاً بها تكر عصوراً ... وبها الحق يعتلي ـ ويسود
في ظلال من (الهدى) ونضال ... فيه عن ديننا الحنيف نذود
هو نعم الحفاظ وهو فلاح ... وصلاح ونهضة وجدود
يَا أبا الشعب ان الشعب يدعو ... لك بالنصر ـ كهله ـ والوليد
شاكراً أنعم الإله عليه ... بك والأمن شامل ممدود
كل باد وحاضر فيه هاد ... مهتد والأمن صاعد به التشييد

وفيها يقول :

ومشى الوعي وارتقى في بلاد ... غادرتها القرون ـ وهي خمود
فاذا الشعب ناهض مشرئب ... طامح ـ صادح خصيب رغيد

وينظر الى مكانة البلاد من الدول الاسلامية والدول العربية :

أيها المؤمنون ـ نحن وأنتم ... جسد واحد وقلب عميد

أيهـا المسلمـون ـ نـحن وأنـتم أخـوة والـشقـاق عـنـا بعيـد
أيهـا النـاطقـون بـالضـاد مـرحى بكم اليـوم ينـصـر التـوحيـد

رابعاً ـ الذكرى السنوية للصحف السعودية التي أشرقت مع بداية النهضة ، واتجهت اتجاهاً سليماً ، وكان للغزاوي صلة بها أو صداقة مع أصحابها أو طُلب منه المشاركة بمقالات أو قصائد شعرية فكان يلبي النداء فكثرت تلك المشاركات لأن أغلب الصحف صدرت في مكة ومن تلك الصحف : ـ

صوت الحجاز ، البلاد السعودية ، حراء ، المنهل ، الندوة .

من ذلك قصيدته (تحية الندوة في مطلع عامها الخامس) ألقيت في الحفل الذي أقيم بهذه المناسبة وفيها يقول[1] :

ومـا (الندوة) الغـراء ـ الا صحائفـاً كـأن بـهـا ذوب الـمـداد رحـيـق
وأحـرى بهـا أن لا تـزن بـريـبـة وفي لابتيهـا الـبـيـنـات سـمـوق

ومنها :

وطوبى لنا (عصر) سخى بصحافـة بهـا النقـد ودق والـوميض بـروق
كـأني بها تعلو على كـل شامـخ مضمخـة بـالـطيب وهـي رقـوق
كـأني بهـا عـادت الى مستقـرهـا من الـطهـر (والبيت الحـرام) عتيق
وأنهـارهـا تجـري بنـا مـطمئنـة سـلـسـة ، أكـوابـهـن عـقـيـق

وقد حظيت المنهل بحظ وافر من تلك القصائد ـ وذلك لطول عمرها ، وصلة الصداقة بين صاحبها عبد القدوس الانصاري والغزاوي ، ولأنها تمثل الحياة الأدبية التي يعشقها الغزاوي ، لذا أشاد بها في ذكرياتها السنوية وفي « اليوبيل » الفضي ، وأعدادها الممتازة ومن ذلك قصيدته اليوبيل الفضي للمنهل وفيها يقول[2] :

---

(١) الندوة ـ ٢/٨/١٣٨٢هـ ـ ص ٦ .
(٢) اليوبيل الفضي للمنهل نشرته ادارة مجلة المنهل عام ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بين (الحرار) وفي (الهجير) الواري ... بهر النهي « بالمنهل الانصاري »
أبان كل أخي حجى ـ متحفظ ... عن البيان وكل كأس عار
وفلائذ الأكباد تشكو بثها ... في حرقة وتحسر وشغار
حيرى ثواثب في طرائق أيكها ... ما بين أحساك وبين عفار
تجري بها الرياح وهي من الضنا ... (وهم) وتبغيها بكل مثار
لا تبصر العينان فيها ومضة ... ولها الشعاع ومشرق الأنوار

ومنها :

في ربع قرن ـ بذرها وحصادها ... ما شئت من (ورد) ومن اصدار
قطعت بها (الضاد) المراحل خطوة ... في خطوة وتوغلت بحذار
وكأنما هي في حلاها غادة ... هيفاء تحكي طلعة الأقمار
أو أنها سمتها في سماتها ... هبة التقاة وهيبة الأبرار
لم يغشها عبث (المراء) ولم تزن ... باللغو والتحريف ، والايغار
وقضت على نشر (التراث) جهادها ... وتجاوبت بالمجد والإيثار
واستصحبت بالهدى هدى (محمد) ... في عفة ورزانة ووقار
واستقبلت أهدافها منقضة ... كالصقر عازفة عن الاهذار

ومن اشادته بالمنهل قصيدته في العدد الخاص عن أدباء المملكة[1] :

(تحية المنهل) مطلع قصيدة صدر بها العدد :

سلافات وليس بها خمار ... وغادات لها التقوى خمار
تدور بها الكؤوس بغير إثم ... ويرتجع الصّبي العلك المدار
برزن « أهلّة » حيناً وحيناً ... بدوراً ، والجمال لها اطار

(١) المنهل عدد خاص عن أدباء المملكة مجلد ـ ٢٧ رجب ١٣٨٦هـ ص ٧٠٤ ـ ٧٠٥ .

تهادى « المنهل » المورود فيها ... ومنها الليل يقبس والنهار
علوم أو « فنون » ذات رجع ... به الأمجاد تلهج والفخار
كأن الضاد فيه ـ وهي نشوى ... بما يجلوه تبر أو نضار
خمائل سندس شاقت وراقت ... ونسرين يضوع وجلّنار
عجبت له بياناً عبقرياً ... مصفّى لم يرنقّه اغترار
تدفق سلسلاً وحمى مزوناً ... وكان البرق نوراً ، وهو نار
به الابصار تخطف من بعيد ... وتحذره الخطاطيف الصغار
وكلّ براعة فيه وطرس ... فواعل لا يشق لها غبار

* * *

وهذا بعض ما أهدى وأهدى ... من « الانتاج » تزجيه الثمار
ولست بشاهد الا بحق ... به أعترف الأساطين الكبار
بذلك نحن في الدنيا انطلقنا ... مغاوير وحقّ لنا البدار
ومن يعمل بإخلاص وقلب ... سليم فالنعيم له قرار

ومحتوى الحوليات يمثل اتجاه الشاعر الفكري نحو وطنه ويمثل آماله له من التقدم الحضاري فهو يحث على العمل الجاد المخلص الذي يتوقد حيوية ويسير على نهج اسلامي سليم .

ويشيد بالصحف التي تقوم على نشر التراث وتحافظ عليه ، وتسير على نهج منه ويميل الى الصحف التي تعالج المشاكل الاجتماعية ، والقضايا الإنسانية ، وينوّه بالصحف التي تطرح المشاكل العربية وتدعو الى الوقوف بجانبها كمثل قضية الجزائر وفلسطين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شعر الغزاوي والاحداث

شعر الغزاوي سجل حافل بالأحداث بل إنه حديقة تمثل الأفكار والاتجاهات وتمثل الإدارة والسياسة والفرد والمجتمع ، وتمثل العمران والتطور وتقف مع حجاج بيت الله وتشعر بشعورهم ، لحقبة مخصوصة من الزمن ، فهو يتقمص آمال وتطلعات الأمة ، وهو أيضاً يقدر الجهد المبذول خلف كل مشروع ، أو بناء عمراني أو سبل تعبد ، أو مصانع تشاد ، الأمر الذي صير نظرته الذاتية الفردية تتضاءل في شعره أمام هذا الخضم من الأهداف السامية ، فكانت تجربته الشعورية والشعرية تنبع من أحداث عصره معالجاً ، لها من واقع النظرة الإسلامية والوطنية بطريقة موضوعية واقعية .

ونظراً لشيوع النظرة الرومانسية التي تبنى على الذاتية الفردية ، إلى جانب الاتجاه الخيالي لدى بعض الأدباء ، أضف الى ذلك الغيرة الشخصية من المكانة الاجتماعية للغزاوي ، فقد كثر الطاعنون عليه حياً ، وكثر المهملون له ميتاً ، فتعاقبوا على الطعن في إنتاجه والاستهانة بعبقريته ، وفلسفته وآرائه في الحياة والمجتمع ورموا تعبيره عن واقعه بالتزلف والمداهنة .

أما المضمون فأغلب النقاد العالميين في الشرق والغرب أباحوا تناوله حسب ما تمليه التجربة الشعورية للفرد وهم شاخصون إلى الشكل والإيغال في طرائف التعبير وجماله ، وقد أجادها الغزاوي وذلك فضلاً عن الكثرة الكاثرة من النقاد التي تحرص على الصحة العقلية والعاطفية والدينية والاجتماعية للمضمون .

والواقع الذي لا ريب فيه أن تشخيص هوى الرجل الذي بنى عليه مواقفه من أمته وقضايا المجتمع وبناء النهضة وسبلها كل ذلك داخل في صميم الغزاوي ومع تسليمنا بهذا مع أولئك الذين لم يطلعوا إلا على هذا النوع من أدبه فإن للغزاوي ينابيع فنية أوحت له بتجارب ذاتية فردية كثيرة استقاها من واقع حياته الخاصة .

ويهمنا في هذا الجزء من البحث قضايا المجتمع وأحداثه لنرى مدى تصوير

أدبه خاصة لأحداث عصره وأمته .

وقد ظهر الغزاوي إبان ظهور الأمة العربية على مسرح الأحداث العالمية واتصالها بغيرها من الأمم ، وبرزت دولها ، فعاصر الغزاوي بشبابه وهمته العالية عزائم الأمة العربية وميلاد تطورها ونهضتها ، وحينما توحدت البلاد في ظل العهد السعودي رأى أن حكام هذه البلاد قد اهتموا بتحقيق أهداف الأمة ، فأخذت تبني أسس الحضارة ممهدة لذلك بنشر الأمن وتوحيد البلاد ، وبدأت بالتعليم الذي هو أساس الحضارة وقوامها وعبدت السبل التي تجوب المشارق والمغارب ، وأرسلت البعثات واستدعت العقول فأصبحت نهضة فكرية عمرانية الأمر الذي كون قناعة للغزاوي للاتصال بهذه الأسرة رغم عذل العذال ولومهم كما قال[1] :

الا لا تلمني اليوم أن أتكلما ... فإن فؤادي بالأسى قد تكلما
لعلي إذا أبثثت ما بي من ضنى ... أفرج عن قلبي الذي قد تجهما

وفيها يقول :

وكيف أصد نعم تفري رماحه ... حشاي وقد غودرت نهباً مقسما

بهذه القصيدة انطلق الغزاوي مغرداً بشعره في كل محفل وطني يسجل الأحداث التي يتطلع إليها الشعب فسجل بداية كل معلم في بناء البلاد وتطورها حتى أصبحت قصائده ديواناً حافلاً للوقائع في الجزيرة العربية وقد أشار الى ذلك / حسن قزاز بقوله :

(أحسسنا جميعاً بفقد الوالد الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي يوم عيد الفطر المبارك ونحن في انتظار المليك المفدى لتهنئته بالعيد . . . . ولقد كان رحمة الله عليه يملأ قلوبنا وأفئدتنا وأفكارنا بقدرته على تسجيل الأحداث بعمومها كهذه . . . بشعر رصين . . . وإلقاء يشد الأسماع والقلوب . . . . واعجاب كله تقدير واحترام ، إنه بفقده قد أثبت للجميع ، ولنفس هذه المحافل بأنه فارسها

---

(١) أم القرى ٨٩ ص ٤ ـ ١٧ صفر ١٣٤٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المجلى . . . وقلبها النابض الحي . . وابن نجدتها . . . . فاللهم ارحمه . . . واغفر له)[1] .

وقد أدرك الغزاوي بعض الحروب التي خاضها عبد العزيز آل سعود وأشهرها الحروب التي قادها ابنه فيصل وكان من نتائجها استقرار الأوضاع في نجران بعد ضمه للكيان العربي السعودي فقال في ذلك[2] :

هو النصر فاهنأ بالفتوح المتمم ... وقطع نياط الشر بالحزم واقدم
وها نلته لولا اعتصامك بالتقى ... على كل خصم من خصومك مرغم
فان مادت الارض الفضاء (بميدها) ... عشية أمس بالخميس[3] العرمرم
ودان بها (العرشي[4]) بعد ازوراره ... وبات أسيراً في ظلال المخيم
ورفت على نجران ألوية الهدى ... وحاطت بها الأبطال من كل مقرم

وقد سجل الصلح بين الشقيقتين المملكة العربية السعودية واليمن الشمالية بعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال :

حمدنا السرى عقبى امتشاق البواتر ... وكدنا العدا بالصلح رغم العوائر
وأصبح ما بين العروبة مسفراً ... من الحب والقربى ونور البصائر
فما الحرب إذا ذاقت مرارة كأسها ... باشفى غليلاً من سلام مؤزر . . .[5]

والغزاوي عايش أحداث عصره وتتبعها خطوة خطوة ، وصور الحدث في حينه ورسم الاستقبال بريشته وذرف الدموع في الوداع ، وشخص لنا افتتاح المؤتمرات ودون افتتاح المشاريع والأهم من ذلك ، صوره الحية للجزيرة وتفرقها

---

(١) المدينة المنورة ع ٥٦٠٣ الثلاثاء ٧ شوال ١٤٠٢هـ مقال (على الريق) للاستاذ/ حسن عبد الحي قزاز .

(٢) صوت الحجاز ع ١٠٥ في ١٣ محرم ١٣٥٣هـ .

(٣) الخميس : الجيش .

(٤) العرشي : قائد الجيش اليمني .

(٥) وحي الصحراء جمع عبد الله بلخير ٣٨ .

وتعدد أمرائها ثم قارنها بالوضع بعد توحيد البلاد وانطلق يشيد بتطوير البلاد يمجد ما يرى ويتمنى أن يرى .

فالمتتبع لشعر الغزاوي يرى الجزيرة وهي قرى متناحرة يجوب الجوع والفقر والخوف والجهل ربوعها ويتنقل في فيافيها الشاسعة ، وصاحب الحاج في رحلته ونقل لنا ما يعانيه من ظلمات تتلو ظلمات ومصاعب تتلوها مصاعب حتى يصل مكة ويعود في تلك الغياهب . ثم يعكف على الأوضاع الحاضرة بعد توحيد البلاد .

وقد شرع برصد الأعمال ذات الأهداف العالية من ذلك دعوة الملك عبد العزيز لمؤتمر الشورى الذي يهدف إلى إزاحة الضباب الذي خيم على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق أعدائها واطلاع المسلمين على أوضاع بلادهم المقدسة وأنها تحت أيدي أمينة فقال في ذلك المؤتمر[1] :

دعوتم لامر الله فانقاد شمامس ... وأصغى إلى معروفكم من تصمما
أجاب بنو الإسلام طراً نداءكم ... (لمؤتمر الشورى) فكان مجسما
وخاضوا عباب البحر كيما يشاهدوا ... حقائق كانت في ذراهم توهما
فلما رأوا ما يملأ العين قرة ... تولوا بحمد أفعم القلب والفما

وبعد أن وحد الملك عبد العزيز البلاد وأخمد الفتن ، التفت الى استتباب الأمن لكل فرد من أفراد الجزيرة مستنيراً بحكم الله سبحانه وتعالى وهو يخاطب الملك عبد العزيز في مطلع حكمه فيقول[2] :

أمنت خائفها وشدت صروحها ... وبها استنار غدوها ورواحها
وسلكت في إرشادها سنن الهدى ... حتى استقام نجاحها وفلاحها
ورفعت بالشرع الشريف فأصبحت ... ترتاع خوفاً بالحدود وقاحها

وهو يبلور أهمية الأمن في الحج ويسر الوصول إليه وأدائه وقد قارن بين

---

(٢) أم القرى ع ٨٩ ص ٤ عام ١٣٤٥هـ .
(١) أم القرى ع ١٢٦ ص ٣ ٩ ذي القعدة ١٣٤٥هـ ـ ١ مارس ١٩٢٧هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حالتين قبل توحيد البلاد وما يعانونه من مشاق ومتاعب وحالته بعد التوحيد والاستقرار وما يسر لهم من أمن ومواصلات واستمع اليه يصفها في عهدها الغابر :

وتخوم البلاد ، في كل واد ... مرصد للطغاة في هضباته
يكمن الموت عابساً مستتراً ... في دياجيه ـ تارة ـ وفي صحواته

ويقول في الأمراء الذين لهم الكلمة في هذه البلاد قبل توحيدها :

وأولو الشأن ، سابح في خيال ... أو مكب يفتن في لذاته
أو شريك تجبى السهام إليه ... أو جرىء ، همومه في غزاته
ودم مرهق على غير حد ... في (حمى الله) مهرق بفلاته

ويعلل أسباب الاشتراك في الجريمة بين الأمير والمنفذين بها فيقول :

أهدرته الأطماع إثماً وبغياً ... واستهانت بالله في حرماته
والمنايا ـ رهن الشفاه انطلاقاً ... كلما اغتص شارب بلهاته
عبث ضجت الملائك منه ... واستعاذ الشيطان من نزعاته

تلك حالة ابدلها الله بخير منها ويصف الوضع الجديد بعد توحيد البلاد فيقول :

تلك حال تبدلت واستحالت ... ما يراه (الحجيج) في خطواته
(أنجز الله وعده) وتجلت ... قدرة أيدت عظيم صفاته
أمن الناس حيث كانوا ونام ... ملء أجفانهم بكل جهاته
يقطعون العسف من البحر ... إلى البحر وازوادهم على طرقاته
ويمر البادي العبور ، فيمضي ... مسرعاً خائفاً على نظراته
يتمنى لو أنه حاد عنها ... وهو في الحق واثق من براته
إنما ذل من تهور غر ... يبتليه بتهمة من أذاته

منع الحدّ والقصاص التعدي　　كل جان مصفد بأداته[1]

وهذه الحالة من الأمن يرغب نشرها في أقطار العالم الإسلامي مطالباً الحجاج بالحديث الصادق لذويهم لما شاهدوه ولمسوه[2] :

يا مغذي السير للأوطان في عجل　　حدث ربوعك ، إن الحج ميسور
وأقر السلام عليهم ، ثم صارحهم　　بما شهدت ، فما في المكث معذور
وآمح الذي قام في الأذهان من زمن　　عن (الحجاز) ولا يغريك تزوير
وأنثل كنانة ما عاينت محتسباً　　فالمرء بالصدق ، والإخلاص مأجور
قل الحقيقة وانشرها مجردة　　فحسبنا هي في الآفاق تذكير

ومن الأحداث التي سجلها الغزاوي في شعره تولى المرحوم فيصل نائب الملك بالحجاز في جمادى الأولى عام ١٣٤٨هـ فيقول[3] :

ناب عن عاهل الجزيرة فينا　　فجرى العدل بيننا في نصابه
واستتب الأمن في كل صوب　　وأصاب الجناة سوط عذابه

وللشعر شأنه الأعظم في اصلاح المجتمع وبنائه ، والكشف عن معالم الحياة ومقوماتها ، والمجتمع في أوائل هذا القرن يخيم عليه سحاب كثيف من الجهل والتخلف ، وقد كان لهذا الوضع أثره في نفسية الأدباء والمفكرين ومن بينهم أحمد ابراهيم الغزاوي بل هو أكثر تسجيلاً لها ، فقد تتبع الأمور التي تمت بصلة لنشر التعليم والوعي في المجتمع ، فدعا إليها وسجل ظواهرها ابتداء من حركة الانتعاش في المدارس الموجودة ، وافتتاح المدارس الابتدائية ثم مدارس تحضير البعثات والمعاهد العلمية السعودية ، والجامعات والكليات المختصة ، والمتتبع لهذه الجزئية يحس بالبناء الهرمي للتعليم في البلاد من خلال شعر الغزاوي الذي مثله لأكثر من خمسين عاماً . ومن ذلك قوله :

---

(١) أم القرى ع ٧٨٩ ص ٣ الجمعة ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٣٨م .
(٢) أم القرى ع ٢٣٠ ص ٣ الاربعاء ١٧ ذي الحجة ١٣٤٧هـ .
(٣) أم القرى ع ٢٥٣ ص ٣ الجمعة ٢٢ جمادى الاولى ١٣٤٨هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

زار المعاهد فازدهت بالفيصل ... دور العلوم ، وضاء صدر المحفل
وبث بها روح النشاط وزانها ... لحرية بحلوله أن تعتلي
ابدى الأمير بها مآثر عطفه ... وأبان فيها عن ضحى المستقبل

ويقول فيها :

بذر تعهده المليك بديمه ... وطفاء تخرج ـ شطأه للمجتلى

هذه المدارس أشرقت أنوارها ما بين (قروة)[1] و(العقيق)[2] و(جرول)[3]

غصت جوانبها بنشء ناهض ... عاف الجهالة وارتقى للأفضل
يسمو إلى حيث الحياة هنيئة ... والعيش حلو لا يشاب بحنظل
هي نهضة عمت جميع حياتنا ... وبها استبان سبيلنا في القسطل[4]

وقد قال في موضوع آخر عن افتتاح المدارس والبعثات التي ترسل الى مصر :

فدونك ما شادت فثم (مدارس) ... تجدو (بعثات) تثقفها (مصر)

كما تحدث عن افتتاح مدارس الأيتام والأخذ بأيديهم الى سبل الفلاح[5] :

حفلت بأيتام البلاد واصبحت ... مأوى لهم ، وغدت بهم تتدفق
جمعت شتات البائسين صيانة ... وحنت عليهم (كالأمومة) تشفق
هذا السبيل لمن أراد مثوبة ... والجود أجدر بالعظيم وأخلق

والغزاوي لم يقف عند النهضة التعليمية فحسب بل تناول النهضة العمرانية وغيرها :

---

(١) حديقة في الطائف .
(٢) في المدينة المنورة .
(٣) حي من أحياء مكة المكرمة .
(٤) أم القرى ع ٢٠٨ .
(٥) أم القرى ع ٧٣٧ في ٧ ذو الحجة ١٣٥٧هـ ـ ٢٧ يناير سنة ١٩٣٩م .

وحولك عمران ـ تطاول سمكة وحسبك أن (الفقر) بدده الوفر

وهو يرصد حركة التأليف والنشر في البلاد أيضاً فقد قال قصيدته في كتاب (قلب جزيرة العرب) وهو أول كتاب تدور أحداثه حول الجزيرة العربية ومنها[1] :

لمن التاريخ عن (ملك العرب) يتهادى في جلال وأدب
يبعث النور إلى ما حوله مثلما البدر تدلى واقترب
ويعيد الذكرى صاف ورده كالحميا في أباريق الذهب
فهو للماضي شراب سائغ ولهذا الحاضر الظامي حبب
ولما (يأتي) نهار ساطع يتجلى بين آفاق الحقب

وفي حج عام ١٣٥٣ حاول جماعة أن يعتدوا على الملك عبد العزيز أثناء تطوافه حول الكعبة فقال مصوراً آثار هذه الحادثة على الأمة في قصيدة بعنوان (فقد سلمت فيك الجزيرة كلها)[2] :

أبى الله إلا أن يتم ضياءه ويرفع للدين الحنيف لواءه
ويحفظ في (عبد العزيز) وشبله على رغم كيد الخائنين بناءه
فان عظمت يوم (الإفاضة) كربة وخف لها (التوحيد) يحمى دماءه
وروّع فيه (المسلمون) جميعهم (بثالثة) كادت تريق دماءه
فقد لطف الله العزيز بعبده وأنفذ في قلب العدو قضاءه
وكمل حج (المؤمنين) وصانهم من الشر ، واستبقى عليهم هناءه
وراحوا وقد نجّى الإله (وليه) يطيلون بالشكر الصميم نداءه

ومن ينابيع النهضة وروافدها الرعاية الصحية للوطن وكما أن الشاعر يعالج أدواء المجتمع ، فالطبيب يعالج أمراضه وعلله الأمر الذي جمع بين الغزاوي وبين

---

(١) أم القرى ع ٤٧٤ الجمعة ٢٦ رمضان ١٣٥٢هـ ـ الموافق ١٢ يناير ١٩٣٤م .
(٢) أم القرى ٥٣٧ الجمعة ١٧ ذو الحجة ١٣٥ الموافق ٢٢ مارس ١٩٣٥م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مهنة الطب فتحدث عنها حديث الخبير المشفق على وطنه وأمته في قصيدته التي قالها في افتتاح (مديرية الصحة) عام ١٣٥٧ هـ[١] :

هتف الشعر في رياض (الطبابة) وتناجى بهمسه واستطابه
حلقت بالحنان أجنحة الطب وأمرت على الوجود سحابه
إن قلب الطبيب قلب ملاك وهو في الحق كالسماء رحابه
فهو يأسو المريض غير محاب فيه أعداءه ولا أحبابه
بفؤاد كأنما هو (بؤس) وعيون هي الدموع المذابه
يلمس الداء باسماً وهو يبكي حين يخفى مع السرور اكتئابه
مستمداً من التجارب وحياً سجل (الفن) للحياة (كتابه)

والغزاوي من أولئك الشعراء الذين تجاوزوا المحيط الإقليمي فسجل الوقائع العربية والإسلامية ، ووصفوا أحداثها ، ومدحوا القادة الذين أبلوا بلاء حسناً في الإسلام ، وقد نشط أيضاً في بعث الحمية في نفوس المسلمين واستنهاض هممهم للجهاد ، وجمع الكلمة وتوحيد الصف ، واسترداد الأرض الإسلامية والعربية ، والعودة الى الأمجاد الإسلامية والحث على طلب العلم والنهوض بالشعوب العربية ، ومن ذلك قصيدته التي بعنوان :

(وما حياة الشعوب إلا كفاح) ، وقد قالها بمناسبة الاجتماع الشعبي من أجل فلسطين وهو يحث فيها المسلمين على الكفاح والجهاد والتبرع بالمال فيقول[٢] :

ورب هول من الخطوب تلظى هو كالليل - في النواظر داج

وفيها يقول :

كل من كان مؤمناً (بمعاد) نثر اليوم ، تبره - في الفجاج

---

(١) أم القرى ع ٧٣٧ ص ٧٦ ذو الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٣٩م .
(٢) البلاد السعودية ع ٦٨٣ الاثنين ٢٥ محرم ١٣٦٧هـ - ٨ ديسمبر ١٩٤٧م .

حيث لا تنشد المعروبة الا ... ميتة (الاسد) لا حياة (النعاج)
إنما البذل بالدماء ، ولكن ... لم تحن بعد وثبة الافراج
ومن المال ـ للكماة ـ (عتاد) ... وسداد لفاتك مهتاج
خطوة للجهاد أولى ـ ويتلو ... بعدها (السير) في ربى المعراج
افتسخو (يهود) وهي فقاع ... وتضن الأكف ذات المجاج
صمت اللغو ـ فانطقي يا بلادي ... (بالسنانين) في ظلال التاج

* * *

البدار البدار في البذل نقضي ... لفلسطين حقها في المراجي
انها (الغادة الشهيدة) ترنو ... في حفاظ وغيرة و(انزعاج)
انها الروح في احتضار ـ وأنتم ... مأرز الدين والفريق الناجي
كفكفوا دمعها ـ وردوا إليها ... روعها المستفز في الأمشاج
اسعفوها ـ ترونها ما تراكم ... أبد الدهر ـ كالضحى الوهاج
هي منكم وفي حماكم ـ دثار ... فاحذروا أن يشف عن إحراج
فلتنافس ذوي (السبال) الغواني ... وذوات السوار والأزواج . . . .
والشباب الشيوخ مهما استطاعوا ... فهم السابقون في الإنتاج

وينتقل من مشكلة فلسطين إلى الجزائر البلد العربي الشقيق الذي ضحى بمليون شهيد من أجل دينه ووطنه فيدعو إلى التبرع والتضحية ونصرة الأخوة الأشقاء فيقول[1] :

البر ـ أوجب ، والتعاون أفضل ... والبذل جزل ، والمثوبة أجزل
وأحق ما فيه التنافس يبتغي ... عون به (الصنو الشقيق) يمول
يا قوم ان بني أبيكم ـ أصبحوا ... وجروحهم ـ بقروحهم ـ تتشلل

(١) المصدر : الندوة ع ٥ الخميس ٣٠ شعبان ١٣٧٧هـ ـ ٢٠ مارس ١٩٥٨م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى لتنطلق القلوب حناجراً ... حزناً وتصعد بالشفاه وتنزل
تتسابق الكلمات في عبراتنا ... حرى ـ وتقذف بالعيون وتهمل
بل انها الحسرات وهي كظيمة ... أو زافر الأنفاس اذ هي تشعل

* * *

إن (الجزائر) أمة عربية ... عصفت بها الأهوال وهي تغلغل
منيت بكل كريهة فلذاتها ... وسطا عليها الغاصب المتوغل
وتقلبت فوق اللظى ـ أكبادها ... وجنوبها من وقدها تتململ
لم تأل جهداً في (الجهاد) ولم تزل ... من بأسها أطم الطغاة تزلزل
ما ذنبها إلا (الحفاظ) وأنها ... تأبى الخضوع ـ وللكرامة تعمل
آفاقها ربد ، وفي ظلماتها ... تتوهج النيران وهي تقنبل
فلئن بذلنا (المال) في إسعافها ... فسخاؤها (الدم) وهو فان يبذل

وها هو يشارك الأمة العربية أفراحها عندما نالت الجزائر استقلالها وخرج منها المستعمر واحتفلت الجزائر وشاركتها الدول العربية وشعوبها مبتهجة بنصر أشقائها وقد عبر الغزاوي عن شعوره هذا بقصيدة رائعة فقال[1] :

قفا نشدو باليوم الأغر المحجل ... نزهو بشعب في الجزائر يعتلي
ونملأ سمع الدهر فخراً وعزة ... ونهتف بالمجد الطريف ـ المؤثل
ونستعرض التاريخ أبلج ناصعاً ... يدل به (مر الحفاظ) ويأتلي
ونكبر في الصيد الكماة (مواقفاً) ... بها يتهادى كل حر ، مسربل !!
ونزجي إلى (الأوراس) من (بطن مكة) تهانيء (نصر) كالرحيق المسلسل !!

* * *

(١) الندوة ع ١٠٥٨ ص ١ الخميس ٣ صفر ١٣٨٢ هـ ـ ٤ يوليو ١٩٦٢م .

هي العـزمـات الملهمـات كـأنهـا هـوادر موج البحـر ـ بالنـار تصـطلى
تلظى بهـا أشيـاخهـا وشبـابهـا وبيض العـذارى من ثكـول وأرمـل

وفيها يقول :

وفي السنـوات السبع كنـا وراءهم نجـاهـد مـا اسـطعنـا بغيـر تمهـل
مشينـا إليهم بـالـقلوب خـوافـقـاً وأكبـادنـا حـرى على كـل منهـل
تكاد بنا (البطحاء) تجـري رياحهـا وتنطلق (الدهنا) واعراف (يـذبل)

والغزاوي ينتقل بأدبه إلى نظرة عالمية إنسانية اكثر شمولية وخـاصة حينمـا يداهم العالم الانساني خـطر عام فقد كانت للمآسي والكوارث التي غشيت الكون. إبان الحرب العالمية التي دمرت القاصي والداني وأحرقت الأخضر واليابس وزلزلت صروح الخير والمعرفة فعمّ الظلام والدمار وانتشر البؤس والشقاء كل ذلك أثر في نفسية الغزاوي وعقليته فصور تلك الحال بقوله :

على حين تغشى العـالمين كـوارث تكـاد لهـا الـدنيـا تميـد وتعـول
كـأن شـظايـاهـا إذا مـا تعصفت رعـود بـأهـوال الجحيم تجلجـل
تضـج لهـا الأفـلاك في مستقـرهـا وتشقى بهـا الأسمـاك في تململ
وتـربـد أجـواء تهـاوى نجـومهـا وتـزهـق أرواح البـرايـا وتبـسـل
وتنـطلق الأرجـاء بـالشعب نقمـة كمـا انقض نجم أو تـدهـور جنـدل
وتنـذر بـالـويـلات كـل حضـارة تـدك الـرزايـا صـرحهـا وتـزلـزل
فلا الرزق ميسـور ولا الضوء سـاطع ولا البؤس محدود ولا اليأس يمهل[1]

من ذلك تبين لنا أن الغزاوي لم يقتصر حديثه عن وطنه ونهضته على المناسبة التي يمدح فيها الملك أو أحد الامراء ـ كما يتوهم بعض الناس بل تحدث عن كل حـدث يأخـذ بأسبـاب الحضارة ، فتحـدث عن الشبـاب وأمنيـاتهم وطمـوحهم

(١) أم القرى ع ٧٧٩ يوم الجمعة ١٣ شوال ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٣٩م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعقليتهم ، وعن الشركات ، واستقبل العائدين إلى بلادهم بعد أن نهلوا من معين العلم والثقافة ، موضحاً فرح الامة بهم ونافثاً وملهباً قلوبهم بالحماس الوطني إلى جانب تمثيله لأفراح الأمة وأحزانها واستقبالها ووداعها للحجاج وضيوف الدولة .

* ومن خلال حديثنا السابق واستقرائنا لشعر الغزاوي أدركت أن شعره يمثل واقع المجتمع ونستطيع أن ندرك الأسس التي قام عليها المجتمع وغيرت من مساراته .

* وشعره يدلنا على اتجاه الدولة وأثره في معتقد الشعب والمحافظة على الأسس الدينية السليمة .

* وهو لم يقصر شعره وتفكيره في حدود إقليمية ولكن انطلق يصدح بشعره ليمثل الواقع الإسلامي والعربي ، ويسجل وقائع الأحداث بشعره فتحدث عن كفاح الجزائر ، وتحدث عن جهاد الفلسطينيين ، وتصدى للغزو الفكري والاقتصادي وأشاد بالاتجاهات الاتحادية للأمة الاسلامية وحث جموع الحجاج في كل عام على التحابب والتعاون والتواد والاتحاد والجهاد في سبيل العقيدة الاسلامية .

الاتجاه الاسلامي

يحمل الأدب في جوانبه خلجات الفكر الانساني والانفعالات العاطفية للبشر مصبوغة بالمعتقدات التي يحملها الناس ويتأثرون بها . . .

والأديب المسلم سخر فكره كما سخر نفسه لخدمة الإسلام ورفع رايته خفاقة فوق الأمم تحمل للناس الأمن والسلام ، وتنير لهم سبل الهداية وتبعدهم عن الشرور والآثام . . .

وقد عرف الشاعر المسلم مهمته في الحياة ووعى رسالته التي يحملها فسخر شعره وعواطفه لخدمة الإسلام وسلط لسانه سيفاً قاطعاً في وجه الضلالة والجهل ، ووقف سداً منيعاً أمام الأعداء الذين يريدون النيل من الإسلام . .

وظهر دور الشعر والشعراء جلياً في الأزمات ووضع الشعراء أنفسهم على محك الواقع فانطلقوا بشعرهم يردون كيد الأعداء الذين يحاولون النيل من معتقداتهم أو من حملتها فعندما اشتد الأمر بالمسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتعرض الشعراء الجاهليون للرسول صلى الله عليه وسلم بشعرهم هب حسان وغيره من الشعراء ـ شعراء الاسلام ـ يردون الصاع صاعين للكفار وللمشركين . . . وأيد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لحسان : (أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس) . . وقال له مرة أخرى : (أهجهم وجبريل معك) . .

وأشرق نور الإسلام فعم الأرض . . وأخذت الأوصاف بالتقوى والورع تأخذ مكانها في شعر المدح وغيره . . ولم نعد نسمع من يرفع سيف شعره للدفاع عن الاسلام لأن الاسلام قد ساد وأصبح عزيزاً منيع الجانب . . .

وكانت الهجمة الصليبية فعاد الشعراء يسخرون شعرهم لرفع راية الاسلام وإعلاء شأنه . . . وردكيد المعتدين عنه ونجد هذا واضحاً في شعر من عاصروا هذه الهجمة . . وذهب الصليبيون فهدأت عاطفة الشعراء حتى كان العصر الحديث فبدأت هجمة جديدة على الإسلام والمسلمين أدرك معها النصارى والغربيون ألا سبيل للنيل من الاسلام إذا قاموا هم أنفسهم بالهجوم ووجدوا أن من الخير لهم أن يطعنوا الاسلام بيد أبنائه من ضعاف الدين والنفوس فكان للغربيين ذلك ، وانطلق المشككون يصفون الإسلام والمسلمين بأوصاف لا تليق بهم بل هي أبعد ما تكون عنهم . . . . فاتهموا الاسلام ظلماً بأنه سبب التخلف والجهل . . .

وأمام هذه الهجمة الشرسة هب أبناء المسلمين من الشعراء والأدباء يدافعون عنه . . . يقول الرصافي في الرد على من اتهم الإسلام بأنه سبب الجهل :

هل العلم في الإسلام إلا فريضة وهل أمة سادت بغير التعلم ؟

والدكتور يوسف القرضاوي يعلن على الملأ اخلاص شعره للنواحي الاسلامية فيقول :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقفتك يا شعري على الحق وحده فان لم أنل إلاه لهم حسبي[1]
وان قال غر ثروتي قلت دعوتي وان قال لي حزبي أقول له ربي
فعش كوكباً يا شعر يهدي الى العلا وينقض رجماً للشياطين كالشهب

كما يبين الشاعر كمال رشيد الغاية التي يريدها لشعره :

لئن كان شعر الناس في حب غادة يتيهون وجداً في بثينة أو سعدى
فحبي لأيام كأيام خالد يعيش الفتى فيها وقد لبس المجدا
وشعري لمجد سطّرته معارك ولكنه في يومنا بات يستجدى[2]

وبرز للوجود اتجاه الدفاع عن الاسلام والرد على أعدائه وكيل الصاع صاعين للمعتدين عند كثير من الشعراء من أمثال : وليد الأعظمي ، وعمر بهاء الأميري ، وأحمد محرم وغيرهم . . .

والغزاوي موضوع بحثنا لم يهمل هذا الجانب بل أولاه عنايته . . فهو يذكره دائماً لأنه سبب حبه وهواه . . . فهو يقول :

يؤرقني الهوى في حب ديني وقومي ثم يشجيني احتقابا[3]

وسبب هذا الهوى يرجع لكون الغزاوي ابن الحجاز ترعرع في أحضان حلقات العلم العامرة في (الحرم المكي) حيث الاتجاه الاسلامي الواضح النقي . . يرتشفه الشاعر من ينابيعه الصافية التي لا يكدرها شيء ولا يزعج شاربها نقيق الضفادع . . أضف إلى ذلك وجود الحركة الدينية السلفية التي سادت ربوع الجزيرة العربية والتي توحدت البلاد تحت لوائها . . . فشب الغزاوي متشبعاً بالوازع الديني متمسكاً بحدود الدين ، فكان أدبه ملتزماً بهذه الناحية التزاماً واقعياً غلب على جميع أغراضه سواء منها

---

(١) شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ١ : ٩ تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم ـ مؤسسة الرسالة ط١ بيروت .
(٢) المصدر السابق ١/ ١١ .
(٣) المنهل مجلد ٣٣ ذو الحجة ١٣٩٢هـ . . .

المدح . . والوطنيات أو الفخر والحكم . . وهذا ما حدا بالملك (عبد العزيز) الى احتضانه وتسميته (بحسان الملك عبد العزيز) . . .

والغزاوي كان يتفيأ بشعره ظلال الاسلام متخذاً من قيمه معياراً لأوصافه ومدائحه .

فها هو يقول مادحاً الملك عبد العزيز[1] مظهراً القيم التي يتحلى بها جلالته :

وأنت للدين والاسلام معقله ... في بقعة قدّس الجبار (واديها)
تقيم فيها حدود الله متبعاً ... (نص الكتاب) وتمضي شرع هاديها
فللذي وعد الرحمن طائعها ... وللذي أوعد الشيطان عاصيها

ويستمد من الأوصاف الاسلامية صوراً يمدح بها الملك عبد العزيز :

خاشعاً قانتاً الى الله يرجو ... محض احسانه وخير تقاته
ملك همه العبادة ديناً ... ولو أن (العروش) من ثمراته
واهتدى بالكتاب فهو منار ... و(بنهج الرسول) في قضباته
و(بالصحابة) الذين أقاموا ... صرح (توحيده) ومجد هداته

ومرة أخرى يجد أن آثار السجود ليست إلا طاعة لله ويقيناً به فيقول :

تعهدها بالشكر (تاج يزينه) ... جبين بسيماء السجود مكلل
تزود بالتقوى وبشر بالهدى ... وأغراه بالحسنى اليقين المسربل
وجاهد في ذات الإله كأنه ... على كل باغ بالحدود موكل[2]

ولم يقصر الغزاوي شعره على هذه النواحي بل التفت للمسلمين فساءه حالتهم البائسة التي تدعو للرثاء والحزن . . . ويعود بالذاكرة الى الأيام الخوالي فيتحسر على

---

(١) أم القرى ع ٨٤٠ ص ١ الجمعة ٢٦/ذي الحجة ١٣٥٩هـ ٢٤/يناير ١٩٤١م .
(٢) أم القرى ع ٧٧٩ ص ٤ الجمعة ١٣/شوال ١٣٥٨هـ ٢٤/نوفمبر/١٩٣٩م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك الأيام الجليلة التي ساد فيها الاسلام واجتمع شمل المسلمين وأناروا الكون عدلاً وهدى فهو يقول[1] :

لهفي عليهم حين ضاع تراثهم ... ما بين عيش تفرق وفساد
لهفي على أيامهم وذمامهم ... وقيامهم بالوعظ والارشاد
لهفي على السلف الذين تقدموا ... متآزرين على أتم وداد
كانوا جمال الأرض فانظر بعدهم ... ماذا جناه الخلف في الأحفاد

ثم يطلقها صرخة ونداء لأمة الاسلام يستحثهم الهمم الى النهضة والاتحاد وطلب العلم وترك الشقاق والافتراق . . . :

يا معشر الاسلام دعوة مخلص ... ما زال يسمع صيحة الأجداد
حتام والدنيا غرور زائل ... تحبو اليها في جوى وسهاد
وإلام نغدو للشقاق فريسة ... والبغي والآثام والأحقاد
وعلام تسبقنا الشعوب تنافساً ... في العلم والتجهيز والأجناد

ثم يعلل هذا الوهن والضعف والفرقة بتركهم لحدود الله والأخذ بكتابه :

أما العديد فما بنا من قلة ... نحن الحصى والرمل في التعداد
لكنما هي علة ـ أسبابها ـ ... جهل الرعاع وفرقة القواد

وهو لا يقف موقفاً سلبياً وانما يقترح الحلول على المسلمين ويصور لهم أنجعها :

المسلمون وان تناءت دارهم ... أعضاء جسم واحد الأعضاد
وقفوا على نهج النبي (محمد) ... و(الراشدين) أئمة الاسعاد
باروا السماك وعاودوا تاريخهم ... في عزة ومناعة وجلاد
وتذللت لهم الصعاب وطأطأت ... رغم الجموح وأسلست بقياد

---

(١) أم القرى ع ٧٣٨ السبت ١٤ ذو الحجة ١٣٥٧هـ الموافق فبراير ١٩٣٩م .

فالحل عنده اتباع لحدود الله وتمسك بكتابه والتزام بما أمرهم به وبذلك تزول من أمامهم الصعاب ويصبحوا في منعة وعزة بعد وهن وذل . . .

ولا يترك الغزاوي الصورة التي كانت سبب الذل والهوان . . تلك الصورة هي صورة الانسان المسلوب العقيدة الذي لا يساوي شيئاً في هذه الحياة ويقرن هذه الصورة بأبشع الصور وأشدها فتكاً بالبشر فيقول[1] :

ما هو الانسان ان لم ... يتذرع بالعقيدة
حيوان - أفعوان ... ذو غوايات مريدة
ينفث السم زعافاً ... في ضحاياه العديدة

وما الدين عنده الا العمل الحثيث وخلع أثواب البطالة وأنه القوة والعزيمة الكامنة التي تتفجر وقت الحاجة ، وهذا ادراك منه لعمق الدين الإسلامي وفاعليته وشموليته وأنه دين القوة والعمل والنظام ، والمنهج المتكامل[2] :

وما الدين الا أن نسود ونرتقي ... ونسعى حثيثاً في ازدهار المرابع
ونخلع أثواب البطالة عاجلاً ... ونسلك كالأجداد تلك المهايع
وليس كما يرويه عنه مضلل ... ولا هو ترجيع - ورنة ساجع
ولكنه حزم وعزم - وقوة ... ونور وفرقان وحجة صادع

ويرى الغزاوي أن العودة لله خير السبل التي تؤدي للنجاة ، فها هو يخاطب صديقيه ويدعوهما الى التفكير والاعتبار وترك الهوى فانه الداء المستطير :

يا صاحبي تمهلا ... وقفا قليلاً نعتبر
ندع الهوى وهوانه ... فهو البلاء المستطر
ونلوذ بالرب العظيـ ... ـم الى اليقين ونذكر
فالدين فيه نجاتنا ... وبه نسود ونفتخر

---

(١) المنهل : مجلد ٣٢ رجب ١٣٩١هـ ص ٧٠١ .
(٢) صوت الحجاز ص ٦ الاثنين ٢٠ ذو الحجة ١٣٥٣هـ . . .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والغزاوي يصدر في شعره عن معتقده الاسلامي النقي وهو وإن مدح الملوك والأمراء بالتقى لم ينس حالة الأمة الإسلامية التي تدعو للرثاء وآلمه وقوع أقطار منها فريسة ونهباً لأعداء الإسلام فانطلق بصوته يدعو للتضامن ووحدة الصف ونجد هذا واضحاً في حولياته جميعها . . يقول[1] :

فيا معشر الإسلام يا من تجردوا ... ومن أقبلوا مستغفرين وسبحوا
أهيبوا بمن هم كالرمال وراءكم ... الى الله واستوحوا هداهُ وأصلحوا
وكونوا دعاة للتضامن إنه ... لأول ما نحيا به ـ ونسلح

وفي أخرى يكرر دعوته للتضامن[2] :

ما الفوز الا بالتضامن والهدى ... والبر والتقى وبالإيمان
هو ما به أمر الإلٰه رسوله ... وعباده في محكم الفرقان

ويجد أن العودة إلى التضامن ستعيد للمسلمين أمجادهم لأنهم ما سادوا من قبل وفتحوا الدنيا إلا به فهو قمين بأن يتحقق ثانية لهم إن هم أخذوا بالأسباب نفسها ونراه في ذلك يقول[3] :

وبه تتابعت الفتوح وبوركت ... بالحق لا بالبغي والطغيان
حتى أزيح به الظلام وأشرقت ... بالنور أطباق من الأدجان

والدعوة للتضامن عنده هي سبيل حتمي للقضاء على أعداء الإسلام الذين عاثوا في ديار المسلمين فساداً فانتهبوا القدس ودنسوها ولا سبيل لردها إلا التضامن والعودة للإسلام فيقول[4] :

يا ويل من هي في (فلسطين) ... انطوت كالحية الرقطاء والسرطان

---

(١) المنهل مجلد ٣٣ محرم ١٣٩٢هـ ص ١٥ .
(٢) المنهل مجلد ٣٤ محرم وصفر ١٣٩٣هـ السنة ٣٩ ص ١٣ .
(٣) المنهل المجلد ٣٤ السنة ٣٩ محرم وصفر ١٣٩٣هـ ص ١٣ .
(٤) المصدر السابق ص ١٥ .

عبثت (بـأولى القبلتين) وأحـرقت بـالمسـجـد الأقصى أعـز كيـان
وبـكـل يـوم شـرهـا مـتـطايـر في مصـر أو في الشـام أو لـبنـان
أمـا تـفـرقـنـا فـمنـه عـنـادهـا واذا الـتقينـا فـهي بـضـع ثـوان
مهمـا اعتصمنا بـالـذي هـو ربنا وحـفيـظنـا لـم نمـن بـالخـذلان

والغزاوي يشارك في الرد على اعداء الاسلام الذين اتهموا الإسلام ظلماً وعدواناً بأنه سبب التخلف والبعد عن الحضارة يقول في قصيدته (الذكرى المشرقة) مبيناً أن أعداء الإسلام زائلون لا محالة[1] :

حـتى اذا افـتـرقت بـنـا أهـواؤنـا دون اليقين ولم يـزعنـا المـرشـد
ضـاع الـتـراث وعـزنـا استبقـاؤه وعـلا النشيـج وأعـوز المـتفـقـد
زعمـوا الحضـارة شيـدت تلقـاءنـا صـرحـاً بـأسبـاب الفنـون يمـرد
تتبـرج الـشهـوات فيـه إبـاحـة وشيـح عنـه الـقـانت الـمتعبـد
تـالله مـا يغني الحـديـد محـاربـاً لله أو يـجـديـه مـا هـو ينـقـد
بـالامس هتلر كيف كـان مـصيـره وبـرجفـة الأطـواد ظلت تـرعـد
مـادت بـه مـن تـحتـه أقـدامـه من حيـث لا يـخشى ولا يـتـردد
والله بـالمـرصـاد جـل جـلالـه والمـرء خير فعـالـه مـا يحمـد
هيهـات نـأبى العلم في مشكـاتـه سـبـل الـسـلام وانـه لـلسـؤدد
والمؤمنـون اليـوم أمثـال الحصى عـدا ولـكـن الـعـقـائـد تـرمـد
وصـلاحهم مـا اعتصمـوا بكتـابهم والخلف فيـه هـو المقيم المقعـد

والغزاوي متألم في هذه القصيدة لحال المسلمين لكن التفاؤل يعاوده بين حين وآخر لايمانه بأن الله سيعيد لهذه الأمة أمجادها إن هي عادت الى الله . . .

هذا هو منهج الغزاوي الاسلامي وهو وان لم يشارك بشكل فعال في الرد على

---

(١) المنهل السنة الحادية عشرة الجزء الثالث من المجلد رقم ١١١ ربيع الأول ١٣٧٠هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحملات المسعورة ضد الاسلام انما كان ذلك لأنه لم يكتو بما اكتوى به أبناء الأقطار الإسلامية الأخرى . . .

فالغزاوي يعيش في ظلال دولة اتخذت من الإسلام ديناً لها تعيش في ظلاله وتعمل بأوامره . . .

أما أولئك الشعراء فانهم يردون بعنف ويكافحون أعداء الاسلام كفاحاً مريراً لأنهم يعيشون في ظلال دول تحاول محاربة الإسلام والنيل منه أو تسكت عن النيل من الاسلام أو تسلط من ينال من الإسلام والمسلمين دون أن يجد من الدولة رادعاً يردعه عن ذلك .

ومما يلفت الانتباه في هذه الناحية : انصهار الغزاوي في منهج الإسلام فلم أر له شطحات تنبو عن هذا المنهج السليم أو تعارضه ، فظل أدبه ملتزماً بقواعد الدين الحنيف وحافظ على هذا الالتزام دائماً . . فكان شعره نابعاً من روافده العقيدية ، منبثقاً من شدة الإيمان صادراً عن معتقد راسخ ظل ملازماً للغزاوي حتى آخر أيامه . . وهذا المعتقد المتلبس بضميره ونفسه هو المحور والعمود الفقري الذي يصل ويجمع شعره حتى أصبح (المعتقد الديني) والهدف الاسلامي هدف أدبه وغايته . . .

ويمتاز شعر الغزاوي بأنه ليس داعياً للعمل الإسلامي وحسب إنما هو نابع من منبع اسلامي فياض . . .

فهو ليس مدعياً أو متكلفاً للأفكار الاسلامية وانما هو ملتزم بمنهج الإسلام قولاً وعملاً فلا غرابة إذن أن يصطبغ شعره بالصبغة الإسلامية وأن يشارك في كل مناسبة تمر حتى يجهر بالإسلام ويدعو له وهو الذي خصص حوليات من شعره يلقيها في الحج (مجمع المسلمين) الأكبر فيناديهم بعاطفة جياشة يشوبها الحزن والألم لحال المسلمين التي آلوا إليها . . .

ولولا أن هذه الحوليات قد تضمنت معاني مكررة في قوالب مختلفة لكانت من روائع أدبه ولعل العذر مبذول له في هذا التكرار ذلك لأن المناسبة واحدة والمكان واحد وان اختلف الناس . . . .

الفصل الثاني

أغراض شعره

مقدمة .
المدح .
المضمون الوطني .
المضمون الاجتماعي .
الرثاء .
الوصف .
الغزل .
الحكمة .
الموعظة .
الاخوانيات .

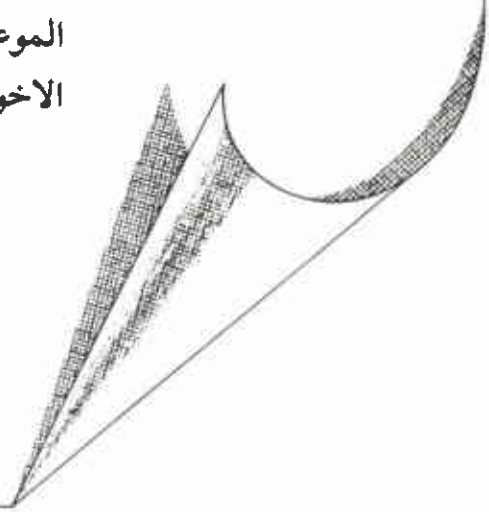

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة عن أغراض شعره

يكن الشاعر بين جوانحه قلباً خفاقاً ويستشعر بـه الحب والبغض والحزن والفرح . . .

والشاعر يعمل فكره ويفتقه ثم يرسله ممزوجاً بروحه ويسبح في عالم العواطف والمشاعر حاملاً مشعل الفكر النير والخفايا الانسانية وميولها المتعددة . . .

الغزاوي من أولئك الشعراء الذين مدوا أطنابهم وظلالهم على جوانب متعددة من الحياة . . فقد أدرك ما حوله وأدرك نفسه واشتركت مواهبه وغرائزه وعواطفه وفكره وعقله وتجاربه فأشرقت بضياء شعرى يخاطب الانسان بجوانبه المتعددة وظل الغزاوي عمراً طويلاً تدق أبواب تجاربه نوازع شتى فيستجيب لها استجابات تلائم كل نازعة من النوازع موسومة بمياسم خاصة ومطبوعة بطابع كل ظرف . . متسلسلة معه من حيث النمو من النواحي الذوقية والقدرة العلمية والعقلية والتجارب اليومية ، فتدفقت تلك التجارب لنجد ان الغزاوي رجل خاض عباب الشعر كلها واستطاع أن يسخره في قوالب متعددة تتماوج مع نفسية الشاعر وتمثل الفرد وتفاوته وتعدد غرائزه واختلاف اهتماماته ، وأن ما يستولي على لبه في لحظة من اللحظات ربما ينزوي ليحل محله موضوع آخر طرأ بسبب عامل من العوامل . .

من ذلك تلونت أغراض الغزاوي المتعددة الجوانب حسب ما سنرى من هذه الأغراض :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المـــدح

مضمون المدح :

ساد النظام القبلي الحياة الجاهلية وارتبط الناس بقبائلهم أشد الارتباط في الخير والشر في أفراحها وأتراحها في غوايتها ورشدها ونجد كل هذا مخلداً في قول شاعرهم (دريد بن الصمة) :

وهـل أنـا الا من غـزيـة إن غـوت غـويت وإن تـرشـد غـزيـة أرشـد

وكان الشعراء بألسنتهم سيفاً مصلتاً على القبائل الأخرى حتى جاء امرؤ القيس فمدح مكافئاً على جميل أومبدياً إعجاباً ، ثم جاء النابغة الذبياني فنقل المدح إلى طريق جديد فتحه للشعراء ليجدوا بشعرهم سوقاً تروج فيه بضاعتهم ويتسع فيه باب كسبهم فكان التكسب بالشعر وظهور غرض المديح الذي يقصد به الثناء وحمد الممدوح بصفات تعدّ مثلاً أعلى في المجتمع سواء كانت هذه الصفات موجودة في الممدوح أو مستعارة له فالمهم قبض ثمن المدح مكافأة يجود بها الممدوح يسد به حاجة المادح أو يقطع بها لسان ، أو يستدر شاعريته .

واعتمد الشعراء الجاهليون في مدائحهم على صفات عدّت مثلاً عليا من اتصف بها اتصف بالكمال هذه الصفات كانت الكرم والشجاعة وعلو النسب .

كما في قول زهير بن أبي سلمى الذي يذكر فيه كرم ممدوحه ومقداره[1] :

أخي ثقـة لا يهلك الخمـر مـالـه ولـكنـه قـد يـهلك الـمـال نـائله

تـراه ـ إذا مـا جئـتـه ـ مـتـهـللاً كـأنـك تعـطيـه الـذي أنت سـائله

فقد بين أن الممدوح كريم سخي معطاء يهلك العطاء ماله وهو يعطي هذا المال عن رضى وقناعة .

(١) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ١/٣٥٧ ـ د/ محمد بن سعد بن حسين .

والنابغة الذبياني يصف الغساسنة ويمدحهم بشجاعتهم عندما يصور الطير تتبع جيوشهم لوثوقها بانتصار الغساسنة[1] :

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

أما علو النسب فنجده في مدح حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ للغساسنة[2] .

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأول

والى جانب الصفات السابقة كانت صفات أخرى تتمم هذه المثل العليا في المدح وهذه الصفات هي الحلم والنزاهة والعدل والصبر على المكاره والحزم وإغاثة الملهوف .

وأشرق فجر الإسلام مبشراً بنور جديد ومفاهيم جديدة سادت المجتمع الإسلامي وخففت من وطأة تأثير القبيلة على الفرد وحدّ الإسلام من تفاخر الناس بأحسابهم وأقر خصالاً كانت مثلاً عليا في الجاهلية كالشجاعة والكرم وخفف حدة علو لقوله تعالى :

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير﴾[3] .

وأحل الاسلام التقوى والورع ومخافة الله والدفاع عن الدين وتأييد الله سبحانه وتعالى للحاكم التقي الورع والحكم بشريعة الله وفتح الأمصار والدفاع عن حوزة الدين صفات يسعى الخلفاء والحاكمون للاتصاف بها ولقد نال إعجاب الناس قول عبيد الله بن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير :

---

(١) بائية النابغة الذبياني في مدح الغساسنة .
(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري .
(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أيها المشتهي فناء قريش بيد الله عمرها والفناء[1]
إنما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

وكذلك قول الفرزدق يمدح علياً زين العابدين[2] :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

وأصبحت هذه الصفات نبراساً يهتدى به ودوحة تقدم جناها المتجدد للشعراء على مر الأزمان .

ولم يقتصر مدح الشعراء على الصفات المعنوية السابقة بل تعداها الى ذكر المحاسن الجسديةللممدوحين غير أن النقاد فضلوا السمات المعنوية على الجسدية بل عاب بعضهم مدح الممدوح بصفاته الجسدية يقول أبو هلال العسكري :

« انه انما يكون بالفضائل التي تختص بالنفس ولا يكون بأوصاف الجسم ولهذا وجب على المادح أن يمدح : بالعقل والعفة والعدل والشجاعة ولا يعدل عنها الى مايليق بأوصاف الجسم من الحسن والبهاء والزينة »[3] .

ولذلك عاب عبد الملك بن مروان قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

يتألق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

والغزاوي قد تحدث ضمن هذه المضامين في المدح فأشاد بالشجاعة في بداية توحيد البلاد حينما كانت الحروب قائمة ، ومدح بالكرم أيضاً ثم انطلق يشدو بالمضامين الاسلامية البحتة ، ويجعلها محور الفضائل العليا التي يشدو بها فهي أسس الحكم ، الذي قامت عليه دولة آل سعود وتقيدت بأحكامه حتى أصبحت دولتهم هي الدولة التي

---

(١) تاريخ الشعر السياسي ٢٥٨ أحمد الشايب ط : دار القلم بيروت لبنان .
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٩٥ ط : أخبار الفرزدق .
(٣) الصناعتين ص ٣٧ لأبي هلال العسكري ط : الاستانة ١٣١٩هـ ـ تصحيح محمد أمين الخانجي .

تقيم الحدود وتحكم بالشرع في جميع جوانب الحياة فيشير الى ذلك عندما يمدح الملك مبيناً أن ملكه قد اعتمد على الاسلام فحرسه الله وحماه :

فغدت بلادك بالهدى محروسة ... يحمي حماها « الواحد المعبود »
يرتادها «الحجاج» في غلس الدجى ... والأمن بين شطوطها ممدود
فكأنما هي «جنة» ـ وقطوفها ... «الدين» و«الاسلام» و«التوحيد»[1]

وقد تولدت عند الغزاوي معان جديدة استمدها من واقع الحياة فقد أطل على الجزيرة الأمن والاستقرار بعد طول غياب ، فأفاض في تصوير هذا الأمن الذي سعدت ونعمت به البلاد ضمن ذلك قوله :

تعهدها « عبد العزيز » فأثمرت ... بآلائه أغصانها وجذورها
فما العرب لولا الله ثم سيوفه ... سوى فرق أعيا الوئام ـ نعيرها
رعاها فمد العدل فيها سرادقاً ... تلوذ به أكبادها ونحورها
ووطد فيها الأمن حتى كأنما ... حرام فيافيها ، ضمان نفورها[2]

ويجد الغزاوي نفسه وإخوانه من المواطنين في ظلال العلم الذي بدأ يعم البلاد نتيجة لحركة التعليم وارتقائها واتساع دائرتها وتنوع مناهلها ومواردها ـ فنشرت ظلالها في المدن والقرى والصحاري فقد فتحت المدارس وتعهدتها الدولة بالرعاية ، وأرسلت البعثات ، واستقبلها الغزاوي فرحاً بها كأي فرد من الشعب ، وشهد نشأة الجامعات ذات التخصصات المختلفة والينابيع العلمية الفياضة ومن ذلك قصيدته التي بعنوان « من بنى مدرسة أغلق السجن وراه » والتي يقول فيها[3] :

إنما العلم سلاف ... واكتشاف في ضياه
وهو نور وأمان ... واتزان في خطاه

---

(١) أم القرى ع ٧٨٧ ص ١ السبت ١٠ ذو الحجة ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٠ يناير ١٩٤٠م .
(٢) أم القرى ٨٢٩ ص١ الجمعة ٨ شوال ١٣٥٩هـ ـ ٨ نوفمبر ١٩٤٠م .
(٣) أم القرى ع ٨٤٢ ص ٣ ـ ١١ المحرم ١٣٦٠هـ ـ ٧ فبراير ١٩٤١م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجـلال وجـمـال كـله عـز وجـاه
وهـو حـوض لـم يـرده غـيـر طـلاب الـنـجـاه
ظـلـمـة الـجـهـل سـقـام آيـة الـعـلـم شـقـاه
انـمـا الـجـهـل بـلاء وجـسـور لـلجـنـاه
انـه حـق صـحـيـح قـولـهـم - فـيـمـا أراه
مـن بـنـى مـدرسـة أغـلـق الـسـجـن وراه ؟

ولم يقتصر شعر الغزاوي ومدائحه على الإشادة بسيادة الأمن والاستقرار وإقامة أركان الحكم القائم على الدعائم الإسلامية ونشر العلم فقد وجد الغزاوي نفسه أمام حكام يولون جميع جوانب الحياة الأهمية الخاصة منهم يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً ولآخرتهم كأنهم يموتون غداً فقد اهتم الحكام بالنواحي العمرانية من تعبيد الطرق وتيسير سبل المواصلات بين المدن وتشجيع المشاريع الوطنية التي تقوم على النهضة بالبلاد وتخدم الأمة وأولت الدولة عنايتها بالصحة والجيش وخدمة الحجاج وتيسير وصولهم إلى الأماكن المقدسة فأقامت شركة الطيران ويسرت سبل وصول الحجاج وراحتهم في حلهم وترحالهم .

هذه الأمور لم تغب عن بال الغزاوي فرصدها في قصائده وأشاد بها وبالقائمين عليها والمشجعين لها ، ومثل هذه الموضوعات لا نجدها في شعر القدماء وانما هي موضوعات استجدت عند المحدثين في عصرنا الحديث ومن بينهم شاعرنا وأحمد العربي وحسين عرب وفؤاد شاكر وعبد الله بلخير والسنوسي وعبد الله بن خميس .

أهمية غرض المدح :

ان القارىء لديوان الغزاوي الشعري يرى أنه أعطى هذا الغرض أهمية بارزة ، وعناية فائقة واحتل مكانة كبيرة بين أغراض شعره ، ومن خلاله يبث لواعج نفسه ، فأفاض في شعره عما يدور بداخله من أهداف سامية ينشد تحقيقها ومن يستطيع تحقيقها إلا من بيدهم الحل والعقد فخاطبهم في هذا الشأن ، فهم أقدر على تحقيق آمال الأمة .

فأشاد بالمثل العليا التي يرنو لها الشعب ، وجعلها هدفاً للأمة وجعل من أهداف

الأمة مبادىء للحكام يسيرون على هديها ويسعون لتحقيقها . وقد أيّد هذا المبدأ الدكتور طه حسين حين قال[1] :

« ليس المهم أن يصدق الشعراء ، أو يكذبوا بالقياس الى الذين يمدحونهم ، ويثنون عليهم ، وانما المهم أن يصدق الشعراء في تصوير المثل العليا فيما ينشئون من مدح وثناء ، لأن المادحين والممدوحين يذهبون وتبلى أشخاصهم ، ولكن المثل العليا التي يصدقون في تصويرها تبقى للناس ما بقي الناس » .

والمدح وسيلة يطلب بها الغزاوي تلبية رغباته وهي رغبات شريفة ليست شخصية ذاتية تسعى وراء نوال وعطاء ، إنما تسعى لتحقيق أمنية شعب يرغب ان يحكم بالعدل وينعم بالأمن ويجني ثمار العلم ويبني الحضارة ، فكلما وضعت الدولة لبنة في هذا البناء الشامخ أشاد بها الغزاوي ، ليوحي للحاكم بأن هنالك شعباً يقدر الصنيع ويعترف بالجميل ويطلب المزيد ، فهو طلب مغلف بوضع الصفة في هذا الحاكم وقد أشار الى ذلك عمر بن الخطاب بقوله :

« من أفضل ما أعطته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم »[2] .

والغزاوي قدم بين يدي ممدوحه أشرف طلب وأنبله وحث عليه وأشاد بفعله ذلك هو رسوخ العقيدة والعمل بها وما يدور في فلكها من وعي وبناء حضارة وربما صرح أمام الملك بهذا الطلب كما في قوله[3] :

حقق ـ فديتك (وحدة عربية) يجني فوائد عهدها طماحها
وصل المساعي في سبيل حياتها حتى تكلل بالحضارة ساحها
وشد المعاهد والمصانع والصوى وأزح بها ما طال منه رزاحها

---

(١) من مقال الدكتور طه حسين بعنوان « الأدب والحياة » في ملحق جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ١٨/١٢/١٩٥٣ ـ ص٢ عن كتاب جرير حياته وشعره د/نعمان محمد أمين طه ـ دار المعارف بمصر .

(٢) جرير حياته وشعره ٢٢٣ د/ نعمان محمد أمين طه .

(٣) أم القرى ع ١٢٦ ص٣ ـ ٩ ذي القعدة ١٣٤٥هـ ـ ١ مايو ١٩٢٧م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأعد لأكناف الجزيرة عزها أيام تجري بالسعود سناحها
وانهض بها نحو التقدم والعلى حتى بيمنك يجتلي مصباحها

وهذا المطلب من الغزاوي يكشف عن شخصية إسلامية وطنية تتجرد عن ذاتها وحاجاتها الفردية وبهذا أسهم في تغيير مسار اتجاه المدح فهو ليس استجداء فقدامى الشعراء كانويتكسبون بشعرهم وكانت مطالبهم شخصية يطلبون بها النوال والعطاء من الخلفاء والامراء كقول جرير (١):

أغثني يا فداك أبي وأمي بسيب منك انك ذو ارتياح
سأشكر ان رددت علي ريشي وأنبت القوادم في جناحي

فالغزاوي لم يقدم طلباً شخصياً أمام ممدوحه وانما ارتفع بشعره الى ما هوأسمى وأرفع إلى ما يخدم أمته ووطنه ونتج عن هذا الاتجاه كون الغزاوي لم يثقل ممدوحه بأحزانه وشكواه من زمانه و صائبه ، ولم يمتطِ رواحله ويسافر لطلب النوال وشكوى الفقر والعوز لأنه لم يفعل ذلك أصلاً ولأنه لم يمدح لنيل النوال ، ولكن الغزاوي أثقل ممدوحه بمطلب جماعي بما تتمناه الأمة ، وبما يجب أن تكون عليه عقيدة المجتمع ، وبما فيه الصالح العام وربما دعا الى ما فيه صلاح العالم الاسلامي .

دواعي المدح :

من خلال دراستنا للشاعر / أحمد ابراهيم الغزاوي ندرك أن عملية التأثير والتأثر تكون حسب المؤثرات والغرائز لكل شخص ونتيجة ذلك تتكون لكل فرد من البشر اتجاهات وأهداف وميول قبل سن المراهقة وبعدها وتنمو بفعل العوامل التي تحيط بها وبفعل اهتمام المجتمع والفرد بها ، فمثلاً نرى الشاعر المحب تزيد عنده الاثارة في جانب الحب لطول التفكير في محبوبته وتكون شغله الشاغل فيغلب عليه هذا الجانب وتتوارد الافكار والخواطر حوله . شأنه شأن من أخلص الحب لوطنه وأمته وحصر خياله وفكره في قضاياه فانه يغلب عليه أيضاً حب الوطن والأمة وهذا ما نجده عند شاعرنا

---

(١) المديح ٢١ لسامي الدهان ـ دار المعارف ط ٤ .

الغزاوي الذي تأثر بمجتمعه وبما حوله فقد فتح عينيه على صراع الأمة العربية ضد الاتراك ، وضد الاستعمار ، وقد رأى في توحيد البلاد على يد الملك عبد العزيز تحقيقاً لأهم مطلب لأهل هذه الجزيرة بعد أن كانت البلاد تخضع لعدد من الامراء المتناحرين المتحاربين ، فلا أمن ولا استقرار ولا علم الا بعد أن اتفقت كلمة الأمة فمد الأمن ظلاله الوارفة على البلاد ، وتعددت روافد التعليم وكلتا الحالتين شهدهما الغزاوي ورآهما بأم عينه فأحس بإحساس الأمة وأشاد بمن قاد البلاد الى الحالة الفضلى .

والغزاوي ابن الديار المقدسة وربيب مشائخها ، وتلميذ علماء الحرم المكي الشريف ، وهذا ما قوى اتجاهه الديني ودفع به الى الغيرة عليه وجعل أعماله وأقواله تصدر عن هذا الوازع ، ولما توحدت البلاد ، واطلع على المذهب السلفي الذي التزمت به الدولة السعودية في ماضيها وحاضرها ورأى من تنفيذ الدولة لحدود الشرع وإقامة العدل والأمن ، والرعاية الشاملة للمسلمين أدرك أن أمانيه وتطلعاته قد تحققت في هذا العهد بقيادة الملك عبد العزيز فأخذ يشدو بهذه الاعمال وجعلها العمق الأساسي لمضمون مدحه وقد تجلت وظهرت أو أتيح لها الظهور في التهنئة بالأعياد كعيد الفطر المبارك فالغزاوي التزم بالتهنئة بهذا العيد لسنين عديدة وكذلك المناسبات الوطنية التي يرعاها الملك أو أحد الامراء ومواسم الحج الذي يلتقي فيها المسلمون من كل صوب وحدب . فكانت الدواعي التي تثير كوامن نفسه فيتدفق شعره المعبر عن ذاته ووطنه .

رجال مدحهم الغزاوي :

أشاد الغزاوي بكل من وجده محققاً لأهداف مجتمعه ووطنه فوقف بين يدي الملك عبد العزيز ملقياً قصائده التي سجلت الوحدة لهذه البلاد وكانت ديواناً حافلاً لمعالم النهضة ثم مدح ابنه الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد والامير محمد بن عبد العزيز والامير عبد الله الفيصل وغيرهم ، مدحهم وهم يفتتحون المشاريع الوطنية وفي الأعياد ومواسم الحج وأشاد بالأمراء الذين وقفوا بجانب الملك عبد العزيز يشدون من أزره ويأتمرون بأمره .

وتناول في مدحه العلماء الذين ساهموا مساهمة فعالة في بناء المجتمع وحمايته ، وأطرى رجال الأعمال الذين بذلوا جهدهم وأموالهم في بناء المؤسسات الحضارية ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحيا طلبة العلم الذين عانوا المشقة في بلاد الغربة لينهلوا من معين المعرفة ويعودوا لبلادهم ليحملوا لواء النهضة .

مدح الملك عبد العزيز :

لقد تردد الغزاوي وتريث في أمر اتصاله بالملك عبد العزيز في بداية ضم الحجاز ، حتى يتبين الرشد من الغي ويستجلي الامر على حقيقته ، فتمهل في الامر حتى رأى الفجر قد بزغ ، والحق قد ظهر ، والنور قد سطع ، والامن قد مدّ ظلاله الوارفة والقلوب قد تآخت واجتمع شملها وتوحد هدفها تحت قيادة الملك عبد العزيز فرأى الغزاوي أن الله أراد بالأمة خيراً ، فتقدم إليه رغم لوم اللوام وتقريع الحاسدين الحاقدين كما قال في أول لقائه بالملك في مطلع عام ١٣٤٥ هـ :[١] ـ

ألا لا تلمني اليوم أن أتكلما ... فان فؤادي بالاسى قد تكلما

ويقول فيها مخاطباً الملك عبد العزيز :

إمام الهدى لا زلت للدين موئلا ... يعز بك الاسلام والعرب والحمى
فسر في طريق الرشد تجني ثماره ... قريباً فقد ما فاز من تقدما

والغزاوي يضفي على ممدوحه الملك عبد العزيز في بداية الأمر وزمن الحروب الصفات التي توحي بالقوة والهيمنة والشجاعة لما بها من أثر في نفوس الأعداء وتكون شخصية الممدوح ماثلة أمام أعينهم فيهابونها ويرهبونها فهو يقول[٢] :

يرى بها « صاحب التاجين » أمته ... تمثلت في برود الوشى والحبر
تغفى أبصارنا من فرط هيبته ... وتجتلى نصحه آياً من السور

ويستمر في الإشادة بعصامية الرجل وقوته فيشير الى انتصاره على الأمراء الذين حاربهم وقضى عليهم فجمع أمر الأمة تحت راية واحدة ، وقضى على الظلم والسلب والنهب والاستبداد فهو جدير بأن تلقى اليه المقاليد :

---

(١) أم القرى ع ٨٩ ص٤ ـ ١٧ صفر عام ١٣٤٥هـ .
(٢) أم القرى ٣٢٤ ص٢ ـ ١٣٤٩هـ .

وبمن تعززت (العروبة) وانتشت ... وجنت ثمار النصر من عماله[1]
« يا بن السعود » (أب الاسود) فديته ... ملكاً تربع عرشه بصقاله
اني لأنظم ما شهدت (حقيقة) ... لا شاعر يغريه وحي (خياله)
ان كان صقر بني (أمية) قد مضى ... فلأنت (صقر العرب) في اقباله[2]

ويقول فيها :

ثل العروش حسامه فتقوّضت ... وتمثلت تيجانها بعقاله
وحمى الثغور وصانها بأشاوس ... حمس الوغى تحذو على منواله
وبنى له ملكاً رفيعاً سمكه ... تتصرّم الآجال دون منازله

أما اعلاء كلمة التوحيد ، وإنهاض الاسلام من كبوته فذلك الهدف الأسمى الذي سعى اليه المصلحون ورآه الغزاوي متمثلاً في شخص الملك عبد العزيز فهو رجل الاسلام الذي هداه الله ورضي عنه فاتاح له الملك ، وبوأه عرش البلاد كما يقول في موسم حج عام ١٣٥٣[3] :

« مليك » تولاه الإله بهديه ... وبوأه « عرشاً » به نتنعم
ومكنه من دينه ، وأباحه ... من الارض ما أرضى وما هو يعلم
أقر له بالفضل والحزم والحجى ... وبالعدل والتقوى ، فصيح وأعجم
فلا غرو ان مالت اليه قلوبنا ... وخف اليه المسلمون وسلموا

وهذا منحى ديني أخذ الغزاوي يتجه اليه في إشادته بولاة الأمر .

وفي عام ١٣٥٤ هـ يمدحه بقصيدة من عيون الشعر المعاصر في هذا الغرض يمزج فيها الحديث عن الدين بالحديث عن الدنيا ، والحكم بالعدل والقوة والعيش

---

(١) أم القرى ٣٣٤ ص ٣ الجمعة ٩ شوال ١٣٤٩هـ ـ ٧ فبراير ١٩٣١م .
(٢) ومن هذا البيت أخذ الاستاذ / أحمد عبد الغفور عطار اسم كتابه (صقر الجزيرة) وهو الكتاب الذي كتب فيه عن سيرة الملك عبد العزيز .
(٣) أم القرى ع ٥٣٦ ص٤ ـ السبت ١١ ذي الحجة ١٣٥٣هـ ـ الموافق ١٦ مارس ١٩٣٥م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرغيد ، ويذكر له بناء هذا الكيان الكبير ، واختياره التوحيد دستوراً له ، ويشيد بقدرته النادرة في إخماد الفتن الهوجاء ، وبالسهر في طاعة الله والقنوت اليه ، ويعرج على حسن التدبير وسداد الرأي في شخصية الملك عبد العزيز[1] :

بـك ابتهج الاسـلام واختالت العرب ... وصافحك الاخلاص والنصح والحب
وحـالفـك التـوفيق في كـل رحلة ... ودانت لك الآمال واستسهل الصعب
فمـا وطئت أقـدامـك الغـر تـربـة ... وأجـدبت الا وأرغـدهـا الخـصب
ولا ائتلقت سيمـاك في كـل مـطلع ... بعيـد المـدى وإلا ولـجّ بـه العجب
وأنت الـذي شيـدت للعـرب دولـة ... هي الحلم المنشود والمطمح الوثب
وزانت بـك الدنيـا وصـح اعتـلالهـا ... وعـزّ بـك التـوحيـد وآلتـأم الشعب
فكم من صروف في الجزيرة أطبقت ... تبارى بها الأبطال والطعن والضـرب
وكم فتنـة هـوجـاء أزهقت روحهـا ... تبـادت مع الاشـرار وانفرج الكـرب
وكم سهرت عيناك في حالك الدجى ... خشـوعـاً وتـدبيـراً يسـود بـه الشعب
وكم مـوقف مـزجتـه وهـو مـظلم ... بـرأي سديـد دونـه السمـر والقضب
فـان شئت حكمت المنايـا فـأنصفت ... وان شئت اغنتـك الرسـائـل والكتب

وهو في هذه القصيدة يتناول المعاني السامية والمثل العليا لممدوحه فنجده يصور غبطة الإسلام به ، وفخر العرب بشخصيته وتحقيق الآمال العريضة لأمته ، والخير الذي جلبه لشعبه وبناءه للدولة الاسلامية ودلل على قوة بأس الملك عبد العزيز ، وإدارته الحكيمة ويجمع ذلك كله مع خشية الله وسداد الرأي وملخص القول إنها قصيدة زاخرة بالمعاني الخيرة ونحن لو قارناها بقصيدة المتنبي (البائية) في كافور الاخشيدي لوجدنا البون بينهما شاسعاً فالغزاوي تناول الفضائل التي نوهت عنها بينما المتنبي مدح كافور بالأخلاق الحسنة ، والاعتناء بالغريب والرضى والغضب ثم ينطلق الى الافاضة في الكرم والاستجداء الشخصي من النوال وطلب الامارة كما يقول[2] :

---

(١) أم القرى ع ٥٨٦ الجمعة ٥ ذي الحجة ١٣٥٤هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٣٦م .

(٢) شرح ديوان المتنبي ١ : ٢٠٥ وضعه عبد الرحمن البرقوقي الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

وأخلاق كافور اذا شئت مدحه ... وان لم أشأ تملى عليّ وأكتب
إذا ترك الانسان أهلاً وراءه ... ويمم كافوراً فما يتغرب
فتى يملأ الأفعال رأياً وحكمة ... ونادرة أحياناً يرضى ويغضب
إذا ضربت في الحرب بالسيف كفه ... تبينت أن السيف بالكفّ يضرب
تزيد عطاياه على الغيث كثرة ... وتلبث أمواه السحاب فتنضب
أبا المسك هل في الكأس فضل أناله ... فاني أغني منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفّي زماننا ... ونفسي على مقدار كفيك تطلب
اذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية ... فجودك يكسوني وشعلك يسلب

مع الملك سعود :

والغزاوي يمجد الملك سعود كما مجد أباه باسلوب باهر وافر الموسيقى ذات صور جذابة رائعة ، مشركاً الطبيعة في مشاعره وخواطره فجعلها تحس باحساسه وذلك في أول قصيدة قالها في الملك سعود عام ١٣٤٥ هـ قبل أن يتولى ولاية العهد وقد قيلت في حفلة الاستقبال التي أقيمت له في (أجياد) ومطلعها[1] :

لمن السناء أطل من (أجياد) ... فخفت اليه طوالع الاجياد
ولمن أرى الأبصار فيه تصعدت ... ترنو بصادق صبوة ووداد
وبمن تلألأ ذا البساط وأشرقت ... فيه الشموس وماس عطف النادي ؟
وعلام تسجع بالهديل حمائم ... طربت فأثر شجوها بفؤادي
لا غرو أن بسمت ثغور بطاحنا ... وتألقت ببزوغ بدر الوادي
شبل المليك (سعود) نا الشهم الذي ... شرفت به قدراً حماة الضاد

واستمر الغزاوي في مدائحه للملك سعود وأغلبها تكون بمناسبة استقباله حينما يحل في الحجاز وكان الغزاوي ضمن الوفد الذي سافر إلى الرياض مبايعاً له

---

(١) أم القرى ع ٩٥ ص ٤ في ٣ ربيع الثاني ١٣٤٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بولاية العهد حينما أعلن الملك عبد العزيز هذه البيعة وقال قصيدة بهذه المناسبة مطلعها[1] :

أجل هذه نجد فهل شاقك الرند ... وهبت صباها فاستقر بك الوجد
بلاد أباة الضيم هذي رياضها ... وهذا ولي العهد يسمو له الوفد
وثمة من حور الأماني وعينها ... مباهج لا يدنو الى حصرها العد

وقد توالت مدائحه له حتى نصب ملكاً بعد وفاة والده عام ١٣٧٣ هـ وبذلك تصدر المكانة الاولى في الدولة واستقى الغزاوي مضمون مدحه له من هذا المبدأ من ذلك قصيدته التي بعنوان « لا تحسب الشعب الا أنت مجتمعاً » ومطلعها[2] :

بأي (يوميك) هذا الشعب يبتهج ... بما رأى ؟ أم بغاد فيك ينبلج
يد تسابقها أخرى ـ وعارفة ... في اثر عارفة ـ تترى ـ وتنتسج

وفيها يقول :

فما رأيت ؟ رأيت (الغاب) محتشداً ... بالأسد ، والدوح بالأشبال يعتلج
وأمة من أباة الضيم ـ طامحة ... أكبادها لك ، بالإخلاص تختلج
ترنو اليك بها أبصارها (مقة) ... وفي بصائرها (التوحيد) يضّرج
حياك بالحب منها كل منتجز ... وكل مرتجز بالمجد ـ يمتهج
واستقبلت بك دنياها ، وقد هديت ... بالدين ـ لا شطط فيه ولا حرج

ومن مدائحه التي زاوج فيها بين المدح والعواطف الدينية القصيدة التي أنشدها بين يدي الملك سعود في حفل افتتاح المسجد النبوي بمناسبة انتهاء عمارته عام ١٣٧٥ هـ والتي يقول في مطلعها[3] :

كل شعر وان شفى في (بيانه) ... دون هذا المدى ، ودون رهانه

---

(١) وحي الصحراء ٧١ .
(٢) البلاد السعودية ع ١٩٠٥ ص ٤ في ١٣٧٤/١٢/٤هـ .
(٣) البلاد السعودية ع ١٩٧٩ ص ٣ في ١٣٧٥/٧/٣هـ .

عـظمت نـعمـة من الله تـنمـو ... فـي « سعـود » وعـصـره وأوانـه
تشـرئب الأبـصـار فيـهـا ، وتعـلو ... هـامـة المجـد ، في ذرى بنيـانـه

ويقول في الملك سعود :

عمـرك الله يـا (أبـا الفهـد) وأهنـا ... « بـالبنـاء العتيـد » واستحسـانـه
بـالـذي تـأرز الـعـبـاد الـيـه ... ويشـع « التـوحيـد » من عمـدانـه
انـه فـي الـخـلـود آيـة صـدق ... كـسـطوع النهـار فـي بـرهـانـه
«قـريـة» للسعـود تـربـو ، وهـذا ... صـرحـه المشمخـر ، في طيلسـانـه
شـاده مـرمـراً ، وغـشّـاه تبـرا ... واسبـطر (الاسلام) في (عمـرانه)

وقد كثرت قصائد الغزاوي المطولة في الملك سعود إبان حكمه اعتباراً من ١٣٧٣ هـ حتى ١٣٨٣ ، وكان يغتنم المناسبات الحولية ليلقي فيها قصائده كذكرى جلوسه على العرش ومواسم الأعياد ، والاستقبال والتوديع وتدشين المشاريع ، وعمارة المسجد النبوي في المدينة المنورة ، وإصلاح الكعبة وقد نشر أغلبها في جريدة الندوة وغيرها من الصحف السعودية .

مع الملك فيصل :

والغزاوي أعجب بالملك فيصل أيما اعجاب ، ولازمه كل الملازمة ، وصاحبه في مجلس الشورى وتتبع الغزاوي منتدياته ومجالسه حتى كان من المقربين إليه . فحينما توجه الملك فيصل الى الحجاز في مطلع شبابه ومطلع العهد السعودي عام ١٣٤٥ هـ استقبله الغزاوي بقصيدته التي عنوانها (أمير العلى) والتي يقول فيها[1] :

هكـذا المجـد فـانتهجـه مثـالاً ... وتـفـيـأ مـن دوحـتـيـه ظـلالا
وانـتض العـزم وادرعـه حـسـامـاً ... واشـحـذ الحـزم شـفـرة ونضـالا
واقـطع الغـور والنـجـود تبـاعـاً ... وامـتط اليـم واقـتـحـمـه مـجـالا

(١) أم القرى ع ١٠٥ ص ٤ في ١١ جمادى الثانية ١٣٤٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد نُشرت هذه القصيدة في عدد ١٠٥ من أم القرى عام ١٣٤٥ هـ ومنذ تلك الفترة ظل الغزاوي يصحب الملك فيصل لمدة خمسين عاماً انقطعت بوفاة الملك فيصل رحمه الله عام ١٣٩٥ هـ ، ونظراً لدهاء الملك فيصل وشخصيته المهيبة ، وحكمته ، وذكائه ، وتدبيره للأمور وحبه لوطنه وأعماله الجليلة التي عمت أرجاء الجزيرة والاتجاه الإسلامي الذي قاده ممثلاً في الدعوة إلى التضامن الإسلامي الأمر الذي غمر الغزاوي بالإعجاب بهذه الشخصية فأحبه كل الحب وأخلص له كل الإخلاص ، أخلص له في عمله ، وفي أقواله فالقارىء لشعر الغزاوي الجم في الملك فيصل يحس أن هذه المدائح نابعة من أعماق الغزاوي لما للرجل من سمعة داخل بلاده وخارجها .

ومدائح الغزاوي في الملك فيصل من الكثرة بمكان ومن الجودة أيضاً بمكان وقد أصبت بحيرة حينما حاولت اختيار نماذج منها ولكني اقتصر الأمر على قصيدة في تهنئة الملك فيصل بعيد الفطر المبارك عام ١٣٥٧ هـ ابتدأ الغزاوي رائيته بالهتاف بممدوحه معلناً تقصيره عن وصف ما يدور حوله مع حشده وجلبه للمعاني قاصيها ودانيها ، فلم يجعل أوتاره لفروع الغيد ، ولم يجذبه الجمال ، فيصيغ منه أشعاره ، وإنما أغنته خلائق الفيصل السمحاء ، عن مائسة الأعطاف[1] :

هتفت باسمك فاستعظمت أنصاري ... وراعني الوصف فاستصوبت إقصاري

وما اصطنعت المعاني فيك أغنية ... ولا جعلت (فروع الغيد) أوتاري

ولا التمست جمال العين عارية ... أصوغ منها (غداة العيد) أشعاري

أغنت خلائقك السمحاء مشرقة ... عن كل مائسة الاعطاف معطار

كأنها الشمس قد فاضت أشعتها ... من رحمة الله ـ جلّ الخالق الباري

انها أبيات بمثابة المقدمة لتفصيل أعم وأشمل للمكارم والفضائل والمحاسن التي يختص بها ممدوحه . فهو يشبه المعاني التي تفيض من أخلاق وحكم وتدبير الملك فيصل بانبثاق الأشعة الشمسية وذلك في بيته ذات التصوير الجميل :

---

(١) أم القرى ع ٧٢٩ ص ٥ الجمعة ١٠ شوال ١٣٥٧هـ ـ ٢ ديسمبر ١٩٣٨م .

كـأنهـا الشمس قـد فـاضت أشعتهـا من رحمـة الله ـ جلّ الخـالق البارئ

ويورد فيها صورة أخرى جميلة توحي بأن الملك فيصل هذا الكوكب الساطع في سماء الغزاوي :

فمـا تجـلت لي الآفـاق مـن كثـب الا و« فيصل » فيها الكوكب السّاري
ولا عهـدت لـه في الحكم من مثـل حاشا « المليك المفدى » منذ أعصار

ثم يتحدث عن منزلة صاحب هذه المكانة الشامخة في القلوب ويقول بأنها منزلة يحدوها الحب والإعجاب والإكبار لتتناجى به وترتاح له ويطنب حيث يطيب الإطناب في هذه الجزئية المعنوي :

تهفـو إليـك قلوب فيـك شـائعـة مـا بين حبّ ، وإعجـاب واكبـار
ودّت من الشوق والإخلاص لو خلقت فيهـا العيـون ، ولم تحجب بأستـار
كـأنمـا كـل قلب أنت فيـه هـدى أو أنـك الضـوء في هـالات أبصـار
فـمـا تـراءى لـنـا الاّ بـه حسـن ولا تـرقـرق ظـل فـوق أزهـار
في كـل موطن نجـوى قد حللت بـه خـواطـر ملكت جهـري وإسـراري

ومع كل هذا الوصف يكرر اعتذاره فمهما أُعطيت من ملكوت الشعر ومواهبه فانها تتحسر أمامك ذاهلة عاجزة :

تجاوزت ملكوت الشعـر فانحسـرت عنهـا القوافي ـ وفـاتت كـلّ مضمـار

ويسترسل في تعداد أعماله عن طريق الإستفهام التقريري الذي يوحي بواقعية الأمر وثبوته وزاد من حسنه وجماله وإيحائه تكراره الطريف لهذا الاستفهام :

يـا ابن الذي أعـاد لـلإسـلام رونقـه بـيـمـنـه ـ وتـجـلّى ـ بـعـد إدبـار
كم خضت معـركـة في الله مبهمـة وكـم تحـدّيـت من طـاغ وجبـار
وكم قـطعت إلى الغـايـات من أمـد وكم تجشمـت من هـول وأخـطار
وكم طـويت الفيـافي وهي مجـدبـة وكم تكبـدت من سـهـد واسفـار

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى استقامت لك الآمال صاغرة وأذعنت بعد أحداث وأطوار

ثم انظر معي الى اللوحة الفنية التي يقدمها هدية بين يدي ممدوحه فهي مملوءة بالصور الجميلة التي تسر الناظرين وتخلب الألباب وتنقل الحواس من مشهد إلى مشهد كأنما تطالع مسرحية تعرض :

فاشهد صحائفك الأولى مذهبة كأنما تبرها من ذوب أقمار
إذا تلألأ لفظ في جوانبها حسبته لؤلؤا في شنف أسطار
وأنظر اليك جموع الشعب مطبقة من (بطن مكة) تحكي زحف جرّار
تزجي التهاني وقد راقت مشعشعة كأنها قبس من زندك الواري
مشت اليك بها (البطحاء) في حلل كادت تكلم من بشر وإيثار
كأنها ونسيم الصبح منطلق شذى الورود تهادى غبّ أمطار
كأنها وجلال الملك متسق نصر تحدّده الذكرى (بذي قار)
كأنها وهي في الألحاظ ناطقة مطامح بك قد نيطت بتيار
كأنها والأيادي البيض مونقة شكر تصاعد من أعماق أبرار[1]
كأنما الرّوض منها بعض ما اشتملت أخلاقك الزّهر أو إحسانك الجاري

ويحسن بنا أن ننوه الى المزاوجة بين المدح والطبيعة عند الغزاوي لم تكن أمراً جديداً مبتكراً فقد سبقه إليه البحتري الذي اشتهر بهذه المزاوجة كقوله يمدح الفتح بن خاقان[2] : ـ

عش حميداً ! فما نذمّ زماناً جارنا فيه فعلك المحمود
أخذت أمنها من البؤس أرض فوقها ظلّ سيبك الممدود
ذهبت حدّة الشتاء ، ووافا ناشبيها بك الرّبيع الجديد
أفق مشرق ، وجوّ أضاءت في سنا نوره الليالي السّود

(١) لو استعمل أو أنها لسلم من التكرار ولكانت عامل مساعد في الربط أما كأن فتشعر بالفصل .
(٢) الشعر والشعراء في العصر العباسي ٧١٣ د/مصطفى الشكعة .

وكـأن الـحـوذان والاقـحـوان الـ جفـن نـظمـان : لـؤلـؤ وفـريـد

ونرى أن الغزاوي لوّن صوره بالوان مختلفة ، من الذهب والجيوش الجرارة الى جانب الطبيعة بينما البحتري اختصت صوره بالطبيعة .

ثم يختم الغزاوي قصيدته في الملك فيصل بشآبيب من الدعـاء له ولأبيـه وأسرته :

فـأهنأ فـأنت (لعيـد الفـطر) غـرّتـه مهمـا تـداول مـن صـوم وإفـطار
وعش سعيـداً مـع التـوفيق في ظفـر يـحـوطـك الله فـي ورد وإصـدار
وليحمي «حامي حمى التوحيد» قدوتنا «عبد العزيز» أبوك الضيغم الضاري[1]
وعـاش أشبالـه الابـطال ألـويـة خـفـاقـة بيـن أنـجـاد وأغـوار
ثم الصـلاة على الهـادي وعتـرتـه في كـل عيـد وتمجيـد وتـذكـار

وما أطلت وقفتي عند هذه القصيدة الا لأوضح منهج الغزاوي في مدحه ومدح الملك فيصل بخاصة .

ومن خلال دراستنا لغرض المدح في شعر الغزاوي نتبين في هذا الغرض أموراً :

١ ـ شعر الغزاوي المدحي أصبح كشعر غيره من شعراء العصر يمثل الأمة التي يعيش فيها الشاعر وأصبح صوته يعبر عن مطالب المجتمع المحيط به والأمة التي هو أحد أفرادها يمثلها في أمانيها وآمالها ومعتقدها وأفكارها .

فالشاعر في العصر الحديث لم يعد ذلك الشاعر في العصور السابقة يعرض بضاعته ويطلب لها ثمناً يتقاضاه لقاء الثناء والمدح لمن قدم له الأجرة كما يقول جرير :

سـأشـكـر ان رددت عـليّ ريـشـي وأنبـتّ الـقـوادم فـي جـنـاحـي

---

(١) فيه اقواء ويخفف الأمر في هذا أن حركة الرفع لا يمكن ظهورها فالحركة مقدرة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا ذلك الشاعر الذي يهجر الشعر لأنه لا يجد كريماً يقدم له ثمن هذا الشعر أو يشتريه كما يبين لنا ذلك ابن منير الطرابلسي[1] راداً على من سأله عن سبب هجرانه للشعر :

قالوا هجرت الشعر قلت : ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق[2]

وانما أصبح الشاعر نتيجة لما طرأ على الحياة والمجتمعات من تطور وما طرأ على وسائل الإعلام من تقدم أصبح ابن المجتمع والأمة يعاني مما يعانيه الناس فيشعر بشعورهم ويحس بما يحسون ويشاركهم في الرأي كما أن الشعر لم يعد تلك البضاعة الرائجة ولم يعد له مشتر يقدم الثمن لقائله ولم يعد الممدوح يحفل بالشاعر أو يخاف منه لأنه قد يقطع عنه مدائحه كما يقول بشار[3] :

فان تعطني أفرغ عليك مدائحي ... وان تأب لم يضرب عليّ سداد
ركابي على حرف وقلبي مشيع ... ومالي بأرض الباخلين ركاب

من هذا المنطلق نعود إلى فكرة المدح عند الغزاوي فشاعرنا ليس طالب منصب أو جاه أو مال ولا يريد من ممدوحه أن يقربه منه لقاء مدحه وإنما كان إقراراً للحق ، واعترافاً بفضل من يخدم الأمة ويسعى لبناء حضارتها ليكون هذا المدح تشجيعاً لهم ودافعاً لطلب المزيد من العطاء الخير للأمة وهذا هو منهج المدح عند شعراء هذه البلاد منذ قام الإمام محمد بن عبد الوهاب بدعوته في منتصف القرن الثاني عشر الى هذه الايام .

---

(١) أحمد بن منير الطرابلسي ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ومعظم شعره في كتاب خريدة القصر وجريدة أهل العصر للعماد الأصفهاني .

(٢) خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام ـ ج١ ط مجمع اللغة العربية بدمشق ترجمة ابن منير الطرابلسي .

(٣) المديح سامي الدهان ٥١ ـ دار المعارف بمصر .

ولا يمكن لباحث في شعر الغزاوي أن يعثر ولو على بيت واحد يطلب فيه النوال بل سيجد أن الغزاوي يمثل في مدائحه المعترفين بفضل من يحقق للأمة آمالها ويسعى لجعل الأماني حقيقة واقعة . وهو بثقافته يمثل عقيدة الأمة الاسلامية وغيرتها على معتقدها وذلك لأن الأمة الإسلامية استيقظت في العصر الحديث لتجد نفسها في مجتمع دولي متصارع يكيد للإسلام فأدركت الحاجة إلى اتحاد العالم الاسلامي والعودة الى النهج الإسلامي ؛ والغزاوي كفرد مسلم يعيش في أمة مسلمة وجد من الدعوة للأخذ بالعقيدة الاسلامية حافزاً يدفعه بحماس للغيرة على الإسلام وعلى الأمة التي يحيا بينها وعلى الوطن الذي يعيش بين جنباته فمجد في شعره ومدح من أخذ على عاتقه توحيد الأمة ـ كما في مدحه للملك عبد العزيز رحمه الله ـ الذي وحد البلاد وأقام فيها شريعة الله التي هي أقدس هدف تسعى له الأمة الى جانب أملها في توحيد الأمة العربية[1] :

(وحدة العرب) في السياسة نصر ... وهي في (الشرق) معقل للسلام
يستوي بينها (الحجاز) و(نجد) ... وبنو (مصر) أو قطين (الشام)
وبنو (الرافدين) و(الأرز) والأردن ... و(صنعاء) تبّع و(شبام)
وبنو عمنا وراء الصحارى ... أينما استعبرت جفون الغمام
أمة للحياة تنقضّ نشوى ... من شباب ومن شيوخ كرام
(الملايين) في (الثمانين) منها ... جلّ فحصي العباد في الأرقام
أثرنا (الفتات) أم نحن (شمل) ... لجّ (رضوى) بأنه في التئام

هذه هي الآمال وهي بواعث المدح لمحققيها .

٢ ـ اعتمد الغزاوي في مدحه للحاكمين وأولياء الامر على تحقيقهم لأماني الامة ورفعة أمجادها وعملهم على إعلاء مكانة الدولة والأمة بين الدول والامم والعمل على التعامل مع الدول الأخرى بما يحقق الرفعة ويعلي شأن الأمة بين بقية الامم .

---

(١) أم القرى ع ١٠٨٠ الجمعة ١١ ذي الحجة ١٣٦٤ هـ ـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٤٥م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعهدها « عبد العزيز » فأثمرت بآلائه أغصانها وجذورها
فما العرب لولا الله ثم سيوفه سوى فرق أعيا الوئام ـ نعيرها
رعاها فمد العدل فيها سرادقاً تلوذ به أكبادها ونحورها
ووطد فيها الأمن حتى كأنما حرام فيافيها ضمان نفورها

٣ ـ والغزاوي لم ينس في شعره أن ينقل لنا صورة احترام الناس لممدوحيه واستقبالهم لهم وتجمعهم من كل فج عميق وانتظارهم واحترامهم وتبجيلهم لهؤلاء الملوك الذين جسدوا آمال الأمة في أعمالهم كل ذلك ينقله لنا بأمانة مبتغياً بذلك إظهار المكانة العالية لملوك هذا البلد في قلوب المواطنين يقول[1] :

لمن ـ الوفود ـ تفيأت بظلاله وتدثرت حلل السنا بنواله ؟ !
ولمن تهافتت القلوب وقد رنت كل العيون ـ مهابة لجلاله ؟؟
ولمن تنافست الأكفّ وزاحمت هذي المناكب بعضها بمجاله ؟؟
ولمن تنشرت البنود ـ وصففت تلك الجنود ـ ونافرت بفعاله ؟؟

٤ ـ وشعر المناسبات يغرس القيم في المواطنين وينشر الوعي ويخاطب عواطفهم لتوحيد كلمتهم وآمالهم ، ويكون عاملاً من العوامل التي تجمع بين اتجاهات الحكام واتجاهات المواطنين .

وشعر المناسبات سجل لتاريخ الأمة ، بواطنه ، وظواهره ، ومطالبه ويسجل تطوره وتطور مضامينه ، وهو يسجل تاريخ النهضة العمرانية ، والزراعية والصناعية ، والاتجاهات العقائدية ، ويزهو بالتقدم العلمي وبناء الجامعات والمعاهد ويرسم حب الأرض وارتباط الناس بأرضهم ووطنهم ليقدموا له العطاء ، ويبادرهم بالخيرات ، ويوثق الصلة بالتراث وثروته ، ويجعل منه نبراساً يحتذى ويصهره في قالب معاصر ليخرج الزبد ، ويبقى المفيد .

وهو كما يستنهض الهمم ، ويرفع مطالب الشعب ، ويرسم للقادة مثل الناس

---

(١) أم القرى ع ٢٣٤ ص ٣ الجمعة ٩ شوال ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١/٢/٢٧م .

العليا فانه أيضاً يعاهد القادة باسم الأمة بأن يسيروا خلف القيادة الحكيمة الواعية التي تراعي مصالح الرعية ، وتسعى للبناء .

وشعر المناسبات يخاطب أغلب الناس وأهدافه جماعية تتكون تجاربه من تحقيق رغبات إنسانية جماعية ، ويكفي بأن يقف الشاعر على مشروع عملاق يخدم المصلحة العامة فيتصور الفوائد المجنية ، والعزائم القوية وراء بناءه ، فيجهر بصوته عالياً فليعمل كل حاكم بمثل هذا العمل وإن الوطن ينشد إخلاصاً كهذا الإخلاص وإقداماً كهذا الإقدام .

وشعر المناسبات يمثل النظرة التفاؤلية والامل الباسم للحياة فيعطي الثقة للحاكم ، ويصور الأعمال بصورة حسنة للشعب .

وهو سلاح ذو حدين يدفع بالحاكم الواعي إلى الأمام ، وربما غرر بالحاكم الطاغية أو الخامل فواصل تكبره وتجبره وخموله إن كان خاملاً .

ومن إلقاء نظرة فاحصة على شعر المناسبات ، فإنه يمثل القيم السائدة في كل عصر ، ففي الجاهلية نراه يرفع الكرم والشجاعة لأنهما عماد القيم العليا في الجاهلية ، وفي العصر الإسلامي نراه يمثل التجاوب والإيمان بالدعوة والرسالة المحمدية ، ويُقبّح الكفر والعصيان ومحاربة الدعوة ، ويدعو إلى الإقدام في سبيل الله ويمجد القادة الفاتحين .

أما في العصر العباسي فان مثله العليا تتجلى في الحكم بالشرع الإسلامي وأن الخليفة أمين الأمة وراعيها وحاميها .

وفي العصور الأخيرة نرى المثل الجماعية تمثل القيم العليا من نصرة الإسلام وتطبيقه ، وتحقيق أهداف وآمال الأمة من بناء المشاريع ، وتطور النهضة والارتقاء بالشعب ، وتعبيد الطرقات وبناء المصحات . من هذا ندرك أنه يمثل الاتجاهات الوطنية لكل عصر من العصور ونستطيع أن نستخلص منه صوراً لكل حضارة من الحضارات ، ولكل اقليم من الاقاليم ويعكس مدى تقدم الأمة ووعيها ، وترابطها وتفككها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وشعر الغزاوي وليد المناسبات الوطنية التي تقام أو المناسبات والأعمال التي يقوم بها أولوا الأمر فالغزاوي لم يكن كالشعراء القدماء يقف على الأبواب بانتظار الدخول ليقدم الولاء ويطلب النوال ويقول المدح وإنما كان يجعل من كل مناسبة وكل عمل فيه نفع للأمة وتحقيق لآمالها سبباً يستغله ليشدو فيه بمدائحه مخلداً مآثر الممدوح الفاضلة :

حقق ـ فديتك ـ (وحدة عربية) يجني فوائد عهدها طماحها
وصل المساعي في سبيل حياتها حتى تكلل بالحضارة ساحها
وشد المعاهد والمصانع والصوى وأزح عما طال منها رزاحها

٥ ـ أما الأسس التي تكون عناصر مدح الغزاوي فقد بناها على تصوير شخصية الممدوح فجعل منه موحداً للأمة ، حامياً لها ، ذائداً عنها ، ناشراً للأمن فيها ، بانياً لحضارتها ، تقياً ورعاً ، حاكماً بما أنزل الله حصناً للدين ، ومارزاً له . جامعاً لكلمة المسلمين ، حانياً ، عطوفاً ، ثم يذكر أعماله التي أنجزها ويبرر براعته وقوته وعزائمه في إنجاز المشاريع العامة .

وقد استمد مدحه من طبيعته المتدينة ، ومن أعماق تراثه ، ومن طبيعة مكة المكرمة ومكانتها المقدسة فبنى صوره المدحية على القصص القرآني وتعبيراته المؤثرة ، والقصص الإسلامي ، والمعارك التاريخية ، واستشهد وشبهه بكثير من الشخصيات الاسلامية .

٦ ـ ومن خلال اطلاعنا على شعر الغزاوي نجد أنه لم يثقل على ممدوحه بما يلاقيه من العناء والمشقة وما يعيش من أحزان ولا يشكو له الزمان ومصائبه وأثقاله ولم ينتقل إلى ممدوحه ويتجشم من أجل ذلك الصعاب حتى يجزل له الممدوح العطاء وإنما كان يطرق أغراضه مباشرة ويصرح للممدوح أن سبب المدح هو هذه القضية أو العمل الذي قام به الممدوح وهذا هو شأن الشعراء في العصر الحديث .

هذه هي مجمل ملاحظاتنا عن شعر المدح عند الغزاوي فالكرم والشجاعة وعلو النسب والتقوى والورع والعمل للإسلام والنهوض بالأمة واشادة أمجادها

وتحقيق آمالها وأمانيها والعمل بعقيدتها أسس اعتمد عليها الغزاوي في شعر المديح :

فغدت بلادك بالهدى ـ محروسة ... يحمي حماها الواحد المعبود
فكأنما هي « جنة » وقطوفها ... « الدين » و« الإسلام » و« التوحيد »

الوطنيات

إن الوطن رباط عريق ، فله ماضيه وتراثه ، وله حاضره ومستقبله وله اتصال بالعقيدة ، والأرض ، والعادات والتقاليد ، ووحدة الشعور والفكر تجمع بنيه أرض واحدة ، وأشكال متقاربة ، كونهم بيئة واحدة وظروف متشابهة فيكون هدفهم واحداً وغايتهم واحدة ، وآمالهم واحدة لذا فإن أفراد هذا الوطن يشعرون بشعور واحد تجاه الأمور الأساسية التي تنهض بهذا البلد ، ويجمع كلمتهم ويفتخر كل منهم بانتسابه لوطنه ، فيفخر بمفاخره ويعتز بأمجاده ويسر بخيراته ويتألم من المؤثرات الخارجية ذات الأهداف الشريرة .

من هذا الإحساس الجماعي بالوطن فإن خير الشعراء من رأيناه ينتمي لوطنه ويحس بإحساسه ، ويعالج مشاكله ، ويدافع عنه ، ويشيد بأمجاده .

وأبناء هذه البلاد يشعرون بوطن عريق في امجاده ، حباه الله من الفضل الكثير وخصه بميزات تمس شغاف القلوب ، وتقنع بها العقول ، فهذا الوطن مهبط الوحي ، فيه بيت الله الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وأفئدة الناس تهوي اليه وقال تعالى ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات . . . ﴾[1] .

أضف إلى ذلك بأن هذا الوطن منبع الأمة العربية كلها فمنه تدفقت حينما اعتنقت الدين الاسلامي وحملت رايته .

والشاعر أحمد ابراهيم الغزاوي ، ابن هذا الوطن وابن مكة ، أعظم وأفضل

(١) سورة ابراهيم آية رقم ٣٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مكان في العالم ، فعاش على حب هذا الوطن ، وحب أهله ، يرجو له كل خير ويحس بإحساسه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فهو وليده البار وقلبه النابض .

واستطيع أن أقرر أن جل شعره الرصين يهدف إلى هذا الهدف السامي فهو إن مدح مدح بما يعود على الوطن بالخير ، فمدح أولئك الذين ساهموا مساهمة فعالة في بناء هذا الكيان ، ومجد أولئك الذين يضعون لبنة من لبنات التقدم والازدهار، أضف إلى ذلك حديثه عن وطنه الذي لا حدود له فهو متلبس بهذا الوطن وبأرضه وعقيدته وأفراد مجتمعه .

ومن أول قصائده الوطنية بيعته التي بعنوان « هذا هو الشرق » والتي نشرت في جريدة أم القرى شوال عام ١٣٤٧ هـ وقالها رداً على كلمة شاعر الانكليز الأكبر كبلنج حينما قال : ـ الغرب غرب والشرق شرق ولن يجتمعا، فأصبح لها صدى في البلاد العربية وزاد من إثارتها أن الشاعر زار البلاد العربية وكتبت عنه الصحف وعلقت على كلمته كثيراً فقال الغزاوي هذه القصيدة التي مطلعها[1] :

لا (الشرق شرق) ، إذا ما ثارت الهمم ... كلا ، ولا (الغرب غرب) يوم يصطدم

ولكنها (سنن التكوين) ثابتة ... على العصور ، فلم نحفظ لها ذمم

أجل ، تقهقر هذا (الشرق) فانغمزت ... قناته ـ بعد أن صالت بها الأمم

وآندك (مجد بنيه) ، منذ أن غفلوا ... عن « الحياة » وزلت منهم القدم

وأبان عن أسباب اندثار هذا المجد حينما اجتنبوا الأخلاق الفاضلة ، افترقت كلمتهم وفشت بينهم الخرافات وتزاحمت في نفوسهم الأوهام وأصيبوا من جراء ذلك بالأدواء الفتاكة ، واعتراهم الجهل والفقر فلم يبذلوا الجهد للبس الخز ولم يحملوا السيف لنيل المجد ، ولم يكدحوا لطلب العلم بينما الأمر مختلف جداً عند الغرب فقد ازدهرت المصانع ، وساد النظام والاستقرار لما نهله من العلم أحقاباً ، ولما سار عليه من فكر نير فحلق في الفضاء ، وعبر البحار على أحدث الآلات وأتقنها .

---

(١) أم القرى ـ شوال عام ١٣٤٧هـ .

كما يقول :

تقاصروا عن طلاب (المجد) في زمن ... أولى بهم فيه أن يجري لهم نسم
وخالفوا فطرة (الخلاق) وافترقوا ... فسامهم كل خسف من رقى بهم
فشت بهم من (خرافات) الألى نقموا ... عليهم الجد أوهام هي الوهم
واسترسلوا في غطيط النوم فاندحروا ... منذ استوى فيهم الأحياء والرمم
حادت عن (المثل العليا) جماهرهم ... حتى تشكى ألواناً من صدها السأم
تسمم الشرق بالأدواء فاتكة ... بجسمه واعتراه الجهل والعدم
ما كان أخلقه والقاطنين به ... أن لا تحل بهم من ربهم نقم
تدثروا (الخز) لا أيديهمو نسجت ... وحاولوا (العز) لا سيف ولا قلم
بينما نرى (الغرب قد جاشت مصانعه) ... واكتظ بالقوم ضمت شملهم نظم
ترشفوا (العلم) أحقاباً مسلسلة ... يد صناع وفكر ناضج وفم
قد زاحم الطير في أجوائها سنحاً ... فلا البزاة تعنيه ـ ولا الرخم
تعلو (المناطيد) بالركاب حاملة ... (متن السحاب) وتدنو حيث ترتسم
ما هالها (الموج) في الآذيّ مصطخباً ... ولا التدهور في المهوى ولا العصم
وفي البحار أساطيل لها زبد ... يعبس اليم منها وهي تبتسم
وفي الجبال من الأنفاق زمجرة ... إذا (القطار) تولى وهو يضطرم
يخاطب الغرب أقصى الشرق في سعة ... بنصف ثانية هذا هو الحلم

وبعد أن أبان عن حالة الازدهار والتقدم العمراني والصناعي في الغرب ولهم الحق أن يفخروا . يعود الى أمجاد الشرق ليذكرهم بها علّها تستنهض الهمم فيتساءل أين العهود الزاهرة في الصين الهند والهرم أين مفاخر العرب وما شيدوه من أمجاد واستنبطوه من علوم فكان مصدر الأنوار وفيها العدل قد استقام :

يا شرق أين عهود فيك زاهرة ... (الصين) جاوبها و(الهند) والهرم
أين المفاخر في مغناك شيدها ... أبناؤك (العرب الأمجاد) والعجم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ماذا استضامك بعد التيه فانقلبت ... بك الدهور وأبلى مجدك القدم ؟
ألم تكن مصدر الأنوار مشرقها ... (شمس) و(علم) وأخلاق لها دعم ؟
هل خانك الجد حتى بت ذا غصص ... أو غالك الجد أو غاضت بك الأكم
فيك الحضارات قد شابت ذوائبها ... وفي ذراك استقام العدل والكرم
وقد خلعت على الأكوان بردتها ... أيام تنهكها الغارات والظلم

ثم يتعجب كيف يمم الشرق شطر الجهل متعسفاً ؟ حتى سامه الضنك ألم يصده العلم ، وكيف أصبح محدق به الضيم ، والضعة والضعف والظلم ؟ وكيف أضحى إحدى الآلات في يد الغرب ؟

إن ما أشاد صرحه الآباء لم ينفع الأبناء إذا لم يتصل الجد والعمل بل ربما خرب الأبناء ما عمّر الآباء وهذه سنة التكوين كما أرادها الله :

فكيف يممت شطر الجهل معتسفاً ... ضنك الخطوب وأين العلم والعلم ؟
وكيف أصبحت في (ضيم) وفي (ضعة) ... ترعى الوبال وفي أشداقك اللجم؟
ألم تكن صاحب التثقيف في أمم ... ظلت بسعيك في الآفاق تحتكم
لم ترع فيك عهود الفضل واستبقت ... اليك (تحصد) ما شاءت وتقتسم
ولا تذكر للشرق المديل يداً ... وإنما هو (اهراء) ومغتنم

ويختم قصيدته بنداءاته الصارخة للشرق بأن يكتفي بما لاقى من عنت ويجلو عن وجهه الظلم ويفيق من غفوته الطويلة ، فيشمر ، وينهض ، ويذلل كل صعب في سبيل المعالي ، فيسعى جاهداً للتعليم بجميع فنونه وألوانه ويعتصم بالدين ويقتبس التمدن السليم . فالأخذ بهذه يبطل مقالة واهانة « كيلنغ » الذي اعتذر منها ويدعو الغزاوي الشرق أن يعبر كل فرد منه جزءاً مكملاً لهذا الكيان ، فيضع يده في مجتمعه ليصل الى الغاية المنشودة والأمل المرجو :

يا (شرق) حسبك ما لقيت من عنت ... أفق فإنك بعد اليوم مقتحم
شمر ذيولك و(انهض) لا تكن خولاً ... ولا يصدك عن درك العلا حمم

وواصل السعي في (التعليم) مقتبساً ... خير الفنون وإلا مضك الألم
واختر لأهليك ما ترجى منافعه ... فأنت بالدين و(التمدين) تحترم
وقل (لكيلنغ) أما جاء معتذراً ... هذا هو الشرق لا ما قلت أو زعموا
وارهف عزائم من أبنائك اتكأوا ... على الأرائك يعلو فوقها القتم
واشدد أواخيهم وآسلك بهم جدداً ... فثم يرويك فيها البارد الشبم
واجلب بخيلك وأرعد كلما نجمت ... قرون شر طواها سيلك العرم

وقد تحدث في هذا الموضوع بعض الأدباء السعوديين منهم الشاعر محمد عمر عرب الذي قال قصيدته بعنوان (الشرق المستكين) ولكن تناولهما للموضوع مختلف فالغزاوي كما هو واضح اتبع عمود الشعر العربي ، فالبحر واحد ، والقافية واحدة وبناء القصيدة متماسكة ، أما قصيدة محمد عمر عرب فقد نهجت منهج المدرسة المهجرية من حيث التنويع في القافية وطريقة الأسلوب الاستفهامي ، والإيقاع والأنغام ، والاعتصار والتألم ، والمعاناة الذاتية وفيها يقول[1] :

يا شرق هل نفدت قوا ... ك وهدك الخطب الكبير ؟
أم قد جبنت عن النضا ... ل وهالك الرزء الخطير ؟
بالأمس كنت مناضلاً ... تبغي الصدور أو القبور
تسعى إلى العلياء لا ... تخشى مناوأة الدهور
بالأمس كنت ورائدك الـ ... إقدام يهديك الطريق
واليوم فل مضاءك الـ ... حدثان هلا تستفيق !!

ولكن يجمع بين الشاعرين الأمل في هذا الشرق وانه سيستعيد قوته وينهض من كبوته ، وينفث غبار الخمول والكسل والفرقة .

ومن القصائد الوطنية التي تدفقت بها شاعرية الغزاوي قصيدته التي بعنوان « لا خيب الله ظني في بني وطني » والتي نظمها بمناسبة الشروع في تأسيس جمعية

(١) وحي الصحراء ٣٦٤ جمع محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطيران عام ١٣٤٩هـ والتي مطلعها[١] :

اليوم تسمو ـ مع الأحياء ـ دنيانا وترتجى (نهضة الأوطان) جدوانا
واليوم نقض ديون (المجد) وافية لأمة رفعت للعلم بنيانا
لا ينهض (الشعب) بالدنيا يصورها محض الخيال ـ أساطيرا وألوانا
ولا يركز فوق النجم رايته إلا إذا هو ضحى النفس قربانا

وفيها يمازج بين العهد الإسلامي الزاهي القديم الذي أشرق على الكون بنوره وبين العهد الحاضر الذي يحتاج إلى بذل الجهد من أجل النهوض بهذا الوطن فيقول : ـ

ماذا يحول بنا عن درك من جعلوا أفق السماء إلى الغايات ميدانا
لا خيّب الله ظني في بني وطني الناهضين زرافات ووحدانا
فهم أولئك أبناء الألى برزوا من الجزيرة أشياخاً وفتيانا

ومن ذلك قصيدته التي بعنوان « ألا لا يفخرن أحد علينا » التي نشرت بعد قصيدته السالفة الذكر بأقل من الشهر وهي تدور حول الاكتتاب في شركة الطيران مساهمة من الأفراد لبناء المؤسسات التي تخدم الوطن[٢] : ـ

دعا الداعي ـ فلبته الجموع وحان الجدّ ، واحتدم الشروع
ونافس كل ذي سعة أخاه وأبذل جاهد ، ما يستطيع
تباروا في (اكتتاب المجد) حتى تبلّجت ، المطامح ، والربوع

وفيها يقول : ـ

ألا ـ لا يفخرن ـ أحد علينا فانّ كياننا أبداً منيع
أخذنا في (النهوض) وما انثنينا وسرنا في الطريق ولا رجوع
وآلينا (الحياة) بكل باب نفتحه ـ وما منا جزوع

---

(١) أم القرى ع ٣١٤ ص ٣ في ١٨ رجب ١٣٤٩هـ .
(٢) أم القرى ع ٣١٧ ص ٣ الجمعة ١٣ شعبان ١٣٤٩هـ ـ الموافق ٢ يناير ١٩٣١م .

وأقسمنا على أن لا نبالي بما يعرو (التقدّم) أو يروع
ونجري (شوطنا) ونعيد عهداً به طاب التحدّث والشيوع
زمان ، (الناس) مرتعهم وبيل من الدنيا ، ومغنانا مريع

والغزاوي ابن الحجاز الذي أحبه وأخلص له فهو وطنه ومهبط الوحي وهو قبلة المسلمين ، فكما أن الأفئدة تهوي إليه فإنها تحمل معها متاع الدنيا من الأموال فأهله في عز دائم ، ولا خوف عليهم من خصاصة العيش لما حباه الله من فضل فهو أطهر بقاع الارض وهو آمنها ، وهو أغناها فهو يعتز به فيقول[1] : ـ

أما « الحجاز » فلن يخاف خصاصة العيش كفو ـ والأديم حرار
وعد من « الله الكريم » ! مصدق بالأمن تجبى حوله الأثمار
ما راعه خوف وكلّ مدينة في الأرض يعصف فوقها إعصار
فمن (الجنوب) إلى (الشمال) مفاوز يمضي إليها التجر ـ وهو نضار

والغزاوي مرتبط بأمجاد وطنه في العهود الماضية محباً لتراثه مفتخراً بأمجاده وبطولاته واضعاً منها نجوماً يهتدى بها في ظلمات الأرض فقومه فتحوا البلاد وحطموا أعظم القوى بفضل عقيدتهم : ـ

رجال يرون الموت فيه بقاؤهم وكل امرىء منهم له فيه مغنم
فما لبثوا إلا قليلاً فأقبلت عليهم كنوز الأرض من حيث أقدموا
أباحوا حمى (كسرى) وألووا (بقيصر) وحاق به منهم خميس عرمرم
فهل كان إلا في القلوب سلاحهم عقائد منها الراسيات تحطم
عقائد من دين ـ تكاد من السنا تشق عباب الأفق والأفق مظلم
بها جاهدوا في الله حق جهاده ودان لهم فيها فصيح وأعجم

وهو يستمر في هذه القصيدة على هذا النهج الإسلامي الوطني ويمدح أولئك

---

(١) أم القرى ع ٩٢٣ ص ٣ الجمعة ٢٣ شعبان ١٣٦١هـ ـ ٤ سبتمبر ١٩٤٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأبطال الذين امتطوا صهوات خيولهم فدانت لهم الدنيا وليس لهم سلاح إلا العقيدة . ثم ينظر بواقعية لأهل زمانه من المسلمين فيتألم ويتأثر فيظهر ذلك على نفسه وجسمه فيقول : ـ

وكم قائل ما بال (أحمد) شاحباً ... ولو علموا سرّ النحول تألموا
وما بي هوى أشكو عقابيل بثه ... ولا هو من دأبي ولا أنا مغرم
ولكنني أهفو وأهتف داعياً ... إلى الله لا ألغو ولا أتجهم
شفيعي إليه أنني فيه مخلص ... وفي خير ما يرضى به أترنم
أأملك أن لا يهرق الشجو عبرتي ... إذا اختال من إردانه المتنعم
وأرسل آهات تليق بعاجز ... قصاراه من وحد شراب ومطعم

وكل هذا النحول والهتاف والآهات بسبب وضع الأمة الإسلامية وما يحدق بها

يرى الخلق أشتاتاً تعادي كأنهم ... ذئاب وغربان تحوم وتهجم

وفيها يقول : ـ

فكيف منامي ، والرعود قواصف ... وكيف ملامي ، والسحاب مركم
لقد ذبت من وجدي وآليت أنني ... على العي والاحياء لا أتكلم

ثم هو يبوح بما فيه صلاح أمته ونصرها :

أبوح بما فيه صلاح ـ لأمتي ... ونصر لديني ـ كيفما أنا ألهم
وتسهدني فيكم اذا الليل ضمني ... خوالج أضلاعي بها ـ تتكلم

وهو يخاطب جنود الوطن الذين شهدوا الاحتفال والتكريم ويلهب فيهم الحماس الوطني فيعدد أهداف الأمة ، ويذكر الثورات والتهديد الحربي المحدق بهذه الأمة فيطلب منهم الاستعداد وحمل السلاح واكتمال الفتوة العسكرية .

فيا نخبة نزهو بها في احتفالنا ... ونمنحها التكريم فيمن تكرّم

ألا إنمـا أهـدافنـا اليـوم جمـة ... ومن حـولنا الأكـوان تكـوى وتضـرم
تـزلـزل بـركـانـا وتهـوى نيـازكـا ... وتنصب فيهـا بـالعـذاب جهنم !!!
تنـافس في علم هـو الجهـل عينـه ... وللجهـل في بعض المـواطن أحـزم
ومـا الجيش إلا في الشعـوب فتـوة ... ولا البـطل الصنـديـد الا الغشمشم

وفي البيت قبل الأخير إشارة إلى علم الأسلحة الحديثة الفتاكة التي تـدمر الملايين وتهلك الحرث والنسل ، فليت البشر لم يفتق أبواب هذا العلم المدمر وظلّ جاهلاً به .

ثم هو يلهب قلوب الجند بأبيات حماسية فيمقت الجبان ويدعو بالعيش والعزة للمقسم على السيف الذي يفتخر بأمته وتفتخر ببطولاته .

فيصبـح خالـداً في التاريـخ ويمقت أولئـك المهتمين بعيشهم ومـلابسهم فحسب .

ألا ثـكلت أم الـجبـان ولـيـدهـا ... ولا عـاش إلا من على السيف يقسم
ولا عـاش إلا كـل أصيـد معشـر ... يقـام لـه في معـرض الفخـر مـوسم
يعـود بـه (التـاريـخ) أبلج ضـاحيـاً ... وذلـك مـا نـرجـو ومـا نـتعـشم
ومن لم يكن الأعلى (الزي) حرصه ... فمـا هـو إلا ـ لا وجـدنـاه ـ مقحم

ثم هو يخاطب الجند مخاطبة ثقة ليبث فيهم الروح المعنوية فهو ينصفهم لجدارتهم بالفوز فطموحهم أساس نجاحهم ويقظتهم وقوتهم أساس نصرهم :

أجل انه الإنـصـاف والحـق أنـكـم ... جـديـرون بـالفـوز الـذي نترسم
فلو لم تكـونـوا طـامعين حقيقـة ... لمـا كـان منكم نـاجـح أو مقـدم
ومهمـا أردتم أن تنـالـوا مكـانـة ... ففي وسعكم والسعي لـلمـرء سلم
خذوا حذركم من كـل ضعف فإنمـا ... بـاخـلاقكم تبنى المنى أو تـهـدم

ثم يدعوهم للذود عن الوطن والحرص على إجادة القتال : ـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فكـونـوا عن الأوطـان والـدين ذادة وأميـركم في الصف من هـو أعـزم
وأروعكم من راش في الخصم سهمه وكـان لـه السهم السـديـد المصمم

وهو يرثي ويسكب الدمع على أمجاد الأمة التي أرسى قواعدها أبطال الاسلام فسادوا بالدين ، ونشروا الأمن والعرفان فكان ينطلق النور من هذه الربوع فتضيء العالم ولكن يد التفريق بدأت تـدب في هذا الكيـان العظيم حتى استبـدل العز بالإرهاق والضعف :

ولكن سكبت دمي دمعـاً على وطن قد كان في المجد والتاريـخ ما كـانا
أرسى قواعده ، الأبطال من « مضر » فـراح ينشـد فـوق النجم أكنـانـا
وسـاد بـالـدين ، والـدنيـا وسـائلة وطبّق الأرض ، إيمـانـاً وعـرفـانـا
فكان في الشرق يكسو الشمس خلتها وكان في « الغرب » يزجي النور فرقانا
ثم استبـاحت يد « التفـريق » بيضتـه واستبـدل العـز بـالإرهـاق جـذلانـا

ثم هو يقسم بالذي أعز العرب بعد ذلك وجمع كلمتهم بعد تفرقة :

لا والـذي اتخذ « المختـار » قدوته وخـوّل « العرب » بـالتوحيـد سلطانا

ويسهـده ويرهقـه حالـة وطنه الآن ويبتغي لـه مجداً وعلمـاً وآمالاً ووحـدة وعمرانا :

فـان أرقت ، وان عييت من شجـن فـالـذي أنـا أبغي رجعـة الأنـا
مجـداً ، وعلمـاً ، وآمـالاً مشيعـة و« وحـدة » وأفـانينـا ، وعمـرانـا

ويتناول عن طريق التقرير أليس ديننا حقاً ، ألم تكن آياته تأخذ بالألباب وتوقظ الضمير فالمسلمون عشيرة واحدة لها مصير واحد[1] : ـ

أولـيس حـقـاً ديـنـنـا وكـتـابـنـا الـهـادي الـمـنـيـر

---

(١) صوت الحجاز .

أولـم تـكـن آيـاتـه في السـر تمتلك الضـمـيـر ؟؟
هـذا ونـحـن إخـوة في الله يجـمـعـنـا الـمـصـيـر
والـمـسـلـمـون عـشـيـرة حـاشـا الشحيـح أخـو الكفـور

ومن قصائده التي تتدفق وطنية ، وحرصاً وغيرة ، قصيدته التي بعنوان (يا شعب حسبك ما مضى) التي قالها بمناسبة الحفلة التي أقامتها جمعية الاسعاف الخيري الوطني في « أوتيل مكة المكرمة » وفيها يتطلع إلى الأمل المشرق الذي يسطع في الأفق ليصادف الأماني التي تشغل أفئدتنا تتطلع إلى إشراقة الصبح المنير ، وشعاع الحضارة المبشر بالخير العميم اننا نرى معالمها ظاهرة للعيان في فئة ذات غرس طيب في هذا المجتمع : ـ

أمـل يـلوح ويـسـطع ومـنـى تـخـب وتـوضـع
وهـوى يـمـيط لـثـامـه فـيـمـا يـفـيـد ويـنـفـع
وحـجـى تـقـرب غـايـه يـدنـو لـهـا الـمـتـطلع
كـالفجـر أو كـالـصبـح أو كـالـشمس حيث تشعشع
بـرزت وكـانـت فـكـرة فـيـمـا مـضـى تـتـقـنـع
أوصى بهـا الـعقـل الـحـصـيـ ـف فـأصـبـحـت تـتـدفـع

واستمع إلى هذه الدعوة لجيل الأمة : ـ

واشـدد يـمـيـنـك وانـتـجـع خـيـراً فـشـعـبـك مـمـرع
وانـهض إلـى عـمـل الـصـلا ح ففـي الـسـلامـة مـقـنـع

ثم يورد التهم الملصقة بوطننا لكي نقف في وجهها ونثبت للآخرين أنها مجانبة للصواب والواقع : ـ

زعـمـوا بـأن بـلادنـا فـي جـهـلـهـا تـتـسـكـع !!
زعـمـوا بـأن قـلوبـنـا كـالـصـخـر ـ لا تـتـوجـع
زعـمـوا بـأن خـلاقـنـا كـالـوحش لا يـتـورع !!!

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

زعموا بأن بناءنا متقلقل متضعضع

فهو يرد على تلك المزاعم بقوله : ـ

زعموا وما زعموا سوى بعض الذي هو أفظع
كل المزاعم ضلة إلا الحقائق تصنع

بعد تلك الاثارة يوجه إلى بني وطنه الدعوة إلى نبذ الخلاف والجدال فالسبيل الأفضل بارزٌ واضح : ـ

فدعوا الجدال وسابقوا وقتاً يضيع ويقلع
وخذوا السبيل معبداً إن السبيل مشرع

وفي هذه القصيدة يعدد أمراض المجتمع من فقر وجهل وبؤس وسقم ويحذر منها : ـ

(الفقر) شر بلية يعمى بها المتلكسع
و(الجهل) أنكب عابث بالشعب حين يقرع
و(البؤس) في ألوانه يزجى الدموع وينزع
و(السقم) أبلغ خيبة تعدو السقيم وتخرع
في كل منعطف ترى مثلاً يمض ويوجع
فعلام نبض قلوبنا ان لم تكن تتورع
وإلام جحد يقيننا ان كان لا يتذرع

وفي القصيدة ينادي شعبه نداء الابن البار المخلص لوطنه يدعوهم إلى ترك الجعجعة التي لا تفيد : ـ

يا شعب حسبك ما مضى مج العداة وجعجعوا
فدع التواكل والتدا بر للتراحم أروع
انفق واقرض وآدخر في الله ذلك يجمع

وله قصيدة في محرم عام ١٣٥٥ بعنوان (أمة تبني وشعب لن يخور) يخاطب فيها أبناء الامة وأبناء الوطن الذين ساهموا في بناء النهضة والقيام بها فهو يزهو بهم وهم دليله وحجته على تقدم هذا الوطن : ـ

يـا شبـابـاً فيـه شـدوى مـطرب ... وبـه أسـمـو وأزهـو وأمـور
أنتمـو البرهـان في السعي الـذي ... هـو في المطامح من عـزم الأمـور
ولـكـم بـت سـمـيـراً راعـيـاً ... للنجـوم الـزهـر ملتـائـاً أحـور
أرقب الأنبـاء عـن تـحـليـقـكـم ... وأمـلّ الصبـر في ظـل الشـهـور
فـوأدت الـجـذر في مـنـبـتـه ... وابتعثت الـزهـو في عـاف القبـور
وتـنـورت بـكـم مـن خـالـق ... طـالـع اليمن وإزهـاق الـدبـور
وتـنكـرت عـلى اليـأس الـذي ... حـطم الآمـال واجتـثّ الـفتـور
آيـة كـالشمس فـي إشـراقـهـا ... أمـة تبـني وشـعـب لـن يـخـور

وفيها يقدم الشكر لهؤلاء الرواد من الشباب فيقول :

حـبـذا يـوم شـهـدنـاكـم بـه ... إنـه فـي الحق وضـاح الـسـفـور
حـقـكـم مـنـا ثـنـاء عـاطـر ... واحـتـفـاء واحـتـفـال وشـكـور

وفيها يقول :

لـيس منـا غـيـر من يـرجـو بكم ... في مـدار الشهب تـذليـل الـوعـور
كـلكـم في الـمـجـد أكـفـاء لـه ... ولكم فيـه على الـشعـرى عـبـور

من خلال دراستي لوطنيات الغزاوي التي أوردت نماذج منها فاني لمحت الأمور الاساسية الاتية : ـ

(١) ارتكاز ووطنيته على العقيدة الإسلامية ، فهي الأساس ، وبها يفتخر لما حققته من أمجاد للأمة العربية ، وتجاوزت بهم آمالهم ، وهي التي حمت الأمة العربية من الضياع ، ونقلتهم من نظام القبيلة وحروبها وتطاحنها إلى الوحدة الإسلامية ، وهي التي أيدت العنصر العربي وجعلت له دوره الفعال في هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكون، وقد أدرك الغزاوي أهمية ارتباط الأمة العربية بالعقيدة الإسلامية مع إيمانه العميق بهذا المقصد وصلاحه للعالم أجمع لذلك ظل شعره الوطني مصبوغاً بها .

(٢) حاول إبعاد الجهل ونشر الوعي والعلم ، وأصر على أن يجعل من شعره وسيلة لرقي الأمة والدفع بها إلى الأمام ، والسعي الحثيث والجد المتواصل ، في بناء النهضة ، فأهاب بالشباب أن يواصلوا المسيرة وتغنى بأعمالهم وأمانيهم .

(٣) أراد أن يجعل تراث الأمة من معتقدات وعادات وتقاليد وأمجاد أساس لمنطلق النهضة ، فولد في أبناء هذه الأمة حب أبطال الإسلام ، فأشاد بهم في شعره لذلك سلك منهجاً في وطنياته يغلب على أكثرها فهو يبدأ أفكاره بالحديث عن قادة الإسلام وجهابذته ـ ثم يعقبه بوصف لوضع الأمة الحالي ثم يعقبه بدعوة الشباب للأخذ بأسباب الحضارة المبنية على أسس تراثية ، ومن ثم نقول : أنه أدرك عملية التوازن التي تحفظ الاعتدال والطريق الأفضل لمسيرة الحضارة .

(٤) وظهر في مطلع شباب الغزاوي حديثه عن الحجاز في وطنياته ولكنه اتجه إلى الحديث عن البلاد السعودية كلها وخاصة بعد توحيدها وأفاض في ذلك وقد تجاوز ذلك أيضاً إلى الأمور الإسلامية ، فتحدث عن العالم الإسلامي وأمانيه وتطلعاته ووحدته وتقدمه .

(٥) والغزاوي من أولئك الشعراء المخلصين لوطنهم والذين غمروا أوطانهم بالحب المتدفق والإخلاص المتفاني ، أحبه حب الرجل الواعي الذي يسعى لوطنه بالخير ويلتمس ذلك الخير من الجوانب الصادقة الواقعية فدعا الى تمسك الأمة بالعقيدة التي لا ريب في أهميتها وجدواها وفلاح المتقيد بها .

ويلتمس الخير لهذا الوطن عن طريق أولئك الذين بيدهم الحل والعقد من الملوك والأمراء ، فيدعوهم دعوة واقعية لما يدركه من العقبات التي تقف أمامهم . ومع ذلك فإنهم انطلقوا بوطنهم إنطلاقاً فاق الآمال والتصورات .

(٦) الواقعية والصراحة في وطنياته : ـ

ونلاحظ أن الغزاوي صريح صراحة العربي الأول فهو صريح في وطنياته

وطلب التقدم ، وهو يخاطب ولاة الامور ، فيشدو بأعمالهم ، ويطلب لأوطانهم المزيد .

وهو يصارح شباب الوطن فيدعوهم إلى النهل من العلم ، ويحتفل بهم عند عودتهم إلى أوطانهم وهم حاملو لواء المعرفة والوعي .

وقد صرح كثيراً بأسباب فلاح الأمة ونجاحها وتقدمها وتماسكها وعزى ذلك الى العلم وتبديد الجهل والسير على نهج السلف الصالح .

أما واقعيته في وطنياته : فليس هو من شعراء احلام اليقظة الذين يدعون إلى النهوض من جوانب تبعد عن الواقع ، ويصعب الوصول إلى هذه الوسائل فضلاً عن تحقيق الهدف من ورائها .

وليس هو من الذين يرمزون للتقدم وتظل الصراحة حبيسة قلوبهم .

المضمون الاجتماعي

بعد أن توحدت البلاد ، ومدّ الأمن رواقه عليها ، ونعم أهلها بالاستقرار وسهل الاتصال بالعالم الخارجي وراحت تتسلل معالم النهضة وأتيح لها ان تنهل من معين الحضارة . ورأت صوراً من حياة المجتمعات الراقية المتطورة ، وقرأت فيضاً من الآراء والنظريات والفلسفات العلمية والمادية والاجتماعية واطلعت على فنون من الدراسات العلمية الحديثة التي غذت المصانع ، وأوجدت العلم التجريبي الذي صنع أساسيات الحياة المعاصرة وكمالياتها . وقبل ذلك أتيح لها الاطلاع الواسع والدراسة المنتقاة للدين الاسلامي وكتب التراث من نبعها الصافي .

تلك المعالم أشرقت على ذوي الفكر والأدب والثقافة قبل غيرهم ، فسرت في نفوسهم ومشاعرهم سريان النار في الهشيم فحملوا المسؤولية على عواتقهم تجاه بث الوعي في المجتمع وتطويره ، وإفساح المجال للنور الجديد ليظل ساطعاً مع شعورهم بأهمية المحافظة على الأسس الاجتماعية التي تتعلق بالأمور الدينية التوقيفية ، وقيم المجتمع وظروفه وامكانيته ، وتراثه .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والغزاوي من الرعيل الأول الذين أشرقت عليه الحضارة فانفعلوا مع التطور الاجتماعي الذي حدث في البلاد فقد حظيت النواحي الاجتماعية منه بالعناية الفائقة ، وخاصة الأمور الأساسية التي تمس الحياة الاجتماعية وترتبط بمصير الأمة :

وقد لقي العلم والتعليم وانتشاره في ربوع البلاد كل اهتمام الغزاوي ، فأشاد بافتتاح المدارس وحث عليه ، وأدرك أن العلم سلاح الأمة وهو نورها وأمانها وجمالها وجلالها به ترقى ، وبه تصنع وتزرع وتبني وتشيد .

من هذا المنطلق نجد الغزاوي يترنم بكل لبنة توضع في بناء الأمة بناء علمياً واعياً . فقد شهد وتحدث في شعره عن ولادة المعهد العلمي السعودي ، وتحضير البعثات ، ومدارس النجاح وسرّ بخريجي المعاهد والمدارس ورعى احتفالاتها وتحدث في مقالاته أيضاً عن أساليب التعليم وتطويره .

وقد ركز على الأسس التي تمثل المهد للنهضة الاجتماعية ، من ذلك توحيد البلاد والأمن الذي عم ربوع الجزيرة فسهل اتصالها بغيرها ، واهتم بإنشاء المشاريع الخيرية التي تمثل الينابيع والروافد لبناء النهضة الاجتماعية ، فتخدم أفراد المجتمع ، وتساهم في توعيته وتثقيفه وتعمل على المحافظة على صحته الجسمية والعقلية ، كمثل إشادته بتأسيس أول مديرية للصحة ، واشتراكه وإشادته بجمعية الإسعاف ، وجمعية الطيران ، وشركة السيارات .

ولما أخذت الحضارة معالمها تنتشر في البلاد ووقفت على ساقيها رأى محاسنها وإيجابيتها ، فتحدث عنها وامتدحها وأشاد بها وبادر إلى إنمائها في شعره ولكن إلى جانب تلك الإيجابيات تتكشف له سلبيات في المجتمع فحاول الأدباء معالجتها ، وشمروا عن ساعد الجد ، وبادروا إلى استقصائها وتبيان ضررها ، وقد ارتكزت معالجتهم لهذه السلبيات في أسسها على الدين الإسلامي ، فهو النبع الصافي الذي لا تشوبه شائبة فمنه نستقي وبه نقيم أنفسنا . ومن تلك السلبيات التي عالجها الغزاوي ، تفكك الأسر ، وتنازل الناس عن عادتهم الحسنة وسخط كل السخط لما رأى التغيير في المعتقدات لدى بعض الاشخاص وغيرها من الأمراض

الاجتماعية التي تدب في المجتمع من جراء المادة والتيارات الفكرية المستوردة والوافدة وستتناول بعض المشكلات في تحليلنا للظواهر الاجتماعية في قصائده ومنها :

الناحية التعليمية :

والغزاوي مثله مثل غيره من الأدباء فقد أدرك أن عليه تجاه وطنه واجباً هو الدعوة إلى بناء الحضارة وتقدم البلاد وازدهارها ، وليس لها من سبيل إلا أن يكون العلم مناراً وسلاحاً لذلك كان لزاماً عليه أن يدعو إلى العلم وبناء المدارس وإشادتها وقد خاطب الملك عبد العزيز رحمه الله صراحة بهذا في مستهل توحيد البلاد فقال :

حقق فديتك (وحدة عربية) يجني فوائد عهدها طماحها
وصل المساعي في سبيل حياتها حتى تكلل بالحضارة ساحها
وشد المعاهد والمصانع والصوى وأزح عما طال منه رزاحها

ثم واصل بذلك الجهد لرقي الأمة وبناء النهضة بناء عقلياً وعلمياً فتدفق حماساً لكل خطوة يعتقد أنها تكون نبعاً ورافداً لتماسك الأمة ورقيها وبناء حضارتها وقد خص دور العلم وطلابه بنبضات قلبه وهمساته الإرشادية وتطلعاته وقرع مسامعهم بأن النهضة تعتمد في بنائها على العلم فهو سلاحها ومديرها وهو جمال الحضارة وروعتها كما يقول[1] :

إنما العلم سلاح واكتشاف في ضباه
وهو نور وأمان واتزان في خطاه
وجلال وجمال كله عز وجاه

وهو يحث على تدمير الجهل الذي يكون بمثابة الجسور والسبل للجريمة والمصائب ويكون حجباً عاتية مهلكة تتصدى للتقدم والرقي ، فيجب أن يزاح

---

(١) أم القرى ٨٤٢ ص ٣ الجمعة ١١ المحرم ١٣٦٠هـ - ٧ فبراير ١٩٤١م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك الستار المهلك ، ولا يهتك تلك الأستار إلا العلم :

إنما الجهل بلاء ... وجسور للجناه
انه حق صحيح ... قولهم فيما أراه
من بنى مدرسة ... أغلق السجن وراه

وهو يخاطب الشباب من قبله ليدفع بهم إلى الإمام وليطلب منهم الاستعداد للمهام المناطة بهم والخدمات الوطنية التي تنتظرهم من دعاة وقضاة ورواد فكر وبناة حضارة وقادة جيش وأطباء لأمتهم :

وغدا منكم رجال ... ورعاة وقضاهَ
ونجوم ـ ورجوع ... وبناة ودعاهَ
وجنود وبنود ... وأساة وحماهَ
وعليكم واجبات ... هن أسباب الحياهَ
إنكم آمال شعب ... قدس الله حماهَ

ويلقي قصيدة في احتفال المعهد العلمي السعودي عام ١٣٥٨ هـ يحث الابناء فيها على الجد ، والعمل والافتخار بما يعملون فيصنعون أمجادهم بأنفسهم فليس كافياً ما صنع الآباء :

وما الفخر « بالآباء » إلا جناية ... إذا ضاق ذرعاً بالحفاظ (بنون)

ثم يحث شباب اليوم على العلم النافع ممتزجاً بالإيمان الصادق ، فالعلم يبني صروح الأمة وهو لا يقتصر على الناحية الدينية أو الأدبية فحسب بل يشمل جوانب الحياة المختلفة من صناعة وزراعة وغيرهما[1] :

وما العلم الا أن تصح (عقائد) ... ويسلم (إيمان) لنا « ويقين »
ولا العلم إلا ما بنى صرح أمة ... على هامة الجوزاء ـ وهو فنون

---

(١) أم القرى ٧٨٣ ص٥ ـ ١١ ذي القعدة ١٣٥٨هـ الموافق ديسمبر ١٩٣٩م .

وليست قصاراه كلام مزخرف ولا هو وهم باطل وظنون
ولا هو في الجلي قصيدة شاعر ولا هو لهو زائف ومجون
ولكنه في حومة البحث حجة وبين ميادين الكفاح حصون
وفي معرض الإنتاج حرث ومنجل به الجدب خصب والهشيم غصون
(ونسج) و(تعدين) وحذق (صناعة) تلوذ بها أمثالها وتدين

وكما نلاحظ فإنه يدعو لإقامة أسس متينة تقوم عليها الحضارة مدركاً قيمة الإيمان ، وقيمة العقيدة في بناء الحضارة ، وإنها عملية توازن للإنسان ونجاة له من مخاطر الحضارة الغربية التي انهارت فيها القيم الإنسانية وهذا المحذور هو الذي يحاول أن يقيه الأمة حيث يقول : ـ

وما العلم الا أن تصح « عقائد » ويسلم « إيمان » لنا و« يقين »

وهو يتابع الاصلاحات الاجتماعية التي تعالج المشاكل وتستأصلها وتكون ذات هدف سام يأخذ بيد شباب الأمة ويقيها من عثرتها ويرفعها إلى مستوى الأمم المثقفة وقد أشاد الغزاوي بافتتاح مدرسة الأيتام ، ورأى في ذلك عملاً جليلاً يتيح الفرص لقسم من شباب الأمة ممن فقدوا من يقوم بتربيتهم فيعوض لهم هذا المشروع فقدهم لأولياء أمورهم ، ويأخذ بأيديهم الى الأفضل وإلى مستقبل باسم فهو يقول[1] :

دار تكاد من التيمن تنطق وإلى لقائك بالتحية تسبق
ودت لو أن لها جناحاً طائراً فتظل حولك بالدعاء تحلق
حفلت بأيتام البلاد وأصبحت مأوى لهم ، وغدت بهم تتدفق
جمعت شتات البائسين صيانة وحنت عليهم «كالأمومة» تشفق

وفيها يقول :

هذا السبيل لمن أراد مثوبة والجود أجدر بالعظيم وأخلق

(١) أم القرى ٧٣٧ ص٥ الجمعة ٧ ذي القعدة ١٣٥٧هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٣٩م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفقر وأثره ومعالجته عند الغزاوي :

والغزاوي يحاول أن يكون بناء المجتمع على التعاون والتناصح والتآزر والتعاضد ، فهو يدعو الى بناء مجتمع متحاب متماسك تسوده روح الأخوة وتختفي فيه مظاهر الألم والحقد ، حتى يسلم المجتمع ويكون حصيناً قوياً .

وقد سره وأفرحه منظر التعاون الذي يراه في صدقة الفطر وما فيها من حنو الغني على الفقير والإخاء بين ابناء المجتمع[1] :

وحنا « الغني » على الفقير فأصبحا ... في « غبطة » ـ والمسلمون خيار
ولقد لمست « الفجر » بين صفوفهم ... معنى « الإخاء » يحوطه الإيثار
وشهدت كيف المؤمنون تناصحوا ... بالأمس حتّى استيأس الكفار
وعلمت سرّ النصر يوم استمسكوا ... بخلاقهم ـ واستحذت الأمصار
فالدين « توحيد الإله» وطاعة ... وتعاضد وتآزر ـ وبدار

والغزاوي شأنه شأن غيره من الأدباء في هذه البلاد يعالج مشكلة الفقر بما عالجها به الإسلام وقد استقى المآسي الاجتماعية من واقع المجتمع الذي يعيش فيه فهو يصور حالة فتاة بائسة أثقل عليها الزمن بأبٍ هدت الشيخوخة والفقر قواه . وعزائمه وزاد من ألمها فقدان أمها ونسيان أثرياء البلد لها فرأت من الشقاء أصنافاً وألواناً في طفولتها وشبابها وكهولتها وهو يبني قصيدته بناء هرمياً فكأنها تنشأ مع الفتاة بطلة القصة وتنتهي بنهايتها ثم يدعو للعظة والعبرة بها ولإنقاذ أمثالها من مشكلاتهم ونظراً لترابط القصيدة وتلاحمها وتناسقها وتعاضدها فاني أنقلها كاملة[2] :

نشأت تحت (سماء) غائمة ... طفلة تحيا وتفنى (صائمة)
عالها حيناً ، فلما أينعت ... واشرأبت للأماني الحائمة

---

(١) أم القرى ع ٣٧٤ ص٣ ـ ٧ شوال ١٣٥٠هـ ـ ١٤ فبراير ١٩٣٢م .

(٢) شعراء الحجاز في العصر الحديث ٨٤ تأليف د/ عبد السلام طاهر ساسي .

عـاد (كهـلاً) يعثـر الخـطو بـه ... وهـي تـشـدو في رؤاهـا واهـمـة
ورأت (أتـرابـهـا) من حـولـهـا ... يتنـافسن (الـمـروط) النـاعـمـة
يتـحـسّيـن (كؤوسـاً) قـد صـفت ... ويـداعبن (الـثغـور) البـاسمـة
وهـي في (ريـعـانـهـا) مـبـهـورة ... تـارة ـ تـسـلو ـ وأخـرى نـادمـة
وهـي من نـسـج المـنى كـاسيـة ... وهي من سـور (المـآسي) طـاعمة

* * *

راعـهـا فـقـر أبـيـهـا ـ فـبـكـت ... وانـطوت تشكـو الهمـوم الجـاثمـة
كبـرت في صـدرهـا (أشجـانهـا) ... وهي في الخـدر (الفتاة) الحـالمة
كـل مـا تـملكـه مـن شـأنـهـا ... أنهـا في عقـرهـا ـ كـالسـائمـة
تـتـلاقى فِي الـدجى أسـرارهـا ... وهي حتى عن (ذويـهـا) كـاتمـة

* * *

ذبـلت أوراقـهـا وانـهـصـرت ... وتـوارت في الـزوايـا القـاتـمـة
تـغمـر الاسـتـار في (كـلّتـهـا) ... بـالـدمـوع السـاخنـات السـاجمـة

* * *

يـتـمـت مـن أمـهـا يـافـعـة ... ومشت بين (الغـواني) سـاهـمـة
كـلمـا مـرت بـهـا (صـادحـة) ... من بنـات (الأيك) أنّت (بـاغمـة)
يهمس الشجـو بـأذنيهـا الـهـوى ... وهي عنـه في (حـروب قـائمـة)
شفهـا (السقم) طـويـلاً وارتمت ... حين لم تلق (القلوب الـراحمـة)

* * *

أيـن مـنـهـا ذو فـؤاد خـافـق ... يـرقـأ الـدمـع ويخشى الـلّائمـة ؟؟
أين منهـا شـطرهـا الحـاني لهـا ... أين ذات (العطف) أين (الرّائمة)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اجلب (الضنك) عليها (خيله) وتغشاها وأغضت واجمة
ثم أرداها (أبوها) غيلة (بقرين) ذي قيود ظالمة
لم يسعها وهي في عصمته غير أن ترضى وتمضي راغمة

* * *

زوجت من (مقتر) معتسف يحسب (الزوجة) منه (خادمة)
عاث في (إخباتها) شيطانه فهي في شرورٍ واهمة
مذ بنى منها سقاها علقماً و(شواها) بالشظايا الآثمة
فاستبد (الداء) في أحشائها وتمطى في الليالي الفاحمة

* * *

وفي المقطع الأخير نجده يصور جهل الناس في معاملة زوجاتهم معاملة تشبه معاملة الخادمات لا أمهات أولادهم وذلك في قوله : يحسب الزوجة منه (خادمة) كما يبين سوء معاملة الزوج لزوجته (مذ بنى منها سقاها علقماً) :

غرقت في لجة من (يأسها) وطغت فوق الزوايا عائمة
تندب (الحظ) وتشكو ضعفها يا لهول البؤس ؟ يا للقاصمة

* * *

وجفاها (الزوج) في لأوائها بعد شهرين - وريعت (فاطمة)
و(أبوها) معوز ذو عيلة أكلت منه (الضروس) القاضمة
بلغ السن به أقصى المدى فهو يحكي (المومياء) النائمة
آهة (مكبوتة) يرسلها إثر أخرى من ضلوع جاحمة
وتراه حين يبدو في غنى مشرق الجبهة ، رغم الفاقمة
عزّ بين الناس في مظهره وامترت فيه الظنون الراجمة
واذا ما الليل أرخى ستره ذرف الدمع سيولاً عارمة

* * *

حمـل الأعبـاء قـد نـاء بـهـا فهـو يستعجل (حسن الخـاتمة)
بئست الـدنيـا ـ ومـا أهـونهـا إن قضى غما ـ وتلك (الغارمـة)

* * *

(قـصـة) لـم أروهـا تـزجيـة لفـراغ ، في قـواف كـاظـمـة
انهـا (الـواقـع) لا نـدري بـه لـو درينا ، لاتقينـا (الحـاطمـة)

* * *

أيهـا (المثـرون) مـا أغفلكم هل على الأرض ظلال دائمة ؟ !
فـاتـقـوا الله وآتـوا حـقـه وأعـينـوا كـل نـفس هـائـمـة

وهذه القصة الشعرية تشبه الى حد ما قصيدة الشاعر العراقي معروف الرصافي الذي يعالج فيها نفس المشكلة حيث الترمل بموت الزوج ثم الفقر المدقع ولكننا إذا بحثنا ـ عن معالجة مشكلة الطلاق عند الغزاوي فإننا لا نجد لها أثراً في هذه القصيدة أو غيرها . وكذلك لا نجد لديه دعوة أو نداء يحدّ من غلواء بعض الرجال ويردعهم عن المعاملة السيئة لزوجاتهم على الرغم من أنه صور سوء معاملة زوج فاطمة لها في هذه القصيدة .

ويسجل الغزاوي في كثير من الأحيان الظواهر الاجتماعية تسجيلاً واقعياً فمن ذلك تصويره لحالة الناس في مكة أثناء موسم الحج وبعده وانتظارهم لهذا الموسم ، والكساد والبطالة التي تحدث في مكة بعد موسم الحج فتقل الأعمال ، ويصعب الحصول على القرش ، فيقترض الناس من بعضهم مؤجلين السداد الى حصول الموسم فمنه يكتسبون ويدخرون لعام كامل[1] :

أول « الـديـنـار » بـاره ذلـكـم أصـل الـتـجـارة
كـلـمـا فـرطـت فـيـهـا عـشـت نـهـبـاً لـلـخـسـارة

(١) المنهل مجلد ٣٠ شعبان ١٣٨٩هـ ـ أكتوبر / نوفمبر ١٩٦٩م ص ١١٤٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن الأمثال ـ قالوا « تركز الزير الجرارة »
وهم قد عززوه « معظم النار ـ الشرارة »
فاذا الموسم ولى وقست فيه البصارة
ومضى الحجاج حتى لم تجد الا الدوارة
بين سوق « الليل » حيناً و« جياد » و« القرارة »
لم تروع !! باجتياح ولجاج ، ومرارة
أو فما تظفر الا بالذي . . يشكو اضطراره

وقد طغت بعض العادات المستوردة والتقاليد الغربية على المجتمع ، وأخذ بها بعض الأفراد ، شجعهم على ذلك زيادة المال في أيديهم وتهافتهم عليه تهافتاً قوياً ونسوا الأخلاق الحميدة والعادات الطيبة ، وتناحروا وتنافسوا على جمع المادة ، فمن كثر ماله صار له الجاه والقيمة ، ومن قلّد الغرب أصبح الواعي الفاهم المدرك للأمور مما جعل الغزاوي يتصور أن هذا المجتمع على هذه الشاكلة فهو يقول[1] :

اثنان واثنان حين الجمع (أربعة) ولكنها أصبحت في عصرنا (عشرا)
وذاك أن عقول الناس خالطها (مس) تفاقم ، حتى عم ، وانتشرا

وهو يقف عاجزاً حيراناً أمام هذه المشكلة لا يستطيع لها علاجاً ولا طريقة لتقويمها :

فلست تملك (تقويماً) لذي عوج مهما استفزك ، أو ناواك ، أو عذرا
إن الموازين بالقسطاس قد قلبت رأساً لعقب ، وأمست كلها غررا

ان الرخيص الذي يستحق الاحتقار ، والازدراء والهوان ، أصبح عالي المنزلة والجاه بينما صاحب الفضل في تعب وشقاء :

---

(١) المنهل مجلد ٣٢ شعبان ١٣٩١هـ ص ٨٢٥ .

يعلو الرخيص بها من حيث تخفضه وكان أجدر أن تهوي به (هدرا)
أمّا الذي ثقلت بالفضل (كفته) فهو المعنى بما أكدى وما آختبرا

وتلك فتنة للناس تسومهم الخسف وتؤدي بهم الى المهالك : ـ

وما تلك والله الا فتنة ، وبها نسام خسفاً ، وقد ضقت بها عبرا

والغزاوي في أغلب قصائده التي تتحدث عن المشاكل الاجتماعية إنما كان يأتي بالعلاج ولكنه في هذه المشكلة وعلى غير عادته ، فانه أورد المشكلة ووقف عاجزاً عن معالجتها لهولها ولاتساع مجالها في المجتمع .

وهو رقيق الإحساس يتأثر أيما تأثر بالكوارث والمآسي التي تلحق ببني الإنسان فله قصائد عديدة تصور المصائب وعظم الدواهي التي ابتلى بهما المجتمع على مرأى ومسمع منه فقد صور الرياح الهوجاء[1] ، والامطار الغزيرة[2] ، والحرائق التي تحل بالأسر وتلتهم الأطفال بمرأى من أمهاتهم وصور الولادة المتعسرة[3] ، وصور القصور المشيدة التي تنكب بالحرائق من ذلك قصيدته (مدينة تبكي واسرة تنكب) قد اصطك سمعه وفقد اتزانه وأصابه الذهول من هول المشهد الرهيب ، مشهد قصر آل عرب ، فقد كان قصراً منيفاً يرفل بالنعيم ، ويعيش أهله في أنس وحياة رغيدة ، ولكن انتهى ذلك بانطلاق ألسنة اللهب ففزع من بالدار وتساقطت من نوافذه الغيد الحسان هاربات من قسوة الحرارة، وشدة الاختناق فارتطمن تباعاً حتى أصبحن حطاما ، ونقل منهم آخرون الى المصحات . فاهتز كيان الغزاوي ، وأوحت له الحادثة بهذه القصيدة المأسوية التي تصور الناس وهم في غضارة من العيش سرعان ما انقلبت الى مأساة اقتبس منها العبرة والعظة[4] :

---

(١) المنهل مجلد ٣٩ ربيع أول ١٣٨٨هـ ص ٣٩٦ .
(٢) المنهل مجلد ٣٨ ـ ذو القعدة ١٣٦٧هـ ـ ص ١٤١٣ .
(٣) المنهل مجلد ٢٩ ـ شعبان ١٣٨٨هـ ص ١١٣٦ .
(٤) البلاد السعودية ع ٦٤٧ ص ١ في ١٣٦٥/٩/٢٢هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مدينة تبكي !!! وأسرة تنكب

سمرن «ظباء» واستحرن «صياماً» وأصبحن «صرعى» و«اعتشين» ركاما
(فجيعة) بيت بات يمرح أهله « نعيماً » وأمسى في الرغام حطاما

* * *

أألتمس « العبرات » حرى وليس لي « عيون » وقد جف الشقاف أواما
فلا مهجتي تمري[1] دموعاً ولا الجوى يكف ولا قلبي يشب ضراما

* * *

قد اصطك سمعي وانتفضت كأنما تدور بي الدنيا الفضاء أثاما
أرجفة صعق أم هو « الحشر » غيلة أم النشر يغشى « الراقدين » رماما

* * *

صحوت وآفاق السماء أشعة وكل امرىء (القى عصاه) وناما
فما راعني الا « المسرة » ويلها تشق صماخي[2] فجأة وزهاما[3]

* *

وكذبت ما قالوا ولم أدر كيف بي بلغت مكاني وانتصبت زحاما
وشاهدت ماذا أيها الدمع أشفني ويا قلب ذب وامر الدماء كلاما

* * *

---

(١) تمري : ترسل .
(٢) صماخي : الصماخ جمع صمخ (وأصمخه والصمخ : كل ضربة أثرت في الوجه ويقولون : « ضرب الله على صماخه » أي أنامه . وربما أراد بها هنا الأذن .
(٣) زهاما : الجاد في النداء .

تـأملت في (القصر المشيـد) تقضه ... من (النـار) ريـح غـادرتـه رجـامـا
وأبصـرت هـولا !! أي هـول أو أننـا ... من « الغيـد » يحكين البـدور تمـامـا

* * *

أبحن الكـرى (أجفـانهن) وأطبقت ... عليهن (أمـواج) الجحيم غمـامـا
قـواريـر في أقفـاصهن ـ جـوائمـا ... ولا غـوث الا أن يـطرن ـ حمـامـا

* * *

تساقطن ـ من أعلى النـوافذ ـ بعـدما ... جبهن «اللظى» واحتياطهن خطاما[1]
فمـا كـدن يبلـغن الثـرى ـ وطبـاقـه ... من الارض ـ حتى خلتهن ـ عـظامـا

* * *

(مفاصل) أعضـاء تكسرن مثـل ما ... (نفضت) (زجاجاً) من يديك ترامى
(هشيماً) تـلاقى في صعيـد وحسبـه ... من (الرض) بأساً أن يحور (حماما)

* * *

ومن يملك الأحشـاء حين تقـطرت ... ويشعـر بـه إلا بـالعـذاب غـرامـا
إذا تحطمت إحدى الغواني « جنينها » ... الى (بطنها) يشكو السقوط بغاما[2]

* * *

وأغيـد في نشـوي الشبـاب كـأنـه ... من البـان خوط ـ قـد هوى وتعـامى
و(طفل) كزهر الروض يصرخ بينهم ... ينادي ـ خلال الناس ـ أينك (ماما)

* * *

---

(١) خطام : الخطب الجليل والخطام أيضاً وتر القوس .
(٢) بغاما : بكاء وهو الصوت الذي يشبه صوت الظبي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبين أذان الظهر ـ والعصر ـ أقبلت (مواكب) تترى بالنعوش قيام
ثلاث وخمس بينهم واسع الخطى غضيض الرؤى يبغي الحياة دواما

* * *

وغودر في (دار الشفاء) بقية ثوى بينها (كهل) يضج سقاما
يعانون (آلاما شداداً) وحسرة وقهراً و(سما ناقعاً) وزؤاما

* * *

(سعير) ولكن في القلوب (شواظه) رأيت به ضوء النهار ظلاما
تفتت الاكباد فيه ـ تفحماً وفاض به (أفن الجماد) جماما

* * *

عزاء وصبراً « يا قلوب » ورحمة وطوبى لها ـ بين الصفائح هاما
عزاء وصبرا في القضاء وحسبنا من الله لطفاً أن يكون لماما

* * *

بني وطني ـ هذا ـ (بلاغ) وانه لعبرتنا الكبرى ـ تعم ـ صماما[1]
وما ثمن الارزاء[2] الا اتقاؤها ولو أنها كانت أشد خصاما

* * *

خذوا حذركم منها ـ ولا تحقروها ولا تأمنوا ـ أمثالهن ـ عراما[3]
أعدوا لها (الاطفاء) وابغوا سلالماً وكونوا لها (برداً) معاً و(سلاما)

* * *

(١) صمام : الارزاء الجديدة .
(٢) الارزاء : المصائب العظيمة .
(٣) عرام : الكثرة والاشتداد .

فـلا خير في الثـروات يحمل وزرهـا اذا هي كـانت (للكـروش) طعـامـا

* * *

ومن الامـراض الاجتماعيـة التي تعـرض لهـا الغـزاوي في شعـره مـرض الغـرور الذي دب في المجتمـع ، فقد تكبـر ، وتجبر واغتـر بعقله ومالـه بعض الأشخاص وقد أسهم الغزاوي في معالجة هذا المرض الخطيـر في المجتمع ، فهو يراه مـرضاً عضـالاً يسلب الحليم نهاه والسعيـد من ابتعد عنـه واتقاه ، فمـا الغـرور إلا جنون بـل أشد فـالمجنون مـرفوع عنـه القلم ، فـلا يحـاسب بينمـا المغرور يحاسب ويجازى[1] :

ومـا أرى في (الغـرور) إلا عضـالا مـرضـاً يـسـلب الـحـليـم نـهـاه
وسـعـيـد مـن آتـقـى مـن هـواه (بـهـداه) وصـده ونـهـاه
إنـه والـجـنـون صـنـوان إلا أنـه الـطيش حـددت شـفـرتـاه
فـاقـد الـعقـل لا يـعـاقب ـ أمـا هـو في النـاس شـوهـدت عـورتـاه
غيـر أن المغـرور المقتـر يخـزي وهـو يـجـزى بمـا جـنـتـه يـداه

والغزاوي يرى مظاهر الحياة والحضارة تـدخل حيـاة الناس وينعم النـاس فيما قدمته لهم من آلات كانت سبباً في رفاهيتهم غير أن بعض الناس قـد طاش لبـه ولم يحتمل نفسـه أو يـدرك أن هـذه الأدوات لخيـره لا لشـره فـاستخـدمهـا استخداماً خاطئاً كما فعل بعض الشباب في استخدامهم للسيارة استخداماً سيطر عليه الجهل والطيش فسببوا للمجتمـع المآسي وكثـرت بتصرفـاتهم الحوادث ، ويشاء القدر أن يرى الغزاوي مصرع سخلة من قطيع ماعز وذلك على يـد شاب طائش يقود سيارته بسرعة جنـونية في شـوارع البلد يدهس السخلة ويتم طـريقه وكأن شيئاً لم يكن ، فيصور الغزاوي هـذا الحدث في مـرثية للسخلة يـدعو من خلالها إلى وضع حد لهذا الطيش ومثـل هذا الأمـر لا نجد لـه مثيلاً في شعـرنا قديمه أو حديثه فيما قبل الغزاوي وهو هنا يبدع في التصـوير واستغـلال الحدث

(١) المنهل مجلد ٣٣ ربيع أول ١٣٩٢هـ ص ٣١٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لما فيه خير المجتمع . فهو يعالج مشكلتين في آن واحد أحدهما وجود الأغنام السائبة في الشوارع والطرقات وثانيهما طيش القيادة في الشوارع المزدحمة وليس هناك من رادع فقال[1] :

بين الغداة وقبل الظهر وأحر بي ... أقص ما شهدت عيناي من كثب
اقبلت أذرع خطوي جد متئد ... والغيم ضاف ورأد الشمس في الحجب
وأعرضت سخلة في الدرب سارية ... تمشي وتقفز من لهو ، ومن لعب
تحبو (الطفولة) منها في قوائمها ... خشف (أمها) ولها حاد من الحبب
ففاجأتها ـ ولم تشعر ـ مدمدمة ... سيارة من ذوات البطش والغضب
ألوت بها ـ وهي نشوى من رشاقتها ... دبابة ورماها الجمح ، بالعطب
فالصقتها ببطن الارض (هامدة) ... وطار من كرشها البرسيم والعشب
ولم يغثها من (الإنسان) محتسب ... ولا (الحديد) المدوي أي مضطرب

* * *

رأيتها ـ وهي أشلاء ممزقة ... ورأسها ينطوي منها على الذنب
في (طرفه) لم تكن الا (كلا) ومضت ... الى الفناء وباءت شر منقلب

* * *

وأقبل الناس شتى ، ينظرون بها ... ضحية سقطت في غير ما سبب
وطار بالموتر ـ الجاني ـ لطيته ... ولم يرعه امتزاج الدم بالترب
وزادني ألماً في (أمّها) حزن ... يكاد في صمته ـ يعلو ـ على الصخب
تأوهت (ثاكلاً) حسرى مفطّرة ... مجنونة كبدها تشوى من اللهب
أصابها الرعن القاسي بفلذتها ... من دون ذنب ولم يعبأ بمنتحب
ورحت من دونها أشكو مواجعها ... في نقمة (حنان) جد مكتئب

---

(١) البلاد السعودية ع ١٧٣٤ ص ٤ في ٤/٥/١٣٧٤هـ .

فليس من ذنبها (عجماء) مرسلة ... ان تستجيب الى (الترفيه) في الرحب
وإنما الذنب كل الذنب مجتمعاً ... في (المهملين) ذوي الألباب والحدب
فما لهم لم يوقوها ـ الجنون ـ بما ... يقتضي النظام وما يخشون من أدب
تعودوه أهازيجاً ـ فما لبثوا ... ان جانفوه ولا زجر بلا رهب
وكان من أمرهم أن لا ينفذه ... إلا (البهيمة) تهوى بالدم السرب
فأين من (حفظها) المسؤول وهولها ... (راع) ويعصرها بالدر والحلب
وأين منه الجزاء الحق يدركه ... بالأمر والنهي في الإهمال والهرب
وكيف تنطلق الأغنام سائبة ... عبر الشوارع بين القشر والقصب
وحولها ـ دائماً ـ أو فوقها ـ أبداً ... ينقضي كل صليد حاطم صلب
لا بأس ما فات يمضي في مرارته ... فهل لنا عبرة من ذلك العجب
خير المواعظ ـ ما تهدى القلوب به ... حقاً ، وصدقاً وشر القول في الكذب

والغزاوي يعالج مشكلة التهافت على جمع المال أثناء الطفرة التي حدثت وما أصاب الناس من تهالك وراءها وتناحر وتكالب عليها ، فهو ينصح الناس باليقين والكسب الحلال ، وعدم إذلال الإنسان نفسه واحتقارها أمام المطمع المادي[1] :

طر إذا شئت في أمانيك أوقع ... إن (حق اليقين) في القلب أوقع
إن يكن رزقك المتاح ـ حلالاً ... فلأنت السعيد ، مهما توقع
لن تساوي لذائذ الحسس طراً ... ألم الذل بالذي أنت تطمع

وهو يتساءل عن فائدة المال ؟ فهو ضرر بالغ إذا لم يحسن الانسان جمعه وتصريفه بل هو فتنة عمياء ، وابتلاء للناس :

هبك أدركت في حياتك كدحاً ... (مال قارون) ما عسى أنت تصنع
هو كرب عليك يفني ، وهم ... فيه تشقى ، من حيث لا تتوقع

---

(١) المنهل مجلد ٣٤ ربيع أول ١٣٨٣هـ ص ١٦٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إنـه (فـتـنـة) ـ وفـيـك ابـتـلاء فـانـج منهـا بمـا بـه لـك يـرفـع

وهـذا درس من دروس الغزاوي يحـاول أن يمس به قلوب أولئـك الـذين جعلوا جمع المال أكبر همهم فانشغلوا بتحصيله عن عبـادة الله وصلة الأرحام . وهـو يتألم ويشكـو من ظاهـرة بدأت تـدب في المجتمع تلك هي التـذاذ الناس بـالمعيشة الـطيبة ، وانجـرافهم وراء ملذاتهم وشهواتهم وابتعـادهم عن دينهم ، وتهاونهم في عبادتهم ، وتقاليدهم السليمة :

عجبت : كيف يطيب العيش في ملأ مـا همهم غيـر أن يمتـد أوقـاتـا

وهم لم يكتفوا بالابتعاد عنها فحسب بل اتجهوا إلى ما هو أسـوأ منها الى الضلال والحقد والغفلة عن الدين والعجرفة والهرج والمرج :

قضما ـ وهضما ـ وتضليلاً ـ وعجرفة وغـفـلـة ـ وتـرانـيـمـاً ـ وأصـواتـا

مع أن المنبهات والنذر والظلمـات التي تحيط بالعـالم الإسلامي محـدقة بهم يـرونها ويبصـرونها ، فكـان الأولى أن يكون لهـا أثر في النفـوس ، يعظهـا ويردعها كل ذلك لم تجفل منه القلوب ولم تتدبر فيه العقول : ـ

وحـولهم (نـذر) تنقض مـطبقـة وما لهـا (مثـل) في كـل مـا فـاتـا
وكـان أولـى بهـم والأرض راجفـة أن يتقـوا الله ، إشفـاقـاً ، وإخبـاتـا

وقد ترك الناس العادات الخيرة والسليمة كالتحاب والتآلف وتناسـوها فلم يسأل أحدهم عن الآخر ، ولم يعده إذا مـرض حتى إذا مرّ ذكـر موتـه سأل عنـه متى مات :

حتى لتفتـرس الاسقـام ـ أكثـرهم حينـاً ـ ويـحتـمـل الآلام أعنـاتـا
وخيـرهم من إذا قالـوا : فلان قضى يقول :من صده عنه :(متى ماتا)[1]

أغلب الظن أن هذه المقطوعة تعبيراً صادقـاً عن حالتـه النفسية حيث رأى

(١) المنهل مجلد ٤٤ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ يوليه / أغسطس ١٩٨٢م .

الجفوة من الناس لمّا تكالبت عليه الأمراض ورأى منها العنت وتخيل الموت يطل عليه في كل لحظة وافتقد الناس الذين كان يعرفهم فاستشف سؤالهم « متى مات ؟ » من الواقع الاجتماعي المؤلم الذي عاش الشاعر بعضه .

وهذا الظن مستمد من أن المقطوعة المذكورة فلم تنشر في المنهل إلا بعد موته .

الرثاء

وكما أشاد الغزاوي بأفراح الأمة وتطلعاتها ، فقد شجى وتحسر وقرحت كبده لما فقدته ، لذلك فإن « الرثاء » من الأغراض الغزيرة الانتاج لدى الغزاوي ، فقد تألم لفقد العلماء الذين قضوا نحبهم ، وكانت لهم أيادي بيضاء في توجيه الأمة وفي إعلاء كلمة الحق ، وفي اعمال الخير ، كما رثى الشخصيات التي فقدتهم الأمة العربية والعالم الاسلامي ، وكان لهم إسهامات وطنية أو أدبية مثل رثائه لحافظ إبراهيم الذي تألم لفقده وأبان عن مكانته الادبية ، ومنزلته الاجتماعية وقيمته الإسلامية وقدرته على رثاء المعاقل والحصون الإسلامية ، ورثى الملك عبد العزيز بعاطفة جياشة غزيرة الدموع ذات تأثير نفسي شديد .

ورثاء الغزاوي بكاء على الفقيد وتذكير بأعماله وما قدمه للأمة والوطن ، وهو تمثل آراء الشعب حول الفقيد الذي عناه برثائه ومكانته الاجتماعية . بل إن رثاءه كلمة وفاء عن الأمة عبر بها في شعره وأفاض فيها من روحه ودمه وقلبه إن رثاء الغزاوي دليل على إخلاص الرجل لذلك الفقيد ووفاء منه أيضاً . لذا كانت عواطف الغزاوي صادقة تنبع بالحب للفقيد وأمته .

والقارىء لديوان الغزاوي يشاهد فيضاً من شعر الرثاء ولكثرته ووفرته اخترت نماذج منه افتتحها برثائه للأصدقاء .

فالغزاوي مخلص لأصدقائه وفيّ لهم ، وكان منهم شاعر[1] فلسطين الذي

(١) أبو الاقبال اليعقوبي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أطلق عليه حسان فلسطين ، فقد زار مكة حاجاً ، وفي أثناء الحج وافاه أجله وكان قد التقى بالغزاوي قبل وفاته وحدثت بينهما مساجلة أخوية شاعرية فلما تلقى نبأ وفاته آهتز كيانه وتأثر تأثراً بليغاً فرثاه بقصيدة حزينة أصدرها بالحكمة فقال[1] :

الموت حق يصرع والحزن كأس مترع

ثم ينتقل الى الحديث عن أثر الوفاة ويسكب الدموع ويتلهف بقلب مجروح مكلوم : -

فجعت (عكاظ) بمدره هو للبلاغة مجمع
تبكي عليه الخافقات وتستجن الأضلع
وتحار في آماقها مهما درون الأدمع
لهفي عليه وما عسى لهفي عليه ينجع

وهو يسترجع عقله وفكره في المصيبة ، ويعزي نفسه بأن الأمر قضاء وقدر ، وأن الرجل خلف أثراً حسناً مفيداً :

يا قلب حسبك أنه أجل يخف ويوضع
ما مات من أبقى له أثراً يعد وينفع

ويسترسل في سرد تلك المآثر للفقيد :

أودى بمكة شاعر فحل خطيب مصقع
هو مهبط الفصحى التي من فقده تتوجع
كنز البيان وسحره أو بحره المتدفع
المؤمن البر التقي الصالح المتورع
حسان ثالث مسجد وفقيهه المتضلع

وبعد ما أبان عن مآثره ولم تبق الا النهاية عرج على الحديث عنها وانها

---

(١) صوت الحجاز ع ٥٤٠ في ١٩٤١/١/١٩م .

كيفية تنبيء عن رضا الله فقد مات محرماً ملبياً بجوار أقدس بقعة في يوم العيد .

يا للسعادة - إنه فيها العشى يشيع
قد مات في إحرامه في تربة؟ تتضرع
وقضى - وكان ملبياً يا حبذا هو مطمع
بجوار أقدس بقعة فيها المشاعر أجمع
في يوم (عيد) أكبر (أضحى) به لا يسمع

وبعد الوفاة يستعيد الشاعر ذكريات صديقه بما يشجي القلب ، حينما كانا يتنادمان ويتطارحان الشعر ويغردان به ، فيا للحسرة إنه كان بالأمس يفيض ويمرع ونستمع إليه ولكن هذا المعين ينضب وتغرب شمسه ويهدأ قلبه المثقل بهموم أمته :

بالأمس - كان مغرداً يشجي القلوب ويقرع
بالأمس كان كعارض جون ، يفيض ويمرع
بالأمس كنت حياله أصغي إليه ويسجع
واليوم تغرب شمسه وعلى الحقيقة تسطع
واليوم يهدأ قلبه وهو الشجي المولع
واليوم يلقى سعيه وله الخلود الاوسع

وهو لا يكل ولا يمل من استعادة مآثر صديقه فهو يطري فرائده العصماء التي أوحى بها الخير وحبه للمجد وتنبيء عن نبوغ وعبقرية لصاحبها :

لله كم من درة وفريدة لك ترفع
أوحى اليك بها الهدى والمجد - فهي ترصع
نشدو بها ونعيدها ولها المقاول تخضع
هي في نبوغك آية لو أنها بك تطلع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي نهاية هذه المرثية يتمثل الصبر ، ويظهر إيمانه بالله المتصرف في خلقه المدبر له فهذا حكم الله وقضاؤه ولا راد له :

آمنت بالله الذي ما شاءه لا يدفع
إني لأحسب مهجتي من حزنها تتصدع
وأقول ما قال الألى صبروا ولم يتجزعوا
إنا اليه وإننا لا شك يوماً نرجع
مرحى له من فائت بثوابه يتلفع
وعليه رحمة ربنا ورضاؤه المتوقع

ويلاحظ أن هذه العينية في الرثاء كلها ألم وحسرة وحزن وتلهف على صديق عزيز وشاعر مجيد ، ومن أظهر معالم هذه المرثية اختياره للبحر السهل ، والاسلوب السلس المتدفق الذي يشاكل القلب في خواطره الحزينة .

وإن التمجيد اقتصر على كونه شاعر مجيد ، ولم يتناول أسرته وأهله أو حتى يعزيهم مجرد تعزية ، ولم يتعرض الشاعر لمكانة صديقه الاجتماعية ومكانة شاعريته بين شعراء العربية ما عدا بيتا واحداً هو قوله :

أودى بمكة شاعر فحل خطيب مصقع

من هذا نشعر بأنها قصيدة خاصة في رثاء صديق خاص رثاه الغزاوي من خلال هذه الصفة فحسب .

رثاء الغزاوي لحافظ ابراهيم وأحمد شوقي :

والغزاوي يتتبع رجال الأدب ويطلع على انتاجهم ويدرك مكانتهم الأدبية في المجتمعات العربية .

لذا فإنه فجع بموت شاعري النيل حافظ إبراهيم وأحمد شوقي وأرى أن الفرق واضحاً بين رثائه لهما ورثائه لصديقه أبو الاقبال اليعقوبي (حسان فلسطين) فرثاؤه للاخير نابع من منطلق الصداقة والحب ، فهو يتدفق حسرة

وأسى ويتلهف على شخصه بينما أرى الوضع يختلف في رثائه لحافظ ابراهيم وشوقي فهو يرثيهما من منطلق أعم وأشمل بمجدهما من خلال فقدان الامة العربية لهذين العلمين النابغين ، فكما أن مصر تبكيهما فقد بكتهما شعوب الدول العربية بكت فيهما حرصهما على العقيدة الاسلامية والوطنية العربية والأمجاد التاريخية ، والعلوم العربية وآدابها ومشاهيرها واهتمامهما بالتراث العربي والأخذ بالجديد المفيد ، وأنهما المثل الأعلى في المحافظة على العربية والإشادة بها فاستمع إليه يعدد الأقطار العربية في رثائه لحافظ ابراهيم :

أحافظ شعبك أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن
وأنت لمصر كما للشام ولو لم يوفّ اليك الثمن

وقال في شوقي :

لئن روعت بمنعاه (مصر) فلها العذر ولتعذر بالرضاء
غير أن الحجاز والعرب طراً مسهم فيه ـ أيما بلواء
(بردى) و(الفرات) فيه استحرا عبرة النيل منبت العظماء

ومع اشتراكهما في هذه الخاصية الا أني ألحظ الفرق الجزئي بين رثائه للرجلين مع أن المعنى واحد ، فقد وصف أحمد شوقي بأكثر مما وصف به حافظ ابراهيم لأنه ذكر الأقطار في رثائه لحافظ واكتفى ، بينما أخذ يعلل ويذكر ما أصاب هذه المدن في رثائه لأحمد شوقي في قوله :

(روعت مصر) ، (الحجاز أصابها البلواء) واستحدت عليه بردى والفرات وهذا يدل على أن أحمد شوقي أعظم مكانة في نفس الغزاوي .

والغزاوي في مرثيته لهذين الشاعرين الكبيرين يستقي خصائص ومعاني كل منهما من الأفكار والاتجاهات التي تخص شعرهما ، كما يتضح من إلمامنا بكل من القصيدتين الآتي :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مرثية حافظ ابراهيم :

رثى الغزاوي شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله بقصيدة ذات قافية مختلفة ـ على غير عادته ـ استهلتا بزجر البكاء عنه لأنه أطال البكاء أو أراد الشاعر ألا يبكي أصلاً فالبكاء لا يفيد والغزاوي في فترة الشباب والفتوة فهو قوي الإرادة لذلك يضمد الجراح ولا يبكي :

زجرت البكاء وعفت الحزن ... وقلت لقلبي إلام الوهن

وفيها يذكر حافظ بألصق صفة عرفت عنه ، فهو شاعر الشعب ، وهو الحنان لوطنه فكم سكب فؤاده أسى وحسرة على أعيان بلاده وتشكى من الأحداث التي خلقت المآسي للشعب العربي المصري ـ وكم مجد وطنه ورفعه بشعره بين العالمين ، فهو شاعره وفنانه وقلبه النابض :

وكم في حنوك من بائس ... وكم من دعائك من مؤمنين
سكبت فؤادك مستلهماً ... ومجدت قومك في العالمين
فتلك ـ الكنانة ـ معتزة ... بخير البنات ورشد البنين
أصم نداؤك سمع الجماد ... وهذا تراثك في الخالدين

وهو يشير الى مكانة شعر حافظ التي رضي عنها الجميع حتى أولئك الذين يهاجمون الشعراء المقلدين والذين يرمون أحمد شوقي بالتقليد والجمود في شعره فمالوا لشعر حافظ اكثر ، لحديثه الجم عن النواحي الاجتماعية والتعليمية فنال الحظ الأوفر من التراث ، واقتبس الجيد من الجديد وتناول مواضيع الساعة فقال في شعره :

ونافس فيها القديم والجديد ... وكان الهجوم وكان الدفاع
وظل الكفاح يمدّ الهداة . . . ويروي الطغاة اليقين المشاع
فأثمر ذاك انطلاق العقول ... فثم الشموس ـ تريق الشعاع

---

(١) صوت الحجاز ـ صفر ١٣٥٦هـ .

وهو يختم مرثيته لحافظ بتحية لمصر فيقول : ـ

فعش في خلودك يا (حافظ)　　فمصرك أضحت عرين الاسود
وفيها الكماة ـ وفيها الكفاة　　كما كنت تنشد خير العهود

مرثيته لأحمد شوقي :

ورثى الغزاوي أمير الشعراء أحمد شوقي بهمزيته الرائعة التي أبان في مستهلها عن حزنه على شوقي وعلى جمع من أعيان الامة العربية التي فقدتها مصر حيث قال[1] :

نضب (الدمع) في ضروب الرثاء　　بين ذي كربة ـ وبين مرائي

وقد تلاحظ معي الفرق بين مطلع قصيدته في حافظ ابراهيم وأحمد شوقي فهو يزجر الدموع من البداية عند رثائه لحافظ ابراهيم أو يزجر ويطلب الكف منه قبل أن ينتهي من أصله :

زجرت البكاء وعفت الحزن　　وقلت لقلبي إلام الوهن

بينما نجده في بداية مرثيته لأحمد شوقي لا يكف عن البكاء ولا يحاول زجره ، انما يستمر فيه حتى ينضب الدمع وينتهي ، ومع ذلك أرى أن بيته في حافظ ابراهيم أكثر تأثيراً وألماً لأنه مزج قلبه ونفسه وخص ذاته بالزجر وأخذ يكرر تقريع قلبه الذي يصر على الضعف والوهن مما يدل على تأثر بالغ .

بينما نجد في مطلع مرثيته لاحمد شوقي يشترك معه غيره في أسباب انهمار الدموع ونضوبها .

ثم استمر بعد هذا البيت يذكر حكماً وأموراً عامة يوحي بها غرض الرثاء ، لكنها لا توحي بعاطفة حزينة نحو الشاعر المفقود بل يذكر مكان شوقي وشهرته فهو مصباح منير وشمس سطعت في ظلماء الشعر ، وقد استمد معانيه

---

(١) صوت الحجاز في ١/٧/١٣٥١هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من وحي إسلامي فجاهد بشعره للعقيدة الاسلامية :

مات (شوقي) ومن يعزيك فيه ... أيها الشرق : فاضطلع بالاداء
كان (مصباحك المنير) اذ ما ... غمطت منك صولة ـ الأقوياء
كان كالشمس كلما بك ذرّت ... ألّبت ضوءه على الظلماء
أطلقت نورها (جماداً) وألقى ... من سنا (الوحي) حكمة الأنبياء
وقضاء العمر في (جهاد) وضحى ... فيك إخلاصه ـ بكل وفاء
إن شوقي وإن يكن مات حقاً ... (كوكب خالد) مع الجوزاء
خلف الذكر حافلاً في النوادي ... كأريج الجنان ـ يوم الجزاء

وهو يقف الى جانبه في المعارك الأدبية التي خاضها النقاد ضد أمير الشعراء ومع شدة الهجمة وضراوتها إلا أنهم لم يستطيعوا إخماد أدبه :

ويح من جعجعوا عليه ـ فماذا ... كان إنتاجهم مع الاغواء ؟؟
إن آياته ـ لتتلى ـ ويبلى ... وهي في (الضاد) ملجأ الأدباء

وأختم ما آخترته من هذه القصيدة بقوله :

إنما أنت في العروبة ـ نجم ... قد هوى ساطعاً بدون فداء

نعم لقد كان أمير الشعراء نجماً لامعاً في عالم الأدب العربي .

وتمتاز هذه القصيدة بأنها رثاء لشعر الشاعر أكثر منها رثاء لذات الشاعر فهي تخلو من عاطفة الحزن التي تطبع الرثاء ، غير أنها تميل الى العقل والفكر فأمير الشعراء له المكانة الادبية في الأدب العربي ، ولكنه يفتقد الحب والصداقة من أدباء الحجاز لأنه ربما رأى مكانته أعلى ، فقد حاولوا الاقتراب منه لكن قوبلوا بالصد كما فعل الأسكوبي .

لذلك فهم أحبوا محافظته على الأدب وإجادته للشعر وأنصفوه في ذلك فحسب، أضف إلى ذلك أن الغزاوي من أنصاره وممن سار على نهج شعره من حيث الأهداف والموضوعات .

رثائه لابن بلهيد :

كان ابن بلهيد عالماً جليلاً تولى رئاسة القضاء في مكة المكرمة في مطلع العهد السعودي ، وله مكانته المرموقة في الدولة وبين أفراد المجتمع وكان للغزاوي معرفة به عن كثب فقد كتب له في رئاسة الديوان فترة من الزمن ، فلما وافاه الأجل رثاه الغزاوي بقصيدته البائية ، التي تجلببت بجلباب الأسى وتلفعت بالحزن ، ومثلت الأثر البالغ الذي تركه الفقيد في نفوس الناس وفي قلب الشاعر الغزاوي بالذات ، فهو يلجأ إلى الله واحتسب الصبر على الفقيد في سبيل الله ، فالناس يعرفون الله في وقت الشدة ، فهو لم يبدأ قصيدته بفلسفة انما استهلها بعاطفة دينية مبنية على الفطرة :

في مثلك الصبر عند الله يحتسب والعلم يرفع والأشجان تصطخب
يا ويح كل فؤاد أنت موقظه أمسى بفقدك في أعماقه يجب

ويقول فيه :

ما للجفون أراها فيك دامية كأنما هي بالاحشاء تنسكب

فترى معي أن الجفون دامية وترك لها العنان لتفيض ما فيها من دمع حتى تدفقت بالدم بينما زجرها عن مجرد الدمع في رثائه لحافظ ، وذكر نضوبها في رثائه لأحمد شوقي مما يدل على اختلاف العاطفة في الرثاء فهنا يظهر أن الغزاوي متأثر بشخصية الفقيد ويكن له الحب لقناعته بإيمان الرجل وأثره الفعال :

في قلبه من ضحى الاسلام ألوية خفاقة وهي في غاراته خطب
وفي سويدائه التوحيد مدرع حسن اليقين في غيراته لهب

وأخال أن هذين البيتين مبتكرين ذات معان جديدة فهما مشتقان من غيرة الرجل وصراحته في أمور الدين الاسلامي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رثاؤه للملك عبد العزيز :

ان الغزاوي ظل يمدح الملك ويشيد بأعماله الجليلة من عام ١٣٤٥ هـ حتى توفاه الله في ربيع الأول ١٣٧٣ هـ وكانت نظرته للملك نظرة إعجاب وإكبار وتقدير فهو موحد الجزيرة ، وجامع شملها ، ورائد نهضتها ، ففقدانه خسارة للأمة ، فأحس الغزاوي بفداحة آلامه ورثاه وفاء له ، وتمجيداً لذكره واعترافاً بفضله ، وقد بدأ مرثيته بتعظيم الأمر ، وبكاء الشعب على الفقيد والحسرة عليه حتى تخيل للشاعر أن الجماد قد ظهر عليه أثر الحزن والحسرة فأخذ يبكي تماماً كما بكى البشر ويتصور أن الأرض اهتزت وزلزلت من هول المصيبة فهو في حيرة من أمره :

فدح الخطب ، واستطار المصاب ... وبكى الشعب ـ حسرة ـ والشعاب
وكأن القلوب توقد ـ ناراً ... وكأن العيون مهل مذاب
ما يقول النعاة ؟ ويحي أرجف ... زلزل الارض : أين مني الصواب

هذه الابيات تحس أنها تخطفك خطفاً متلاحقاً بين أفكار الرجل وتحس أيضاً معهابجلجلة في جوانح الشاعر من أثر المصيبة مما أفقده صوابه وتركيزه حتى أنه لم يع ما حدث هل زلزلت الارض زلزالها أم ماذا جرى في هذا الكون وأخاله أنه تصوير صادق واقعي لحالة مثل هذه الواقعة .

وبعد لأي يعود إلى الشاعر صوابه ويتذكر قضاء الله وقدره ويعزي نفسه بهذه الحكمة :

انه الحق ـ هكذا الموت ـ فيه ... تتساوى الفروق ، والأنساب

ثم لم تلبث الحالة الاولى أن تعاود الشاعر فكأن اللسان يهذي ولا يستطيع الشاعر التحكم به لهول الواقعة :

مات عبد العزيز رحماك ربي ... أتفيض البحور ، وهي عباب
مات « عبد العزيز » اذ هو طود ... تفتديه شوامخ ، وهضاب

ثم يستطرد في تعداد مآثر عبد العزيز فيقول :

فـإذا الـصعـب فـي يـديـه ذلـول ... وإذا الـجـدب في ذراه اخـتصـاب
وإذا الـديـن لـلهـداة (مـنـار) ... وإذا الـعـلم فـي ضـحـاه قـبـاب
وإذا الـعـرب دولـة ذات بـأس ... وهـي من (قـبله) لـقى ، ويـبـاب
وبـه اسـتمـسـك الـبـنـاء وزانـت ... شـرعـة الحق وازدهى المحـراب

ثم يعرج الشاعر على نفسه وما ألم بها فيصورها ويصف حزنه واضطراب جوانحه واختناق عبراته ونضوب دمعه :

ايـه يـا عبـرة تحـور اختنـاقـاً ... أنت ـ لا النزع ـ للحياة استلاب
صـاعق لم يـذر ، ولم يبق مـاء ... في جفـون ـ غمـارهن السحـاب
وأراني قـد شـرقـت حـطامـاً ... لا أعي مـا اقول ، لـولا المثـاب

انها قصيدة متلونة بحالة الشاعر النفسية وحالة الشعب في مقاطع متعددة كأنها الروافد لتحقيق الهدف من القصيدة ، فرسمت لنا صورة أثر هذا الامر الفادح تمثلت بحق واقع الأمة تجاه رجل عظيم فقدته . جمع شملها وبنى حضارتها وحكم فيها بالعدل وأمن البلاد ، وجعل الاستقرار يسودها .

وآخر قصائد الرثاء عند الغزاوي مراثيته في رثاء الملك فيصل رحمه الله والتي يقول فيها :

جـرت الـدمـوع كـأنهـا (أنهـار) ... ووجـدتني ـ بنـزيفهـا ـ انهـار
مـاذا سمعت أفيصـل أودى بـه ... فـي طـرفـة ذو جـنّـة غـدار
طـود عـظيـم بـاذخ من دونـه ... تـتفـطر الأكبـاد ، والأعـشـار
صعقت بمصرعه البرايا كلّها ... والـشـمس والأفلاك والأقـمـار
وكـأنمـا الـدنيـا بـه قـد أوذنت ... بـالصـور ينفخ وهي فيه هـدار
نبـأ غشينـا منـه حتى مسّنـا ... قـرح بـه تـتفـتـت الاحـجـار

---

(١) الثلاثاء الحزين ١٢٦ اعداد / عبد العزيز أحمد شكري .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيها يقول :

أو فيصل يغتال وهو منارنا هذا هو الاجرام والاهدار

هذه القصيدة مع روعتها وواقعيتها ، فانها لا تمثل ذات الغزاوي تجاه الملك فيصل فهي تفتقد الجزع والعاطفة الحزينة ، والتأثير النفسي الذي يكسو القصيدة وقد علل الغزاوي تقصيره بقوله :

قالوا ألا ترثيه ، قلت لقد عصت فيه القوافي الثكل والاشعار
وخرست من هول المصاب ووقعه واجتاحني الاجبال والابهار

من هذه الدراسة نرى أن الغزاوي يعتمد في رثائه على البحور الطويلة . ما عدا قصيدته في صديقه (حسان فلسطين) متقيداً بالأسلوب السهل والديباجة المشرقة ، وهو يبتعد عن الغوص وراء الافكار الموغلة في السعي وراء استنباط المعاني العميقة بل يحوي تصوير نفسه من واقع الحادثة والتجربة التي يمر بها .

ومن الأمور التي نراها تكثر في رثاء الغزاوي وجود بعض الحكم في رثائه وبروز معالم العقل ، والإيمان بالقضاء والقدر .

ورثاء الغزاوي مصبوغ بصبغة الفقيد فإن كان صديقاً محبوباً أمطره بشآبيب الألم والحسرة والحزن والأسى فضلاً عن تعداد مآثره ، وإن كان شخصية ذات أثر في المجتمع وكان له علاقة ودية وذات أثر نفسي في الغزاوي تدفقت مشاعر الغزاوي بعاطفة حزينة مؤثرة تئن تحت وطأة الالم والفاجعة التي أصيب بها .

ذلك إلى جانب تعداد مآثره وصفاته الطيبة وأعماله الخيرة والأثر الذي تركه في المجتمع وفداحة أمره كما تراه واضحاً في رثائه للملك عبد العزيز رحمه الله ، أما اذا كان الفقيد شخصية ذات اثر في المجتمع فحسب ، فان الشاعر يعدد مناقبه وخسارته على الأمة ، وأثره في المجتمع ولم يلبس القصيدة لباس الحزن كرثائه لأحمد شوقي .

الوصف

يعتبر الوصف من الأغراض المهمة في شعرنا العربي قديمه وحديثه اتخذه الشعراء في بعض الأحيان طريقاً يسلكونه الى أغراضهم الشعرية الأخرى وهذا ما نجده عند الغزاوي فقد تناوله في أغلب شعره فهو يزين به مقدمات مدائحه ليكون وسيلة للانتقال إلى الغرض الأصلي الذي جاءت القصيدة من أجله فنراه في بعض قصائده يصف الروض مازجاً صور الروض بصور أخلاق ممدوحه وتارة أخرى ينقلنا إلى صور أخرى يصف فيها الحشود والطرقات وشخوص الأبصار وتطاول الأعناق ويصور لنا الجنود المصطفة والطرقات المزدحمة والممرات المفروشة والقاعات المنسقة وتارة يحملنا إلى جو آخر فيمتع نفوسنا ومشاعرنا بما يصوره لنا من أسطول أو سفن تجري في البحر كالاعلام .

ثم لا يلبث أن يضعنا في جو آخر من الصور فإلى جانب الصور الحسية التي أمتعنا بمنظرها يمتعنا بصور معنوية لا تدرك إلا بالعقل وذلك عندما يغوص في أعماق النفس البشرية فيحلل لنا ما لا تشاهده العين ذلك عندما يصف لنا عيد الفطر المبارك وما يخلفه من أثر في نفوس الناس وما يتركه من نتائج في المجتمع الإسلامي تظهر على شكل تآلف وتحاب ومن عطف الغني على الفقير كل هذه المشاعر النفسية تظهر إلى جانب وصف مباهج العيد وصفاً حسياً كأنه باد للعيان .

أما في حولياته فهو يصف فيها الحجاج وتجمعهم وتآلفهم ومناظرهم يحاول أن يتسرب إلى مواطن الحس والشعور لديهم متلمساً آراءهم ومتحسساً أفكارهم في صور معنوية زاخرة بالخيال الخصب وهو لا ينسى أثناء ذلك أن يعرج على المشاعر الحرام وما يحدث فيها من ازدحام وما تثيره في النفوس من خشوع وخضوع وحاجة الإنسان لرب هذا البشر ومع كل ذلك الوصف الحسي والمعنوي نجده لا يترك وصف أثر الحضارة والعمران ، والتطور الذي عمّ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأماكن المقدسة وطرقاتها ومساراتها وما تقدمه الدولة من خدمات وتسهيلات لضيوف الرحمن .

هذه الأمور وغيرها تتضح في ثنايا قصائده في موضوعات مختلفة وإلى جانب ذلك . . فإن للغزاوي قصائد كثيرة في وصف الطبيعة ومظاهرها من شعاب وأشجار وأعشاب وأزهار وجداول المياه .

والغزاوي ابن بيئة ترى المطر مظهراً من مظاهر الخير والعطاء من رب السماء لم ينس أن يظهر لنا تأثيره بذلك فنجده يصف الغيث والسحب والسيول وما تتركه في نفوس الناس من مظاهر البهجة والفرح وتوقع الخير العميم الذي ينزل مع كل حبة من حبات المطر عطاء من الله عز وجل .

وكذلك الحضارة الحديثة وما أبدعته عقول البشر من الصناعات الضخمة التي كانت ثمرة العلم والتقدم في العصر الحديث أثرت في الغزاوي وجعلته ينفعل مع ثمراتها فوصف لنا الطائرة والسيارة والقنبلة .

والغزاوي ابن مجتمع يعيش فيه ويتفاعل معه كل لحظة من حياته ولذلك نجده يقدم لنا وصفاً لأولئك الذين يقدمون الخدمات للمجتمع أو لمن يؤمل فيهم المجتمع والناس الخير فهو يصف لنا الطبيب والتلميذ وغيرهم مما لا نستطيع حصره .

ولا بد أن نقدم بين يدي القارىء بعض النماذج التي نحاول من خلالها الوقوف على مظاهر الوصف وميزاته لنتبين منهج الغزاوي فيه .

وصف الطبيعة :

أعجب الغزاوي بالطبيعة ومما يتجلى بها من جمال ورونق وأدرك أثرها في النفوس لذلك رصع بصورها أوائل قصائده .

ففي قصيدته التي مدح بها الملك فيصلاً ـ عندما كان أميراً ـ نجده يبدؤها بوصف نزول الغيث وتتابعه وظهور الحبب ذي المنظر الجميل حتى نمت منه

الرياض ذات الخضرة الحسنة يزيدها جمالاً تلك الأزهار المتموجة التي تختال بها الأغصان إلى جانب انسياب المياه الصافية في ثنايا البطاح .

وقد جمع في قصيدته صور الروض مع صور تلك العصافير الجميلة المغردة وهي تنتقل من دوحة إلى دوحة ومن فنن الى فنن . ونوع في صوره حتى أمتع حاسة الشم بروائح الرياض إلى جانب امتاعه البصر .

والغيث جادك بالقطار كأنه ... حبب تزمزم حوله الندماء
فانظر إلى الطل المرقرق في الضحى ... خلل الغصون كأنه الآلاء
وإلى الرياض وقد تفتح نورها ... وإلى الشعاب وقد سقاها الماء
وإلى النبات وقد أطل ربيعه ... ريّ الجوانب حيث سرت ماء
وانصت إلى الأطيار في أدواحها ... صداحة بالشدو وهو غناء
وانشق عبير الزهر في أرج الصبا ... كخلال (فيصل) كلها فيحاء[1]

وهو هنا يحسن التخلص إلى المدح حيث يجعل من عبير الزهر منطلقاً للمقارنة مع خصال ممدوحه التي تشبه هذا العبير في انعاش النفوس بها ، والشاعر هنا يجعل من الطبيعة طريقاً لوصف خلال ممدوحه العظيمة وهو في هذه القصيدة يسلك مسلك الشعراء القدامى في اتخاذ مظاهر الطبيعة للتخلص الى غرض « مثل قصيدة صفي الدين الحلي » التي مطلعها :

خلع الربيع على غصون البان ... خللا فواضلها على الكثبان

وصف السفن والأسطول :

والغزاوي عندما يصف السفن في البحار يقف عندها طويلاً فيبدأ بوصف منظرها عن بعد :

وإذا أشرف الأسطول مرتفع الصوى ... وراحت تهادي في الخضم البواخر

---

(١) أم القرى ٥٧٨ ـ الجمعة ٨ شوال ١٣٥٤ الموافق ٣ يناير ١٩٣٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يجعل من صورة هذه السفن المتهادية على سطح الماء صورة مشابهة لتلك الصورة العربية القديمة التي تظهر لنا مشية الفتاة وهي تتهادى في دلال وغنج ولعله يشترك مع ابن هانىء في بيته الذي يصف فيه الأسطول :

قباب كما تزجي القباب على المها ولكن من ضمت عليه أسود[1]

والغزاوي لم يلبث أن مزج بين الصورة المجردة والصورة التي ترتبط بمشاعره وأحاسيسه ورؤيته ورؤية غيره للاسطول :

تروق العين الشاخصات قدودها ويرتد عنها الطرف والطرف حاسر

وينقلنا إلى صورة أخرى من صور الأسطول في حديثه عن تباريها في البحر ومنظرها الذي تبدو فيه فهي على شكل أطباق وبروج وزوايا :

تباري وفي أطباقها وبروجها وبين زواياها تموج المخاطر

فالغزاوي في هذا البيت يصور لنا خلفيات ما تراه العين من الصور الحسية عندما يكشف لنا عن الأثر النفسي الذي أحدثه منظر السفن فرأى فيها صور المخاطر وهي تلوح خلف برج الأسطول ولعله هنا يشبه ابن هانىء في تصويره للأخطار التي يحملها الأسطول وذلك في قوله :

فافواههن الحاميات صواعق وأنفاسهن الزافرات حديد[2]

وصورة المخاطر المائجة إنما تعكس لنا حالة الغزاوي النفسية وما أثر عنه من الخوف من الطائرة والباخرة .

ثم ينتقل الغزاوي في شعره إلى وصف عظمتها وضخامتها وشموخها .

كأن الجبال الراسيات شموخها وكالرصد المنقضّ منها القنابر

---

(١) الشعر الاندلسي في ظلال الخلافة الآندلسية . د . عبد العزيز عبد الله عواد ص ٢٢٨ .

(٢) المصدر السابق ٢٢٨ .

وكـأن سـواريهـا إذا هي أقبلت شمـاريخ رضـوى دونهن جـزائـر

والصـورة هنا للسفن هي صـورة الجبال الـراسيات التي تكـرر ذكرهـا في شعر ابن هـانىء الاندلسي :

من الـراسيـات الشم لـولا انتقـالهـا فـمنـهـا قـنـان شـمـخ وربـود[1]

وفي تشبيهها بالجبال نجد الصـورة عند صفي الـدين الحلي في قصيدتـه (خلع الربيع) حين يصف السفن :

وبـه الجـواري المنشآت كـأنهـا أعـلام بيـد أو فـروع قنـان[2]

ولم يفت الغزاوي أن السفن تمخر عباب البحر وأن جنباتها تصطدم بالماء فتحدث موجاً أبيض كأنه نجوم السماء وهي تتهادى في دجى الليل :

كـأن حبـاب المـاء حـول جنـوبهـا نجـوم تهـاوى في الـدجى ونـوافـر

والغـزاوي في تصويـره للسفن تشق حباب المـاء يتفـوق على ابن هـانىء الذي يجعل من حباب الماء طريقاً تـسلكه السفن وذلك في قوله[3] :

فـليس لـهـا الا الـريـاح اعـنـة ولـيس لهـا إلا الـحبـاب كـديـد

ويتحفنا الغزاوي بصورة أخرى من صور السفن لكن هذه الصـورة لا تقل روعة وجمالاً عن سابقتها بل تتفوق عليها وذلك بجعله الأضواء أحياء تتزاور فيما بينها .

إذا انبعثت أضـواؤهـا خـلت أنهـا نـيـازك فـيـمـا بـيـنـهـن تـزاور

ويستمر بوصفها بما يوحي بأهميتهـا إذ أنها مصنـوعة من الحـديد وعليهـا الحماية من أسلحة وطيران وما داخلها إلا حصوناً ومتاجر :

---

(١) المصدر السابق ٢٢٩ .

(٢) ديوان صفي الدين الحلي ١٠٠ دار صادر بيروت .

(٣) المصدر السابق ١٠٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

معاقل من صلب الحديد وفوقها ... عتاد تلظى للوغى وطوائر
بناها (بنو التاميز) في البحر زينة ... وأخرى حصوناً والبقايا متاجر

ثم يتحدث عن أهمية صناعتها ودقتها وأن العلم هو صانعها ومبدعها ويستخلص من هذا الأسطول الدروس والعبر التي لا يلبث أن يوجهها لأمته لعلها تتذكر وتنتفع بالذكرى :

حماها عن التفريق أقطابها الألى ... يلذ لهم عنها الفدا والتآزر
حمى ذلة الإرهاق عنها اجتماعها ... وعلم بأسرار الوجود محاضر
تواصت على حفظ التراث فلم تزل ... مواردها مأمونة والمصادر
على دأب أعيا العصور انبعاثه ... وفي أدب آثاره تتوافر
نظام كدقات القلوب استقامة ... تنزل من فكر به الوضع ساحر
تبث أهازيج الطفولة همة ... فيزكو وأحلام الشباب بواكر
بنى سمكها استمساكها فتوطدت ... دعائمه بالعلم والجهل ضائر

ويعلل حديثه عنها بقوله :

نخذت بها ذكرى لقومي وأمتي ... فقد تنفع الذكرى وتنمو المشاعر

ومن المجتمع يختار لنا صورة الطبيب فيصفه لنا جاعلاً منه ملاكاً واسع الصدر كثير الاحتمال يتعب قلبه ويشقيه وإن كان يخفي ذلك وراء بسمة تعطي المريض شعوراً بالثقة :

إن قلب الطبيب قلب ملاك ... وهو في الحق كالسماء رحابهْ
فهو يأسو المريض غير محاب ... فيه أعداءه ولا أحبابهْ
بفؤاد كأنما هو (بؤس) ... وعيون هي الدموع المذابهْ
يلمس الداء باسماً وهو يبكي ... حين يخفي مع السرور اكتئابهْ
مستمداً من التجارب وحياً ... مسجل (الفن) للحياة (كتابهْ)[1]

(١) أم القرى ٧٣٧ ص ٩ يوم الجمعة ٧ ذو الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٣٩م .

وحدث أن انهمر المطر على مكة فأحدث سيلاً عرماً منقطع النظير أدخل الرهبة والخوف في قلوب الناس فجادت قريحة الشاعر وانطلقت ترصد هذا الحدث في قصيدة تصفه ـ وصفاً دقيقاً ابتدأه بتصوير تراكم السحب بعضها فوق بعض في السماء حتى أشبهت الهضاب الشم وقد انهمر منها الماء كأنه أفواه القرب فأخاف ذلك الطير والإنسان فهجر الطير أجواء السماء ولم تعد ترى منه في السماء طائراً يرفرف بجناحيه . وانقطع الأمل بانقشاع الغيوم المتلبدة حيث لا هواء أو رياح وكلما انقطع المطر عن الانهمار عاود الكرة حيناً آخر :

شهد (الوادي) غداة الأربعاء ... صلة الأرض بآفاق السماء
أسفر الفجر مع الغيث معاً ... يوم ست من ربيع ـ كالدلاء
ومضى يهمي ملثا غدقاً ... من سحاب حجبت منه (ذكاء)
كالهضاب الشّم في تخريجه ... يصدع الفجر ـ ويستوحي البناء
لم نجد للطير فيه مسبحاً ... لا ولا للريح خفقاً والهواء
كلما أجلى ـ وأهوى ـ برهة ... عاود الكرة ـ حيناً ـ وأفاء[1]

وبعد هذا الوصف لحالة المطر يعرج على وصف الناس وما أصابهم من الهول والذعر والخوف والرهبة التي أخرست ألسنتهم ، فظل كل شخص قابعاً في مكانه يظن أنه أفضل من غيره لا يحدث حراكاً ولكنه يرقب بعين ذليلة كسيرة ما سيحدث له من أهوال كأنه انبعث من قبره ليعاني من أهوال يوم الحشر :

وكأن الناس في رهبته ... أهل (أجداث) يغاويها الفناء
لا ترى منهم سوى مضطرب ... قابع في كسره يخشى البلاء

ثم يعدو إلى السيل فيشبهه بالبحر الزاخر حينما يجرف أمامه الروابي ويأخذ

---

(١) صوت الحجاز ص ١ في ٦/٣/١٣٦٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرمل وغيره . فأنت تراه يهبط في شعاب مكة تارة وتارة يهجم على مرتفعاتها مارا بزرود وكدي وكداء حاملا معه الويل والثبور مهددا الناس بصوت كالرعد يهدم البيوت ويرعب الناس وأحاط بكل شيء حتى المسجد الحرام ظل سابحا في هذا البحر الرهيب :

ومشى (السيل) كبحر زاخر ... بالروابي السود من رمل وماء
هابطا طورا وطورا صاعدا ... من (زرود) و(كدي) و(كداء)
في دوي الرعد يعدو موجه ... بين هدم وعويل ونجاء
غمر (المسجد) منه لجة ... جازت (البيت) الى باب النداء

ولا ينسى أن يغتنم هذا الحدث ليأخذ منه عبرة وعظة ودعوة يدعو بها قومه إلى الانابة والعودة لله سبحانه وتعالى :

إنها (ذكرى) وفيها (عظة) ... للألى استنقذهم لطف القضاء
أيها القوم أنيبوا واشكروا ... نعمة الله ـ وعوذوا بالدعاء
واذكروا الله كثيراً يؤتكم ... من لدنه كل خير ونماء

ومن خلال استعراضنا لهذه القصيدة يبدو لنا وصف الغزاوي لهذا الحدث وصفاً واقعياً لا مبالغة فيه جاءت صوره في غالبيتها مطابقة للواقع الذي حدث لذلك اتسمت بالصدق المؤثر في النفوس تحمل في جنباتها وصفاً حسياً لما رآه وعاناه خلال تلك الساعات .

ومع ذلك لم يكتف الشاعر بنقل الصور الحسية التي تصور مظاهر الطبيعة الواضحة للعيان وإنما غاص إلى ما هو أعمق من ذلك عندما نقل لنا حالة الناس النفسية وانفعالاتهم التي تولدت في نفوسهم نتيجة لما يقاسونه من أهوال هذا الحدث من خوف ورعب ورهبة أصابتهم .

ولم يترك الأمر يمر هكذا وإنما اغتنم هذه الحالة النفسية التي يمر بها الناس ليدعوهم للعودة الى الله جاعلاً من هذا الحدث عظة وعبرة للمعتبرين .

وهذه سمة بارزة في شعر الغزاوي إذ أنه لا يترك حدثاً يمر دون التذكير بالله عز وجل .

وفي ٢٥ من ذي الحجة عام ١٣٨٨ هـ تغيم السماء فتغطيها السحب ويتأثر الغزاوي بذلك المنظر الجميل فيستعيد به ذكرى أيام الصبا والشباب فينقلنا إلى هذه الحالة ويذوب فيها وكأنها أنسته يومه الذي هو فيه فيصفها بقصيدة يبدؤها بما يوحي بالحسرة على تلك الأيام والحنين إليها :

لا (الغيم) مختلف . كلا ، ولا المطر فما الذي جدّ حتى استحكم الحذر

ثم يفيض في وصفه لتلك الأيام الخوالي أيام الصبا والطفولة حيث يمتزج اللهو واللعب بالبراءة المعهودة بالأطفال وخاصة في الأيام الماطرة التي يبتهج بها الأطفال أيما ابتهاج . فهم يعرضون أجسادهم للمطر ويخوضون في السيول غير مبالين بالنتائج :

كنا ـ إذا الدجن في الإصباح باكرنا نعدو إليه سراعاً ـ وهو ينهمر
كنا به في الذرى فوق الجبال على مساقط الغيث عنها الماء ينحدر
كنا نهيم به (وبلاً) ويغمرنا (طلا) ويجمعنا شملاً ونبتدر
كنا نسابقه (ركضاً) ويبهرنا (ومضا) ونوسعه (عرضاً) ونحتبر
كنا نتحدى (السيل) نقطعه مثمرين . . لا نبقي ـ ولا نذر
كنا به كالظباء العفر آمنة ترعى وتمرح في دل هو الخفر
كنا تشنفنا الألحان صادحة تشدو بها الطير ـ والآصال والبكر
والمزن منبجس والرعد مرتجس والبرق مقتبس والروض مزدهر
والعين ما إن ترى إلا (الجمال) بها و(الحسن) في كل ما يرنو له النظر
والقلب في فرح والنفس في مرح والروح من دونها الظلماء تنحسر[1]
بكل ذي طلعة كالبدر تحسبه ريماً ـ ويغبط منه السمع والبصر

---

(١) المنهل ـ مجلد ٣٠ محرم ٨٩ مارس / ابريل ١٩٦٩م ص ١٣٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكل مبتهج ، طلق ، ومهتزج كأنما هو فينا الشمس والقمر
وللصدى من ترانيم الهوى زجل يكاد يهتز من ترجيعه الحجر
على (حراء) وفي (ثور) و(خندمه) و(ذوي طوى) و(المصافي) تزلف الزمر
كأنما هم غداة (الدجن) ما خلقوا إلا لما هو صفو ما به كدر
لا يحقدون ـ ولا ينسون بارئهم ولا يزحزحهم عن شكره بطر

وانت معي في رسم الغزاوي لهذه الصورة الجميلة التي زاوج فيها بين صور الطبيعة الحسية وبين صور معنوية تتمثل في تصوير نفوس الأطفال التي تشبه الطبيعة طهراً وبراءة وعفة .

إنها صورة توحي بالتفاعل بين الشباب والطبيعة وبين الطبيعة والشاعر ذاته إنها صورة تصور واقع الناس وفرحهم بالغيث حين ينهمر بينما نجد أننا نفتقد هذه الصورة في أيامنا هذه لأن الشباب أصبحوا في شغل شاغل عن ذلك فقد أصبح للشباب ألعابهم وملاهيهم التي تعمل على عزلهم وإبعادهم عن طبيعة أرضهم .

هذه الصورة التي نجدها عند الغزاوي تمثل لنا الصبيان والغلمان وهم يغردون كالأطيار في ابتهاج يتجلى في الأيام الغائمة استبشاراً بالغيث .

هذا ما أنسى الغزاوي رحمه الله نفسه عندما ذاب في هذه الصور والحديث عنها وكأنه يعيش لحظاتها طفلاً إلى جانب أقرانه ولو تحدث لنا عن أثر مثل هذا اليوم الغائم على أقرانه من الشيوخ اثناء نزول المطر وهو يومئذ يبلغ السبعين سنة من العمر لاختلفت صوره وجاءت صوراً أخرى غير الأولى ولكنه اكتفى بتصوير أثر ذلك في نفسه وهو الشيخ :

فما لنا اليوم ؟ غير الأمس في وجل وفي جوانحنا الآلام تعتصر
ما بالنا كلما مر السحاب بنا نلوذ بالله منه ـ وهو ينتشر ؟

فهو يرى أن الناس اليوم يخافون المطر ونزوله على عكس ما رأيناه عند أطفال أيام زمانه الأول فلا غرو أن ترجح كفة الصور الأولى صور أيام الصبا لان

الحياة عندما نظم هذه القصيدة قد تعقدت والظروف قد اختلفت باختلاف الزمان فابتعد الناس عن سجيتهم وفطرتهم وعاداتهم السليمة حتى مرضت قلوبهم وضمائرهم فسادها الخوف من نزول العذاب والعقاب واختلفت نظرة الناس إلى الغيث فالأوائل ينظرون إلى الغيث على أن وراءه الخير العميم بينما ينظر المتأخرون للغيث على أنه مصدر للعقاب والعذاب وذلك عائد لما شاب النفوس من تغير خالطها نتيجة لابتعادها عن الأصالة والبساطة في الحياة وانغماسها في مظاهر الحياة العصرية المعقدة المنغمسة في الترف واللهو والمعاصي لذلك يحاول الغزاوي أن يجعل من ذلك درساً وعبرة :

لا ريب . ذلك مما فيه أنفسنا ... قد أظلمت . . وبه ألوى بنا الضجر
فما نرى (بالمعاصي) وهي مطبقة ... في (عارض) شبم إلا أنه الخطر
وما تبدل إسفار ـ ولا غلس ... ولا نهار ـ ولا ليل ـ ولا سحر
إنما هي (أوزار) تزاورنا ... وما لنا دونها غير (الهدى) وزر . .
أضنت على كل نفس ـ فهي مشفقة ... أن لا تحيط بها الأحداث والغير
و(رحمة الله) تغشانا ـ بما وسعت ... فهل عسانا عن الآثام نزدجر

وفي هذه القصيدة يعطينا صورة لحالة الناس والغيث في الزمان السالف حيث الانسجام والترابط والحب الذي يجمع الإنسان بالطبيعة بينما نقل لنا صورة أخرى لهذه الأيام حيث تسود الجفوة والخوف والرهبة بين الإنسان والطبيعة كل ذلك بفعل العوامل والظواهر المستوردة على إنسان الجزيرة . ثم يختتم ذلك كله بدرس وعظة لنا فكأنه جعل من الوصف منطلقاً لغرس الدعوة والعودة بالبشر الى الله سبحانه وتعالى .

ومع أن الغزاوي يعيب عليهم هذه النظرة الا أنه شاركهم هذا الشعور في عام ١٣٨٦ هـ حينما ينقل لنا صورة أخرى للمطر تتضمن نظرته لهذه الظاهرة الطبيعية يقول :

ما رأيت السماء . . كالأمس يوماً ... أطبقت بالغمام . . طلا وويلا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبـه الأرض أظـلمـت وأضـاءت ... وانـطوت بالـركام . . حـزناً وسهـلا
فـي دوي مـن الـرعـود وومض ... مـن بـروق تهـول منـذ استـهـلا
« سـاعـة » تشبـه « القيـامـة » لـولا ... رحـمـة الله أدركتنـا فـولاّ

فهو خائف من هذا المطر ويعلل خوفه بقوله :

ومـن الحـق أن نـخـاف ونـخـشى ... و(المثـاني) لمن مضى هي تـتلى

ويعود إلى هذا الحدث ليلتمس منه عظة وعبرة يوجهها للناس :

أسـرف الناس في الهـوى واستهانـوا ... أو نـسـوا أنهـم (رفـات) سـبـيلي
وتـمـادوا فـي غـيـهـم دون زجـر ... واسـتبـدوا عـلى (الإلـه) فـأمـلي

وهكذا يستمر في تقريع الناس اللاهين العابثين .

والغزاوي في القصيدة التي استعرضناها آنفاً لم يعدد الصور فيأتي بصور أخرى ترتبط بالغيث كما فعل الشاعر كشاجم في أرجوزته (في الغيث) والتي ضمنها كثير من المعاني والتأملات العميقة وقام بربط صور الغيث بصور كثيرة تظهر عليها الصنعة اللطيفة . يقول كشاجم في وصف الغيث :

غـيـث أتـانـا مـؤذن بـخـفض ... متصـل الـوبـل حـثيث الـركض
يـقضـي بحـكم الله فـيمـا يـقضـي ... كـالـجيش يـتـلو بـعـضـه لـبعض
يضحـك من بـرق خفي الـومض ... كـالكف في انبـسـاطهـا والـقبض
إلـف الـى إلـف بـسـر يـفـضـي ... ثـم هـي كـاللؤلـؤ الـمـنـفض
فـالارض تجلى بـالنبـات الفضّى ... فـي حليهـا المحمّـر والـمبيضّ
مـن سـوسـن أحـوى وورد غضّ ... مـثـل خـدود نـقـشـت بـالـعضّ
وأقـحـوان كـالـلجيـن الـمحض ... ونـرجس زاكـي الـنـسـيـم بضّ
مـثـل العيـون رنقـت بـالغـمض ... تـرنـو ويغشـاهـا الكـرى فتفيضّ

(١) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ٣٥٥ د/ مصطفى الشكعة مكتبة الانجلو المصرية .

فنرى الشاعر كشاجم في هذه الأرجوزه يحشد كماً هائلاً من الصور الحسية الجميلة التي تصور البرق والمطر وأثرهما على الأرض ونباتها ورياحها .

بينما يلتفت الغزاوي الى التصوير المعنوي الذي ينقل لنا تأثير الغيث في النفوس مترافقاً مع تراكم السحب في السماء فالشاعران يتمم كل منهما الآخر في تصوير هذه الحادثة فكشاجم يتناول الصور الحسية ولا يتطرق الى الانفعالات النفسية أما الغزاوي فيصور هذا الجانب النفسي عنده وعند غيره .

والغوص في أعماق النفس الإنسانية لتصوير مشاعرها وانفعالاتها أمر صعب إلا لمن عانى منه وتأثرت نفسه بالحدث فنقلت لنا صوراً لا ندركها بالعين والأذن المجردتين كما كان عند كشاجم وإنما نعيشها انفعالاً نفسياً متجاوباً مع الشاعر المنفعل بها .

والغزاوي في هذا الجانب أعمق من كشاجم لأن كشاجم استخدم بصره فوصف ما رآه أما الغزاوي فغاص إلى أعماق النفس وصور لنا ما عاناه وما ثار في نفسه من ذكريات لا يمكن أن تبدو للعيان .

والغزاوي لم ينسَ أن ينقل لنا صوراً من حياة المجتمع الذي يعايشه صور أفراح المجتمع وعاداته وتقاليده وما تتجلى فيها من أعمال وحركات يقوم بها الناس فيعبرون بها عن انفعالاتهم وأحاسيسهم ومن ذلك العرضة النجدية التي أعجب بها الغزاوي لجمال أسلوب أدائها وبعدها عن المنكر ولأنها تحرك النفوس بإيقاعها وتهز مشاعر الرجال بحماس يشبه حماس المقدمين على حرب كما تزهو بها الغيد الحسان :

ماذا أشاهد ؟ من عزم ؟ ومن شمم ... في (رقصة الحرب) تحدو السيف بالقلم
تجاوبت بالصدى منها (جوانحنا) ... على (السراة) وفي (الدهناء) من آتم
كأنما الرعد منها زجرها زجلاً ... والبرق إيماضها - في حالك الظلم
بها ؟ (الغيد) نشوي فى مقاصرها ... وتزأر (الصيد) من فرق الى قدم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يتعجب كيف يحسن لها الشيخ الكبير ؟ وكيف تعيد له شبابه ونشاطه .

وايقاع العرضة النجدية يهيج نفس الشيخ المسن فيجعلها تتحدى الهرم والشيخوخة ويندفع هذا الشيخ في صفوف العارضين :

فاعجب لشيخ . . به السبعون هابطة ... يكاد ينهار من وهن ومن سقم
ما أن رأى (العرضة النجدية) ارتجزت ... بكل مدرع فيها - ومزدحم
حتى آستوى قائماً في الصف منطلقاً ... يسابق الخيل - رغم الشيب والهرم

وليس ما يفعله الشيخ وما يبدو عليه من نشاط وحيوية إلا دليلاً على سر كامن فيها لا يعرفه إلا من عايشها :

آمنت أن لها سراً - أباح به ... إعلانها . . وهو وحي السيف والقلم
هي الدواء لمن يشكو مفاصله ... وهي الشفا لذي قرح وذي ألم
إذا بها استفتحت يوماً طلائعهم ... فما ترى غير مدحور ومنهزم[1]

هذه نماذج للوصف عند الغزاوي تناولت شيئاً منها بالدرس والنظر والتفسير ومن خلال دراستي لهذه النماذج واستعراضي للوصف عنده . . تبين :

أن الرجل سجل ملاحظاته وأوصافه حول الطبيعة والأمور الحركية الإنسانية وشعور الناس بل سجل كل ما وقع تحت رؤيته وبصيرته .

ومن خلال استعراضي للوصف عند الغزاوي وجدت أن الوصف عنده قد امتاز بالأمور التالية :

١ - ان وصف الغزاوي سجل واقعي لمشاهداته وتجاربه ولم يطرق الغزاوي في وصفه لنا باب المبالغة ولم يتجاوز في صوره الحقيقية والواقع فكان يرسم ما شاهده بأمانة ودقة ، وربما كان ذلك لأن العقل له المنزلة الكبرى عند

(١) شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب - عبد الكريم حمد ابراهيم الحقيل ص ٢٣٤ .

الغزاوي والعقل كما هو معروف يحد من الخيال .

٢ ـ ومن خلال شعر الوصف عند الغزاوي نلمح أنه رصد لنا فترتين اختلفت بينهما نظرة الناس للطبيعة وخيراتها وارتباطهم بها .

فهو في الفترة الأولى يصف الطبيعة مقرونة بحب الناس لها وميلهم إليها واندماجهم فيها وفرحهم بها ويظهر لنا من خلال شعره أن هذه الفترة هي عندما كانت الجزيرة العربية وسكانها تعيش عيشة قريبة من الفطرة تعتمد على البساطة فلم تدخل إليها الحياة المستوردة بمشاكلها وهمومها تلك الفترة التي كان الإنسان ينظر فيها إلى الطبيعة على أنها هي حياته في صدقها وبساطتها وعفويتها .

أما الفترة الثانية فإنه يسجل فيها خوف الناس من الظواهر الطبيعية ورهبتهم من المطر فبعد أن كان محبوباً لديهم أصبحوا في هذه الفترة يرونه دماراً لهم ولبيوتهم وممتلكاتهم بينما كان الأوائل ينظرون إليه على أنه مصدر لسقي زروعهم وتربية ماشيتهم وأنعامهم وتنمية لسوائمهم .

وهكذا نجد في شعره اختلاف نظرته إلى الطبيعة نظرة تتراوح بين البساطة والفطرة وبين الخوف والرهبة . وفي النظرة الاخيرة شيء من المبالغة لأن الناس ما زالوا يأنسون بالمطر ويستسقون إذا أخلفتهم السماء ويطلبون من الله الغيث النافع . وعذر الغزاوي أنه يتحدث عن حدث معين ، وهو جور السيل على مكة قبل أن يأمر الملك عبد العزيز رحمه الله ببناء السد الذي يسمونه العدل وبه صرف السيل عن بطن مكة المكرمة .

٣ ـ يربط الغزاوي في شعره ووصفه الطبيعة بالإنسان وحواسه وغرائزه حتى ليلمس القارىء لشعره تفاعل الإنسان مع الطبيعة وأثرها في سلوكه وحياته .

ولكننا نفتقد التخيل عند الغزاوي فهو لم يجعل الطبيعة تتفاعل مع الإنسان وإنما جعل التفاعل من جانب واحد هذا الجانب هو الجانب الواقعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جانب الإنسان المنفعل فقط .

فالغزاوي لم يدخل الروح والحياة للطبيعة ومظاهرها ولم يشخصها أو ينطقها كغيره ، من أدباء العصر فظلت الطبيعة صامتة أو أنها حية لكن حركتها قليلة لا تكاد تبدو للعيان .

٤ ـ أثر الشعور الديني في وصف الغزاوي امر واضح ملموس . فالغزاوي حينما يستعرض الحالة أو الحدث الذي يصفه وأثره في النفس إنما يعتمد على تهيئة النفوس حتى إذا تم له ذلك انطلق بها في رحاب الوعظ وعرض لها العبرة من تلك الأحداث علّ هذه النفوس تتعظ وتعتبر وبذلك يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة .

الحكمة عند الغزاوي

ان للثقافة الدينية والأدبية واطلاع الغزاوي على مأثور العرب قديماً وحديثاً وما دونوه من عبر وحكم وأمثال أثره الواضح في تكوين عقلية الغزاوي وفي إمداده بالمضمون الفكري .

ومن الروافد الأخرى التي استقى منها مجالسته لأهل الحل والعقد ومن بيدهم تصريف الأمور في البلاد فهو صحب الملوك والامراء وصحب العلماء في مجلس الشورى الذي قضى فيه معظم وقته .

وكذلك موروث السنين من التجارب العملية والاجتماعية والاطلاع الواسع على أنواع من المعارف والعلوم والثقافات العصرية ، فاستطاع من كل ذلك ان يستخلص العبرة والعظة ، ويسترشد بالعبر والحكم والتجارب فتكون نظرته صائبة فيما يستقبل من الزمان وفي الحكم على الأحداث حكماً صادقاً من ذلك قوله في مستقبل الوطن ونظرته إلى غده في ذلك الحين :

كأنني بالغد المفتر أنظره تلقاء عيني شفاف الرؤى الآنا

رحب الجوانب ، رفاف السنا نضراً يشوق سمكاً ، وابهاء ، وأركاناً
من الحجاز ومن نجد مشارقه باذن ربك توحيداً ورضوانا
وتستهل به الاعلام خافقة على البرايا (مصابيحاً) وقرآنا[1]

وقد شاهد بعينيه أمنيته لوطنه الذي أخذ يرفل في العز والثراء والنعيم والغزاوي ربما جعل القصيدة كاملة حكمة في معنى من المعاني فيكون فحواها وجوهرها يمثل حكمة للشعب من حيث العمل والجد والعزيمة الصادقة والإخلاص حتى ينالوا ما ناله غيرهم كمثل قصيدته التي بعنوان :

(هو الإخلاص) وفيها يقول[2] :

هم اخترقوا (جبال الألب) نحتا ونحن نهيم في الأحلام بحتا
وليس لنا سوى العزمات تمضي لنرقى . . مثلهم (فوقاً وتحتا)
ولكن العوائق ـ لم تدعنا نسير مع الطلائع ـ وهي شتى

وهو يفصل هذه العوائق ويعددها حتى يحدد المشكلة أولاً ثم يطرح حلها :

بلينا بالتواكل ـ واعتمدنا على الحظ المساعف أن تأتى
ونحن (مكاننا) نلهو ونزهو ونستبق الأذى ـ كذباً ـ وبهتا
تداعبنا (الرؤى) قرناً وعاماً وشهراً ـ دارعاً أحداً وسبتا
أقول لصاحبي : ماذا صنعنا ؟ وأين من الكفاح ـ أنا وأنت
ويضحك ساخراً مني ، وأبكي لأنا (لن ننال) المجد ـ حتى
فصح بالطامحين ـ أبا وابنا وربات البرى ـ أماً وبنتا
بأن العلم بالإيمان أهدى وان الجهل بالملكوت أعتى

---

(١) المنهل مجلد ٢١ الجزء (٥) جمادى الأولى ١٣٨٠هـ .
(٢) المنهل ـ مجلد ٢٤ ذي الحجة ١٣٨٣هـ ص ٨٠٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وان (مكارم الأخلاق) كنز ... مع التقوى والا كان مقتا
هو الإخلاص . ما عشناه ـ فزنا ... وإلا عاد ـ ما نرجوه كبتا
ذروا لي (عزلتي) ـ يا قوم أذري ... بها دمعي وأبكي الدهر صمتا
وما يغني البكاء ـ اذا انطوينا ... وزحزح يومنا كمداً وخفتا
عجبت لها أمان حائرات ... نمت لها ـ مع التهويم متا
قصارنا جدال واضطغان ... هما الخسران مهما اعوج (امتا)
وليس لنا حياة في وجود ... نعد به مع الاحياء موتى

* * *

وما بلغ الذرى يوماً كسولاً ... ولا اقتحم (العلا) الا السبتى[1]
وانت مسخر في كل ما لم ... تحط علماً به مهما افتاتا
فلا تركن إلى الدنيا ـ وبادر ... الى الإحسان واصفح ما استطعتا
فان وراءك المأوى خلود ... وما ينجيك إلا ما احتسبتا

* * *

ومن الحكم التي توحي بالخير وتأمر به ويصدق عليه تفسير الأحداث وتشير إلى ما ينبغي أن يكون حديثه عن الدين وأن العلماء شمس في هذا الكون وهم الشفاء لداء المجتمعات لأنهم ورثة الأنبياء الذين يجلون عن القلوب غشاوتها وهم الكاشفون عن أسرار هذا الكون بفضل علمهم وتجاربهم لذا فهم حاملون لواء الخير :

(الدين) شمس والضحى (العلماء) ... وهم الشفاء ـ لكل ما هو داء
(الوارثون) الانبياء وحسبهم ... شرفاً ـ بهذا الوصف وهو حباء
هم للقلوب حياتها ـ وجهادهم ... حق وهم للمدلجين ، ضياء

---

(١) السبتي : بفتح السين الجرىء والمقدام وهو في الاصل من أسماء الاسد .

حملوا لـواء الخيـر ـ وانـطلقـوا بـه ... وبهم تـأسى في الهـدى (الـرحمـاء)
أبـان مـا حـلوا وحيـث تـرنـمـوا ... صعق الهـوى ، واستبشـر الغـربـاء
ولـرب أرض أجـدبت ، وتصـدحت ... سـقيـت بهـم ـ وتـهـامـت الأنـواء
مـا هـم لـعـمـر الله الا لـلورى ... نـور بـه تـتـبـدد الـظلمـاء

ومن الحكم الدينية قوله[٢] :

ومـا هـذه الـدنيـا وان هي زخـرفت ... سـوى معبـر ، والمـرء لله صـائـر

ويقول[٣] :

ومـا الحيـاة سـوى جسـر نمـر بـه ... إلى (المعاد). .وثم (الخلد .والوطن)

ومنها قوله[٤] :

وقـل لمن بهـرتـه كـل مغـزيـة ... اياك فاحـذر . . فقد لا يمهـل الزمن

وهو يقدم النصيحة لكل إنسـان بأن يلتـزم المثاليـة في التعامـل والأخلاق والأدب :

وكن لغيـرك مصبـاحـاً يضيء لـه ... وإن أرابـك منـه السـر ، والـعلن
كـل يلاقي ـ غـداً ـ مـا كـان يكسبـه ... فمـا عليـك بمن يغلو ويضـطغن[٥]

ومن الحكم التي أطلقها حول النفس وموقعها في الحياة قوله[٦] :

ومـا النفس إلا كـائن في محيـطه ... عـوالم شتى وهي تبغي انتـزاعهـا

---

(١) المنهل في ذي القعدة وذي الحجة ١٣٩٥هـ ص ٩٢٠ .
(٢) المنهل السنة ٣٠ المجلد ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٤هـ ٢٥١ .
(٣) المنهل ٣٠ المجلد ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ ص ٤ .
(٤) المنهل ٣٠ المجلد ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ ص ٤ .
(٥) المنهل ٣٠ المجلد ٢٥ شوال ١٣٨٤هـ ص ٤ .
(٦) المنهل السنة ٣١ مجلد ٢٥ صفر ١٣٨٤هـ ص ٩٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وما إن لها في الأرض إلا اهتداؤها إلى الله والدنيا تزيغ متاعها
وما أحسب (الأعمار) إلا وسيلة إلى الخير مهما استقبلته أطاعها

ومن أقواله التي تمخضت عن تجارب ذاتية اوحت اليه بها الوحدة ، وتفرق الأصحاب عنه ، مع تقربه إليهم ، وما قدمه من صنائع معروف وسخاء لهم مع ذلك ارادوا به ضرا ، واوسعوه شتماً وبغضاً[1] :

وأعجب ما اصلى به ـ وبناره (صنائع معروف) بهن أضارر
وأني مكبوت ـ وما من جريمة سوى أنني أسخو بما أنا قادر
وارحم من يقسو علي ـ تقربا الى الله مهما جشمتني الجرائر
واعلم أن الله عدل قضاؤه وما شاء (يمضي) وهو للذنب غافر
وما كان ذنبي غير أني مسالم وأني مهما أسرف الجهل عاذر
ولو كنت جواظا ـ ولو كنت ظالما إذن لتحاماني (الأذى) وهو صاغر
ولكنني ـ والعمر ـ ما امتد ساعة أكافح في ظل الهدى وأصابر

ومن الحكمة في الدنيا ومخادعتها وتصريفها بالناس ذات اليمين وذات الشمال قوله[2] :

هي الدنيا تخادع كل غر وتهزأ بالرجال ـ وبالإناث
تروض كل ذي بطش شديد وتملي . . في التدهور والخباث
عجبت لها . . تناوؤني كأني بمنطقها أعاقب بارتياثي
وتفرط في النكاية ـ وهي حمقى وتبلوني ـ بأخلاق ـ رثاث

ومن النظرات الحكيمة في هذه الكون الإنساني وما يرتكبه الانسان في حق نفسه وحق غيره وحق الشعوب الأخرى من جرائم وآثام ، وما يحدث فيها

(١) المنهل السنة ٣٠ مجلد ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٤هـ ص ٢٥٠ .
(٢) المنهل السنة ٣٢ مجلد ٢٧ ربيع أول ١٣٨٦هـ ص ٢٩٣ .

من فتن كقطع الليل المظلم وهي قصيدة تمثل نظرة الرجل المجرب الذي ينظر بمنظار العقل للشعوب وما يغزوها من أفكار وما يدبر لها على مستوى الفرد والمجتمع[1] :

(نزغات) بها الظلام تحندس ... والذليل المهيمن فيها تغطرس
تتنزى بها الشرور (وتطغى) ... وتئن الشعوب . . منها وتنبس
سخرت بالسماء والأرض حتى ... خفى الحق . . والضلال تلبس
وكأن القلوب تغشى (برن) ... وكأن الابصار تغشى وتطمس
نكبة ـ بعد نكبة ـ أثر اخرى ... يتردى الإنسان فيها ويركس
وغلو مسلط . . وعتو ... بهما (الكون) . . حائراً . . يتوجس
بين (طاغ) و(ملحد) وجحود ... وحقود . . بطيشه . . يتحبس
وكأن الحياة . . دون (معاد) ... وهي ما استعجلوا طعام وملبس
اسخطوا الله بالمعاصي عليهم ... واستبد الشيطان فيهم ووسوس
كلهم (ظالمون) الا قليلاً ... بهم (الصبح) . . لم يزل يتنفس
غفل الناس أنهم من تراب ... أوهموا الدود . . والرفات سيرمس
ونسوا عرضهم على الله يوماً ... فيه تجزى نفوسهم ما تدسس
الطواغيت . . والفراعين منهم ... حصب في جهنم . . يتحسس
انه الوعد والوعيد تنادت ... بهما (الآي) في الكتاب المقدس
نصر الله دينه ـ وحمانا ... ووقانا العذاب فيمن تنكس

والغزاوي ينظر إلى الفرد وتصرفه في وسط مجتمعه فيرسل الحكمة والآراء الصائبة التي تصدق على أفضل التعمل الذي يجعله سعيداً ويسعد الآخرين ، فيرى أن الفرد المهذب هو الذي يلقاك هاشاً باشاً مرحاً وإن كان قلبه مثقل بالأحزان التي يخفيها وراء ذلك البشر المتدفق والوجه الطلق والبسمة المشرقة :

---

(١) المنهل السنة ٣٢ مجلد ٢٧ جمادى الثانية ١٣٨٦هـ ص ٦٤٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان المهـذب من يلقـاك في مـرح ... وقـلبـه بـالـذي يصـلاه مـفـطور
تخفى سـرائـره (الأيـام) عـاصفـة ... وثغـره بـاسم ، والـوجـه محبـور
ويعلن البشـر مهمـا اشتـد مـوغـره ... واشـتط وهـو لـه من نـاره الـنـور
ينـوء من حمله ـ الأعبـاء ـ كـاهله ... من حيث مـا هو يبـدو وهـو مسـرور
إذا العيـون إليـه استشـرفت ورنت ... قـرت بـه وتـرآى وهـو مـقـرور
بينـا تكـون بـه الأسقـام ـ عـاتيـة ... وشحـوه الشجـو . . معقـود ومنثـور
لله ـ مـا هـو فيـه ـ من مكـابـدة ... ومن مصـابـرة ـ من دونهـا الـنيـر

المواعظ

لقد شهـد الغزاوي ابتـلاء المسلمين في كل صقـع من العالم بـالمصائب والدواهي التي تطبق عليهم فقد عايش حركة الدستوريين الأتراك وتتريك العرب ثم تقسيم العالم العربي إلى أوصال في يد المستعمر وحركات الدول الغربية ضد المسلمين ثم المعارك الطاحنة التي خاضوها ضد المستعمر ورأى أيضاً من الفرقة والشقـاق والتنـاحـر والتحـارب بين المسلمين مـا رأى وتـدبـر الغـزو الفكـري والاقتصـادي لبلاد المسلمين ، ورأى من بعض حكـام المسلمين عـدم المبـالاة وكـذلك فـإن الشعوب أصيبت بـذهول أمـام تلك الأهوال فـانـطلق بشعـره يعظ المسلمين وخاصة في أيام العظة والعبرة والاجتماع الأكبر انه أكثر ما يكون واعظاً في أيام الحج حيث يجتمع المسلمون على توحيد الله .

والغزاوي أتيح له في هذه المناسبات الخيرة أن يعظ الملوك والرؤساء الذين يحضرون الاجتماع كل عام فكثير من رؤساء الدول والحاكمين ومن لهم اليد في السياسة العربية والإسلامية يحضر منهم جماعـات كثيرة لهـذه الاحتفالات لأنهـا تكون برعاية ملك البلاد .

(١) شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب ـ عبد الكريم بن حمد بن ابراهيم الحقيل ٢٣٥ .

والغزاوي اقتفى أثر أولئك الوعاظ الذين يدخلون على خلفاء بني العباس فيعظونهم ويزهدونهم في الدنيا . ويجعلون من الشعر وسيلة للتأثير في القلوب والنفوس حتى دخل الشعر إلى ميدان الوعظ على يد طائفة من الشعراء الزهاد أمثال عبد الله بن مبارك ومحمود الوراق ومحمد بن كناسه بحيث أخذوا يقولون المقطوعات الشعرية والقصائد ثم حمل لواءه أبو العتاهية فأخذ يقول فيه القصائد المطولة ويردده في أشعاره حتى أن الرشيد يطلب منه المواعظ وكثير ما يبكي وهو يسمعها فقد قال أمام الرشيد :

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... إذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مدرع منا ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... ان السفينة لا تجري على اليبس

فبكى الرشيد حتى بل كمه[1] .

أما الغزاوي فقد أتاح له آل سعود الحديث عن الوعظ في اكثر المناسبات وفي الحج بصفة مستديمة وقد اغتنم الفرصة فأخذ يصدح بما يفيد المسلمين لأكثر من خمسين عاماً من ذلك قوله[2] :

فهل من (مثاب) صادق واستقامة ... وأمر بمعروف به السوء ينكر
وهل من زياد وازدياد لموقف ... به الخير يجزى بل به الشر يحذر
هو الله علام الغيوب وعلمه ... محيط بكل الكون . . والناس تحشر
وثمة لا يغني عن المرء ماله ... عظيماً ، ولا حتى البنون ، تؤثر
ولكنها الاعمال ـ تزكو ودونها ... جميع الأماني ، الكاذبات تحقر
فهيا إليه نقض ما هو حقه ... علينا ـ والا فالنوائب أكثر
وما أمره الا كلمح ـ وأنه ... بما شاء يقضي في العباد ويأمر

---

(١) أبو العتاهية ـ حياته وشعره ٢٥٣ د. محمد محمود الدش .
(٢) المنهل ـ ذي الحجة ١٣٩٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا كل ذي قلب سليم مسبح ... وكل بصير - منصف يتبصر
هنا - الدين - والدنيا جميعا تلاقيا ... على ما به يرضي الإله ، ويشهر
سينصرنا نصراً عزيزاً بفضله ... على كل باغ وهو بالطول أقدر
وما هي الا (نبوة) ثم تنجلي ... ويخذل فيها المجرمون ويدحروا
ونحن بما كنا اقترفنا حسابنا ... يسير عليه وهو يعفو ويغفر

ومن المواعظ المؤثرة التي نبه المسلمون فيها وأرشدهم الى الطريق القويم الحولية التي قالها في حفل منى عام ١٣٩٢ هـ ويقول فيها[1] :

تالله لو كنا كما كان الألى ... صحبوا النبي وناصروه وعززوا
وتعاونوا وتضامنوا وتناصحوا ... وتصافحوا متقابلين وآثروا
لتمهدت قمم الجبال لتمتطى ... ولطأطأ الجبروت وهو مقهقر
وسبيلنا ما زال مرتفع الصوى ... في محكم التنزيل اذ هو يبهر
ما غيره لنجاتنا وحياتنا ... أما الضلال فحيرة وتحسر
ماذا اعترانا هل نسينا أننا ... كنا وكان لنا المقام الاكبر
لا ريب أن الله جل جلاله ... وعد الذين تغيروا أن غيروا
هذا (حنين) فاسألوه وذو طوى ... هل أسلمت طوعاً ولما تقهر
وليعلمن الله من صدقوا ومن ... كذبوا ومن هو مقبل أو مدبر
والمجد لم يمنح لمن يهزأ به ... ولكنه الإقدام وهو الاجدر
ذكرى وأنفعها بدون لجاجة ... تلك التي هي في القلوب تؤثر

وقد أرسل الغزاوي قصائد كاملة في التوجيه والتنبيه لبني الأمة العربية والاسلامية لكي يفيقوا ويرشدوا ويستعدوا للأعداء الذين يحاربونهم في معتقدهم وأرضهم ووطنهم واقتصادهم وأفكارهم وأخلاقهم وعاداتهم حتى يسلبوا تراثهم ،

(١) المنهل مجلد ٣٣ - محرم ١٣٩٣هـ فبراير / مارس ١٣٧٢هـ .

فيضعف ايمانهم ، وتتفرق كلمتهم ، وتتفكك قوتهم فطمع فيهم العدو، وهو يطلق هذه الصرخة لبني امته من قلب تفطر كمداً ومن واقع ما شاهده وأدركه بتجاربه :

اسأل الله بقلب قانت ... أن يقينا ـ (باليقين) الامتراء
ضجت الارض ـ وماجت ـ السماء ... وهي بؤس ، واضطراب ، وجفاء
ملئت رعباً . . وكادت تنطوي ... من هو طاغ ، وهون ، واصطلاء

* * *

اين ما يممت ـ أبصرت بهما ... (نذر الله) وبغي ـ الأقوياء
سخر (الشرق) بماضيه الذي ... أنقذه (الغرب) وأحيا الضعفاء
وطغى الشر على الخير ـ فما ... ثم الا ـ سوء ـ حسو ، وارتغاء

* * *

واشتكى الإسلام من غربته ... كل (وهن) واستكان (الغرباء)
هجر (الفرقان) منه أهله ... وهم (الفانون) في هذا البقاء
ورماهم كل سهم نافذ ... ما لهم عنه محيص ، أو وقاء
غيروا فيه فلما ـ افرطوا ... غير الله عليهم ـ ما أفاء

* * *

حسبوا الدنيا (خلوداً) ما جنا ... ونسوا الله ـ فاذروا كالهباء
يغمرون السوء في أعماقهم ... وبه يجزون أضعاف البلاء
اسرفوا ـ واقترفوا ـ واعتسفوا ... وبهم يسطو ضلال السفهاء
مرقوا ـ وافترقوا ـ وانطلقوا ... في الهوى عدواً ـ وللهدى ازدراء
جعل الله لهم ـ ما بينهم ... اي بأس ، منه جن العقلاء

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولئن لم ينتهوا ـ مما عتا ... من فسوق وعقوق واجتراء
ويعودوا للذي سادوا به ... من قريب . . قبل ان يسطو القضاء
ويعودوا ـ من شياطين الورى ... والمعاصي وهي دأب الجبناء
ليبادن ـ كما باد الألى ... قبلهم ، بادوا ـ ضحايا البرحاء

* * *

أيها السائل عن أدوائهم ... لا تسل عنها ؟ ـ وسلني ما الدواء
واسأل الله بقلب ، قانت ... ان يقينا ـ باليقين ـ الامتراء
ما الدواء الناجع ، الشافي سوى ... بلسم (التقوى) وفيه الاحتماء
و(التواصي) بالذي وصى به ... (ربنا الله) وخير الأنبياء
والتنادي (بالمثاني) والهدى ... وبأخلاق الأساة (الرحماء)
وبما كان لنا ـ من سؤدد ... يوم كنا ـ نتصافى بالإخاء
ما سواه خالق ـ نعبده ... وله الأمر ، ويقضي ما يشاء

* * *

وهو يتخذ من الأحداث موعظة وعبرة فيطلق نداءه للناس حتى يتنبهوا ويأخذوا حذرهم ، ويراقبوا الله في أعمالهم ، ويستعينوا به على مصائبهم من ذلك قصيدته (الليل الرهيب) التي اوحى بها انهمار المطر عشية يوم الثلاثاء ٩ شعبان ١٣٨٦هـ وقد تأثر بها الغزاوي فارسلها عظة وعبرة :

ما رأيت السماء ... كالأمس يوماً أطبقت بالغمام . . طلا ، ووبلا
وبه الأرض أظلمت ، وأضاءت ... وانطوت بالركام . . حزناً وسهلا
في دوي من الرعود ـ وومض ... من بروق . . تهول . . منذ استهلا

* * *

(١) المنهل السنة ٣٣ مجلد ٢٨ شوال ١٣٨٧هـ ص ١١٣٦ .

(ساعة) تشبه (القيامة) لولا (رحمة الله) . . أدركتنا . . فولى
ومن الحق أن نخاف ، ونخشى و(المثاني) بمن مضى . . هي تتلى

* * *

إنه للعصاة ـ ما لم يتوبوا (آية) ترهب (الخنا) ما تولى
(الف) لو تأخرت . . بعد (لام) كان فينا هو (البلاء) تالى

* * *

أسرف الناس في الهوى، واستهانوا أو نسوا أنهم (رفات) سيبلى
وتمادوا في غيهم . . دون زجر واستبدوا على (الإله) فأملى
يحسبون (النشور) و(البعث) وهماً أو هما (القرظان) ظلماً وجهلا
في قلوب قست . وظنوا افتئاتا انهم (قادرون) . . جداً . . وهزلا
وهم (العاجزون) ، شروى ذباب رغم هذا (العتو) . . حولا وطولا
زاحموا الطير في الفضاء . . ولكن أوسعوا العالمين . . جدباً ومحلا[1]

الغزل

المرأة هي الكائن الحي الذي يجتذب عين الرجل وحسه وقلبه فيمتد أثرها إلى عقله الباطني ويمتزج به امتزاجاً ، وتتفاعل معه الغرائز ويكون له أعنف الأثر على الجهاز العصبي ، والأدب وليد العواطف والمشاعر لذا توج في أغلب أحيانه بتصوير الحب الذي يمثل العلاقة بين الجنسين .

لكن يبدو أن الغزاوي في أوائل حياته غلب على قلبه وغرائزه جانب الكدح وراء طلب العلم ورقى المعالي فجعل وقته بين أعماله اليومية في الدوائر الحكومية وما تبقى يقضيه في حلقات المساجد ، ومسامرات الأصحاب ، فهو

(١) المنهل السنة ٤٣ مجلد ٢٨ ذو القعدة ١٣٩٧هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمنأى عن الفراغ والجدة اللتين تمثلان المدعاة للهوى والعبث والحب والغزل ثم إن التحاقه بكبار رجال العلم في ريعان شبابه وسماعهم عنهم ، وصحبته لهم من مثل الشيخ عبد الله سراج رئيس القضاة في عهد الملك حسين والشيخ عبد الله بن بلهيد رئيس القضاة في أوائل العهد السعودي كان سبباً في زهده وورعه عن الأسباب التي تؤدي إلى التجارب الشعورية للغزل وأصبحت غرائزه وعواطفه في شغل شاغل بالأمور مما طغى على بقية العواطف .

والغزاوي أيضاً جاري الاتجاه العام للمجتمع ، فالمجتمع متقيد بالتعاليم الاسلامية الذي صان المرأة وحماها من الابتذال . والمرأة أيضاً تسربلت بسربال الإسلام فتجتنب التبرج ولا ترضى بمقابلة الاجنبي وتلتزم الحشمة في الشارع والبيت وحيثما حلت .

ولما توحدت البلاد في ظلال العهد السعودي أثرت الدعوة السلفية تأثيراً جذرياً في الحياة العامة والخاصة ، وظهر أثر ذلك في الصحف ، فقد مرت مرحلة زهدت في نشر الادب ولكن ما لبثت أن شجعته وتبنت الأدب . وهذه المرحلة تمثل فترة القوة والفتوة لدى الغزاوي فهو إن قال فيها غزلاً فانه لم ينشر ولا اخاله إلا قال الكثير ولكن في غير تجاوز للصون والعفة الاسلامية .

والغزاوي لم يبتل بالحب العنيف ، والعشق الشديد الذي يستولي على جزء كبير من شعوره فظلت عاطفته تشتد آونة وتضعف أخرى وتتقد مرة وتخبو تارة وكأن عمله الشعري اقترن بعمله إلى جانب القضاة الذين صحبهم ونال من علمهم وقد مثل نظرتهم إلى الحب القاضي يحيى بن أكثم فقال في العشق : « هي سوانح[1] للمرء فيهتم بها قلبه وتؤثرها نفسه » فهي نظرة العلماء العقلاء الذين ينظرون إلى العاطفة على أنها جانب من جوانب عديدة من الحياة يجب على الإنسان أن ينظر ويعمل بتوازن بينهما تلك أمور مجتمعة كان لها أثرها في الاتجاه الغزلي لدى الغزاوي فلم تدع للدعة والاطمئنان إلى الشهوات سبيلاً مما

---

(١) دراسة الحب في الادب العربي ٣٨ .

دعاه إلى اجتناب المقدمات الغزلية وهو يعلل ذلك بأن حب الوطن فوق العواطف الشخصية فيقول[1] :

فما بنفسي مما تشتكي حرمة ... ولا تعشقت آراماً وغزلانا
ولكن سكبت دمي دمعاً على وطني ... قد كان في المجد والتاريخ ما كانا

ويتحدث عن قلبه وانشغاله بتصادم الأحداث والأهوال : ـ

أجشم قلبي أن يسر وربما ... عييت من المكروه أن أتألما[2]
وكيف سروري والحياة كما أرى ... تجور وتحكي في العذاب جهنما
إذا شئت أبكي من صروف بلائها ... تقحمت هولاً في الفؤاد مجمجما
فمن أين لي بشر وسوداء مهجتي ... تكاد من الآلام أن تتضرما
وما خلتني الا كخابط عشوة ... تصادمه الأحداث أين تيمما
ويا رب شاد بالجوانح عايث ... أعاد وأبدى في الهوى وترنما
أبحت لي سمعي وقلبي شارد ... كما شاءت البلواء أن يتقسما
تحايل أن يشجي القلوب بصوته ... فأخفق إذ كانت خواء محطما

ويقول أيضاً :

وما ولهتني في هواها ظباؤها ... ولا الخفرات البيض والفاحم الجعد
ولكنني قد دهمت فيها لأنها ... مباءة شرع الله والكوكب الفرد

وفي اعتقادي أن غزل الغزاوي لم يصل الينا الا أقله ، لأن الذي أمامنا ينبيء عن تجارب كثيرة ولأن سوانح تلك العاطفة كثيرة والغزاوي مغرم بالتعبير عن عواطفه ، ولست أدري هل نعثر على شيء في تركته التي استولى عليها أهله وذووه ولم نستطع أن ننفذ إليها ، أو اخفاه الغزاوي من الوجود في حياته وآثر

---

(١) وحي الصحراء ٨٧ .
(٢) وحي الصحراء ٨٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نسيانها على ذيوعها ، الله أعلم بذلك ومع ذلك فإن ما وجدته بصعوبة في ثنايا الصحف يدلنا دلالة واضحة على رقة مشاعره وعلى نظرته للمرأة ، ويبين لنا عن اتجاهه الإسلامي الذي التزم به في غزله كما التزمه في جميع أغراضه الشعرية .

ومما عثرنا عليه في باب الغزل عند الغزاوي قوله :

بأبي من رأيتها فاستترابت ... نظرتي نحوها فقالت : علامك ؟
قلت صب أصيب بالعين قالت ... روع الله من على الحب لامك
أنت من لية بدارة عوف ... حيث فرط العفاف يذكي غرامك
إن فيها من الظباء سمورا ... يتناجين في المروج مرامك
فاغضض الطرف إن علقت وخا ... لس نظرة الحب واستذم أثامك
لا تغرنك بسمة من كعاب ... فتؤاتى على اغترار حامك

وهي توحي بالمغامرة ، فهو يعمل عملاً محظوراً منكراً أمام مجتمعه ففيه خوف وفيه رقابة وفيه حذر وهي تمثل الغيرة العربية في الجاهلية :

بأبي من رأيتها فاستترابت ... نظرتي نحوها فقالت : علامك

وأرى أن فدائه لمحبوبته بأبيه لاول نظرة قبل الكلام والحوار وسلب الألباب أمر غير عقلي وغير مستساغ ثم يختم البيت بلفظة (عامية) هي كلمة (علامك) .

ويبدو في هذه القطعة عملية الحوار الدائر بين المتحابين والتحذير من أولئك الرقباء والغيورين تماماً كما كان يحاور الشعراء الجاهليين في مثل قول امرىء القيس[٣] :

---

(١) وحي الصحراء ٧١ .
(٢) وحي الصحراء .
(٣) دراسة الحب في الادب العربي ١٥ د. مصطفى عبد الواحد .

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحي ألست ترى السّمار والناس أحوالي
فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وواضح أن الغزاوي تحدى المتربصين المنتقمين واصر على ما هو أشد من النظرة ، والغزاوي لم يصف من حالته النفسية الا ما داعبه من الخوف فلم يتحدث عن الأوصاف الحسية والمعنوية التي أغرته بها فتاته ما عدا وصفاً عاماً بأنها ظبية من الظباء :

إن فيها من الظباء سمورا يتناجين في المروج مراملك

وكذلك لم يتحدث عن شعوره نحوها وما أحدثته تلك النظرة في نفسية الشاعر .

أما أهمية القطعة الغزلية فإنها تكمن في سلاستها وطلاوتها وواقعية تعبيرها عن الغزل الحجازي الذي يجلبه الجمال والمروج الخضراء ومراوغة النساء في غير جفاء ولا ابتذال .

فهي (تعبق بنفحات حجازية ينم عليها قوله (علامك) و(دارة عوف) و(لية) ويذكي الإحساس بها عفاف الحجازيات وغيرة الحجازيين عليهن حتى ليلقى العبث المريب حتفه إذا ما بدا منه ما يريب ، ثم هذا الظرف الذي يتجلى في مصارحة البدوية الحجازية وسماحها بالحب العفيف الطاهر الذي لا يشوبه الإثم وبسمتها الحلوة التي قد يغتر بها الجاهل فتودي بحياته[1]) .

ويبدو ان الغزاوي في شبابه لم يكن من المغامرين الذين يقتفون أثر الفتيات عله يحظى بكلمة لطيفة أو نظرة معبرة أو موعد خفي وذلك لظروفه التي تحدثت عنها آنفاً ويرجح ذلك أننا لم نعثر له على غزل يصور الغزل في المدن وطرق مخاطبة النساء بل اقتصر في شعره على ما يراه بأم عينيه ، في منتزهاته

---

١) التيارات الادبية ص ٢٢٢

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واصطيافه في ذلك الزمن الذي يقتصر فيه التنزه على الرجال دون النساء من أهل المدن .

لذلك استمد الغزاوي تجاربه الغزلية من تلك البدويات اللاتي يرعين في أماكن الاصطياف وفي جبال الطائف وأوديته وشعابه فتعلق بالراعية كما تعلق الأوائل بها فهذا قيس الملوح مجنون ليلى يقول :

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ... لم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبر ولم يكبر البهم

أما الغزاوي فقد تمخضت رؤيته للراعية ووراءها قطيع الأغنام وبين المروج الخضراء بهذه القصيدة :

طوبى . . لربعك من (هيفاء) كاعبة ... تمشي الهوينى وتعدو وهي تلتثم
وقيد باع تقفاها . . مبارية ... خلف القطيع (عجوز) خطوها أمم
تأبطت مغزلاً ـ تلهو به وله ... منها (الحنان) الذي بالحب يلتئم
والدجن . . تزجيه في صمت لواقحه ... والشمس مكنونة . . والسحب ترتكم
(والبهم) من حولها يرعى . . على مهل ... تخللته (شويهات) هي الغنم
فتارة هي منها في (وداعتها) . . ... وتارة (بالعصا) فيهن تحتكم
وهن بين الكلأ يمرحن في رغد ... يرتدن ما شئن حيث اعشوشب الرثم
تعلو . . وتهبط آكاما . . واودية ... وراءهن . . وتشدو . . وهي تبتسم
بين (الجذور) وفي (الصحراء) قد ... علا العفاف فلا إثم ولا لمم
غيداء تستلب الألباب فاتنة ... تغضي حياء ، وتأبى كل ما يصم
تحجبت كلها . . إلا (وصاوصها) ... ودونها السحر كل السحر يرتسم
إن العيون التي في طرفها حور ... أخلق بها أن توارى وهي تقتحم

---

(١) جرير حياته وشعره ٣٠٧ د. نعمان محمد أمين طه .

فكم قتلن (جـريـرا) قبلنـا وقضى ونحن منهـا بتقـوى الله نعتـصم[1]

والغـزاوي من أولئك الـذين يمرون على الغـزل مر السحـاب لا ريث ولا عجل فهو لا يمعن النظر ويتتبع التفاصيل ويقف عندها واصفاً ومحللاً لنفسيته ، ونفسية صاحبته بل يسرد أوصافها مجملة في بيته الأول :

طوبى . . لربعك . . من هيفاء كاعبة تمشي الهـوينـا وتعـدو وهي تلتثم

وآخذ على الغزاوي في مطلعه هذا انه دعا لربعهـا ونسى وقعها في نفسـه فكأنه لم يتأثر بها .

ويعود بنا في هذا البيت الى الصور العربية القديمة فهـو يصف مشية تلك الراعية بالهوينى كما وصفها الاعشى :

كـأن مشيتهـا مـن بيـت جـارتهـا مـرّ السحـابة لا ريـث ولا عجـل

ويصور المرأة ذات اللثام ابنة العربية التي وصفها جرير من قبل ألف ومائتي عام بقوله[2] :

إذا سفـرت فمسفـرهـا جميـل ويـرضى العين مـرجعهـا اللثـام

والغزاوي يشترك مع جرير في سلب العيون الحورللألباب فقد قال جرير :

إن العيـون التي في طـرفهـا حـور قـتلننـا ثم لـم يحيـين قـتـلانـا

وقال أيضاً :

قـتلننـا بـعيـون زانـهـا مـرض وفي المـراض لنـا شجـو وتعـذيب

أما الغزاوي فقد زاد في المعنى مع إيمانه بأثر الحور العين فانه زاد معنى إسلامياً وهي الحياء والعفة .

---

(١) المنهل ـ مجلد ٢٨ جزءاً محرم ١٣٨٧هـ .

(٢) جرير حياته وشعره ٣٠٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غيداء تسلب الألباب فاتنة تغضى حياء وتأبى كل ما يصم

ويقول :

إن العيون التي في طرفها حور أخلق بها أن توارى وهي تقتحم

والواقع أن جرير يصور حالة المحب والعاشق الذي أصيب بسهام الحور وأما الغزاوي فقد آثر النظرة العقلية والغيرة العربية فطلب لهن الصون ولجأ الى الله مما وقع فيه جرير :

فكم قتلن جريراً قبلنا ومضى ونحن منها بتقوى الله نعتصم

إذن الغزاوي ظل يحوم في حدود الشرع الإسلامي في غزله فهو مسلم ومعشوقته مسلمة والكل يراقب الله في عمله .

والغزاوي أفرد موضوع الغزل بقصائد خاصة لذلك أعطاها نوعاً من القصص الوصفي الذي يصور مشهداً من المشاهد الغرامية ويصور الجو المحيط بهذا المشهد كما هو واضح من القصيدتين معاً .

ومن غزله اللطيف تصويره لواقعة وقعت له في المثناة الفنية بالحدائق في الطائف وهي أشبه ما تكون بالغوطة في دمشق وهي تصوير حي لواقع المنتزهات في عصرنا الحاضر وبالأخص في بلادنا حيث الحجاب يستر الجميل والقبيح وحيث الألبسة تجعل الأجسام في جمال وروعة ، وحيث الزهو الحضاري ، والغنج النسائي الذي يسلب الألباب فصور حاله بين مجموعة من الفتيات يتهادين بين الأشجار في حبور وحلى ومشيات يتخطرن في دلال بقدود مائسات ويطلقن الأصوات الشجية العذبة التي تشنف الآذان :

بينما كنا أصيلا في طريق المثناة[1]

نمتطي ، سيارة ولعت بالوثبات

---

(١) قيلت في ليلة ١/٦/١٣٥٥هـ .

لاح سرب يتهادى عن يمين (الأثلات)
في غرور وحبور وحلى وشيات
خاله البعض ظباء من كناس نافرات
فتمطى مستطيلاً ثم أهوى بالعظات
قال رفقاً بالغواني ورويداً بالمشاة
خففوا السير قليلاً وافسحوا (للسيدات)
ورنونا من بعيد للتيا والسلواتي
ودلفنا باشتياق وقلوب خافقات
ودنونا من قطيع خادع الحبرات
فاذا (السرب) إماء كالديباجي الحالكات
كالغرابيب وجوها وأنوف الباخرات
وثنايا مشرقات وعيون جاحظات
يتخطرن ـ دلالا بقدود مائسات
ويقهقهن ازدراء . . بالأماني الكاذبات
بلحاظ ساخرات بالظنون الخاطئات
ويساقطن حديثاً كأساليب الحواة
فمضينا في اكتئاب ودرجنا في نكات
واستعذنا الله مما نالنا من مفزعات
ورجونا الاجر منه بالنيات الحسنات[1]

ومن القصائد التي تصور نظرته الجمالية والخلقية للمرأة قصيدته حول السفور فهو ينظر إليها بمنظار العفاف والصون فيعجب بجمالها ويرى أن روعته في اعتصامها وحجابها فهو يحاذر منها وعليها ويبكي غيرة على ما ابتذلته :

---

(١) المنهل : مجلد ٢٣ السنة ٢٨ صفر عام ١٣٨٢ هـ يونيه ١٩٦٢ م ص ٥٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفـاتنـة تصـدت وهي تـرنـو ... بلحـظيهـا ـ وتفتن اجتـذابـا[1]
تـأطـرت في الضحى مـرحـاً ـ ودلاً ... وتحكي المـوج حظواً واضـطرابا
يلج بهـا (السفـور) وكـان أحـرى ... لو اعتصمت واسدلت (الحجـابا)
حسـان تستبق الالبـاب تشـوي ... بـروعتهـا ، وتستهـوي الشبـابـا
نـحـاذر أن نلم بـهـا ـ وتـأبى ... وتحـرص أن نصـل ـ وأن نـرابـا
ألم تعـلم بمـا لـقيـت ، وتلقى ... وقـد برزت ، واطمعت الـذئـابـا
تـعـالى الله (آمـنـا) جـمـيـعـاً ... بحكمتـه ـ (وصـدقنـا) الكتـابـا
اذا امتنـع (الجمـال) فلم يـرنق ... فـأجـدر أن يـطاع وأن يهـابـا
فـأمـا مـا تعـرى فهـو (عـار) ... تـطرف أو تـظرف أو تـغـابى
مـعـاذ الله ـ نـرميـهـا بـسـوء ... وقـد ألقت عن الحسن النقـابـا
علينا (صونهـا) ـ ولها (تقـاها) ... ولكن (غيـرة) ـ نبكي انتحـابـا

* * *

الاخوانيات

ظهرت معالم الشعـر الاخواني في بـدايات الشعـر الجاهلي فنجـدها في اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر والتي منها :

أتـاني ـ أبيت اللعن ـ أنـك لمتني ... وتلك التي تستـك منهـا المسـامـع

واستمرت تواكب الشعر حتى عصرنا الحاضر ، ففي العصور العباسية نجد أن ألواناً منها عديدا يتبادلها الشعراء فيما بينهم أو مع ممدوحيهم .

وهذا اللون من الشعر يعطينا صورة عن العلاقات الاجتماعية التي تسود في عصر ما ويبين لنا مدى الترابط الاجتماعي بين الناس لأنه يصور لنا علاقة الإنسان

(١) الندوة ٤٠٧ الاربعاء ٣٠/١٠/١٣٧٩هـ.

بالإنسان في ظروف اجتماعية معينة بعيدة عن الرياء عندما تكون بين شاعر وشاعر أو بين الأدباء أنفسهم . .

ونحن إن رصدنا هذا الشعر الوجداني الإخواني وجدنا فيه معاني اجتماعية تربط بعض الناس ببعض ففيه الشكوى والاعتذار والتهنئة والعتاب ، وفيه يظهر الود واضحاً بين المتراسلين ، كما أنه يصور لنا العاطفة الصادقة عندما تكون بين اثنين لا يرجو أحدهما من الآخر نفعاً ولا ضراً يدفعه عن نفسه به . . .

والمساجلات الإخوانية فيها بعض الاختلاف عن الألوان الأخرى من الأدب لأنها تكون بين متحابين أحدهما شاعر ، أما إذا كان الصديقان شاعرين فإن المودة والمحبة تتبلور عند كليهما ثم تنطلق شعراً جميلاً عذباً في مساجلات يحرص كل منهما على أن يتفق مع صاحبه في البحر والقافية والروى[1] . .

كتب صفي الدين الحلي إلى جمال الدين بن نباتة يعاتبه[1] :

من لصب أدنى البعاد وفاته مذ عداه وصل الحبيب وفاته

فأجابه جمال الدين بن نباته :

ما لظبي الحي اليه التفاته بعد ما كدر الشيب حياته[2]

وفي الشعر الاخواني ينطلق الشاعر من دائرته الشخصية ويجول فيها ولا يكاد يجاوزها وشاعر الإخوانيات يتطلع إلى جانب نفسي أصيل هو جانب البث أكثر مما يتطلع الى جانب الإبداع[3] : . . . .

ومع هذا لا نجرده من الإبداع لأن ذلك رغبة أصيلة في نفس كل فنان . . وإنما يميل الشاعر إلى جانب آخر ويحرص عليه . . ذلك الجانب هو جانب (الأطراف) . . . والغزاوي ابن بيئة الحجاز التي تزعمت هذا اللون في العصور

---

(١) مطالعات في الشعر المملوكي بكري شيخ أمين ص ٢٨٦ .

(٢) ديوان ابن نباته ـ حرف التاء ـ

(٣) مطالعات في الشعر المملوكي بكري شيخ أمين ص ٢٩٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السابقة للغزاوي . . أو في عصرنا الحديث ، حيث كثرت النوادي الأدبية وتيسرت سبل الاتصال والاحتكاك الثقافي مما جعل هذا اللون ينتشر بين الأدباء انتشاراً واسعاً . . فنجد في صحف اليوم والمجلات المختصة مطارحات شعرية بين الشعراء وانتقادات توجه من أديب لآخر كما نجد العتاب في بعضها واضحاً . . . كما أن النوادر الشعرية كثرت بين شعراء اليوم . . . وبهذا يكون الشعر الإخواني قد احتل مكانته البارزة في أدب اليوم . . لا تقل عن الظواهر الأدبية الأخرى في أدبنا الحديث . . . .

وبما أن الغزاوي ـ رحمه الله ـ كان حريصاً على اللقاءات الأدبية وعلى ارتياد مظانها فقد أحب أن يساجل أنداده من الشعراء والأدباء ويطارحهم الشعر والأدب يعرض عليهم بضاعته فيقايضونه بأمثالها . . . وهذا ما كان من المعارضات الشعرية عنده . . . .

ومن أوائل الاخوانيات الشعرية التي وصلت الينا ما دار بين الغزاوي والأمير شكيب أرسلان[1] في عام ١٩٤٩م وبينه وبين الشاعر الكويتي (محمود شوقي الأيوبي)[2] . ثم بينه وبين العواد . . . وقد علقت (صوت الحجاز) على المعارضة بينه وبين العواد بقولها : ـ كانت في ادارة الجريدة (صوت الحجاز) جلسة قصيرة اجتمع فيها الأستاذ أحمد ابراهيم الغزاوي بالأستاذ محمد حسن عواد وكأن الشاعرية رفرفت حينذاك في هذا الجو فما هي إلا برهة حتى نظم (عواد) أبياتاً رقيقة قدمها الى زميله (الغزاوي) فأجابه هذا عليها من الوزن والقافية وها نحن أولاء ننشر على القراء صورة الأخذ والرد بين (الشاعرين) :

قال محمد حسن عواد :

أيها البلبل المغرد بالشعـ ـر ألا أين ذلك التغريد ؟
لم آثرت تنزوي الشهر تلو الشهـ ـر مستعصماً عليك القصيد

---

(١) مجلة الاصلاح جزء ١٧ م٢ ربيع أول ١٣٤٨هـ ٢٧ يونيو ١٩٣٠ م
(٢) مجلة الاصلاح جزء ١٧ م٢ غرة ذي القعدة ١٣٤٨هـ ص ٤٢٩ .

(أدلالاً هـجـرتـه أم مـلالاً) أم أتـاه منـك القلى والصـدود
لا تـغـادر فن الـنـظيم يـعـاني منـك مـا لا يـطيقـه المعمـود
فـلقـد كنـت والنـظم شـقيـقـيـ ـن وسيـان مـنـشـد ونـشـيـد
فـامـلأ العـالم الجميـل تقـاطيـ ـعـاً وسجعاً يسهـل عليه الخلود

فأجابه على الفور الغزاوي بقوله :

أي هـذا الـذي تـواضـع شكـراً انمـا أنت في (البيـان) المجيـد
كيف لا أوثـر السكـوت وأصغي لشعـور يصـوغـه (التجـديـد)
أنـا مـا قلتـه تـظالـع ضعفـاً والـذي حكتـه الضليـع الشـديـد
قـد عصـاني ومـا تجافيت عنه محكم النـظم والنتـاج المفيـد
وتعـالى جـد (الإلـه) فمـاذا بعـد (فـرقـانـه) يحيط النشيـد
مـازج الـروح وحيـه فهـو حي وهـو الرشـد والهـدى والخلود[1]

وتلاحظ معي ان الشاعرين وان اختلفا في الاتجاه فان كـلاً منهما يعترف بمكانة زميله وأهميته ومكانته الأدبية ، غير أني ألمح رنـة التردد وعـدم الثقة في النفس عند الغزاوي (حينمـا طغت فكرة التجـديد التي تصـدرها محمـد حسن عواد) وذلك حينما يقول مخاطباً العواد :

كيف لا أوثـر السكـوت وأصغي لشعـور يصـوغـه التجـديـد ؟؟؟
أنـا مـا قلتـه تـظالـع ضعفـاً والـذي حكتـه الضليـع الشـديـد

أوقـد يكون ذلـك منه تـواضعاً وتـوجيهـاً وتعليمـاً ودفعـاً للعـداوات ودرءاً للمخاصمات وهذا أشبه وأقـرب الى نفسية الغـزاوي لأن الغزاوي مـدرك تمامـاً لأهمية رسالته التي لم يتنازل عنها واستمر منطلقاً في اتجاهه الواضح الصريح .

---

(١) صوت الحجاز ٢١/٨/١٣٥١هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما في التهاني . . . .

فقد شارك الغزاوي اخوانه أفراحهم بإرساله قصائد التهنئة المعبرة عن شعوره وانفعالاته فها هو يطلق العنان لشعره مهنئاً (محمد المغيربي) نجل الشيخ (عبد القادر المغيربي فتيح) بزفافه وفيها يقول[1] :

يهنئك يا فخر الشباب عشية ... هذا الزفاف وسعده المتهلل
ولك البشارة والسعادة والهنا ... وعلى الرفاء مع البنين ستقبل
إنا لنرجو أن تعيش مرفهاً ... وعليك آلاء المهيمن تهطل
ونرى أمامك أنجماً وضاءة ... تبدو على الأفق العلاء وتمثل

ونجد الغزاوي هنا قد صادفه التوفيق في أداء ما يريد من إظهاره للفرحة التي طغت عليه بسبب المناسبة السعيدة التي يحياها صديقه ولذلك جاءت معانيه واضحة مطواعة لما يريد تصويره وهذا الأمر قلما يتحقق لشاعر من شعراء الإخوانيات . . اذ ان كثيراً من الشعراء يضطر للدوران في فلك محدود ونتيجة للغوص على المعاني التي يريد التعبير عنها وهذا ما لم نجده في هذه القصيدة التي قالها الغزاوي .

وفي باب النوادر والفكاهة :

نجد أن الغزاوي كان يخاف من ركوب الطائرات فلما أخذوه للمطار ليرى أول طائرة تمتلكها البلاد مع غيره من الأدباء لامتطاء صهوتها والتحليق بها مع قادتها رفض ذلك وكتب عنه الأدباء متندرين من خوفه فأجابهم معتذراً عن ذلك بقصيدة منها[2] : ـ

يؤنبني على خوفي جرىء ... تقحم فامتطى الجو اختبارا
ولو يدري حقيقة ما بنفسي ... لبدل لومه ـ مني ـ اعتذارا

---

(١) صوت الحجاز ص ٣ الاثنين ٢٠ محرم ١٣٥٢هـ ١٥/مايو ١٩٣٣م .
(٢) صوت الحجاز ص ٤ الاثنين ١٥ رمضان ١٣٥٢هـ ١/ يناير ١٩٢٣م .

ومنها :

ونـاجـتني الهـواجس في هـدوء ... حـذار ـ فـمـا تـرى الا اغـتـرارا
وفـاجـأني الـرفـاق بكـل جـد ... أن اقـدم قلت لا أجـد اضـطرارا
فـرجـعت الـوقـوف فـعـاجلوني ... فـضـقـت وعـدت أدراجي فـرارا
ولـسـت بـأول الـنـابـين عـنـهـا ... فـكم لاقيت (أمـثـالي) جـهـارا
وكم في الغـرب من بـطل عـظيم ... تـجنب في مـخـاطـرهـا ازورارا
عـلى أني اطـمـأن لـهـا جـنـاني ... وقـد طـافـت بمن ركبـوا مـرارا
فـلم أجبـن ولـكـن أدهـشـتـني ... (مـبـاغتـة) تـحيط بـي اقـتـدارا

وكان تندر الأصدقاء من الأدباء نثراً فـأجابهم شعـراً بأسلوبـه البسيط وبين العلة التي تمنعه من ركوب الطائرة وتدفعه للخوف منها . . .

وخوف الغزاوي من ركوبها واعتذاره عن امتطاء متنها يشبه خوف ابن الرومي من الماء وركوب ظهره فكلا الشاعرين اعتذر للناس من أصدقائه عن خوفه وظهور ذلك الخوف يقول ابن الرومي :

وأيسـر اشفـاقي من الـمـاء أنني ... أمـر بـه في الكـوز مـر المجـانب
وأخشى الـردى منه على كـل شارب ... فكيـف بـأمنيـه على نـفس راكب

وكذلك حدثوا عن شوقي وإن علته في ركوب البحر تشابه علة ابن الرومي فلعـل الشعـراء ـ وهم أرق النـاس أفئـدة ـ لهم من الإشفـاق والعلل مـا ليس لغيرهم . . . ولكن لهم أيضاً من التعلل والحجج ما ليس لغيرهم في دفع الجبن والخوف عن أنفسهم . . . .

وأهدى الأديب السيد أسعد طرابزوني ناشر كتابي : (عبث الوليد ، وعمدة الأخبار في مدينة المختار) مؤلفه الأخير (عمدة الأخبار) الى الشاعر الحجازي الكبير الأستاذ أحمد ابراهيم الغزاوي . . . وقد كان لهذا الاهداء أثره الحسن كما كان لذلك المجهود والنشـاط اللذين قام بهمـا الناشـر في سبيل اخـراج الكتاب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجميل أيضاً في نفس شاعرنا المهدى إليه فرد عليه الغزاوي بقطعة شعرية تقريظية لكتابه ننشرها فيما يلي[1] :

عبث (الوليد) و(عمدة الأخبار) كنزان في الآداب والآثار
دنان نرتشف (السلافة) منهما في غير ما وزر ودون خمار
حسر النقاب عن الجمال وما طوت حجب العصور وصفحة الأسرار

وفيها يقول :

اني لأشهد أن أسعد حجة للعاملين وشيخه الأنصاري
وأراه أحوج ما نكون لمثله في بذل مجهود وبعث فخار
وإلى التغلغل في غيابة ما مضى والبحث عما ضاع من أسفار
فهناك يلتمس الشباب حياتهم في العلم والأخلاق والأسمار

فهذه تحية لمن قام بالعمل وإشادة بعمله وحث للشباب الوطني على السير في هذا المسلك . . . .

ومن مساجلات الغزاوي مساجلته لشاعر فلسطين الأستاذ (اليعقوبي) . . . وقد أشارت الى ذلك صحيفة صوت الحجاز بقولها :

(التقى موسم الحج وموسم الأدب كما هو الشأن في مثل هذه الأيام من كل عام . . ويعرف القراء أن من بين ضيوف الله في هذا الموسم الأستاذ أبو الأقبال اليعقوبي شاعر فلسطين وحسانها . . . وقد التقى الشاعر الكبير مع صديقه الأستاذ أحمد ابراهيم الغزاوي شاعر جلالة الملك المعظيم . . . فارتجل شاعرنا الكبير الأستاذ الغزاوي الأبيات التالية في تحية صديقه الأستاذ اليعقوبي :

ما بال مكة أصبحت مختالة في زينة وتبختر ودلال
هل باكرتها بالتحية ديمة أم حلها سحراً (أبو الأقبال)

(١) صوت الحجاز الاربعاء جمادى الأولى ١٣٥٨هـ .

قال البشير : أجل فجئت مرحباً بالشاعر المتضلع المفضال
لا زال يرفل في الحياة منعماً في غبطة وسعادة وجلال

فرد عليه أبو الاقبال اليعقوبي : -

أبيات أحمد في أمثال وما طربي بغير روائع الأمثال
تلك التي مني تثير عواطفي فأصوغها شعراً وفي أمثالي
ولأحمد في شعره استقلاله وكذاك لي في حبه استقلالي
اني لأشكره على إخلاصه والشكر يخلصه (أبو الاقبال)

وكذلك قال أبياتاً في توفيق أبي المحاسن اليعقوبي ابن (حسان فلسطين) رحمه الله الذي سبق وان ساجله من قبل[1] :

أولا ترى في الشعر (غزاويها) تحكي قصائده النمير السلسلا
من كل قافية شرود حفظها واف بنوم المقلتين وقد حلا

***

ومن المساجلات الشعرية التي تدخل في باب الاخوانيات والتي جرت بين الشاعر الغزاوي وشاعر آخر هو (عبد الحميد عنبر) عضو مجلس الشورى . . .

يقول الغزاوي مجيباً عبد الحميد :

عبد الحميد (العنبر) طيب ومسك أذفر
يزهو البيان بسحره وكأنما هو يسحر
الدر منه نظيمه والفصل ما هو ينشر
اني لأحسبه فتى مهما تهادى يخطر
وهو (المسدس) سنه ونشاطه يتفجر
حلو الحديث محبب وبه المحابر تحبر

(١) أم القرى ٨٩٠ ص٣ الجمعة ٢٩ / ذي الحجة ١٣٦٠هـ ١٦/يناير ١٩٤٢م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أكرم به من كاتب أو خاطب يتخطر
ما قال فهو سميه (عبد الحميد) الأشهر
و (ابن المقفع) نده ولو أنه هو أكبر

وأرخها الغزاوي في يوم الأثنين ٢٠/شوال/١٣٨١هـ . . .

وأجابه عبد الحميد مساجلاً بقصيدة تضمنت تحية شعرية منه للغزاوي مظهراً تواضعه للغزاوي وشعره مبيناً أن ما يقوله شعراً انما يعبر عن شكره وامتنانه للغزاوي :

يقول عبد الحميد :

رب البيان لأنت أنت (العنبر) والمسك ضوع والمقالة تسحر
والشعر يوم الشعر أنت أميره والنثر در من يراعك ينثر[1]

ولو أمعنا النظر في القصيدتين وخصوصاً قصيدة الغزاوي موضع دراستنا لوجدنا أن السطحية والتكلف تطغى على جوانبها حتى أن الناشر قد انتقد استخدام الغزاوي لكلمة (مسدس) التي لا يفهم معناها وما أراد بها الغزاوي ؟؟ وبين الناقد أن كلمة مسدس لا يدرك معناها أو المراد منها[1] . . فالمعنى غامض ولعله أراد به تجاوز عبد الحميد العنبر لسن الستين مع احتفاظه بحيويته ونشاطه . . . .

ومن هذا الاستعراض لشعر الإخوانيات عند الغزاوي نلاحظ أن هذا اللون يصور لنا النظرة الفردية تجاه شخص معين أو تصوير الحادثة التي تفاعل معها الشاعر فخرجت تهنئته شعر أو شكراً أو عتاباً أو شكوى من الزمان أو إظهار الود والمحبة . . . . ونستطيع أن نرصد الظواهر التالية في دراستنا لإخوانيات الغزاوي فقد امتاز هذا النوع من الشعر بقصر النفس الشعري فهو غالباً ما يكون مقطوعات شعرية قصيرة . . . ويغلب على هذه المقطعات عنصر الإطراف الذي لا يحتاج

(١) المنهل المجلد ٢٢ الجزء ١١ ص ٧٨٢ ذو القعدة عام ١٣٨١هـ . .

إلى معان عميقة موغلة في إثارة الذهن وإغناء الفكر . . . . كما أنه لا يحتاج إلى فيض عاطفي قوي عنيف وإنما نجد في هذه المقطعات رذاذاً بسيطاً من العاطفة وذلك نتيجة حتمية لأن الشاعر لا يحتاج الى ذلك التيار القوي من العاطفة حتى يعبر عن انفعالاته هذه . . . كما أن هذه المقطعات تفتقر إلى عنصر الخيال البعيد وهذا أمر طبيعي لأن الشعور الإنساني في مثل هذه المواقف يتطلب التواصل أكثر مما يتطلب الارتفاع الى آفاق بعيدة في الخيال . . .

والإبداع مفقود في الإخوانيات لأن هذا اللون الشعري يعتمد على جانب المباسطة من الشاعر وهذا يظهر في زينة شعرية خفيفة ومعان قريبة لا ترهق الفكر موشاة بزخارف بسيطة متناثرة كاقتباس أو تعريض أو كناية دون أن يظهر أثرها مقصوداً في العمل الشعري . . . وذلك نتيجة لكونها تصور موضوعات بسيطة كالاخبار والدعابة أو المعاتبة أو التندر والنكتة . . . وغيرها من ألوان الإخوانيات . . .

أما أثرها النفسي فيظهر لنا من خلال دراستنا لهذا النوع واللون عند الغزاوي انه يقتصر على الشاعر نفسه وعلى من يقارضه الشعر . . . فالشعر هنا يثير في نفس الشاعرين أو الصديقين عواطف المحبة والمرح فحسب .

---

(١) ارجع الى ما علق به الناشر على القصيدة ص ٧٨٢ المصدر السابق .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثالث

نثـــره

الغزاوي الخطيب :

بداية كتابتـه .

النثر الفني .

أنواع النثـر .

المضامين الأدبيـة .

المضامين التربويـة .

المضامين العمرانيـة .

خضائص نثر الغزاوي .

مصادر نثر الغزاوي .

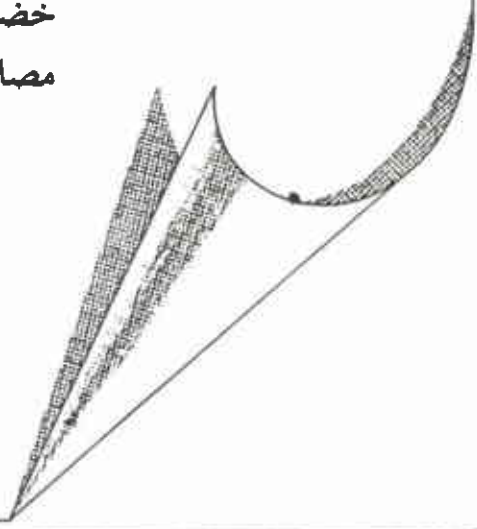

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الغزاوي الخطيب

الخطابة أقدم وسيلة إعلامية إرشادية تستميل النفوس وتمتلك القلوب وتحرك العواطف ، وهي ذات هدف سام ترشد الى كل غاية شريفة ، وتدحض حجة المناظر وتزييف المكابر .

وهي الوسيلة التي استخدمها قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين ومن على شاكلتهم من العلماء والمصلحين ، وهي التي رفعت عروش قوم وأزالت آخرين .

أما الخطابة في مطلع القرن العشرين فقد أصابها الضعف في الحجاز كما أصاب غيرها من أنواع الأدب ، وتهلهلت كلماتها ، واضمحلت معانيها ففقدت التأثير والتأثر ، ولكن لما جاء العهد السعودي نهضت من كبوتها ، واتقدت شعلتها ، وأشرقت شمسها ، وقد توجهت إلى أهداف سامية تأخذ بيد المجتمع إلى الأفضل وتستنهض الهمم للقيام بأعباء الحياة وتوقظ الشعب إلى قيام نهضة وحضارة مبنية على الدين والسلام والعلم والايمان .

وقد كثر روادها من أقطاب المجتمع السعودي وقادته وعلمائه وأدبائه وكان الغزاوي أحد المقدمين في الخطابة الذين حباهم الله بمواهب عدة ، منها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعداد الفطري والفصاحة ، والجرأة والعقيدة الراسخة ومعرفة الأصول والقوانين الخطابية . والغزاوي من المقبلين على مطالعة أساليب البلغاء ودراسة مناحي التأثير والإقناع فيها ولديه القدرة المتمكنة في تخريج المعاني ، واستخدام العبارات المؤثرة وإضافة الى ذلك فقد روض نفسه على الخطابة وقواها بالمران والممارسة منذ طفولته في المدارس ثم واصل المسيرة على المنابر ، فكان فحلها ورائدها وخبيرها حتى اشتهر بها بين مزامنيه لما وهبه الله به من صوت جهوري وأداء باهر وتأثير قاهر ، وتغلغل في النفوس والألباب وقد قيل فيه (إلى جانب مشاركته في المناسبات الكبرى ، كصوت مجلجل ، يجيد بتفوق الالقاء الذي يشد الجماهير ، فهو خطيب منبري ورائع الاختيار في اختطاف الصور ، وسبك الألفاظ الجزال . . .)[1] .

وكان في مجلس الشورى يتولى الخطابة أمام ولاة الأمر ومنها خطبته أمام الأمير فيصل نائب الملك في الحجاز التي يقول فيها[2] :

(إنها لفرصة سعيدة ، ومناسبة مباركة ، ننتهزها اليوم لنتقدم إلى سموكم باعتباركم نائب جلالة الملك المفدى معربين عن عظيم الشكر والولاء على ما شملنا به من رعاية سامية وثقة غالية وعطف كريم . . إنا لنؤكد لسموكم أننا لا نألوا جهداً في خدمة الصالح العام وأن نقدر مسؤولياتنا ونؤدي أماناتنا متجهين بها إلى ما يرضي الله جل وعلا ثم جلالة الملك المفدى وسموكم ، ونسأل الله أن يحفظ جلالته ويحقق أمانيه لخير العرب والمسلمين وأن يمده بنصر من عنده إنه سميع مجيب الدعاء) .

وهذه الخطبة تميل إلى الاتجاه السياسي والذي نستوحيه منها مكانته الخطابية بين العلماء والفقهاء والأدباء وعلية القوم في مجلس الشورى فتقديمهم له ، اعترافاً بفضله وقدرته الخطابية .

---

(١) في معترك الحياة لعبد الفتاح أبو مدين ٥٧٥ .

(٢) صوت الحجاز ٤٤٦ ص١ ـ محرم ١٣٥٩هـ ـ ١٤ فبراير ١٩٤٠م .

ومن أوائل خطبه خطبته السياسية ، أمام الملك عبد العزيز في عام ١٣٥٣هـ خلال فترة توطيد الحكم ، وتثبيت دعائمه والاستقرار السياسي بعد عقد الصلح بين المملكة العربية السعودية وبين اليمن الشمالية ، وقد حشد فيها الكلمات والمعاني التي تناسب المقام من التأييد السياسي والتطلعات المستقبلية ، ومتحدثاً فيها عن الأوضاع الداخلية التي سبر غورها أثناء رحلته في البلاد بأمر من الملك ليستطلع أوضاعها ويدرس أحوالها مع جمع من أهل الخبرة كانوا برفقته فتكون تقاريرهم ودراساتهم أساساً لوضع الخطط ، واتخاذ القرارات المناسبة ومما قال في هذه الخطبة[1] :

«إن بلادي التي تقدر الفضل وتعترف بالجميل ، والتي ما انفكت تبرهن في كل موقف على تفانيها حول عرشك العظيم ، واندفاعها في سبيل الحب والنصح والإخلاص ، تلك الخلال التي رفع قواعدها العدل وثبتها الإحسان ، وقد اتخذت من قدوم أصحاب السمو الأمراء قادة الجيش وأبطال الحرب ، وكواكب المجد ، وذادة الحمى وجمرات العرب ، أحسن فرصة ووسيلة لتعرب عن سرورها بما اتمه الله على ايديهم من الفخر الخالد والتوفيق الباهر ، تحت ألوية جلالتكم الخافقة (بوحدة العرب) والمنتشرة لجمع شمل العرب وتعزيز كلمتهم ، وحفظ بيضتهم أينما حلوا تحت أديم السماء .

لقد أقامت لذلك المهرجانات الحافلة التي هي بمثابة العنوان على سرائرها الطاهرة وعبر عنها الشعراء والخطباء بما تحمل جوانحها من محض الود وجلال التقدير ووجوب الطاعة ، والتهالك في تحقيق الغايات البعيدة التي ما زلتم تحرصون على بلوغها لتدرك أسباب السماء ، وتعاود ما كان لها من مكانة بين أمم الأرض قاطبة .

ولقد كنت قائماً بالخدمة خلال هذه الأيام الباسمة بأمر جلالتكم المطاع في بطون الصحراء وأطراف الثغور أحمل ورفاقي إلى رعاياكم الشاكرين مصابيح

---

(١) صوت الحجاز ع ١٢٥ ص ٢ ـ ٨ جمادى الثانية ١٣٥٣هـ ـ ١٧ أغسطس ١٩٣٤م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العدل التي لم تزل ساطعة في كل بقعة تظلها الراية الخضراء ، وكنت أخرق الارم أن لم أظفر بقسطي ، ولم أضرب بسهمي في هذا المهرجان المبارك الذي له ما بعده من خير متتابع ، ونعيم متدافع إن شاء الله تعالى ، وكنت أسمع من وراء الجبال صدى إخواني يتردد بين سمعي وقلبي فلا أكاد أتلمس رشدي من شدة التأثر ، وغلبة الحس وثورة العاطفة حتى وفق الله لإكمال المهمة وإنجاز الامر .

وعدت تتقاسمني عوامل الفرح بأدا الواجب ، ولقاء الأمراء ، وما وطده الله في جزيرة العرب من السلم المحمود ، والاتحاد المنشود ، ونوازع الألم والأسف ، على ما فاتني من المرح وحرماني من التغريد على كل فنن والبوح بما في هذه الروح الشاعرة المؤمنة من أمان حقق الله نوالها لمصلحة الشعب العربي المجيد الذي صار إلى ما يريد طوعاً وكرماً بما وهبكم الله من عزم وإلهام وأمدكم به من خصائص تشبه الأحاجي والمعجزات في بعد غورها وعموم خيرها ولم أرض وأنا الطموح الذي ساهرت النجوم في ارتقاب رؤية هذه الطلعات الموفقة الميمونة وهذه النتائج الصالحة المبهجة أن يسجل التاريخ هذه الصفحة الوضاءة من سجل عزائمكم الدائمة دون أن أرصع كلمة تتناقلها الأجيال المقبلة ، فتعلم كيف حسان (عبد العزيز) يستمد شعوره من مواهب سيده سيد العرب (ولا فخر) خلد الله ملكه وأطال عمره فيما يحب ويرضى حتى تبلغ به أقصى الآمال :

من كان في هذا المقام فانه ... على الفضل محمول وفي البحر سابح
فان كنت أحسنت المقال فانما ... تسامى به الفعل الذي أنت رابح

فاسمح يا مولاي بانشادها على البساط صادقة ماذقة ، تتواثب من أعماق القلب كما تنبعث أشعة الشمس في صفاء وقوة ونور » .

وقد قال قصيدته التي بعنوان (هم الجيرة الادنون) ومطلعها :

حمدنا السرى عقبى امتشاق البواتر ... وكدنا العدا بالصلح رغم العواثر
واصبح ما بين (العروبة) مسفراً ... من الحب والقربى ونور البصائر

وقد اتضح لنا من هذه الخطبة الأمور الآتية :

١ ـ الولاء السياسي من الغزاوي للملك عبد العزيز والإشادة بفضله وبما يوليه شعبه من النصح والإخلاص .

٢ ـ تتمثل فيها شخصية الغزاوي وامانيه وتطلعاته للوحدة التي ينشدها شباب الأمة العربية في تلك الفترة المريرة التي عانت منها الشعوب العربية والإسلامية بسبب هيمنة الغرب واستعماره حيث يقول : (بما أتمه الله على أيديهم من الفخر الخالد ، والتوفيق الباهر ، تحت ألوية جلالتكم الخفاقة (بوحدة العرب) والمنتشرة لجمع شمل العرب ، وتعزيز كلمتهم وحفظ بيضتهم ، أينما حلوا تحت أديم السماء .

٣ ـ أبان عن التخطيط والدراسة المستفيضة لأوضاع الجزيرة حتى تبنى القرارات على أسس من الصحة والاستقامة والعدل والفعالية وذلك عن طريق إرسال الخبراء الذين يدرسون أوضاع المجتمع ويكتبون تقاريرهم عما يشاهدونه ويرونه لكي يبني عليها الملك قراراته التنفيذية .

٤ ـ تمتاز هذه الخطبة بأنها تتدفق حماساً نابعاً من عاطفة جياشة ذات تأثير قوي وألفاظ جزلة في نبرات موسيقية تشد القلوب وتستميلها .

٥ ـ ألحظ في هذه الخطبة تعدد الأغراض ـ فهي تأييد سياسي للصلح والأوضاع الداخلية وشرح عن إمارات ومناطق ومتطلبات ومشاكل داخلية .

٦ ـ مازج بين القول النثري ، والشعري في هذه الخطبة ، فهي خطبة قوية التعبير تتغلغل في أعماق النفوس جزلة اللفظ ، جيدة السبك ، ذات عبارة رنانة ، وعاطفة متدفقة إلى جانب قصيدة من عيون شعر الغزاوي وعيون الشعر في تلك الفترة مما جعل لها سريان في المجتمع وقد قامت حولها دراسات واقتبست نماذج لأجود أشعاره .

٧ ـ يلاحظ عدم الاقتباس في هذه الخطبة من القرآن الكريم والحديث الشريف وحكم العرب وشعرهم علما بأن الاقتباس يزيد الخطبة ويجملها وهو من الأمور التي دعا اليها النقاد العرب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨ ـ وقد لاحظنا فيها طول الفقر والاتيان بجمل كثيرة معترضة فمثلاً نجد أنه أخر الخبر في قوله ان بلادي فان خبرها تأخر عنها وهو قوله (قد اتخذت) وكذلك نجد البعد بين (اتخذت) ومفعولها (أحسن فرصة) .

٩ ـ ابتعد عن السجع وأنواع البديع في هذه الخطبة .

والغزاوي من الخطباء الذين حباهم الله بمواهب عديدة فهو إلى جانب قدرته اللغوية ، وفصاحته اللسانية ، وغزارة علمه ، فقد كان جهير الصوت جميل الأداء ، لذلك فان الجزيرة عرفته من بداية توحيد البلاد وهو علم من أعلام البيان ومن منائر المنابر ، وحذاقها ، وكثيراً من الأحيان يمتطي تلك المنابر إما شاعراً وهو الأكثر أو خطيباً ، أو ممازجاً بين الخطابة والشعر وقد اشتهر بذلك بين العامة والخاصة وقد أنابه كثير من الوزراء والقادة في خطبهم ومن ذلك خطبته أمام الوفد الأردني لاصلاح مسجد الصخرة بالقدس حيث أنابه وزير الدولة حمد السليمان وقد سجلت وأذيعت من محطة الإذاعة السعودية ومنها قوله :

« ان مسجد الصخرة الذي أخذت تتصدع جوانبه في بيت المقدس ، البلد العربي الذي سقى ثراه بدماء الشهداء من الفاتحين والذي عرج منه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملأ الاعلى والذي استنهض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرحل إليه ووقف عليه وصلى في صعيده المطهر ، هذا البلد الذي صمد للأحداث وتغلب على الصروف ، وقهر الجبابرة من الغزاة المعتدين فارتدوا عن أسواره العالية خائبين محسورين هذا البلد العربي المتحفز ليتردد صدى استنجاده من وراء البلقاء والبطحاء فيصم آذان أربعمائة مليون مسلم ينتشرون في مشارق الأرض ومغاربها ليساهموا جميعاً في تلافي الخطر وتدارك الخراب المحيطين بمعالمه الخالدة . . وإن ما يتقاضاه ذلك من مصروفات ليستطيع واحد من كل مليون مسلم أن يعيده أحسن وأجمل وأقوى مما كان في أي عصر مضى ، لا سيما والظروف المحيطة ببيت المقدس لم تعد خافية على أحد ولا بد من إعلان التكاتف والتآزر الجماعي في هذا الواجب المشترك وليس الخلل من الخرج ولا من الفداحة بالدرجة التي تحمل دعاة الخير والاصلاح إلى

تجشم المشاق واختراق الآفاق لجمع الاكتتابات ولو قام أثرياء المسلمين وعظماؤهم من الموسرين بهذا الواجب غير أن النظر البعيد ، والوعي الرشيد هما اللذان استفزا هذه الوفد العزيز لتصميم الدعوة لاشتراك أكبر عدد ممكن من خاصة المسلمين وعامتهم في هذا العمل المجيد ليكون ذلك برهاناً صادقاً ودليلاً محسوساً على الشعور بالواجب والقيام به والتناصر عليه من كل من يؤمن بالله واليوم الآخر » .

حول الخطبة :

(أ) استهل الغزاوي خطبته بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾[1] .

وهو اختار الآية الكريمة التي تناسب البذل والعطاء وادخار العمل الصالح والأجر الطيب لأن الهدف من الخطبة جمع التبرعات لإصلاح مسجد الصخرة .

(ب) خاطب الأعيان والملأ من الحضور وأعضاء الوفد بالترحاب والتحايا .

(جـ) تحدث عن مسجد الصخرة في بيت المقدس وأبان عما حلّ به من دمار وخراب وذلك المسجد الذي تجشم عمر بن الخطاب الصعاب ليشهد فتحه أمام المسلمين ، فكان ذا أهمية ومنزلة في قلوب المسلمين وأتى بما يستجلب قلوبهم بالمساهمة في هذا المشروع الاسلامي بما أورده من الحجج المنطقية والبراهين الواقعية فقال (ان مسجد الصخرة) . . . الخ .

والغزاوي لم يكن خطيباً موهوباً فحسب ولكنه متطلع إلى إصلاح المجتمع جاعلاً من الخطابة وسيلة بالغة الأهمية للنهوض بالمجتمع وإصلاح عقائده ،

---

(١) سورة الصف من الآية ٩ الى ١١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتماسكه ووحدته ، وقد آلمه وقرح صدره ما رآه من تتابع خطب الجمعة في البلاد الإسلامية وهي تحتوي على مضمون قديم ميت ويرى أنها انحسرت عن منزلتها وأنها لا تعالج أوضاع المجتمع والأمة الإسلامية التي تعايشها بل سارت على نهج القديم المدون من عهود قديمة فأصبحت عديمة الجدوى والتأثير فهو يقول فيها :

« درج الناس وتتابعت القرون وخطب الجمعة في البلاد الإسلامية لا تكاد تخرج عن أسلوبها المصنوع وطرازها المسجوع ، فلا يكاد المستمع إليها ينصت إلى شيء جديد فيها وما يزال يعود إليها أو تعود اليه ممجوج ولت وعجن . . . » .

ويقول أيضاً « من هذه الخطب المكررة كانت تترادف وتتكاتف كما لو كانت نسخة من الليل والنهار المتعاقبين وحتى كأنها « أكلشيه » لا يقبل النقص أو الزيادة . . » .

وهو يوضح الأسباب الداعية إلى تغيير النماذج المكررة ويرى أن ذلك يعود إلى تنوع الأحداث وتقلب الظروف وتجدد القضايا أو المشكلات وما يطرأ على المجتمع ويتصل به وماله من مطالب وحاجيات ، ويحتاج الى معالجة بعض المبهمات المدلهمة عليه فيقول في ذلك :

« على أن تنوع أحداث الزمان وتقلب الصروف وتجدد القضايا والمشكلات التي تهم الجماهير وتتصل بحياتهم المتنوعة المتطورة ، وحاجاتهم الملحة إلى الإصلاح والتذكير والإرشاد والهداية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة » .

من هذا كان لزاماً على الخطباء متابعة الأحداث وملاحقتها فهي تتجدد وتتغير ، ويجب على الأمة الاسلامية أن تدرك ذلك وتعمل له كل ما يؤدي إلى وقوع في المخاطر والمهالك ويجب على الخطباء أن يتبنوا ذلك ويكون هو أساس مهمتهم وأهدافهم .

---

(١) البلاد السعودية ع ١٦٢٨ في ٢٨ ذي الحجة ١٣٧٣هـ .

وقد أعجب أيما إعجاب لما أشرقت به خطب الجمعة وأخذت تسبر أغوار المجتمع وتنضح بالعقيدة السليمة التي تعالج المشاكل والقضايا المتصلة اتصالاً مباشراً بأعمال الناس ومعاملاتهم وتعلمهم ما يجهلون وترشدهم إلى ما يفعلون ويعملون ، تستهوي قلوبهم وتجعلها خاشعة متذكرة وقد عبر عن ذلك في معرض حديثه عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ خطيب الحرم المكي : وتعليقه على كتابه (خطبة الجمعة) ، واستماعه له أثناء خطبه في جموع المصلين والحجاج فقال « فإذا بالخطب الجمعية تنتقل إلى وضع وأسلوب يأخذان بمجامع القلوب وإذا هو على حرصه الشديد وتمسكه بالسنة المحمدية ، وأخذه بأسلوب الحكيم يرتفع بالخطبة من ذلك الدرك الى أرقى ما أوتي البلغاء ويتعمق في خطبه ومواعظه ويتناول في كل جمعة موضوعاً أو مشكلة اجتماعية أو أخلاقية أو مالية أو ثقافية ، هي حديث الناس أو إحدى مشاغلهم وهي متصلة اتصالاً مباشراً بأعمالهم ومعاملاتهم وملابساتهم اليومية » .

والغزاوي يؤمن إيماناً جازماً لا مرية فيه بأن الرجوع إلى حكمة التشريع وأسرار الدين الحنيف أمر أساسي لصلاح المجتمع في دنياه وآخرته ، وأن التأثير القلبي والنفسي من السبل الناجعة في التأثير على المجتمع والعودة به إلى القوة والوحدة والحضارة ويأتي ذلك عن طريق الانتفاع بالوعظ والإرشاد التي تتعلق بها أعشار القلوب وتغلغل داخل نفوسهم وفي أداء باهر وبيان ساحر « ورجوع إلى حكمة التشريع وأسرار الدين الحنيف وما هو إلا جوهر الحياتين ونور العينين وطريق السعادتين ، وإذا بالعامة قبل الخاصة تتسابق على الانتفاع بهذا الوعظ والإرشاد القويين . . فينقلبوا إلى أهلهم متأثرين بما سمعوا وما ذكروا به من جوامع الكلم . . . » .

ونظراً إلى وسائل الإعلام الحديثة التي تخاطب المقيم في داره والمسافر في سيارته والعامل في عمله ، والكاتب في مكتبه ، والحارس في حراسته ، وربات البيوت في بيوتهن فان الخطب فيها أيضاً لها دور في توعية المجتمع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتنويره واصلاحه وارشاده وتوجيهه الوجهة السليمة ولذلك فان الغزاوي يشير الى هذه الناحية فيقول :

« وإذا بالعقائل في الدور يتلففن حول (جهازات الراديو) قانتات خاشعات . . يصغين الى هذه الآيات البينات ، ويجمعن حولهن . . الأطفال والصغار والخدم ، ويشتركن في هذه مع المصلين في هذه الهدايا الغالية ، والعظات البالغة .

وخطب الغزاوي تترتب في موضوع واحد وتمتاز بوضوح أهدافها ومضمونها ، وهو خبير في ابتكار أساليب تنشط السامع وتجذبه ، وقد راعى حسن التعبير وذهب إلى طرق شتى وأساليب متنوعة وقد يلبس المعنى الواحد عدة أثواب ويكسو غرضه حللاً مختلفة من التراكيب البلاغية .

وقد اجتنب الإطالة في خطبه حتى يجتنب الملل والسأم ويورد المعاني الجزلة والتراكيب في غاية الفخامة ليشد من انتباه سامعيه ، ويحلي خطبه بالاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي المليح ، والأمثال الحكيمة .

ولكن الذي يؤسفنا هو ضياع خطبه وعدم تدوينها وربما أن هذا يعود الى عدم الاهتمام بالخطابة في عصرنا هذا الذي اعتمد على أساليب أكثر حداثة لعملية الإقناع من مثل المذياع والرائي والصحافة .

فالصحافة التي أولاها الغزاوي كل اهتمامه واودعها كل انتاجه لم تعن بخطب الغزاوي وتدوينها .

بداية كتابته

بداية الغزاوي النثرية لم تكن معروفة بالتحديد كما حددناها بدقة متناهية في شعره غير أني أستطيع أن أعين أول نص مذيل باسمه وهو المقال الذي نشر

في أم القرى عام ١٣٤٥هـ بعنوان « بشائر التقدم » ولكن الأمر الذي لا ريب فيه بأنها ليست البداية لكتابة الغزاوي إطلاقاً ، لأنه عرف بأسلوبه واشتهر به بين مزامنيه . لذلك اختاره محمد سرور الصبان من بين فئة من الأدباء ليلقي عليهم سؤاله المشهور الذي جمع الإجابات عليه في كتاب سماه (المعرض) وصدرت أول طبعة له سنة (١٣٤٥هـ) مما يدلنا على أن الرجل له باع طويل في الكتابة ، مما يجعلنا نجزم بأن له كتابات سالفة قد مارسها في ديوان رئيس القضاة الشيخ عبد الله سراج الذي أعجب بالغزاوي وولاه رئاسة الديوان واشتهر أمر الغزاوي ، بذلك ، أما كتاباته الصحفية ، فأغلب الظن أنها ظهرت إبان الخلاف بين الملك حسين والملك عبد العزيز وهي فترة تعمد الكتاب إخفاء أسمائهم فيها .

وقد وصلت إلينا مقالته ناضجة في مضمونها وشكلها وأرجح أن تكون مقالته في أم القرى أسبق من التي دونت في المعرض، لأن طباعة المعرض في آخر عام ١٣٤٥ هـ بينما كتابته في أم القرى في صدر عام ١٣٤٥ هـ ، وهي تمثل تفاؤله واستبشاره بالمستقبل الزاهر للعهد الجديد في الحجاز وهي تنبىء عن البذرة الخيرة لاتجاه العهد السعودي الذي أشرقت أنواره على البلاد ، وقد وسمت بالعنوان الموحى بالواقع والآمال المستقبلية فهي تمثل بشائر التقدم ، ولا تمثل القناعة والكمال .

والغزاوي في نظرته هذه يصور واقعاً ملموساً بعقلية واعية ، فهو يرى الخير ولا ينكره ، فيدفع به إلى الأمام ولا يحطمه ، ويدونه بأسلوب يدعو إلى شحذ الهمم فهو لم يحاول أن يكون وسيلة إعلام وتأييد ، وإنما يقول رأينا الخير ورأينا معالمه فلنمض في الطريق لننال ثماره .

أما المقال فهو بعنوان « بشائر التقدم » كما أسلفت وهو يعلل لمقالته بمقدمة تميط اللثام عن دواعي كتابته فيقول :

« عنّ لي أن أطرق باب البحث في هذا الموضوع بعد أن شاهدت بعيني ما يشرح القلب ، ويثلج الصدر من بوادر الفلاح في سائر مرافق الحياة العامة بالحجاز ولما كان غرضي الإلمام ببعض ما حدث من التطور في خلال العام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنصرم من الواجهة الأخلاقية والعلمية ، والإدارية ، والصحية ، والاقتصادية والعمرانية ، تحدثاً بنعمة الله والإهابة بالأمة إلى مواصلة جهودها في السبيل الذي تدرجت فيه حتى الآن أبدأ بذكر ما يتعلق بالأخلاق فأقول » .

ومع أن المقالة قصيرة فقد برزت قدرة الغزاوي على مناقشة موضوعات الساعة بلغة تجذب الألباب لما في أسلوبها من جمال وجزالة وعرض شيق لقيم المجتمع وعوامل نهضته واستهلها بما هو تاج الأمم تلك وهي الأخلاق التي تمثل دعائم المجتمع فيقول :

« لا جرم أن كل منصف غيور على وطنه وبلاده إذا أرسل نظرة صائبة على الحالة الأخلاقية في البلاد الحجازية في الآونة الحاضرة وقارن بها مثلها في الماضي القريب يعترف بوقوع تحول كبير يدعو إلى الاغتباط والتفاؤل بحسن المستقبل .

فاليوم لا يجد المتتبع لأخلاق الناس تلك الرذائل التي تغلغلت بين طبقات الشعب في العهود الاستبدادية إذ كان يضطر بعضهم لارتكاب موبقاتها لفساد البيئة والخشية من المظالم. ولقد دلت التجارب على صحة النظرية القائلة (بأن الناس على دين ملوكهم) .

ليس من ينكر أن النفاق ، والكذب ، والخديعة ، والغيبة ، والنميمة ، والحسد والوشاية ، والوقيعة ، والرشوة ، وما إلى ذلك من القبائح من أكبر المعاول لهدم نظام المجتمع وتقويض بنائه وتدني أبنائه ، وأن هذه الجرائيم الفتاكة كانت منبثة بين كثير ممن تغر مظاهرهم فتفتك بعامة الخلق وتقلقل صروح تقدمهم وتقف سداً منيعاً وحاجزاً مريعاً دون انتعاشهم ورفاهية معاشهم » وهو يعدد في مقالته الميزات التي رأى مطالعها في العهد السعودي :

« أما الآن ـ وقد فتح ولاة الأمر ما كان موصوداً من أبواب النصفة والعدل وزال شبح المخاوف من نميمة كاشح ، أو وشاية متناصح ، وذلة أقدام أولئك الذين لا يبلغون أمانيهم إلا في جو مكدر بغيوم المفاسد ، وبالجملة بعد أن تساوى الفقير والأمير أمام مناهج الحق وتحطمت هياكل الغرور والغطرسة بسيف

العدالة الصارم ، فقد خفت وطأة الشر ، وخفت صوت الباطل وانصرف الناس لإصلاح شؤونهم وقرت عيونهم بما يتمتعون به من أمن شامل في النفوس ، والأموال والاعراض وبات كل امرىء عن دهره راض » .

ثم يتحدث عن الأمور في عاصمة المملكة الحجازية[1] وسهر القائمين في دواوين الدولة القضائية والصحية والإصلاحات التي تعج بها المدنية ثم تناول سائر الأمور الاقتصادية من تحسين المواصلات وإقامة المستوصفات وغيرها كثير .

ونلحظ أنها مقالة موضوعية حرص الغزاوي فيها على التقيد بما يتطلبه الموضوع من منطق في العرض وتقديم المقدمات واستخراج النتائج وبسط الموضوع وتجليته .

وتدلنا هذه التفسيرات والتوجيهات على اهتمام الغزاوي بشؤون مجتمعه وبالأمور المحيطة به ، وتشعب نظرته لكل جزئية منها وتصوره للاتجاهات الوافدة والنابعة من المجتمع ذاته ومن الأمور التي ارتسمت في هذه المقالة الموجزة :

١ ـ تناول الفكر والأدب لأنها الأهم في توجيه المجتمع وإيقاظه وإرشاده إلى أفضل المسيرات الصالحة ، ورأى أن لا يواجه المبتدىء بالنقد اللاذع غير البناء بل يوجه توجيهاً سليماً حتى ينضج ويشتد عوده .

٢ ـ رؤيته الشاملة للمجتمع مقدماً الناحية الدينية التي يسلك المجتمع في رؤيتها ويتقيد بتعاليمها وتكون حماية له للوقوف في وجه التيارات المعادية ، وأن استظلال المجتمع بظلال الدين يدفع بهم إلى بناء الحضارة والأخذ بأسبابها من النواحي التعليمية والإدارية والصحية ، والاقتصادية والعمرانية .

٣ ـ يوجه المجتمع إلى نبذ الرذائل التي تنشأ عند الفرد وتؤدي إلى ضرره

---

(١) يقصد مكة حينما كان الحجاز يسمى مملكة ونجد سلطنة وذلك قبل توحيد البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وضرر المجتمع معه من مثل الكذب ، والخديعة ، والغيبة ، والنميمة والوشاية ، والحسد .

النثر الفني

لقد تأثرت البيئة الحجازية بالجمود والركود الذي مد أطنابه وخيم على البلاد العربية وتأثرت به النواحي الفكرية والأدبية ، وقد ولد الأديب الغزاوي في هذا الإقليم وهذه الحالة التي خضع النثر فيها للتقليد البالي الذي ساد في عصور راكدة تعاقبت وتكالبت على العالم الإسلامي وليس للإبداع فيها فرص تتاح ، ولا نسمات تهب ، ولا إشراقات تضيء ولذلك ظل الأدب يقلد الإبداع القديم ثم ظل راكداً حتى أشبه بالماء الآسن ففقد جماله وتأثيره وقوته وأصبح ينحصر في المقامات والمعارضات والمفاخرات والرسائل والتأليف في بعض المسائل الدينية ، والتاريخية ، وأغلبها يميل إلى ضحالة في المعنى ، وركاكة في الأسلوب وتكلف في السجع ، وتلاعب بالالفاظ يمجه الذوق السليم .

وقد طرأ التغيير على هذا الوضع ببداية القرن الرابع عشر من الهجرة حيث ظهرت الصحافة لأول مرة في تاريخ هذه البلاد ، فظهر بظهورها نوع جديد من أنواع النثر الأدبي يختلف في شكله ومضمونه عن تلك الأنماط الأدبية السائدة من مثل التشطير والتخميس في الشعر والمقامات ، والمعارضات ، والمناظرات ، والرسائل .

المقالة الصحفية[1] :

وأول صدور للصحافة في الجزيرة العربية كان في إقليم الحجاز أكثر الأقاليم صلة بالثقافة والتعليم ، وبمولد الصحافة في عام ١٣٢٦ ـ ١٩٠٨ حيث صدرت جريدة (الحجاز) بمكة المكرمة ولدت المقالة في الحجاز وحلت محل الأنواع النثرية الفنية التقليدية التي كانت متداولة .

(١) من أراد التفصيل أكثر فليرجع الى كتاب (النثر الادبي) للدكتور محمد الشامخ .

إن مولد المقالة في الحجاز قريب من مولد الغزاوي الذي استهل حياته قبلها بأربع سنوات ، فقد نشأ في الإقليم الذي نشأت فيه الصحافة وأدرك الظروف التي حفت بالصحافة ، وفتح عينيه على كتابة أوائل الكتاب الصحفيين في الحجاز ، فتأثر بهم وقد استقطبتهم جريدة (القبلة) ، واستمرت الجريدة وما تلاها من جرائد تنشر العديد من المقالات التي تعالج الشؤون السياسية وانواع ضئيلة من الحياة الاجتماعية ، وقد تأثر اسلوب كتابها بتقليد النثر في عصور الضعف الادبي من ركاكة في الاسلوب ، وايراد بعض الالفاظ والتكلف في السجع .

غير أن النثر الذي دون في الصحف خلال العهد الهاشمي طرأ عليه تغيير فاصطبغ بالصبغة السياسية التي تولد عنها اتجاه الجرائد ، وتولى الكتابة عرب من الشام فاتسمت المقالة فيها بالحماس والنبرة الخطابية ، والاسلوب الجزل ومع أنهم نشأوا في بيئة غير بيئة الحجاز فان القضايا التي تناولوها بالبحث وعالجوها انما هي شؤون المنطقة ، وقد تأثر النشء الجديد بطريقتهم في التفكير والتعبير . أما هؤلاء الكتاب فقد اهتموا بالأمور السياسية التي أموا الحجاز من أجلها ولم يدركوا المشاكل الاجتماعية في البيئة الحجازية أو لم يعطوها النظرة الفاحصة والمعالجة الواقعية . لذلك افتقرت المقالة إلى التنويع في المضمون وطريقة المعالجة ـ مع ملاحظة انتقال أسلوبها إلى مجاراة الأساليب العربية المشرقة الديباجة واجتناب التقليد المميت للأدب ، في عصور الجمود الفكري والأدبي .

وكانت جريدة القبلة هي القدوة التي يقتدى بها وحاملة لواء الاتجاه السائد ومحرروها هم أقدر الكتاب في تلك الفترة وهم الدعاة الى أدب مبدع يلبس لباس الجدة والحداثة ، ويكون معاصراً في المضمون متخذاً التراث السليم نبراساً له ومما قاله فؤاد الخطيب[1]

---

(١) جريدة القبلة ع ١٤ في ١٣٣٤/١٢/١هـ ـ ١٩١٦/٩/٢٩م ـ وكتاب النثر الادبي ١٧ د/ محمد عبد الرحمن الشامخ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« وأما من رزق قريحة وقادة وبصيرة نقادة وإحاطة بما لا مندوحة عنه من قواعد اللغة وأصول العربية ، ثم راض نفسه على مزاولة أساليب العرب ومناحيهم وتوفر على مطالعة تراكيبهم ومراجعهم ، فقد اكتسب من ملكتهم ما أخرجه الى لهجتهم ، فبات وما يعترضه عي ولا ترتهنه لكنة ، ولا تتحيف بيانه عجمة ، وهل البلاغة لعمري إلا بصقال الديباجة ومتانة الأسلوب وحلاوة الأداء ، لتكون المعاني أعلق بالخواطر وأسرع في السمع وأفضل في النفس أرأيتك وقد تقفيت الألفاظ المتخيرة وعرفت أين تضع يدك في سبكها وتأليفها كيف تهز القلوب وتخلب الألباب وتملك قياد الأهواء » .

والغزاوي ابن هذه الدعوة وتلميذ صاحبها ، وهي الاتجاه الذي انتشل شباب الحجاز ، فتأثروا بأساتذتهم مع عوامل أخرى مساعدة ، فعادوا إلى التراث القديم وتزودوا به ، وتأثروا بدعوة هذه الجريدة وأسلوبها ، والصحف الوافدة التي أقبل الشباب عليها أيما إقبال ، مع عودتهم للأدب العربي في عصوره الذهبية يحفظونه ويروونه ويقلدونه حتى صقلت مواهبهم .

العهد السعودي :

أما في العهد السعودي ، فقد زالت الفرقة بين أهل الجزيرة ، وحلت محلها وحدة وطنية تجمعها العقيدة الإسلامية ، واستقر الأمن ، وخيم السلام ، وعبدت الطرقات ، وامتزجت العادات مع بعضها ، ودخلت عادات وتقاليد وافدة وتعددت الأحوال الاجتماعية والمتطلبات الوطنية .

لذا اتجهت الدولة يشد من أزرها المثقفون ـ إلى قيام النهضة ذات المسارات المختلفة ومهدت الدولة السبل لإرساء دعائم النهضة الشاملة في كافة الميادين التي لا بد منها لنهضة أمة من الأمم ، وقد أشار إلى ذلك الدكتور منصور الحازمي[1] يقول :

---

(١) فن القصة في الادب السعودي الحديث ١٣ د/ منصور ابراهيم الحازمي دار العلوم للطباعة والنشر .

« وإذا كانت بداية النهضة في مصر تؤرخ بحكم الخديوي اسماعيل ١٨١٣ ـ ١٨٧٩م ـ فان بداية النهضة تؤرخ في بلادنا بحكم الملك عبد العزيز الذي شجع الصحافة وشجع حرية القول ، وأنشأ دور العلم وبعث البعوث الى خارج البلاد وقام بالكثير من أوجه الإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي الى غير ذلك » .

وفي هذا العهد استمرت الصحف والمؤلفات الأدبية تتدفق ، والتعليم ينتشر ، والأقلام أتيح لها الحديث عما تبتغي وتهتم ، وأمامها كم هائل من الأوضاع التي تتطلب معالجة وتوعية وتثقيف وتوجيه ، وإرشاد . فوقفت هذه الأقلام جنباً إلى جنب مع أهداف الدولة نحو بناء هذه الحضارة .

وقد كانت الصحافة في بداية الأمر هي المجال الوحيد لأقلام أدبائنا فأقبلوا عليها بكل قدراتهم العقلية والفنية وبكل حماس وطني واجتماعي وإن اختلفت الاتجاهات في كيفية المعالجة .

وقد بحثت هذه النواحي بأسلوب أدبي فاختلف مضمون المقالة في الصحف عن سابقتها في العهد الهاشمي فاتجهت الى معالجة القضايا الوطنية والمحلية واعرضت بعض الشيء عن المقالة السياسية التي كانت سائدة ، لزوال المظاهر التي تدعو اليها وتستأثر بها عن غيرها .

وقد امتازت كتابتهم بالحماس القوي والروح المتدفقة للاصلاح والتجديد ، متأثرين باسلوب المقالة الحماسية في العهد الذي أدركوه قبل توحيد البلاد .

ومن أوائل الموضوعات التي لقيت رواجاً النواحي الأدبية ، حيث وجدت المقالة النقدية فتأثرت بالأسلوب الحماسي الهجومي في مرحلتها الأولى . وتميزت الأحكام النقدية بالغموض ، واتسمت بالتعميم وكان أبرز النقاد هجوماً محمد حسن عواد كما يتضح في قوله حينما يبحث عن البلاغة فيقول[1] :

---

(١) خواطر مصرحه ص ٢٥ ـ ٢٧ محمد حسن عواد .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تلمستها (البلاغة) في جواهر الأدب فرأيتها تبعد ٦٥٤,٣٢١ مرحلة .

تلمستها في مولد البرزنجي فرأيتها تتلكأ متسكعة متعثرة .

تلمستها في البردة والهزيمة فرأيتها تتمشى على استحياء .

تلمستها في كتب الاشياخ فأجابتني الكتب أنا لست هنا .

تلمستها في المقامات فاذا هي لحوم ناضجة ولكنها من حيوان غير مأكول اللحم .

تلمستها في كتب السعد والجرجاني فرأيتها تحشرج على فراش الموت .

تلمستها في شعر المولدين فاذا هي عجوز شمطاء في زي حسناء .

تلمستها في الجرائد فاذا هي خروق بالية وأديم ممزق . . . واخيراً تركت البحث ثم عدت فوجدتها .

وجدتها رعداً تقصف من نبرات القرآن فوقفت خاشعاً أمام معبدها .

وجدتها ألقاً يلمع في مقالات بعض كتاب سوريا فهززت يدي وصافحتها .

وجدتها ورداً ذابلاً في مقالات بعض كتاب مصر ، فهتفت لها مبتسماً .

وجدتها في شعر المتنبي ينبوعاً يحاول الانفجار فلا يستطيع .

وجدتها في نظرات المنفلوطي عروساً تزف ولكن بلا طبول .

وجدتها في الريحانيات موجة تصعد وتهبط .

وجدتها في كثير من شعر وكتابة مسيحيي لبنان تسلس عن قيادها » .

ثم وجدتها في مترجمات فولتير وموليير وشكسبير وبايرون وجوته فقلت واهاً لمجد شعراء الغرب » .

ومن هنا نلاحظ التعميم والغموض في هذا النقد الهجومي فاين الاسلوب

العلمي في تحديد ماهية البلاغة التي يبحث عنها ؟ !! وما ماهية البلاغة **التي** وجدها ؟ !!

والحقيقة أن العواد تجاوز حدود النقد البناء ؟ !! فقد قلل من قيمة الأدب العربي وروج للأدب الغربي وفيه ثلة من الأدباء أخذت اتجاهاً آخر فاخذوا الموضوع بالتحليل والتعليل وإبراز الحجج والرأي وأغلبها يميل الى الاعتدال بين القديم والجديد ، من حيث الشكل والمضمون ، وقد حفلت جريدة (صوت الحجاز) بالمقالة النقدية ، وأخذت طابع المعارك الأدبية التي كانت في مصر ، واستمرت الخصومة فيها بين العواد وأنصاره والأنصاري وأنصاره ، وكذلك ما دار من حوار بين العريف وحمزة شحاته ومحمد عمر توفيق وأحمد عبد الغفور عطار وهو أهدى وأكثر التزاماً لادب المناظرة .

وقد وجدت مقالات تهدف إلى معالجة ما أحاط بالأدب من فوضى وآلم أصحابها ما آل إليه النقد من تعريضه لأشخاص معنيين وميله للمهاترات الكلامية ، فاتخذ سبيلاً آخر يميل إلى المنهجية والموضوعية كمثل الكاتب المعروف حسين سرحان الذي حاول أن يتناول الموضوع بالتحليل والتفصيل كحديثه عن أشكال التقليد وصوره من ذلك قوله :

« لست أفهم للأدب معنى ولا أقيم له وزناً ما لم تقو وشائجه بالحياة ويندمج فيها اندماجاً كلياً حتى يتبطن أسرارها ، ويستعرض صورها في أتم ما تكون من الجلاء والوضوح وحينئذ يكون الأدب قد أدى رسالته السامية كما يجب أن تؤدى سالمة من شوائب السخف والغثاثة والتخليط »[1] .

أما الغزاوي ونفر آخر من الأدباء ، فقد كان خوضهم المعارك النقدية في حدود ضيقة ، وإن كانت آراءهم تتلى في صراحة بينة لأن له اهتماماته العلمية والعملية في مجلس الشورى التي أخذت عليه جل وقته ، ولأنه يرتفع بنفسه لمكانته الاجتماعية أن يدخل في مهاترات أدبية ، قد تخرج عن حدود اللياقة

---

(١) النثر الادبي ٩١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأدبية إلى : جانب الاتجاه الذي اختاره وصرح به وطالب بالأخذ به وهو تشجيع حركة التأليف والنشر والكف عن النقد الذي من شأنه أن يقتل المواهب ويعوق حركة التأليف[1] .

ومن خلال الدراسة للصفحات الأدبية فقد برزت ثلاثة مظاهر للادب في الصحف السعودية :

أولها ـ محاولة التاريخ لهذا الأدب على الرغم من قصر امتداده الزمني[2] .

ثانياً ـ السعي إلى الحصول على اعتراف بهذا الأدب فقد حاولوا عرضه على أقطاب الأدب في مصر ونشروا مقالاتهم التي تتحدث عنه في الصحف المصرية .

ثالثاً ـ تشجيع الإنتاج الأدبي المحلي والبحث عن الشباب الذين يمتلكون المواهب الفنية .

رابعاً ـ تكوين الشخصية المستقلة للأدب في البلاد مع محاولة إرساء قواعد له يقف عليه طليعة الأدباء في المستقبل .

والمقالة السعودية تناولت ألواناً من القضايا الوطنية والاجتماعية ، فتناولت قضية المرأة وتعليمها وعملها ، وقضايا العمران والزراعة ، والصناعة ، بل خصت كثيراً من المشاكل الذاتية بالمعالجة الحرة كالحديث عن الفرد أو احدى المدن أو القرى أو حي من الأحياء أو اسماً من الأسماء كما عالجت عادة من العادات البالية أو المستوردة .

وقد اختلفت سبل المعالجة وتناول الموضوعات ، فقد تأثر بعض الكتاب بالأمور الحماسية والتأثيرات النفسية الممزوجة بشدة الهجوم أو على النهج

---

(١) في القصة ١٦ د/ منصور الحازمي .

(٢) مستقى من كتاب فن القصة للدكتور الحازمي ص ١٤ .

المهجري ، وقد تبنى ذلك العواد ، والبياري ، وكثيراً ما تأتي مقالاتهم في موضوع وإصلاح أمر الأمة ، وأخرجها من جهالتها بطريقة خيالية غامضة متشائمة .

غير أن الأمر سلك سبلاً أخرى عند كثير من الأدباء السعوديين ، فتناولوا الموضوعات بأسلوب هادىء مباشر ، وبنظرة واقعية شمولية تميل إلى الاعتدال والواقع نابعة من واقع المشكلة ، وموردة الحلول التي تنبع من الظروف المحيطة متوخية الحل الافضل .

وقد تطورت أساليب المقالة وطريقة معالجتها وأسلوبها فشبت عن الطوق وتميزت بالاستقلال الفني ، وعمق النظرة وشموليتها وطريقة المعالجة التي تأخذ بالألباب . من ذلك مقالة حمزة شحاتة ، ومقالة حمد الجاسر في استفتاء (المنهل) الذي طرحه صاحبها عبد القدوس الانصاري وهو « هل الحروب تطوي الحضارات أم تنشرها »[1] وكذلك يلحق بها من حيث النضج الفني واشراق الديباجة والاستمداد من الناحية الحربية مقالة الانصاري التي بعنوان « بين مدافع المقاومة وطائرات الانقضاض » .

أنواع النثر

إن الرعيل الأول من الأدباء في هذه البلاد هم الذين تصدروا العمل الصحفي في عهد النهضة ، وثلة من هؤلاء الأدباء من بينهم صاحبنا الغزاوي لم يكتفوا بالقلم فحسب بل مارسوا الأعمال الجليلة الرائدة في المجتمع وهذه الفئة هي التي اتسم إنتاجها بالواقعية والموضوعية لما أدركوا من عراقيل ومصاعب ومتاعب تقف في وجه النهضة وتتطلب جهداً شاقاً وعملاً دائباً لذلك ظهر نشاط

(١) المنهل ع٥ ـ ربيع الثاني ١٣٥٩هـ ـ مايو ١٩٤٠ النثر الادبي ١١٠ المصادر :
(أ) النثر الادبي في المملكة العربية السعودية د/ محمد عبد الرحمن الشامخ دار العلوم ـ الرياض ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .
(ب) فن القصة في الادب السعودي الحديث د/ منصور إبراهيم الحازمي دار العلوم ـ الرياض .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هؤلاء في أمور متعددة فمثلاً نجد الغزاوي أحد الخطباء المشهود لهم بالفصاحة وجمال الصوت وجاذبيته إلى جانب عمله في مجلس الشورى وأعمال إدارية أخرى .

أما الصحافة فلصاحبنا باعه الطويل فيها وله إسهامه الكبير ، وله إنتاجه الثري من خلالها وقد رأس صحيفة أم القرى ورأس مجلة (الإصلاح) ، وجريدة صوت الحجاز ، وهو أحد المنابع الذي اغترفت منها مجلة (المنهل) على استمرار ثلاثين عاماً .

والغزاوي أتقن اللغة العربية دراسة وتمحيصاً ولغة وأسلوباً ، وأصولاً وفروعاً وفاق غيره في سبر أغوارها والغوص في بحارها ، وإخراج أصدافها ونظر في القضايا التي تتعلق بعقليات أهل زمانه فعرف الافكار الوافدة والحرب الصليبية في النواحي الفكرية ، واستشعر خطرها وفتكها بالمجتمعات الإسلامية وأبدا مقترحاته في التصدي لها وبناء السدود والحواجز لكي لا تنفذ إلى مجتمعاتنا ثم هو ابن مجتمعه البار والغيور عليه ، والرجل الإسلامي المتمكن من دينه عقيدة وتشريعاً فنظر إلى القضايا بمنظار الإسلام والوعي الذي يلازم العلماء والشعراء والكتاب وألمعيتهم وإدراكهم للأمور المستقبلية وتوقعاتهم لما يكون الاتجاه العام أضف الى ذلك تجارب الغزاوي العملية فهو رجل مارس الأعمال الحكومية التي تتعلق بالمجتمع وأنظمته وقوانينه ، من ذلك تكونت عنده آراء معتدلة فنظر بمنظار الواقعية والموضوعية وقد تصدى بفكره وقلمه للقضايا المستحدثة والطارئة والوافدة لأكثر من ستين عاماً .

مما ينبيء عن متابعته للأحداث ومعايشتها وإحساسه العميق بما يدور في مجتمعه وأرضه ووطنه .

وقد كوّن فيضاً من الأعمال النثرية ، ولكي أتمكن من إبراز الخصائص والاتجاهات وأبني أحكاماً على مميزات نثره الفني على قاعدة من التحليل والتعليل والتفسير والإيضاح فاني أقسم نثره حسب الموضوعات والمضامين الى الأنواع الآتية :

١ ـ المضامين الأدبية .
٢ ـ المضامين الاجتماعية .
٣ ـ المضامين التربوية .
٤ ـ المضامين العمرانية .

المضامين الأدبية

الغزاوي أحد الأدباء الأفذاذ الذين قادوا الحركة الأدبية في الربيع الثاني من القرن الرابع عشر حتى قارب نهايته ، ولقد رسم اتجاهه الأدبي الذي لم يحد عنه في أول كتاب أدبي يصدر في المملكة العربية السعودية ذلك هوكتاب(المعرض) الذي تكون من إجابة الأدباء على سؤال الاديب محمد سرور الصبان الذي يقول فيه :[١] ـ

« هل من مصلحة الأمة العربية أن يحافظ كتابها وخطباؤها على أساليب اللغة الفصحى أو يجنحوا إلى التطور الحديث ، ويأخذوا برأي العصريين في تحطيم القيود اللغوية ، ويسيروا على طريقة عامية مطلقة ؟

فتفضلوا بابداء رأيكم وما يحملكم على ترجيح إحدى الكفتين من البراهين الناطقة والأدلة المعقولة عسانا نجد من مجموعة أقوال ذوي الاطلاع ما يساعدنا على تكوين رأي عام في هذا الموضوع الهام » .

وهو يصدر مقالته التي كونت الإجابة على السؤال السالف الذكر ـ بالجانب الإيجابي في السؤال فيرى ضرورة اقتفاء الناشئة لآثار السلف من نبغاء الصدر الأول في الإسلام ، وعباقرة الدولتين الأموية والعباسية[٢] :

« فأقول : إني من أنصار الإيجاب في السؤال الأول ، وهو ضرورة اقتفاء

(١) المعرض ـ جمعه محمد سرور الصبان (المقدمة) .
(٢) المعرض ٢٠ جمعه محمد سرور الصبان .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناشئة لآثار السلف في كافة تعبيراتهم عن مختلف الشؤون والأغراض ولست أعني بالسلف من تقدم منهم في القرون القريبة الأخيرة بل الصدر الأول في الإسلام ومن نبغاء النظم والنثر في الدولتين الأموية والعباسية في الشرق والغرب وكل منصف مطلع لا أرتاب في رضوخه لهذه الحقيقة الناصعة إذا تجرد عن الهوى ولم يأخذ بمجامع قلبه الأسلوب الذي نسج على منواله بعض أدباء السوريين في العالم الجديد » .

ثم يميط اللثام في صراحة عن رأيه في المدرسة المهجرية التي غزت البلاد قبل غيرها من المدارس الأدبية الحديثة المتأثرة بالمدارس الغربية ورسائل ابن زيدون واستعادتها أحب الى قلبه ألف مرة مما خطه بنان المهاجر « واني لا أغالي إذا قلت طالما وقع بصري على قطع منثورة حاك أبرادها نابهو الذكر منهم في الخيالات وترسلاته فوددت ان لو أجد في نفسي شيئاً من الانشراح منها أو الميل إليها فلا وربك لأن أستعيد « ابن زيدون » ومن في طبقته من أساطين الأدب وحماته في عصره المجيد في كل فرصة تسنح ألف مرة ومرة أحب إليّ من كل ما خطه بنان مهاجر الأميركان لما في الأولى من الألفاظ الفصيحة السالمة من شوائب التعقيد والمعاني البليغة التي تمتلك الافئدة وتستوجب التمجيد » .

والغزاوي مقت الطريقة المستحدثة هذه لأنه رأى فيها هجوماً على اللغة وعلى العادات والأخلاق ، وهذا ما برر به هجومه وصدعه برأيه في صراحة حين يقول :

« ليسمح لي اخواني من الذين راق في نظرهم.ما توشيه اليرعات المنطلقة في فضاء الخيالات وعماء الغوايات ، بالتماس العفو منهم عن هفوتي ان رأوني اجحفت في التعصب للغة الفصحى ولذوي المكانات السامية في صوغ جواهرها وإحكام أواصرها وبالغت في مقت الطريقة المستحدثة من فئة خاصة ، وليحملوا ذلك على اعتبارات ـ سيأتي الكلام عليها بعد ـ حدت بي الى هذه الجرأة . إني أعبر في الحقيقة عن رأيي الخاص ، وعلى مسؤوليتي وهذا حق الجميع عن ملاحظاتهم » .

ويشدد هجومه على الذين خرجوا على نظام اللغة الشامل ويرى في ذلك تعدياً على الدين واللغة والأخلاق السليمة والذين تصدروا لها إنما شقوا عصا الطاعة فيقول : ـ « ويشب نارها بعض المردة الذين خرجوا في هذه الأيام على نظام اللغة الشامل لجميع علومها وآدابها خروجاً أشبه بشق عصا الطاعة للحكومة أو بعقوق الوالدين والمروق من الدين . وكأن الناس لم يكفهم في الوقت الحاضر ما يعانونه من شرور البدع والأضاليل في الدين والسياسة والعادات القومية وغيرها حتى يبتلوا بخطب هؤلاء الخوارج الذين قاموا على اللغة يطعنون في قواعدها وأحكامها ويتزاهدون حماتها الذائدين عن حرماتها ، ويبالغون في ازدرائها وتضليل آرائهم وتسفيه أحلامهم » .

ويختتم حديثه بآثار ونتائج تلك الاطلاعات الخارجية على قصص وروايات مجتمعات منحلة دينية وأخلاقية ومن جراء ذلك يتأثر شباب الأمة في معتقده وأخلاقه فيقول : ـ « وكأني بمعترض أن الإدمان على مطالعة تلك الروايات وأمثالها لا يؤثر قطعياً على الدين والأخلاق لأننا ننتقي الطيب وننفي الخبيث فأقول إذا كان الأمر كذلك فلا بأس ، ولكن مهما بولغ في الحيطة والحذر لن يسلم صغار العقول المحرورين أو المغرورين بزخارف المدنية الاوروبية من تشرب أفكارهم بتلك الروح السائدة بين أحشائها » .

وهذه المقالة تمثل منهجاً التزم به الغزاوي في حياته الأدبية فحرص على الأسلوب العربي الجزل والتدقيق في المعاني اللغوية والبحث عنها ومتابعتها وارتكز في ثقافته على كتب التراث القديمة فكان أدبه أدباً عربياً ملتزماً ذا مضمون معاصر وقد ظهر لنا من حديثه السالف الذكر محافظته على اللغة وأصولها والتعبير من خلالها عن أحوال المجتمع وتمثل محافظته على أساليب العربية وبلاغتها وصياغتها وجمالها لذلك ظهر بمظهر الشخصية الإسلامية التي تنبع من التراث وتستقيه مع اجتناب الآداب الغربية التي تميل إلى الانحرافات الأخلاقية مما يضع الشباب الاسلامي في دوامة من الأفكار المتصارعة المتناحرة لأن مشوقات القصص والمسرحيات لا تعدم الهدم الأخلاقي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد تصدرت الصحف السعودية المقالة الادبية وكتبت بأسلوب أدبي مؤثر يلامس النفوس ويهز الشعور ، له محتوى يميل للصالح العام ويهدف إلى توجيه الأمة وينقد الهفوات والثغرات نقداً لاذعاً ويدعو إلى المثل العليا والفضائل الإسلامية ومن هؤلاء الشيخ / حسن عبد الله آل الشيخ وعبد الكريم الجهيمان والشيخ / زيد بن فياض . وقد كان الغزاوي في مقدمة هؤلاء الأدباء فقد عالج في مقالاته الأساليب العربية ، ومشاكل اللغة والأدب والاتجاه نحو المستورد الدخيل والإعراض عن العربي الفصيح .

النقد عند الغزاوي :

والغزاوي تناول النقد في موضوعاته الأدبية وهو يميل إلى تشجيع الإنتاج المحلي وطالب بالكف عن النقد الذي من شأنه أن يقتل المواهب الغضة ويعوق الحركة الأدبية وهدف من نقده إلى الأخذ بيد المؤلف فيتلمس محاسنه التي يزخر بها الكتاب ، ولا يذهب إلى تتبع السقطات التي يقع فيها كل واحد كما قال[1] :

« ومن الإغراق في العنت أن يعاتب على طريقته الكتابية أو إطنابه أو إيجازه أو أخذه بأسلوب دون آخر ، فإنما هي نبعة تفيض بها النفس فتشف عما تحمل من أمانة وتضمر من إخلاص وتستطيع من بيان »

« ولا تجود يد الا بما تجد » وعندي أننا أحوج إلى تعضيد العامل مهما كان عمله بإبراز وجوه الفضل والإجادة والإتقان والإحسان فيه وتقديم كل تشجيع ومساعدة له تنشيطاً لنفسه وتقديراً لجهوده ، وتنفيساً له من العناء » .

ثم يلتفت إلى الناقد ويخاطبه قائلاً له : ـ بدل من الاتجاه إلى عمل غيرك وتحطيمه لماذا لم تتجه الى العمل نفسه وتشحذ مواهبك لما هو أجدى وأولى بالناقد وهو يكلف نفسه ويقتل وقته لاستشراف السقطات ، واستعداء الهفوات في عمل غيره ـ أن يولي شطره قبل العمل نفسه ـ فيسكب من مواهبه على جمهور

---

(١) أم القرى ع ٤١٧ ص ٤ .

الناس وخاصتهم ما يقيم الدليل على براعته وتفوقه، ويجعله في طليعة الموفقين في أدب أو اجتماع أو أخلاق أو غير ذلك من الفنون الممتازة ذات النفع العام والتأثير الصالح فإذا توافرت لدينا هذه الآثار الخالدة ، وأخذت طريقها إلى النفوس وأزاحت عنا لوم العقم وبلاء الجمود ولم يبق أمام حملة الأقلام إلا أن ينقدوا ـ فثمة يتسع مجال النقد لذوي الملكات الناضجة والأذواق السليمة ويكون الضرر المتفادي منه الآن قد زال واستعد كل امرىء لقبول المناقشة في إنتاجه راضياً غير ساخط ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ .

ومن النقد نقده للمسرحيات والتمثيليات وتحليله لها وما لها من أثر عميق في النفوس ، وإجادة الممثلين لأدوارهم ، وكونها تعالج واقعاً حياً في المجتمع ومن ذلك نقده لتمثيلية موفقة استمع اليها الجمهور واعجبوا بها[1] :

« أصغى الناس في برامج الإذاعة السعودية ليلة السبت ١٣٧٣/٤/٢٧هـ إلى تمثيلية بعنوان « أهل الحارة » وكان لها صدى عميق وتأثير جميل في نفوس المستمعين ذلك أنها تكاد تكون صورة حية أو (طبق الأصل) لما هو واقع فلا تزيد ولا رتوش . واني أود لو احتوى البرنامج الإذاعي عندنا على هذا النحو من التمثيل غير المصطنع فانه لا يعدو الحقيقة من جانب ، ومن الآخر فان فيه إرشاداً ـ وتفكهة ـ وتثقيفاً مهذباً لا سيما وهو لا ينحط عن الأسلوب العالي ولا يرتفع عن الفهم الساذج وهي خطوة موفقة تضاف إلى الأشواط البعيدة التي قطعتها الإذاعة خلال هذين الشهرين بوجه خاص نحو التطور والتنويع ومجاراة الوسط والبيئة والانتقال من حسن الى أحسن . وحقيق بنا أن نشكر لها ذلك ، وأن نستزيدها من منه وما أوسع الأبواب في هذا الدرب المفيد» .

ثم ينصح بمعالجة العادات البالية ونقدها فيقول :

« وحبذا لو تناول كل ما يبين ضرر العادات البالية ـ في مختلف الوجوه والمصالح فإنه طريق معبد لإدراك الصواب وفيه يمتزج الدواء بما يسيغه في الحلاقيم عند إرادة العلاج الناجع وبالحكمة والإقناع بالحسنى » .

---

(١) جريدة البلاد السعودية العدد ١٤٤٣ ص ٤ ـ في ١٣٨٣/٥/٧هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويدرك أن أثر المذياع الذي يصاحب الإنسان في الحل والسفر وفي كل مكان فهو قدير على توعية الشعب وتوجيهه وإرشاده إلى الأفضل في الأخلاق والعوائد والتقاليد .

« والأمل قوي في أن يكون التقدم فيه مستمراً مع الأيام والأسابيع وما ذلك بعزيز على سعادة مديرها الذي تتوفر فيه جميع المؤهلات لأداء هذه المهمة الشاقة ذات الأثر المباشر في الحياة بصفة عامة وفي الأخلاق والعوائد والتقاليد بصفة خاصة وأن ذلك لأجدى وأنفع من كثير من ألوان الأدب الرفيع التي لا يهتم بها إلا القليلون من الخاصة المختارة » .

ثم يتناول الأمور الفنية فيها من أشخاص وطريقة في العرض والمحاكاة والمعاني والتصوير الشيق وأعجب بأولئك الطلاب من البعثات الذين قاموا بالأدوار والإخراج وما أدخلوه من عناصر الدعابة والترويح مع سمو الهدف فيقول فيهم « وقد أكبرت كثيراً كاتب التمثيلية والذين قاموا بتمثيلها من طلاب البعثات في مصر فقد حققوا الهدف منها وضعاً وحبكاً وعرضاً ومحاكاة لا في المعنى فحسب بل وفي اختيار نفس الألفاظ وتصوير الأوضاع والتعابير بما يثير الدهشة والاستغراب والإعجاب معاً في آن واحد ، فما عهدنا بالطالب في الغالب إلا بعيداً عن هذه البيئة واصطلاحاتها بانصرافه بالدرس والتحصيل منذ حداثته ولكنه استطاع أن يكون مثلاً عالياً للذكاء وحسن الفطنة وسرعة الإدراك مع (خفة الدم) وإسباغ روح الدعابة والترويح .

وقد اتسمت المعالجة النقدية في الموضوعات الأدبية بالعنف والهجوم أحياناً وبالاعتدال أحياناً أخرى فدخلت في معارك أدبية اتجهت الى المهاترات ، والنقد الذاتي للاشخاص وتسفيه الآراء والافكار كمثل نقد النقاد للموسوعة الأدبية تحت عنوان (الموسوعة السياسية في سوق عكاظ) ومقال آخر بعنوان (موسوعة المراكيز) والمعارك الأخرى التي دارت بين عبد القدوس الانصاري وحمد الجاسر حول (جيم) جده حيث وصلت هذه المعارضات إلى درجة لم يحتملها الأدب ولم تغنه في شيء وإنما ارتكزت على النواحي الشخصية ومحاولة النقيص من الأفراد .

وإلى جانب هؤلاء كان هناك أصوات تنادي بالاعتدال وتميل إليه وتدعو إلى تشجيع الكتابة والتأليف والنشر ويكون نقدها منطلقاً من الموضوع ذاته فلا سباب ولا شتائم ومن هؤلاء محمد سعيد العامودي في كتابه (من تاريخنا) وكذلك الشيخ ضياء الدين رجب[1] رحمه الله وأحمد النعيمي الذي يخاطب المهاجمين بقوله[2] :

« أما محاولة خدمة الوطن وأما ممارسة الكتابة المجدية النافعة ، واما التوجيه فهذه أمورهم بعيدون عنها أو هي بعيدة عنهم » .

وكما هو واضح فقد سلك الغزاوي سبيل الاعتدال بل دعا إلى التجاوز عن الهفوات والأخذ بيد المؤلف والإعراض عن المهاترات والشتائم الشخصية والاتجاه إلى ممارسة الأعمال الفعلية بدلاً من التنقيب في أعمال الآخرين .

المضامين الاجتماعية

نظر الغزاوي الى مجتمعه نظرة الباحث الموجه المرشد والطبيب الذي يشخص المرض ويحدده ثم يصف الدواء الناجع وهكذا الأديب والصحفي المخلص لأمته ووطنه فانه يحدد مشاكل مجتمعه ويدرس جوانبها ويأتي بالحلول المتعددة ويرشد إلى أفضلها وأسلمها وقد نظر الغزاوي إلى المجتمع وأدواته نظرة شمولية فتحدث عن تعليم المرأة وتحدث عن المرور وإرشاداته وعن الطرق وتعبيدها وعن المصحات وإيجادها ، وعن الشوارع وتوسيعها وعن الحدائق وتنظيمها ، وعن الزواج ومشاكله ، وعن الإسراف والتبذير ومضاره ، وعن المؤسسات الوطنية وأعمالها وعن الأمانة والبلديات وواجباتها ، وتخطيطها وعن العادات البالية وازالتها وإعراض المجتمع عنها وحديثه عنها بإفاضة ومتابعة دقيقة يعتمد على التحليل ويعالج بالنصح والإرشاد ويبني أحكامه على أوامر الشرع

(١) جريدة البلاد ع ٢٤٩٨ في ١٣٨٧/١/٢٢هـ في ١٩٦٧/٥/٢م .
(٢) اليمامة ع ١٥٤ في ١٣٨٧/٢/١٧هـ الموافق ١٩٦٧/٥/٢٦م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ونواهيه ومن أعظم الأمور أهمية ، وأكثرها أثراً ، وألصقها بالناس أمور الزواج وما فيها من عضل ومن غلاء في المهور ، عادات سخيفة ومظاهر خلابة أثقلت على الفقير وأرهقت الغني الموسر ، وهو يتساءل لماذا تبلغ المصروفات هذا الحد ولما يتشبه الفقير بالغني ولماذا لم نقلع عن هذه العادات ونعالجها ونجعل الأمر ميسوراً على شباب الأمة وبذلك تنحسر كثير من المشاكل التي تحدق بالمجتمع : -

« والحق أن الشكوى أصبحت عامة في هذا الباب من الجميع والعجيب أنها على فداحتها واضطهادها واعفائها ما زالت تتحكم فيهم !!!

ومن الخير أن يكون القادرون قدوة صالحة فلا يذعنون للزخرف الكاذب ويكون لهم بذلك فضل الاتباع لسنة خير الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأجدر بالفقراء أن يتفادوا كثيراً من الأضرار التي تلحق بهم إذا استمروا على هذا الديدن وما وراءه من عضل وحسرة وانطواء ، أو دين ومرارة وخواء ، وحسب الشباب الذي يسعى ليكمل نصف دينه ويأوي إلى بيت يستقر فيه ويحنو عليه أن يقوم بالسعي المشروع الواجب لتأمين معيشته وأهله وتمكين رغدهم ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾[1] .

إن الوقت لم يعد يسمح بالمطل ولا بالتراخي وقد ورد في الأثر الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله اني قد وهبت نفسي لك فقامت قياماً طويلاً فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء تصدقها إياه ؟ فقال ما عندي إلا ازاري هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطيتها اياه جلست بلا ازار لك فالتمس شيئاً فقال : ما أجد شيئاً فقال التمس ولو خاتماً من حديد فالتمس فلم يجد شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل معك من القرآن شيء؟ فقال: نعم معي سورة كذا وسورة كذا السور سماها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انكحتها بما معك من القرآن .

---

(١) سورة الطلاق ٧ .

وإننا ولله الحمد والمنة لم نبلغ هذا القدر من المرتبة ، الا أن النفس قد ضاقت بما هنالك من حفلات وسمرات وعوائد وترهات يضيق بها الصدر ولا ينطلق اللسان !! .

وهذا (عبد الرحمن بن عوف) « جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أثر صفرة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه تزوج ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم سقت إليها ؟ فقال زنة نواة من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم ولو بشاة » . والنواة اسم لمقدار معروف عندهم وهو خمسة دراهم من ذهب وقد روى القاضي شريح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ـ « لا تغالوا بصدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة عند الله ، أو تقوى كان أحقكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما أصدق رسول الله أحداً من نسائه ، ولا أصدق أحداً من بناته أكثر من اثني عشر أوقية » .

انه لإحراج كبير وإبهاظ كثير هذا الذي اعتدناه في إقامة حفلات العقد والزفاف ـ وما تقتضيه ـ من مصاريف وتكاليف يئن منها القوي والضعيف : فهي إلى ما فيها من التبذير واحتمال الصنائع وتكبد الديون وسهد العيون وثقل المغارم ومشاكل العادات وسوء الأحدوثة لم تؤد الا إلى الانصراف عن الزواج بشكل ملحوظ !!! وما وراء ذلك أدهى وأمر ؟ !! ولا نجاة من كل ذلك ولا سلامة الا بالاقتصاد والقناعة والرضا وأن يمد كل امرىء (رجله على قد لحافه) كما يقولون . . أما الاسترسال في ذلك كله أو بعضه فلن يكون له أمد ينتهي اليه ، وما هو إلا من قبيل الهوى، خصوصاً في الطبقات الكادحة العاملة !! وكما قلنا آنفاً يجب أن تكون لهم الأسوة الحسنة والمثل الطيب في السنة النبوية ، وفيمن يتجانون عن الاسراف مع القدرة عليه دون عقابيل ، ونرجو أن يكونوا عند حسن الظن بهم . ﴿ وإليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ﴾[1] .

وقد تناول هذه المشكلة الاجتماعية بالمعالجة مرة أخرى وبيّن صعوبتها

---

(١) سورة فاطر ١٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومشقتها ، والأعباء والعراقيل التي تكوّن السدود والقيود في وجه الشباب الغض الذي لا يملك الوسائل الكافية لإزاحة هذه العقبات فهو يطلب من المجتمع أن يتجاوز هذه القيود ، ويترك التقاليد البالية ويلتمس من أهل الخير الاخذ بأيدي المحتاجين ومساعدتهم وقد أيد الكتاب الذين يتناولون هذه الموضوعات في كتاباتهم ومنهم / عبد العزيز الرفاعي[1] فقال الغزاوي معلقاً على مقالته :

« ذلك البحث القيم الذي عالجه حضرة الكاتب والأديب الرائع صديقي الاستاذ (عبد العزيز الرفاعي) عن (مشكلة المهور) فحمدت الله على هذه المصادفة الطيبة وبادرت إلى عرض ما عثرت عليه لعل فيه تبصيراً لكثير من الأصحاب الذين يضاعف الله حسناتهم . . . وكم من مشاكل أحدثها التقليد الاعمى ؟ !! واني لأشاطر الكاتب المشار إليه رأيه في ضرورة معالجة هذه المعضلة التي تنذر الأجيال بما لا يستهان به من العواقب السيئة في هذه الناحية الخطيرة ذات الصلة المباشرة بالحياة في صميمها وإن لها لحلولاً أولاها بالاهتمام والإذعان لقوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ وغني عن البيان ما وراء إهمالها من أضرار صحية ومفاسد أخلاقية ، وخصومات عائلية . . . وبين أيدينا المثلات في الأمم المعاصرة المتحضرة التي انتهت بها إلى قلة النسل وتلاشي الأسرة إلى كل شر وانهزام ووبال وبلاء وسقوط وانحلال .

وان علينا ان لا نستهين بهذا الموضوع وان تتضافر جميع الجهود لنيسر الأسباب فيه وننبذ هذه العوائد الضارة التي يتنافس فيها القادرون والعاجزون على السواء » .

ومثله مثل غيره من الأدباء في مثل هذه المشكلة فهو لا يجد الحل المحدد والمقنن ولكن يحاول معالجته بالنصح والإرشاد والتوعية .

« ولا يغرب عن البال أنه لا بد لهذا الأمر وتصحيح الوضع فيه من تطوع بالدعوة وحث على الاقتصاد وتضحية في المعاونة وإلحاح في النقد واحتمال

---

(١) البلاد السعودية ١٨١٦ ص ٤ في ١٣٧٤/٨/١١هـ .

للمكابرة ومثابرة على الحق أما ترك الحبل على الغارب وتكلف الطبقات الفقيرة والمتوسطة أنفسهم بما لا يطيقون والوقوف من كل ذلك موقف المتفرج أو اللامبالاة فليس من الحكمة والرشد في شيء مطلقاً وأن (الدين النصيحة)﴿ ومن يهد الله فهو المهتدي ، ولا حول ولا قوة الا بالله ﴾ .

* * *

ومن العادات المستعصية الإسراف في الموائد الرمضانية التي تتنافس الأسر في تقديمها فتثقل البطون وترهق ربات البيوت ، كما تكلف وتزيد المصاريف الشهرية أضف إلى أن أغلبها مصيره إلى القذف في حاويات البلدية وقد عالج الغزاوي هذه المشكلة الرمضانية وتحدث أفضل عن الطرق المتبعة وأحسنها :

« روى أبو داود بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد ابن عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » .

أفرأيت أيها القارىء الكريم كيف أنه أحضر الموجود ولم يتكلف المفقود وكيف هو الأدب الشرعي في الدعاء للمضيف وأين نحن اليوم من ذلك حقاً . قد أدركت عمداء بيوت كبيرة طواهم التراب يدعون إلى موائدهم في إفطار رمضان كل يوم عدداً محدوداً من أقرانهم أو احبائهم فلا يزيدون على مقاضيهم شيئاً ومع ذلك يستطيعون ان يقدموا بين أيدي ضيوفهم (فكوك الريق) من تمر وقثاء وزمزم أو ماء ويصلون بعد ذلك حتى يحضر العشاء أو الفطور على الأصح والفاكهة كل ذلك بما لا يخرج عن الطاقة ولا يحمل على الإسراف ولكنه التدبير وحسن العرض وأحسن منهما التلطف والبشاشة وصلة الإخوان »[1] .

وقد كتب عن رمضان الشيء الكثير وقد تناول فيه العادات القديمة والحديث وقارن بين القصص الواردة فيه وبين مأكل ومشرب القدماء والمحدثين وتناول فوائده ومحاسنه وأثره في المجتمع وعلى الفرد وقدأوردالفكرة

---

(١) البلاد السعودية ع ١٨٤٤ في ١٣/٩/١٣٧٤هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي نعمل به في وقتنا الحاضر وهي انتهاء العمل قبل غياب الشمس للاستراحة وجلب الحوائج وقد ذكر أن أول من بدأها أمير مصر أحمد بن طولون[1] :

« يستروح الكثيرون من طبقات العمال مباشرة واجباتهم مبكرين في شهر رمضان حتى إذا ارتفعت الشمس وتوسطت كبد السماء وأوشك الظهر على الأذان انطلقوا رؤساء ومرؤوسين ليؤدوا صلاتهم في المساجد ثم يستريحون أو ينامون إلى حوالي العصر وبعد الفريضة يقبلون مرة اخرى على العمل في نشاط محدود مدة ساعة أو أقل ثم ينصرفون ، وقد استحقوا أجورهم كاملة ذلك هو العرف المتبع فيما نشهده في هذه الأيام وما سبقها من أعوام .

ويحدثنا التاريخ أن الأمير أبا العباس أحمد بن طولون شرع في بناء المسجد المنسوب إليه في القاهرة بعد فراغه من بناء القصر والميدان واستمر العمل فيه إلى أن انتهى في شهر رمضان سنة ٢٦٥ هجرية وأثر عنه أنه زار الجامع في شهر رمضان أثناء العمل فيه فرأى العمال يشتغلون الى قرب الغروب فقال : متى يشتري هؤلاء الضعفاء إفطاراً لأولادهم وأمر بصرفهم وقت العصر ، واتخذت سنة من وقتها » .

ومن القضايا الاجتماعية التي طرقها وعالجها معالجة دقيقة بعد تحليل لأنواعها وأسبابها وأوجد لكل صنفاً منها حلاً مشكلة التسول والمتسولين فقال :[2] ـ

« ما من مؤمن يرجو الله واليوم الآخر إلا وينفطر قلبه أسفاً على هذه الطائفة التي استمرأت الانطراح في ساحات الشوارع وعلى أبواب المساجد في أشكال بائسة واسمال بالية وسمات موجعة « والحال لا يعدو فيهم أن يكون واحدة من ثلاث : عجزة مقعدون أو أقوياء متسكعون أو غلمان مشردون .

ولكل فريق منهم علاج يسير فللأولين دار أقامتها الحكومة للإيواء ، وفيها

---

(١) البلاد السعودية ١٩ العدد ١٨٣٨ ص ٤ ـ ٦/٩/١٣٧٤-٨ ٧

(٢) البلاد السعودية ع ١٤٤٠ ص ٤ في ٣/٥/١٣٧٣هـ .

يضمن لهم العيش والحياة من لباس وطعام وشراب ودواء ، ومن غلبه المرض اسعف بالعلاج في إحدى المصحات .

وللآخرين أبواب تحفظ كرامتهم بالعمل الشريف والسعي المفيد وذلك بالاستخدام أو الانخراط في سلك العمال أو الجندية أو (البوليس) وما أوسعها من أبواب مفتوحة على مصاريعها تستوعب كل من يصلح للإنتاج في مختلف أنواعه .

أما الغلمان ـ فانهم بين أمرين ـ اما ان يكونوا خدماً لأرباب العوامل والحوانيت أو عمالاً (متمرنين) لا مهرب لهم من حرفتهم أو طلبة في المدارس بطريق جبري يصون أخلاقهم وكذلك الشأن في الارامل أو الاطفال فلا بد لهم من ملجأ يضمن بهم الصيانة والعفة والحجاب . . . . » .

مقالة الغزاوي :

أما مكان المقالة الاجتماعية عند الغزاوي بين مثيلاتها الاجتماعية عند الأدباء السعوديين وفي الصحف السعودية فإنها قد تنوعت أساليب المقالة الاجتماعية في الأدب السعودي فكل أديب له أسلوبه وله طريقة المعالجة وله وسيلته الكتابية في العرض والتوضيح تبعاً لذوقه وثقافته واطلاعه ونفسيته والموضوع الذي يتناوله فمنهم من اعتمد على الأسلوب الفكه الساخر أحياناً والضاحك أحياناً ، ويمثله العواد ، ومنهم من يجنح الى الأسلوب الخطابي المؤثر كمثل محمد باعشن ، ومنهم من يمثل الأسلوب الهادي والمعالجة الواقعية النابعة من واقع المجتمع وظروفه ومشاكله بأسلوب توضيحي . .

من هؤلاء الغزاوي الذي اعتمد على العرض الشيق والواقعي للمشكلة ثم يورد الحلول المقترحة التي تعتمد على الدين والعادات السليمة ، والقصص التراثي الذي يمثل المثل العليا في المجتمع .

والغزاوي من أولئك الذين عاشوا في المدن التي تحفها الأسوار وكل مدينة محتفظة بعاداتها وتقاليدها وتكون معادة مكررة ، ولكنه لم يلبث أن شهد التطور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتغيير المذهل حيث تضاعفت المدن ونمت نمواً كبيراً من حيث العمران والسكان واتصلت بالعالم عن طريق المواصلات ، والهاتف والأسطول الجوي والبحري وامتدت شبكات الاتصالات .

مما احدث تطوراً في المجتمع ودخلت أفكار منها السليم وكثير منها بعيد عن الإسلام ، وتعاليمه .

والغزاوي من أهل الفكر والأدب وأنيط به مسؤولية التوجيه والتصحيح والإرشاد والنهوض بالمجتمع نحو الأفضل وهو من الذين قادوا النهضة الصحافية والفكرية والأدبية وسخروها لمجتمعهم وبناء حضارته وقد امتازت معالجته للموضوعات الاجتماعية بالخصائص الآتية : ـ

* اعتمد في معالجته للقضايا التي تمس المجتمع على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

* اعتمد على العقل للتمييز بين الصالح والطالح وأبدى المعالجة الواقعية والموضوعية .

* اعتنى عناية شديدة بما يتعلق بالمجتمع وحمايته من الاتجاهات الوافدة .

* اعتمد في معالجته للقضايا والمشكلات التي تنبع من المجتمع وتفد اليه على القرآن الكريم وجعل الآيات والاحاديث النبوية الشريفة مصدراً مهماً لتوجيهه وإرشاده واقتراحاته ، وآراءه .

* وكذلك يسرد من القصص الإسلامي والتراث ما فيه العبر لمن يعتبر ، فهو مثلاً في ناحية الزواج وغلاء المهور يأتي بحديث الرسول حينما قال لمن لم يجد شيئاً من المهر (قد انكحتها بما معك من القرآن) ثم يسرد قصص الزواج في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيها من البساطة وعدم التكليف أو الضرر والارهاق ، ثم يأتي بالحجج والبراهين المقنعة ، وتفصيل الأضرار وكيفية معالجتها .

* وهو يجعل من البراهين العقلية والمعالجة الواقعية والموضوعية أمراً مهماً في طريقة اقناعه فهو يأتي بالمشكلة وأسبابها ويجزئها إلى جزئيات ثم يتناول كل جزئية بمعالجته من الأمور الميسورة السهلة التي لا تتجاوز الواقع كمثل معالجته لمشكلة . . (التسول) التي أورد علاج كل نوع منهم بأمور يقدر عليها الشخص ذاته وتكون أجدى وأفضل له .

ويستطيع المجتمع أن يمد يده له ويستفيد منه ويفيد المجتمع ويكون عضواً فعالاً .

* اعتنى الغزاوي عناية شديدة بالأمراض الفتاكة التي تكالبت على المجتمع من جراء الاتجاهات الوافدة والعادات البالية التي أخذت تتطور إلى الأسوأ من مثل البعد عن التواد والتراحم وصلة القربى ، وتكالب الناس على المادة والدسائس التي تقع من جراء ذلك وابتعادهم عن دينهم ومعتقدهم كل ذلك وغيره لقي من الغزاوي معالجة وتوجيهاً وإرشاداً .

المضامين التربوية

الغزاوي من أولئك المعنيين بالدراسات التربوية وتسجيلها ووصل ما انقطع منها ، وتدوين ظواهرها ، فقد تحدث في مقالاته عن التعليم وأساليبه من مطلع القرن العشرين ، فهو أحد المعاصرين لهذه الحقبة ومن المهتمين برجال العلم والمحبين لهم والمدونين لأعمالهم الجليلة ، لذا فإن الباحثين من رجال التربية عن سير التعليم في هذه البلاد يستمدون من مقالاته الشيء الكثير وقد أولى الكتاتيب وتدريس الحلقات اهتمامه فقد دون تاريخ الكتاتيب في مكة خلال القرن العشرين ووصف طرقهم وأساليبهم وتحدث عن مشاهيرهم ومما قاله عنهم[1] :
كانت الكتاتيب في مكة المكرمة أول معرفتي بالحياة أكثر من أن تحصى ، وأشهر كتاب للشيخ / عبد المعطي النوري في الشبيكة ، وكتاب إبراهيم فودة في

(١) التعليم في مكة والمدينة ٣٧ ، ٣٩ د/محمد عبد الرحمن الشامخ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اجياد ، وكتاب الشيخ / أحمد حمام في حارة الباب ، وما تخلو محلة من كتاب أو أكثر في طول أم القرى وعرضها . وكان من أهم الكتاتيب في حدود عام ١٣٢٦ و١٣٣٠هـ كتاب الشيخ / عبد الله السناري « حموده » في باب الزيادة بزاوية السمان ، وكان من عرفائه الشيخ مصطفى يغمور . . .

وكان من جملة أساتذة الكتاب الكبار الشيخ / أحمد السوركني الداعية الإسلامي الكبير في جاوا والسيد أحمد مجاهد وغيرهما من رجال التعليم المخلصين » .

ثم تحدث عن المنهج والمواد التي تدرس وطرق التدريس وما يقيمه الأهل من احتفالات لمن يحفظ القرآن غيباً ويكون الاحتفال بمقدار حفظه من الأجزاء يزيد التكلفة كلما زاد في عدد الأجزاء وقال في ذلك : « وكان المنهج في أكثره تحفيظ القرآن والإملاء والخط والحساب . . . وكانت هناك مواسم وأعياد للكتاتيب ، فإذا ما ختم أحد التلاميذ من بنين أو بنات القرآن غيباً أو نظراً أو وصل إلى حد محدود من ذلك المصحف الشريف أقام له أهله حفلاً عظيماً سواء كان ذكراً أم أنثى وطافوا به أو بها في موكب شعبي يطوف شوارع البلد في نسق جميل وعرض شائق ، وتكون الألواح مرفوعة فوق الرؤوس احتراماً وإعظاماً لما تضمنته من آيات الذكر الحكيم . . . وأصوات المنشدين تردد بالدعوات الصالحات والابتهالات المشجية ، وكما كانت تقام للأولاد فهي أيضاً للبنات . . . . » .

وتحدث أيضاً عن الحياة العلمية في الحرم المكي قبل الحرب العالمية الأولى مفصلاً الحديث عن الحلقات في المسجد الحرام محصياً عداً ومبيناً مواردها ، وطرق تدريسها ، فقال فيها واصفاً ما شاهده وعايشه[1] : ـ

« وقد أدركنا الحلقات في المسجد الحرام ـ كما كانت في المدينة المنورة بالمسجد النبوي الشريف تغص بالطلاب الكبار والصغار ليلاً ونهاراً وفي جميع الأوقات حتى منتصف الليل وفي تباكير الصباح وبعد كل فرض يؤدى » .

---

(١) التعليم في مكة والمدينة ١٢ د/ محمد عبد الرحمن الشامخ .

ثم تحدث عن المواد التي تدرس في هذه الحلقات وهي على جانب كبير من العمق والتمحيص والتحليل وتشمل العلوم الإنسانية والكونية والفلكية « وكانت تدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية والنحوية وحتى الفلكية ، ولا أبالغ إن قلت إن عددها أكثر من مائة بين الأروقة « والحصاوي » وفي المدارس المجاورة والخلاوي وكانت الدوافع إلى ذلك ترتفع الى طلب الأجر من الله العلي القدير ، وتتوسط إلى الجمع بين الحسنتين في الدنيا والآخرة » .

ثم ينتقل إلى وصف أخلاقهم وطهارتهم ونظافتهم وفصاحتهم وكياستهم وما يمتازون به من كياسة وأدب ورقة وظرف وتسامح وتعاون وتصادق فقال :

« وقد كان هذا الطراز من الدرس والتدريس والطالب والمعلم حريصاً كل الحرص على أن يمثل الطهارة والنظافة والأناقة والفصاحة والكياسة والدعابة والفكاهة ويجمع بين الأدبين النفسي واللفظي وحسن أوصاف الهدوء والطمأنينة والرقة والظرف والطلاقة والخلق الكريم مع التسامح والتناهج والتعاون والتصادق » .

ثم يوضح عدد كل حلقة « أنها تتألف من العشرين إلى أكثر من المائة ثم المائتين متصلة ويتوسطها المدرس فوق سجادته وأمامه المقرىء الذي يكون عليه أن يبدأ بالقرآن ويتولى هو الشرح والتفصيل ، ويستمد ذلك من ذاكرته أو مراجعاته قبل شهود الحلقة وأمام كل طالب محفظته الجلدية وقد ضمت الكراريس موضوع الدراسة ، وتحته سجادته ، وتلقاء وجهه بعد الغروب (اللالة) وهي أداة ضوء ضئيل بالشمع الأبيض ولا تزال عندي اللالة والمحفظة كأثر ثمين أحافظ عليه قبل خمسين سنة مضت» .

وفي عام ١٣٨٠هـ يكتب مقالاً مطولاً في الكتاب الفضي للمنهل بعنوان (تطور مكة العلمي في العهد السعودي) وفيه يتناول الحركة العلمية . . . بالاستعراض والرصد والنقد مبيناً أوجه الخير فيها ومحذراً من الهفوات والأخطاء فيقول :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« إننا إذا استعرضنا حقب التاريخ التي تسبقنا رأينا خلالها صفحات قائمة تستوقف النظر وتستثير الشجون ، فقد حفلت بالأحداث والمفاجآت ذات التأثير المباشر في حياة الشعب عامة وفي تطور الحركة العلمية والعمرانية تقدماً وتأخراً ونشاطاً وركوداً لا يمر بهما الباحث دون تريث واستبصار . . » .

وكانت العقود الأولى من هذا القرن في الناحية العلمية ذات فتوح لم يكن للبلاد عهد بها ـ فأنشئت إبانها وخلالها المدارس التي يصح نسبياً أن توصف بأنها الأولى من نوعها ولا أخص بذلك (مكة) وحدها وإن كانت أوفر نصيباً من سواها من أمهات المدن في الحجاز ، وأخذت تبث في الناشئة روح الدرس والتعليم وما فتئت أن أخرجت من طلابها رجالاً ينتمون إلى أشياخ ذوي مكانة مرموقة في المجتمع ولهم قدم راسخة فيما تولوا تدريسه في تلك المدارس التي دأبت على أداء مهمتها رغم جميع العقبات والصعاب » .

وهذه الفئة المتعلمة لها دورها البارز فتحملت أعباء النهضة على أكتافها فقد احتوى العهد السعودي وضم إليه في مسيرته أولئك المتعلمين فالتحقوا بالوظائف الكتابية ، في هذه البلاد الشاسعة « وأذن الله جلت عظمته وتعالت حكمته ان تستقبل البلاد عهدها الزاهر في ظل الحكم الحاضر فاستوعبت الدوائر القضائية والعلمية كل من كان متأهلاً للعمل في حدود معرفته وكفاءته واختصاصه وآلتهمت الدوائر والدواوين الرسمية كل من أسعفته درايته ومواهبه ودراساته ومطالعاته بأن يكون قادراً على تصريف العمل في وظيفته » .

ولكن الغزاوي يدرك المشكلة التي نجمت عن الاتجاه الذي ساد الوظائف الكتابية والاستعداد لها عن طريق العلوم النظرية وإعراضهم عن جانب كبير من الحياة العملية التي تتمثل في العلوم التطبيقية والفنية والمهنية ويجب على المجتمع أن يتلافاها ويتجاوزها .

« وهنا تبدأ المقارنة بين اختيار كل من الطائفتين هذا من الجانب أو ذاك فماذا حدث في هذا الاختيار ؟

لقد كانت الدواعي كلها متضافرة على الإغراء في جانب الوظائف القلمية

رغم كل ما تبذله الحكومة من جهد في الاستهواء الى الجانب العملي المحض والديني على وجه الخصوص فرأينا الصفوة الممتازة من الشباب تتوائب تواثباً نحو المكاتب والمناصب مؤثرة إياها على كل ما يمكن أن ينتظرها من جلال ووقار وميزة واعتبار ورغد وهناء في المستقبل القريب او البعيد في الحقل العلمي البحت !!

وقد يكون من أهم الأسباب في ذلك أن الحياة نفسها قد أصبحت اليوم غيرها بالأمس ، فهي لا تهمل أحداً في قوته ومطالب عيشه وضروريات أسرته حتى يفرغ من انكبابه على درسه ثم يتخذ سبيله إلى السوق ليمارس البيع والشراء ويربح من كسبه وعرق جبينه ، وما يسد به رمقه ويقيم أوده ، وإن كان ذلك لا يتعذر على القلة النادرة كما كان هو شأن السابقين الأولين من السلف الصالح » .

من هذا العرض الموجز الذي حرصنا على أن يكون نموذجاً لأحاديثه ومقالاته يتبين لنا مدى رصده لحركات التعليم في أوائل القرن العشرين وأواسطه وأواخره .

فقد تبين لنا الامور الآتية :

١ ـ أنه سجل بواقعية وموضوعية طريقة الكتاتيب وأسماء القائمين عليها والمواد التي تدرس فيها من قرآن وتعليم مبادىء القراءة والكتابة والحساب والاملاء وأبان عن أدواتها والاحتفالات التي تقام فيها .

٢ ـ أنه سجل حركة التعليم في المسجد الحرام والحلقات التي يتصدرها كبار العلماء وكيفية التدريس فيها ، وجدوى تلك الطريقة وما يقرأ فيها من أمهات الكتب وما يدور فيها من حوار بناء .

٣ ـ أطال الحديث حول المدارس الأهلية والحكومية وكيفية تدريسها وأنشطة الطلاب ومنتدياتهم ، وتجمعاتهم والمنافسات الأدبية والمساجلات الشعرية .

٤ ـ قارن بين عملية التأديب في الكتاتيب والمدارس في مطلع القرن وما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يستخدمونه من أساليب الضرب والشدة وبين الوسائل التربوية الحديثة التي منعت الضرب واستبدلت بها وسائل أخرى .

٥ ـ أنه بطريقة المقارنة بين القديم والحديث فتح باباً واسعاً للدراسة الموضوعية وأخذ محاسن القديم والجديد ووضع طرقاً تعتمد على التراث والنظريات المستحدثة السليمة إضافة إلى وصله الحلقة وتسجيله لفترة من الفترات الانتقالية المهمة في تاريخ الأدب في الحجاز .

* * *

المضامين العمرانية

تتبع الغزاوي مسيرة النهضة والتطورات التي طرأت وحولت الصحارى والفيافي إلى مدن جميلة تقوم على العلم والإيمان . لذلك أشاد بكل مشروع يقام وتحدث عن أثره وأهدافه وسجله حسب ما يمليه عليه إحساسه وشعوره وفرحته بما يحظى به بلده من مكاسب ومغانم فتتحدث عن الطرق وتعبيدها فقال[1] :

« ومرسوم ملكي آخر يربط مدينتي الدمام والخبر بطريق معبد ثم بخط حديدي وعلى الفور ترسم الخطط وتوضع المشاريع وتمسح الأرض وتمد القضبان وتسفلت الصحراء وتنتشر حركة العمران ويتضاعف عدد السكان وتنمو التجارات وتقرب الأبعاد وتقصر المسافات وتمشي السيارات والفراقين (أو الفرقونات) على الانطواء والانكماش وما ذلك إلا من أوائل الخطوات في تنفيذ المشروعات الإصلاحية الضخمة التي يأخذ بعضها برقاب بعض فلا تشرق الشمس ولا تغرب إلا وقد جد جديد من العمل الصالح » .

وقد تحدث الغزاوي عن الجيش وتقويته وإعداده وتطويره وتأهيله وتزويده بالمعدات التقنية وقد قال[2] : ـ

(١) البلاد السعودية ع ١٨٦٠ ص ١ في ١٠/١٠/١٣٧٤هـ .

(٢) البلاد السعودية ع ١٨٦٠ ص ١ في ١٠/١٠/١٣٧٤هـ .

« ومرسوم ملكي آخر بتزويد الجيش وتسليحه بفرق الطيران الجوية المظلية وفي ذلك أحكام في التصميم وسرعة في التنفيذ واستخدام لأحدث وسائل الهجوم والدفاع وحفز الشباب الطامح للتوثب وشوكة للحروب وارهاب للعدو وتطور مع الزمن وتنفيذ لحكم الله وأوامره بالإعداد والاستعداد وماذا بعد ذلك من رشد وتبصر وبعد نظر وتوفيق » ؟

والغزاوي لا يكتفي بالعمران وإنشائه بل ينظر الى ما يحمله ويرسم صورة ممتازة للمدن والأماكن الفسيحة وجمال الطرقات ، وتحسينها فيعالج مشكلة تشجير الشوارع والمدن وإقامة الحدائق والمنتزهات ، بما يسر الناظرين ويجلو الهم والحزن وتبتهج له النفس .

وقد سجل لنا كيف بدأ الصراع بين البلديات وما يقف في وجهها من عقبات ، فالطرقات ضيقة وتوصيل المياه الى الأشجار وحمايتها من الأغنام والأبقار كل ذلك يمثل العقبات التي تقف في وجه عملية التجميل والتشجير في بداية التوسع الحضاري والعمراني وهو يدعو الأمانة إلى تخطي تلك العقبات كما يدعو المواطنين أيضاً الى تجميل منازلهم ووجهات حدائقهم .

« منذ أكثر من خمس وعشرين سنة شاهد الناس في الشارع العام غروساً من الشجر قيل يومئذ أنها ستعم شوارع مكة المكرمة ووضعت لها أقفاص تحميها من الدواب والأغنام ووكل بسقايتها وتعهدها موظفون مختصون وكان المنتظر أن تتوفر لها الظلال ويتأنق بها المنظر ويتصل بعضها ببعض من مدخل أم القرى الى مخرجها وعلى الاصح في جميع نواحيها الفسيحة على الاقل فماذا كان ؟ لا ندري إنما نعرف جميعاً أن غروساً أخرى غرست في (أم الجود) و(المقتلة) و(سالم) و (الشميسي) و(جدة) وجميع أنحاء طريق جدة ـ مكة وكان غرسها منذ سنوات قليلة جدا فكان لها هذا الوضع الجميل والفيء الظليل في صف طويل يبعث في النفوس كثيراً من الغبطة والارتياح . على حين لا نجد للغروس الأم عيناً ولا أثراً ؟؟

---

(١) المصدر : جريدة البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٤٤٨ ص ٤ في ١٣/٥/١٣٧٣هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان المفروض أن يعم التشجير سائر نواحي البلد الأمين ولا سيما الشوارع والمناطق الواسعة وما كنا نقنع بذلك فقط بل نطمع الى إنشاء حدائق للنزهة وأن تكون الميادين الفسيحة . . وهكذا كانت العزيمة صادقة ولكن . . وما لنا وللفائت ؟؟

نحن كما تقول العامة (من أولاد اليوم) فما هو برنامج الأمانة في هذا التشجير ، وهذه الحدائق ؟ وهل يتعذر علينا كمواطنين أو ملاك أو أصحاب ذوق عال أن نجعل هذه الجبال المستوطنة والممتلئة بالدور والسكان غابة من السرو أو (التيم) أو حتى (السيسبان) ؟

لنجرب ذلك بشكل اجماعي ولتتنافس فيه وليعن كل واحد بما في يديه أو على بابه من ذلك فقط وسترى كيف يصبح أبو (قبيس) و (قيقعان) ؟ وكيف يتلطف الجو ويطيب السمر ويعتدل (الميزان)؟ ولا يقولن أحد ان ذلك من الصعوبة بمكان ما دام أن الماء لم يصل الى الذرى والسفوح فقد شاهدنا كثيراً من المجاورين من أولاد سام وحام ويافث ونوح قد أقاموا على إمكانه البرهان وسبقونا في هذا الميدان وكان أسبق منا ومنهم في ذلك أصحاب الأذواق السليمة في كل مدقع وغلبان ودونك (لعلع) (والطنبداوي) و(سويدان) فأمام كل عشة لهم وسندقة شجرة او شجرتان . . . .﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾[1] ؟؟

وانه لمن دواعي الغبطة أن تبر الأمانة بوعودها في مجاراة العهد الجديد فتنهض بهذا الواجب من التنظيم والتعبيد والتجميل والتشجير من (قهوة عثمان) الى بعد ما بعد (الزاهر) و(بركة ماجن) و(شارع المنصور) و(فيلا البستان) وهي بالطبع لن تنسى ما بين ذلك من الجيوب والمنعطفات والشعبان !! واذا صح لنا أن نطالب الأمانة بذلك كله ـ وهو صحيح ـ فأصح منه أن نؤدي لها ما علينا « وكما تدين تدان » .

وقد كان للغزاوي ما أراد فإن التشجير عم مدينة مكة وغيرها من مدن

---

(١) المصدر : جريدة البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٤٤٨ ص٤ في ١٣/٥/١٣٧٣هـ .

المملكة بل وجدت حدائق عامة ومعالم جمالية تقربها العيون ويأنس لها المواطنون وتسر الوافدين .

أضف الى ذلك السيطرة التامة على إبعاد المواشي من المدن وتربيتها داخلها ومرورها في الشوارع فقد انقرضت هذه الظاهرة وتمت السيطرة عليها بفضل الوعي الذي عم أرجاء البلاد .

المطلع على أدب الغزاوي النثري والشعري يرى فيه تسجيلاً لمسيرة النهضة العمرانية التي طرأت في الجزيرة وأن التنظيم الحاكم الممثل في الدولة السعودية تحمل المسؤولية العظمى من خلال تشكيل يكفل الصالح العام ، ويخطط ويبني ويتيح الفرص للبناء وقد عملت على سياسة الأبواب المفتوحة لمن أراد . . البناء . فالدولة تعمل جاهدة والمرافق الخاصة ميسرة ومسخرة لها السبل والحماية لتبني أيضاً .

والفرد يجد الرعاية ليبني أيضاً ، وكان لهذا الاتجاه عطاؤه الخير مما جعل المدن الصغيرة تنمو والقرى تتحول إلى مدن ، بل أوجدت مدن وقرى عديدة وما زالت الدولة تسعى فتنشر الطرق وتعمم الكهرباء وما زال العمران والإنشاء ميسراً . وهكذا تم البناء العمراني والصناعي والزراعي وشمل الفيافي والقفار والسهول والجبال والتهائم والنجود .

وقد كان أدب الغزاوي سجلاً حافلاً لها وكذلك كان ناقداً وموجهاً ومقترحاً وله الكثير من الآراء البناءة التي أخذ بها . . وكتاباته تتلخص في ما يأتي :

١ ـ تحدث عن الطرق وابان عن أهدافها وفوائدها الجمة وقد سجل لنا تاريخ أول مرسوم يقضي بانشاء السكة الحديد ما بين الدمام والرياض في عام ١٣٧٤هـ بأمر الملك سعود رحمه الله كما تناول بالحديث الطرق المعبدة وشق الجبال من أجلها من مثل المشروع العملاق جبال (الهدى) .

٢ ـ تحدث عن بناء القوات المسلحة ومصانع الأسلحة ، والقواعد الجوية لتكون درعاً للوطن وارهاب للعدو ، وتطور مع الزمن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣ ـ تحدث عن بناء المدن وفتح الطرق وتوسعتها ، والأساليب التنظيمية المتبعة وبناء الجسور والأنفاق ، والحدائق العامة ، والمنتزهات والمعالم الجمالية .

٤ ـ تناول تشجير الشوارع وتجميلها وغرس الأشجار المقاومة للعوامل المناخية وأبان عن مقترحات كثيرة وان خص مكة بأكثر أحاديثه .

٥ ـ تمنى إيجاد الزراعة التي تفي بالغرض الوطني وتكوين اقتصاد وطني يعتمد على ما يبذله الإنسان من خلال عمله .

من هذه النماذج وغيرها مما اطلعت عليه نجد النظرة الشاملة المتكاملة للعمران والعوامل المساعدة له تتجلى واضحة عند الغزاوي .

* * *

خصائص النثر عند الغزاوي

يتسم اسلوب الغزاوي بصدق التعبير ، والتماس المنفعة مع دقة التصوير فهو يتتبع الصور الأخّاذة ، ويكسوها ظلالاً نفسية ، ويجعل الأحداث والمناظر شاخصة أمامك تتحدث وتنطق وتلتمس التطبيق والشفاعة لتنقذ من الاندثار وتنقذ الناس من الضياع فيكون ذلك أكثر تأثيراً وقد تحدث عن الإذاعة كإحدى الوسائل التي تحمل تباشير الخير إن حسن استعمالها فقال[1] :

« ها هي محطة الإذاعة تقام لها الدار شاهقة البناء ، وهي تنادي الذين يشعرون بالإيمان من أعماقهم بما يجب أن يزودوا به إذاعة تتجاوب اصداؤها من مهابط الوحي ومأرز الدين ومطلع الرسالة . . . إنها تنصب لكي تقوم بواجب عظيم ، وليست كمثيلاتها من المحطات التي يقصد بها محض التسلية والترفيه . . وما في برامجها مهما اتسعت أو ضاقت . . ما يتوفر مثله في غيرها من

(١) المنهل ص ٥٩ صفر ١٣٦٩ .

حيث الميول والشهوات النفسية أو ما يقتل الوقت ، ويبعث على المرح ، إنها إذاعة لا تقاس بمثيلاتها فيما اعتاد السامعون الإصغاء اليه من جميع الآفاق .

ان مهمتها الأولى النصيحة والإرشاد ، وتذكير المسلمين بما غفلوا عنه من صحيح العقائد وقواعد الأحكام وقويم الأخلاق وما هم بحاجة إليه من غذاء روحي يدفع بهم إلى ما اختاره الله لهم من عزة وكرامة ومجد وسلطان ثم هي بعد ذلك ستقوم بوظائف الهيئات التعليمية في تعميم المعارف ، وإحياء تراث العرب والإسلام ، وهي لا تنهض بهذا العبء الثقيل إلا إذا اختلف اليها العلماء والعاملون والأدباء المبرزون ومن يستظلون بألوية العلم والأدب والبيان . . .وإنها إذا تهيأ لها أن تصدع بما أمرت ، وان تتغلغل في احشاء العالم الاسلامي جادة غير هازلة ، مبشرة تارة ، ومنذرة أخرى ، فستكون قرة لعيون الموحدين ، ومؤذنة بالفجر الصادق تتلألأ به الآفاق بين المحيط الأطلسي وشرق الصين » .

٢ ـ ويحرص على التعبيرات الفنية المؤثرة فكثيراً ما يوشي ويزين ويلبس تراكيبه حلة بلاغية في غير تكلف ولا تعسف ، إنما إجادته وسعة اطلاعه سلاح معين له في انتقاء ذلك ، ولكنه مع ذلك يختار ألفاظه التي تناسب المقام وتكون أكثر دلالة من ذلك قوله في وجوب التمسك باهداب الدين والتحدث بنعمة الله :

« أما في بلاد العرب المحافظة وفي الأراضي المقدسة التي لم تبلغ شأوها البعيد ، وشرفها التليد في الماضي والحاضر إلا بالتمسك بأهداب الدين والخضوع لسلطانه المبين فإننا لنحمد الله تعالى على ما منَّ به من ولاية راشدة ، وحكم صالح ، وشرع نافذ ، وعدل وارف ، وأمن شامل ، وأعظم واجب علينا الحرص على هذه النعمة الكبرى بالشكر المتواصل وذلك لا يكون إلا بتكريس الجهود لإحياء ما اندرس بين ظهرانينا من معالم المجد والعلم والفضل والسعي الحثيث لإعادتها سيرتها الأولى » .

---

(١) المنهل السنة الثانية ـ المجلد الثاني جـ الحادي عشر والثاني عشر ـ شوال وذي القعدة ١٣٥٧هـ نوفمبر وديسمبر ١٩٣٨م ـ ص ٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ـ الاجتهاد في اختيار الموضوع فهو ليس محترفاً للكتابة ، ولا متفرغاً لها . وإنما تدفعه الغيرة ويستحثه الوطن ، ويجود بالتجربة عند إثارة أحد الموضوعات الأدبية أو الاجتماعية أو الانسانية فينطلق في معالجته من ذلك حديثه عن مشروعات دار العجزة ودار الأيتام[١] :

« لقد كان تأسيس دار العجزة في ظروف تستدعي العناية بإنشائها فما كان أشد ازدحام المتسولين وذوي العاهات حول المتصدقين والمتقربين الى الله بين زوايا المساجد وأروقة الحرم الشريف ، وفي منعرجات الطرق وعلى أطراف الشوارع وفي كل بقعة يقع عليها النظر في المشعر الحرام . وكم كان التذمر والتأفف بالغين حدهما الأقصى من هذه الجموع التي تحتشد فرقاً وصفوفاً متتابعة حول الحجاج والطائفين والساعين والمصلين ، فلا يكاد المتصدق يهم بالصدقة على قسم منهم حتى يتألب عليه عدد عظيم يضطره الى التقهقر والتراجع والانزواء إن لم تعلق به أيديهم وتخطف بره الأكف المتلاصقة . . . وهكذا كان الحال قبل أن يفكر مؤسس دار العجزة في إيوائهم وحجزهم وتأمين ضروريات الحياة لهم » .

٤ ـ يقوم أسلوبه على اعتماد اللفظة العربية الأصيلة واستيحاء معناها اللغوي واعتماد التراكيب البلاغية التي تشد القارىء وتستهويه ، فتحس أنك أمام رجل آلتهم التراث واستوحاه وامتزج بروحه وأسلوبه وعقله ، فهو يتمثل الكتب القديمة في بلاغتها وأسلوبها فينهج نهجها ويجعلها نبراساً له وقد أشار الى ذلك النهج وأيده في قوله[٢] :

« وأيم الله لتجدن في « نهج البلاغة » لإمام البيان و « الأغاني » و« فتح الطيب » و« قلائد العقيان » ودواوين الجاهلية والإسلام والمخضرمين والمولدين خير بدل عن (الأرواح المتمردة) واشباهها المحشوة بطانتها من استبرق الزيغ

---

(١) أم القرى ٦٧٠ في ٣ شعبان ١٣٥٦هـ ـ الموافق ٨ أكتوبر ١٩٣٧ م .

(٢) المعرض ٢٢ جمعه محمد سرور الصبان .

والضلال وإنها لاكبر هادم يعمل معاوله في الرمق الذابل من حياتنا الأدبية والدينية » .

ولا غرابة في ذلك فهو ابن مدرسة البعث العربي التي تنادي بالعودة الى التراث السليم تراث العصور الاسلامية الأولى ، وعصر بني أمية والعصور الذهبية العباسية وقد أعرض جانباً عمن سبقوه في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر من الهجرة الذين عقمت كتاباتهم فأخذوا يقلدون ويزخرفون ، ويتتبعون المحسنات فيحشدونها في رسائلهم ومفاخرهم ومعارضاتهم .

٥ ـ والغزاوي يعتمد في نثره على الجمل القصيرة ذات الجرس الموسيقي مما جعله يميل الى الإيجاز الذي يعتمد على التركيز واللمحة الخاطفة بلفظة لغوية رشيقة مؤثرة من ذلك ما كتبه بشأن المتجنيين على اللغة والقادحين فيها وفي أئمتها « وكثيراً ما تراهم يجاوزون حد القدح في اللغة الى الوقيعة في أئمتها الذين وضعوا أساسها ورفعوا في الخافقين نبراتها ونبراسها ، وقيدوا شوارد مفرداتها ، وجمعوا قواعدها ، وأحكامها وجلوا غوامض علومها وفنونها وجعلوا ذلك كله في كتب تسهل علينا ورود مناجعها وورود مشارعها فيبخسونهم حقهم ، ويجحدون فضلهم ، ولا يذكرون لهم واحدة من هذه الحسنات ولا يقتصرون على إنكارها »[1] .

ومن ذلك قوله أيضاً في الملك سعود وما حدث في عهده الأول من تطور ورقي[2] « فما من شهر مضى خلال هذا العام الأول من تتويج جلالته ـ إلا كان سجلاً حافلاً بالرحلات الموفقة التي اقتحم لأجلها كل أفق ، وخاض كل لجة ، واجتزع كل غور ونجد ، فمن تفقد للعواصم والمدن والقرى في قلب الجزيرة من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، ومن مشروعات تحقق ودوائر تؤسس ، ومجالس تنتخب وتعين ، ومن بر يغدق ، وتشييد يرتفع وطرق تمهد ، ومياه تسيل ، ومدارس تبنى ، وجند يدرع ، ومستشفيات توفر » .

---

(١) المعرض ٢٥ .

(٢) المنهل ربيع الثاني ١٣٧٤ ص ٨٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ ـ المنطقية في ترتيب الأفكار وسردها ، وحرصه على الفكرة وترويجها والأخذ بها متجهاً إلى القلب فيأخذه أحياناً بالأحاديث المؤثرة الخاصة به ، ومتنقلاً أحياناً إلى المعالجة الفعلية بالحجج والبراهين المنطقية ، وتارة إلى إيراد الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ، والأمثال التراثية ، من ذلك مقاله في (التسول والمتسولين)[1] :

فإنه قد حدد المشكلة في صنف من الناس (هذه الطائفة التي استمرأت الانطراح في ساحات الشوارع وعلى أبواب المساجد في أشكال بائسة وأسمال بالية وسمات موجعة) وهو يصنف هؤلاء في أصناف ثلاثة ، ليحدد خاصية كل منهم ويكون منطلقاً لعلاج كل حالة وهذه الحالات هي : (عجزة مقعدون) أو (أقوياء متسكعون) أو (غلمان مشردون) .

ثم يشرع في تبيان علاج كل فريق فيقول في معالجة الفريق الاول « فللأولين دار أقامتها الحكومة للإيواء وفيها ما يضمن لهم العيش والحياة من لباس وطعام وشراب ودواء ، من غلبة المرض اسعف بالعلاج في إحدى المصحات » .

ثم ينتقل الى الصنف الثاني فيقول : ـ « وللآخرين أبواب تحفظ كرامتهم . بالعمل الشريف والسعي المفيد وذلك بالاستخدام أو الانخراط في سلك العمال أو الجندية أو (البوليس) وما أوسعها من أبواب مفتوحة على مصراعها تستوعب كل من يصلح للإنتاج في مختلف أنواعه » .

أما معالجة النوع الثالث وهم الغلمان المشردون فيقول فيها « أما الغلمان فانهم بين أمرين اما أن يكونوا خدماً لأرباب العوامل والحوانيت أو عمالاً (متمرنين) لا مهرب لهم من حرفتهم أو طلبة في المدارس بطريق جبري يصون أخلاقهم ، وكذلك الشأن في الأرامل أو الاطفال فلا بد لهم من ملجأ يضمن لهم الصيانة والعفة والحجاب» .

---

(١) البلاد السعودية السنة ١٨ ع ١٤٤٠ ص٤ في ٣/٥/١٣٧٣هـ .

ثم ينتقل الى الاستشهاد بالأحاديث النبوية وعلى نهجه فإنه يجعل من التشريع الإسلامي دستوراً للإصلاح فقال في مقاله مخاطباً أولئك المتسولين « وقد أترعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال ما معناه « يكون الرجل في نظري كبيراً حتى اذا علمت أنه لا حرفة له سقط من عيني » .

وورد في الحديث النبوي الشريف « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وقد تشاركني أيها القارىء في معاتبة الغزاوي حيث قدم قول عمر على الحديث النبوي الشريف وكان الأولى أن يقدم الحديث ثم يتلوه بمقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

والمتفحص للأسلوب النثري عند الغزاوي يجده معتمداً على اختيار اللفظة مع دراية بأسرار اللغة ، وعقيدة راسخة وليس أدل على ذلك من الموضوعات التي تناولها في كتاباته ومقالاته التي يعالج بها المواضيع الأدبية تارة والاجتماعية تارة أخرى ، فينتقي الألفاظ العربية الأصيلة ويجنح في أكثر الأحيان إلى التراكيب البلاغية الفصيحة الجزلة القوية وربما تحتاج بعض ألفاظه إلى معاجم لغوية يستعين بها القارىء مع حرصه الشديد على سمو الهدف ونقاء الفكرة ووضوحها فهو يبتعد عن الالتواء والتعقيد والألفاظ النابية ويبتعد عن الصور القبيحة ، وعبارات الهجاء المثيرة والتصوير الفاضح .

وهو يميل إلى القوة والإتقان فعبارته جزلة قوية متلاحمة مترابطة آخذ بعضها برقاب بعض مع ميله إلى التأنق والإتقان والأناقة في أسلوبه في غير تكلف ولا تصنع فهو لا يتدنى في بيانه ولا يترخص في لغته ، فيعني باختيار ألفاظه ؛ وأسلوبه في المعالجة يعتمد على الواقعية والاتزان في طرح الموضوع وتحليله واستنتاج نتائجه وإيراد حلوله ويجتنب اللجاجة والصخب ، فلا يهجم هجوماً عنيفاً أو يسخر وإنما يميل إلى الواقعية ، والموضوعية والعقلية ويتخذ هذه الأمور سبلاً لطرح آرائه وأفكاره والإقناع بها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يفضل معالجة الموضوعات الدينية والأبحاث الأخلاقية الجدية ، والقيم الإجتماعية على الصور العابرة .

ويهدف إلى ربط اللفظ اللغوي الذي يورده في بحوثه بمعنى من المعاني ذات الأصالة العربية والفصاحة اللغوية والمعاني العربية ، وهو يتأول ذلك تأويلات عديدة ويعود بها ويحالفه الحظ في أكثرها ، ويجانبه أحياناً ولكن إثارته للموضوع مدعاة لمعالجة الموضوع عن جوانب عديدة ومن علماء فيها أدركوا هذه الجزئيات كمثل حمد الجاسر الذي دأب على تصحيح بعض الامكنة وكذلك العالم سليمان الضبع وعبد القدوس الأنصاري وعبد الوهاب عزام وغيرهم . وربما لجأ إلى تقديم الطلب للكشف عن سر بعض الكلمات إلى بعض العلماء والضالعين في اللغة والمتبحرين في أسماء الأماكن والمتعمقين في التاريخ .

مصادر نثر الغزاوي الفني

نشأ الغزاوي في مرحلة تفتقد التأليف والنشر ، فلم يكن في الحجاز مؤلفات تطبع وتوزع بل كل ما يتمنى الأديب أن تنشر مقالته في صحيفة من الصحف وتذيل باسمه ، وسار الغزاوي على هذا النهج في شبابه وكهولته ولم يفكر في تدوين كتاب منظم بل غلبت عليه سيرته الأولى .

حتى أولئك الذين تداركوا أعمالهم وجمعوها من طبقته من الكتاب لم يعمل كما عملوا ولم يدون كما دونوا ، ولم يجمع مقالاته كما جمعوا ولا أعلم سبباً لذلك علماً بأن الرجل يحتفظ بأعماله في أوراق لديه ولكن صعوبة ترتيبها وتبويبها وتدقيقها وقفت في وجه الرجل لما أمامه من الأعمال الرسمية ، والالتزامات الصحفية التي لا ينفك عنها ولا يرضى بها بديلاً ولعلها عادة انغرست في نفسه وغلبت عليه .

ورأى أن تمضية وقته في الإنتاج الجديد خير من تنسيق القديم ما دام ، مدوناً منشوراً في الصحف وواصل نشر كتابه الدوريات والمجلات وأغلب ذلك في ما يأتي :

١ ـ جريدة أم القرى التي صدرت في ١٣٤٣/٥/١٥هـ .

٢ ـ مجلة الإصلاح التي صدرت في مكة المكرمة من عام ١٣٤٧هـ ـ ١٣٤٩هـ .

٣ ـ صوت الحجاز التي اعتنت بالأدب ونقده وصدرت في ١٣٥٠/١١/٢٧هـ وحتى عام ١٣٦١هـ .

٤ ـ المنهل صدر في المدينة عام ١٣٥٥هـ وهي مجلة تعني بالأدب .

٥ ـ المدينة المنورة صدرت في المدينة في ٢٦ محرم من عام ١٣٥٦هـ .

٦ ـ البلاد السعودية من عام ١٣٦٦ هـ وما زالت مواصلة مسيرتها باسم البلاد .

٧ ـ مجلة الحج صدرت عام ١٣٦٦هـ .

٨ ـ حراء صدرت في ٦ جمادى الأولى من عام ١٣٧٦هـ .

٩ ـ قريش ١٣٧٩هـ .

١٠ ـ الندوة ١٣٨٣هـ .

تعليقات صغيرة

لقد اتجه الغزاوي للكتابة في الصحف السعودية بطريقة مستحدثة في أدب الصحافة تجمع بين جنباتها العودة الى القديم واستخراج جواهره الثمينة وربطه بالحديث ، وجعل الجسور بينهما متصلة ، والأحداث مترابطة ، والعبرة التاريخية سارية ومؤثرة .

وقد بدأها في عام ١٣٥٧هـ في صحيفة أم القرى كبرى الصحف السعودية في ذلك الحين ، وقد اختار لها عنواناً هو « تعليقات صغيرة » ونشر أول تعليقة له في الجريدة آنفة الذكر في عددها ٣٢ يوم الجمعة ٢ ذي القعدة ١٣٥٧هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٣٨ م وقد رسمت بعنوان كبير أيضاً « في زوايا التاريخ » ، وأغلب الظن أنه اجتهاد من محرري الجريدة وعلى كل حال فان هذا العنوان طبعها ورسمها بميسمه ، فكانت تقتصر على الحديث التاريخي الصغير الذي يتناول حادثة من الحوادث ويسردها ثم يبدأ في تحليل ظواهرها ، وإن اكتفى أحياناً بسرد القصة في أسطر معدودة كما يتضح من أول تعليقة له والتي تحمل عنوان (ضياع مكة) وفيها يقول :

« ذكر صاحب (صفائح الكرم بأخبار مكة وولاة الحرم) من حوادث سنة ١٠٤٥هـ عمارة سقف الكعبة وتجديد بابها والاحتفال بذلك (وأن ممن شهده شيخ الصاغة وشيخ النجارة وشيخ الحدادين وأنهم خلع عليهم قفاطين فاخرة) فالصناعة إذن قديمة بمكة ولها طوائف ورؤساء مختصون محترفون » .

والتعليقات الصغيرة هذه تميل إلى سرد القصص الاجتماعية التي تمثل طبقة من الطبقات أو جزئية من الجزئيات أو حكاية من الحكايات أو قصة من القصص الحكيمة أو عظة من توجه وترشد فلا تمثل الشمولية لناحية من النواحي التي تتناولها ولا تفصل في صحتها وارتباطها بالهيكل العام للمجتمع .

وقد أعرض في تعليقاته هذه عن الأحداث السياسية وسردها واقتصر على ما يكون شعاعاً مثيراً بين الحاكم والمجتمع كما في التعليقة ذات العنوان « من أوقاف الحرمين الشريفين » وفيها يقول :

« وفي تاريخ عربشاه المسمى « عجائب المقدور ، في أخبار تيمور » : ذكر في شعبان ٧٧١ أن تيمورلنك بعد أن وصل الى مدينة سمرقند وجعلها دار ملكه وقعت بينه وبين ملك التتار منافسة أدت الى الحرب وأنه خلال اشتباك المعارك بين الجيشين اندحر جيش تيمور وانهزم في تركستان فأقبل رجل يسمى (السيد بكركة) قيل من أهالي المدينة المنورة أو من أهالي مكة المكرمة فاستجار به فدعا له بالنصر فانتصر وغلب على عدوه فقال له تيمور تمنّ عليّ واحتكم لدي ، فقال

---

(١) ام القرى ع ٧٣٢ ص٢ في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٧هـ الموافق ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٨م .

له (أيها الامير : ان أوقاف الحرمين الشريفين في الأقاليم كثير ، ومن جملة ذلك (اند خوي) في مسالك خرسان وانا وأولادي من جملة مستحقي ذلك الإحسان واذ أقيم أصل ذلك وخصمه ، وعلم قضمه وخضمه ، ضبطت أوقاته ، ومصاريف ذلك وحرافه ، وما كانت حصتي وحصة أولادي أقل من هذه القصبة في هذا الوادي . . فاقطعني اياها ـ فاقطعه إياها ، مع مضافاتها وأعمالها وقراها وهي إلى الآن في يد بني أولاده ، واسباطه وأحفاده » .

ذكر المؤلف المشار إليه ذلك ـ وقد توفي في سنة ٨٥٤ هـ ـ وفي ذلك دلالة متعددة فهي تثبت ما يأتي :

أولاً ـ ان أهالي الحرمين كانوا يضربون في مناكب الأرض ويرتادون أسباب الرزق في أطرافها البعيدة منذ تلك العهود حتى فيما وراء سيحون وجيحون !! وكانوا يعلمون أيضاً أعيان الموقوف عليهم وعلى مصالح بلادهم .

ثانياً ـ كانت أوقاف الحرمين الشريفين منبثة في جميع الأقاليم !! كدعوى صاحب القصة .

ثالثاً ـ كانت حصة هذا الرجل وأولاده منها على نسبة عدد المستحقين لها تساوي قصبة لها مضافات أعمال وقرى ، فما بالك بالحصص الأخرى .

وكيف بباقي الأوقاف في سائر الأقطار الاسلامية ؟؟ وكيف بما تلاها في القرون الطويلة .

وعلى ما في القصة من فكاهة وطرافة فانها تنير السبيل أمام أعضاء جمعية أوقاف الحرمين الشريفين التي عهد إليها بالبحث عن هذه الأوقاف المترامية الأطراف .

وقد تحدث في تعليقاته عن موضوعات كثيرة منها غلاء المعيشة ، وهدم النواتىء ، ونظارة الأسواق ، وميراث الهند ، ورصف الشوارع ، وعرفات مرجة خضراء ، وأخلاق أهل مكة وأسواقها ، ومستشفى مكة الأول ، وبركة قبة العباس وغيرها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وواضح أنها تدور في أغلبها حول مكة من جوانب الحياة فيها العمرانية والزراعية والتجارية والتاريخية .

* وهذه التعليقات لا تتجاوز في عددها الاثنتين والثلاثين تعليقة نشرت في أعداد متقاربة من أم القرى ، وفي عام واحد هو ١٣٥٧هـ[1] وقد حوت هذه التعليقات على أحداث سبقت الغزاوي بقرنين اضمحل فيها التاريخ ، وندرت عنه الكتابات ، وانعدمت فيه المؤلفات والمطبوع منها بصفة خاصة الا ندرة من التأليف المخطوطة أو ذات النسخ النادرة ، لذلك أراد أن يظهر هذه الفترة التي كادت أن تمحي أطلالها وسجلاتها .

* * *

البلاد السعودية و (مطالعات وتعليقات)

إن التجربة التي رادها الغزاوي في كتاباته (تعليقات صغيرة) في صحيفة أم القرى قد حفزته على الكتابة في هذا الباب ولكن يبدو أن الاعمال التي اضطلع بها الغزاوي خلال تلك الفترة قد اشغلته عن مواصلة مسيرة الكتابة على هذا النهج ، فقد تولى رئاسة المجلس البلدي بالانتخاب في مكة ، ورئاسة لجنة الحج العليا ، وأمانة مجلس الشورى ثم صار عضواً عاملاً إلى جانب الأمانة ، وانتقل في ربوع البلاد لاستقصاء الحقائق بأمر من الملك عبد العزيز رحمه الله ، ودعي إلى المشاركة في مؤتمرات برلمانية أضف إلى ذلك قيام الحرب العالمية الثانية التي أوجدت أزمة الورق ، وتعطلت أكثر الصحف عن العمل ، وقد كانت هذه العوامل مجتمعة من أسباب تأخر الغزاوي في مواصلة ممارسة هذه التجربة وقد عاد اليها في مطلع عام ١٣٧٣هـ في جريدة البلاد السعودية في عددها ١٤١٦ بعنوان جديد هو (مطالعات وتعليقات) ومجلة جديدة أكثر عمقاً وتوسعاً ، وتشعباً

(١) نشرت في الاعداد رقم ٧٣٢ في ٢ ذي القعدة ١٣٥٧هـ ، وفي عدد ٧٧٣ في ٩ ذي القعدة ١٣٥٧هـ ، وعدد ٧٣٤ في ١٦ ذي الحجة ١٣٥٧هـ .

في أبواب الحياة والمجتمع ، فأصبحت أكثر شمولاً ، حيث جمع فيها الأبحاث اللغوية إلى جانب الأحداث التاريخية ، وتناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل والتعليل ، والإرشاد والتوجيه ، ومن خلال دراستنا لهذه المطالعات والتعليقات تبين لنا الظواهر التي تتسم بها هذه وتكون علامات ومميزات لها :

١ ـ التوسع والإطالة فيها وطوال النفس مما أتاح له فرصاً اكثر لطرق الموضوع من جميع جوانبه فعاد إلى مصادر متعددة ، واستراح في عرض الحدث ، ثم يأخذ في استنباط الظواهر فيحللها ويعللها ، ويناقشها ، ومن ثم يستخرج أهدافها ثم يحاول ربطها بما يشاكلها ويماثلها من الأحداث المعاصرة ، من ذلك مشكلة اللحن والإعراب والتقيد بها في المحادثة ، فقد ضحك الناس في الأندلس من أولئك الناطقين لها مجاراة للأعراب الأقحاح وقد تابعهم في ذلك المعاصرون أيضاً وقد تحدث عن هذه الظاهرة بقوله :[1]

« نقل صاحب نفح الطيب في بحث العامية التي غلبت على عرب الأندلس في عهدهم الأخير بها أن الخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يجري على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه !! .

وأقول : (ما اشبه الليلة بالبارحة) . . كذلك كان الشأن عندنا في الحجاز قبل انتشار التعليم وتعداد المدارس وشيوع التثقيف فما أقل الذين كانوا يستطيعون التكلم بالفصيح في الأوساط العامة أو الخاصة . وأذكر أن المرحوم الشيخ عبد الملك الخطيب ـ شقيق سعادة وزيرنا المفوض في باكستان ـ كان لهسمت ووقار وأدب ونبوغ واستظهار ، كان قد التزم أن لا يخاطب أحداً حتى خدمه بغير العربية الفصحى التي كان يجيدها بشكل يلفت النظر في تلك الحقبة فما سلم من النقد والتندر من الكثيرين الذين لا يملكون التحدث بمثل أسلوبه الأخّاذ . وكان لا يبالي لهم حتى تميز على جيله بالمكانة التي بلغها في البيان تصوراً وتفكيراً وكتابة وتعبيراً ومنصباً وتقديراً .

---

(١) جريدة البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٤٦٦ ص٤ في ١٣٧٣/٦/٥هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونحمد الله أن أخذت الألسنة ترتاض على البيان نتيجة العلم والتعليم ، . . ومحاضرات الدروس والفصول وتداول الصحف والمجلات الراقية والبعثات المتوالية والاستماع الى الإذاعات العربية ، ونتمنى أن لا يطول بنا الزمن حتى تتأثر بذلك جميع البيئات والأوساط والأسر ، وما هو ببعيد التحقيق هذا الأمل . وأعظم ما يقربه تشبث الأساتذة الأجلاء الملقنين بتعويد التلاميذ منذ النشأة على النطق السليم ، والإعراب القويم حتى إذا التفت على احدهم (المجامع) استطاع أن ينطق غير متعتع ، وأن يرتجل وهو مدرع ، وقد قال عبد الملك بن مروان (أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية) وكانت البادية مناط الفصاحة والبلاغة والإعجاز ، يجرون في ذلك على السليقة والطبع .

وناهيك أن المأمون كان يقول : ـ بالرغم من علمه الغزير وأدبه الوفير (أنا أتكلم مع الناس كلهم على سجيتي إلا علي بن الهيثم فاني أتحفظ إذ كلمته لأنه يعرف فن الاعراب) .

فمن شاء أن تقوى عارضته وتبهر حجته وتعظم مكانته فعليه الفصيح الصحيح وأن لا يهتم بالاستثقال أو الاستبراد أول الأمر ـ فما هما في الغالب إلا ثمرة المضايقة والمنافسة!! والعامية والأمية الى الزوال حتماً ، وحسبنا أن نختم هذا التعليق بما روى العتبي من (أن رجلاً من علية أهل الشام استأذن على عبد الملك وبين يديه قوم يلعبون . . . فقال يا غلام ـ غطها ـ أي اللعبة فلما دنا الرجل تكلم فلحن ، فقال عبد الملك اكشف عنها الغطاء ، ليس للاحن حرمة » .

٢ ـ وقد طرأت ظاهرة أخرى على المطالعات والتعليقات حيث اتجه ببعضها الى المقالة فتناول خلالها موضوعات الساعة في مقالات مطولة وربما لجأ الى ذلك لأن الاحداث التي طرقها تستلزم ذلك من ناحية ايضاحها ومعالجتها من ذلك ما كتبه بعنوان (إنهم لمعذورون) ، وقد تناول فيه المجمع اللغوي وما دار حوله من تندر في بعض المسميات التي اقترحها ومما قال عنه[1] :

---

(١) جريدة البلاد السعودية العدد ١٤٨٩ ص ٤ في ١٣٧٣/٧/٢هـ .

« كنا نسمع قبل سنوات عدة ـ أن مجمعاً لغوياً عظيماً ـ عظيماً ببلده وبرجاله وبنوابغه الذين يشار إليهم بالبنان . . . . كان مما عربه وحظي بعنايته كلمة (السندويتش) وأن ما اختاره لتعريبها يتألف من جملة موجزة . . !! هي . . (شاطر ـ ومشطور وبينهما كامخ) .

وأذكر أن كثيراً من الظرفاء والمتظرفين في الشرق العربي قد جعلوا من ذلك مادة للتندر والتفكه ردحاً من الزمن . . . ثم دار الفلك وتعشم المتفائلون خيراً أن يطلع عليهم هذا المجمع الخطير . . . بمعاجم حديثة لا تبقي ولا تذر شيئاً من مصطلحات العلوم والفنون والمخترعات الجديدة حتى تضع له تعريفاً وتسمية تيسر العبارة عنه في لغة الضاد سواء أكان ذلك قلباً أو إبدالاً أو . . اشتقاقاً . حقيقة أو مجازاً .

وأخيراً !!!! تبين أن أولئك المتندرين كانوا على حق ـ وأنهم (لمعذورون) ذلك أننا رأينا في عدد صدر من قبل من جريدة الأهرام المصرية (والعهدة على الراوي) أن مما اتفق عليه الرأي في هذا المجمع أن يطلق على (مرض الشيخوخة) هذا الاسم (القحقح) وإلى اسماء من هذا القبيل لا تتجاوز الأربعة . . . وكأنما ظهر بذلك اكتشاف تخجل منه العناصر التي انشطرت بها (الذرة) وتألف (الهيدروجين) وتسلط (الرادار) .

وبصرف النظر عن صلة هذا المرض ان كان يصح أن تسمى الشيخوخة مرضاً بهذا (القحقح) أفما كان الأجدر بنا الاكتفاء بما جاء في كتب اللغة بهذه المعاني وهذه الأسماء ؟ وأن نكرس جهود كل نابغة جهبذ وعبقري وبحاثة . . . لمواجهة الحاجة الملحة الى وضع الأسماء للمسميات الحديثة من آنية وآلة وجهاز ابتكرته حضارة القرن العشرين كما يقولون ، إن هذا لهو الأدنى إلىٰ المعقول ، وما دونه أشبه بالفضول والعجب أن يحلق الناس في السماء على أجنحة من المعدن المصهور ، وأن يسف بنا التفكير فنزهد في اللباب ونحرص على القشور . . . . . » ونكتفي بهذا المقال المطول خوفاً من الإطالة والملل .

٣ ـ وهو يغتنم الفرصة ليكتب فيما يناسب الزمان والحدث الذي يوحي له

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالتجربة فيلاحظ تخصيصه مطالعات وتعليقات في رمضان للحديث عن هذا الشهر المبارك فيتقصى فوائده وفضائله وعظاته ودروسه . وكذلك لما زار المدينة المنورة مع الملك لافتتاح البناء الجديد في الحرم النبوي الشريف تحدث عن المدينة حديثاً مطولاً ومنه قوله[1] :

« سعدت خلال هذا الأسبوع بزيارة (المسجد النبوي) والمدينة المنورة . وشعرت في قرارة نفسي بما لا يسع الكاتب بيانه ولا الشاعر تصويره من هناء روحي واستبشار قلبي وكنت أحلق في جو قدسي مطهر تنطلق فيه الخواطر بين (مواكب التاريخ) وفي (مهابط الوحي) و(رياض الجنة) حتى بهرتني المشاهد التي كنت أتمثلها في (دار الهجرة) و(صدر الإسلام) وأطرقت خاشعاً لله مصلياً على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعذرت كل من يطرق رأسه ويعترف بعجزه في هذا المكان الطاهر وهذه الرحاب الكريمة وتجولت مع إخواني بما اتسع الوقت له في معالمها ومآثرها وآثارها وعمرانها وبساتينها وتلخصت عندي فكرة عن المستقبل القريب الذي ينتظر هذه (المدينة الطيبة) فأحببت أن أوجزه في كلمات مركزة أداء لبعض ما لها من حق في عنق كل مؤمن وموحد .

لقد كان ماضي المدينة المنورة قبل نصف قرن تقريباً جديراً بأن يمتاز عما سبقه من حيث الرخاء أو التقدم العمراني والاقتصادي بأسباب كان من أهمها الخط الحديدي الذي وصل بينها وبين الشام وما يسره الله من تبادل المنافع والبضائع . . . والمتاجر والسلع ، ومن هجرة كثير من المسلمين بغية الجوار . . الشريف ثم دار الفلك ونشبت الحرب العالمية الأولى واصطلى العالم بنارها ، وحوصرت المدينة نحو أربع سنوات هاجر خلالها كثير من أهلها الى مختلف أقطار الأرض . وروعت بالضيق والعنت وأصابها الكثير من الحوائج والفوادح . ووضعت الحرب أوزارها وأعلنت الهدنة وزال الكرب وانفرجت الأزمة إلى حد ما وعاد من بقي حياً من مهاجريها إليها وقد أرهقهم العسر وضاعت ثرواتهم ، وتبدد تراثهم ـ واستأنفوا الحياة وواصلوا السير ولكن بعد أن نسفت قضبان الخط وتوقف

---

(١) البلاد السعودية ع ١٩٨٣ .

سيره واضمحلت مواردهم من الحج والحجاج وافتقدوا الأمن فما يجدونه إلا لماماً وبتضحياتهم وما كادوا يقطعون المرحلة الأولى من حياتهم الجديدة حتى كانت الأزمة الاقتصادية العالمية الخانقة التي جأر منها العالم كله في مختلف أقطاره وشعوبه وأعقب ذلك بعد حين إعلان الحرب العالمية الثانية فتأثرت بها المدينة تأثراً بالغا . . . وان كان خالياً من كوارث الحرب المباشرة التي كانت قد ابتليت به بين عامي ٣٤ ـ ٣٧ هجرية وكان من نتائج هذه الأحداث مجتمعة ومتفرقة أن توقفت حركة العمران البتة وانخفض مستوى المعيشة وبالتالي تراجع (الانتاج، الزراعي) إلى نسبة ضئيلة لا تصح المقارنة بينها بين ما كان لها فيه من خصب ونماء وثروة وثراء . . . . » .

أما أحاديثه الرمضانية فكثيرة جداً ونكتفي منها بمقال واحد سيتحدث فيه عن فوائد رمضان فيقول فيه[1] :

« في هلال مايو سنة ١٩٥٥ الأخير بحث طريف للدكتور كمال موسى تحت عنوان (الصيام علاج طبيعي لكثير من الأمراض) وقد جاء فيه أن الأطباء القدامى من أبقراط الحكيم الإغريقي إلى أطباء الإسكندر في ذلك العهد كانوا ينصحون لبعض المرضى بالصوم للتعجيل بشفائهم . .

(بلونارك) كان يقول قبل ألف وتسعمائة سنة (أن صوم يوم واحد أفضل من تعاطي الدواء) وأشار الى ما شرعه الله في الإسلام من فريضة الصيام وانه كان مفروضاً في الأديان السابقة وما قررته الأحاديث في بيان فضائل الصوم ومنها غذاء الروح وتطهير النفس وعصمة اللسان وترويض الشهوات . . . والحث على التفكير في مصير الفقير الجائع وتقوية الإرادة وتنقية المعدة ثم ختم كلامه بقوله : ولكن الطريقة التي يصوم بها الكثيرون الآن تختلف اختلافاً بيناً عن الطريقة الصحيحة المفيدة التي كان المسلمون الأولون يتبعونها في صومهم . إذ لم يكونوا يثقلون على معداتهم وأمعائهم بالأغذية المنوعة في الإفطار والسحور كما هو الشأن الآن .

---

(١) البلاد السعودية ع ١٨٥٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن الصيام العلاجي يأتي بنتائج حسنة في كثير من الأمراض ولا سيما الربو الشعبي ، والذبحة الصدرية وما إليها من أمراض القلب الثقيلة وأمراض الجلد من أكزيما والصدفية وغيرها ، والنقرس ، والروماتيزم والتهابات الجهاز الهضمي والمجاري البولية وأمراض الحساسية عامة ونصح أخيراً بالاعتماد على الفواكه وعلى اللبن الحليب والزبادي والإكثار من الخضر الطازجة كالخس والابتعاد عن الأغذية الدسمة كالفطائر والحلويات وعن المواد الحريفة والملحة والاعتدال في تناول ملح الطعام مع تقليل مقادير الطعام في الافطار والسحور . . . . الخ » .

ولا تعليق لنا على ذلك كله إلا ما روي في الحديث الشريف « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » وأخشى أن يفهم البعض الكلمة الاخيرة بالاسترسال في الأكل واما إنما تعني على الاكتفاء بما هو البلغة والقصد ، وما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ـ فإن كان ولا بد ـ فثلث لطعامه وثلث لشرابه ـ وثلث لنفسه . فلنذكر ذلك عند الفطر فإنه أهنأ وأهضم وأمرأ وأسلم . . . . ولنكن ممن يأكل ليعيش لا من يعيش ليأكل ونسأل الله العفو والعافية وحسن الاقتداء » .

٤ ـ وقد تناول الغزاوي في مطالعاته وتعليقاته الأحداث العالمية والإسلامية والعربية ، وقد رأى تكالب الاستعمار على الدول ، وتحكمهم بثرواتهم ، وبالتقنية الحديثة ، لكي يكون المال في نظرهم إحدى الأسلحة لهم أمام هذه الشعوب ، ولكن المبادىء والحريات وشبراً واحداً من الأرض ، أفضل وأغلى وأثمن من الأموال والمغريات وقد أبان ذلك أثناء حديثه عن الذهب والفضة وأخذ العبرة من قصة سيف بن ذي يزن أمام كسرى[1] : ـ

« حكى بن هشام البصري المتوفى سنة ٢١٣هـ . . في كتابه « السيرة النبوية » وهو يقص قصته (سيف بن ذي يزن) عندما ذهب الى كسرى وأدخله إليه النعمان بن المنذر عامله على الحيرة . . . . مستنجداً بكسرى على الحبشة : قال سيف « غلبتنا أيها الملك على بلادنا (الأغربة) فقال كسرى : أي الأغربة

---

(١) المصدر / البلاد السعودية عدد ٢٠٠٧ ص٢ في ٩/٤/١٣٧٥هـ .

الحبشة أم السند ؟؟ فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك !! قال : بعدت بلادك مع قلة خيرها . . فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك . . ثم أجازة بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة . . . فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينشر تلك (الورق) للناس !!! فبلغ ذلك الملك فقال : ـ ان لهذا لشأناً ثم بعث اليه فقال : عمدت حباء الملك تنثره للناس ؟ ! فقال وما أصنع بهذا ؟؟ ما جبال أرضي التي جئت منها الا ذهباً وفضة . . . الخ » .

* * *

ولقد لفت نظري في هذه القصة قول سيف بن ذي يزن لكسرى (ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهباً وفضة !!! يقول ذلك بعد أن ينثر ما حباه به من مال المال على مرأى منه ومسمع !!! فما كان يطلب منه إلا النجدة الحربية ، لاسترداد ملكه وانقاذ وطنه من الأغربة المستعمرة الباطشة !! لا العرض الزائل ، والحطام الرخيص ، وما أحسب قوله آنفاً (ويكون ملك بلادي لك) . . . إلا حضاً له وإغراء على الإنقاذ ليس الا !!!

ولوددت أن لو وقف على ذلك المفتونين من ساسة الغرب بالدراهم . . والدنانير يعرضونها على الأمم والشعوب لتتنازل عن حماها وتجلو عن ديارها وتتشرد في العراء وينهكها الحر والقر ، ويهيمون على وجوههم أيدي سبأ في الأودية والقفار مشردين كما هي الحال في اللاجئين مقابل ثمن بخس دراهم معدودة يبذلونها إليهم أو يبذلونها عليهم . . . .

إن شبراً واحداً من الوطن المقدس أغلى وأثمن عند أهله من كل ما يحبه المترفون صارفاً لهم عنه أو يصح أن يكون بديلاً منه !!! ونظرة أخرى إلى قوله : « إن جبال بلاده ذهب وفضة » تصور لنا أن القوم ما كانوا يجهلون مصادر الثروة المعدنية العظيمة في تربتهم . . . وإنهم لشديدو الضن بها والحرص

---

(١) المصدر : جريدة البلاد السعودية العدد ٢٠٠٧ ص٤ في ٩/٤/١٣٧٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليها . . . . إلا أنهم لا يرونها شيئاً مذكوراً تجاه حرياتهم واستقلالهم وعزتهم وكرامتهم ودفع المعتدين عن إذلالهم واستغلالهم وكذلك هي شهامة العرب وأخلاقهم وحفاظهم يتلقاها الخلف عن السلف والأحفاد عن الأجداد . . . . و﴿الله غالب على أمره﴾ . . . . . وهو القوي العزيز ؟

٥ ـ وقد اهتم بكل ما يدعو الى التقدم ، ويكون أحدى السبل الموصلة للحضارة ورأينا في الغزاوي إخلاصاً لها ومعاونة لإزاحة العقبات والسدود والقيود التي تقف في وجه كل بناء لهذه الحضارة ومما قاله في الكهرباء التي تمثل احدى أساسيات التقدم والرقي قوله[1] :

ورد في الأثر «لو أعطي أحدكم وادياً من فضة والآخر من ذهب ما غني». صحيح أن البلد كانت تضاء قبل عهد قريب بالفوانيس ثم انتقلت الى (المصابيح الكهربائية) في شوارعها الكبرى . على درجات في ضعفها وقوتها !!! وحقيقة كان لا بد من مرور بعض الوقت للانتقال من حسن الى أحسن ولكن . . . أراد الله سبحانه وتعالى أن يخرج مشروع الكهرباء ـ من حيز التفكير والتقدير الى الواقع المستنير . فاشرقت بها أحياء تساوى فيها الليل والنهار من حيث السطوع والإشراق . وبقيت أخرى تنظر إلى المحظوظة بعين الغبطة ـ (ولا حسد إلا في اثنتين) وعلم أن السر في ذلك إنما هو ضرورة توفير الأماكن الصالحة (للمحطات الفرعية) في هذه المناطق التي لا تحتاج إلى إقناعها بأن الشركة من جانبها لم تدخر وسعاً في الاهتمام بها بعد أن رفعت فيها أعمدة المصابيح ـ ومدت في أحشائها (أمية الاسلاك) أو ما لا أدري اسمه (كهربائياً) .

إذاً فالموقف يستلزم إحدى حالات ثلاث : إما أن نوهب مواقع صالحة للمحطات الفرعية من قبل أصحاب الشأن أو الأمانة في المواضع الأميرية أو الأهلية العامة . أو أن يجري نزع الملكية بنظامها مع التعويض على أن لا يستعجل أهلها الشركة في عمل المستحيل ـ ويكفي أن مصالح المساهمين ـ أو

---

(١) المصدر : جريدة البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٤٢٤ ص٤ في ١٥/٤/١٣٧٣هـ .

الشركة هي وحدها أكبر دافع على الإسراع فضلاً عن تأمين حاجة السكان وكلما مر وقت أطول كان في ذلك على الربح أثره المباشر .

إذن ـ لننتظر أسابيع ـ ولا أقول شهوراً ـ حتى يتم الإجراء الضروري لتهيئة الأماكن الصالحة ومن ثم بناء المحطات وربط (الكابلات) ولا مؤاخذة في الخطأ الفني . . . . وليبشر سكان الجبال وقممها وسفوحها بعد ذلك باتصال التيار واندفاق الأنوار وليأسفوا بعد ذلك على تلاشي (الليالي المقمرة) ولينشدوهما (في بطون الأودية) ومنابت العشب ، ومساقط الغيث ومسارح الغزلان .

ولا بد من كلمة حق تقال : وهي شكر المؤسسين على ما استطاعوا تحقيقه حتى الآن وأنهم أشد اهتماماً من المشتركين بإتمام ما بدأوا به ولهم من تأييد الله ـ وتعضيد الحكومة ـ وبالتالي أمانة العاصمة ـ والمساهمين . . . والمستضيئين . . و ﴿المستغفرين بالأسحار ﴾ما يأخذ بأيديهم الى الغاية المنشودة إن شاء الله في يسر وسهولة وبذل وإيثار وكل آت قريب والعجلة من الشيطان .

والملاحظات في هذه التعليقات الغزارة في الانتاج والوفرة فيه ، فقد كانت تلك الأيام التي قضاها مع « البلاد » السعودية أخصب الفترات إنتاجاً نثرياً للغزاوي لما حوته من حيث الموضوعات المتشعبة الاجتماعية واللغوية والتاريخية والعقدية والعودة للتراث ، وقد تحدث في مطالعاته هذه عن المدينة المنورة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بإسهاب وتفصيل وتحدث عن مكة والطائف وجدة ، والسودان إلى جانب فيض من الحديث عن الكلمات اللغوية والأماكن رابطاً معاصرها بقديمها .

وقد رأينا ان الغزاوي يفتح صدره ويستقبل المقترحات والانتقادات والتعديلات بقلب العالم المتواضع ومن ذلك ما كتبه للأستاذ حمد الجاسر وابن ابليهد ، وسليمان الضبع عضو مجلس الشورى وغيرهم من العلماء والأدباء ، وقد اقترح عليه أحد المراسلين له تجاوز ، وتجنب البحث في المشاكل القديمة والاكتفاء بحل المشاكل المعاصرة كما يقول :

« ورد الي خطاب من الطائف من أ. ح. غ مؤرخة في ١٣٧٣/٩/٨ هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول فيه (دعني أصارحك وأرجو أن يسع صدرك لاقتراحي الصريح هذا وأن يكون له صدى في نفسك ـ ان المجتمع يعاني مشاكل عظيمة منها تأخر الأخلاق ومنها الشحاذة التي تشوه منظر البلد الكريم ومشاكل الأسرة والبيت والزواج .

(ان من الواجب عليك أن تختار كل أسبوع مشكلة من تلك المشاكل وتعالجها لنا في أسلوب يتفق وعقول القراء جميعاً . وترينا وتكشف لنا عن النتائج السيئة التي تسببها كل مشكلة وتضعها أمام أعين المسؤولين ليكافحوها وما أحرانا أن نطهر بلدنا الحبيب من كل مشكلة اجتماعية خطيرة تهدد وعينا القومي وتنذرنا بجفاف إحساسنا وشعورنا .

ثم يقول : ما أحراك أن تختار مشكلة وبيئة في باب « مختارات وتعليقات » بدل أن تطلعنا على ما في بطون الكتب القديمة التي لا يتذوقها الجيل الحاضر وأظنك يا سيدي من أولئك ـ بل أحتم أنك ـ من أولئك الذين يودون أن يخرجوا لوطنهم العزيز جيلاً صالحاً كريماً وأن ما تكتبه في بابك لم يلاق . . . »

ومع ذلك استمر الغزاوي على النهج الذي ارتضاه لنفسه وقنع به كل القناعة وظل يبعثها متتالية للبلاد السعودية لمدة تقرب من أربع سنوات وكان آخر المطالعات التي نشرت في البلاد هي التي دونت في عددها ١٣١٩ في ١٣٧٦/٥/٥هـ وهي تحمل رقم ٧٥٣ بعنوان (الطنجر والطنجير) .

وقد عتب الشاعر فؤاد شاكر رئيس تحرير جريدة البلاد على الغزاوي بنقله كتاباته الى جريدة (حراء) وأعلن ذلك العتاب في قصيدة نشرها في الجريدة ذاتها بعنوان (عتاب وحنين) وهي تمثل أهمية المطالعات والتعليقات وتتحدث عنها فقال في ذلك :

عتاب . . . . وحنين

باقة نفيسة . . . ألهمتها حبي للبلاد وحبي للمطالعات التي كان يكتبها البحاثة الأستاذ ابراهيم الغزاوي في جريدتي وكنت أقوم بتصحيحها غير أن الأخطاء المطبعية لا تخلو منها أي صحيفة فكان يشتكي إهمالنا علماً بأنا كنا

حريصين على إخراجها بدقة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . . . . فذرفت عيناي دموع الفراق والحرمان الذي حدث فجأة فصرخت :

١ ـ هجروني حينما أينعت حبي ونسوني بعدما ذوبت قلبي
٢ ـ وأدوني في شباب حالم عقموني وأنا بكر ألبي
٣ ـ انكروني بعدما أنجبت طفلاً حرموني للذي كنت أربي
٤ ـ خطفوا فلذة كبدي بغتة فغدوت تائها في كل درب

أنصفوني

٥ ـ كيف تنسى عاشقيك الأقدمين لعروس في بكور تستكين
٦ ـ بخلوا تقبيل ثغري بمداد وتناسوا ذلك الحب الدفين
٧ ـ أنا من عاشرته دهراً طويلاً وتحملت العنا منذ السنين
٨ ـ أنا من كنت أرى فيه دواماً يقظة الواعي ووعي الملهمين

أنصروني

٩ ـ هل ترى ما ذنب هجري غلطة اذاً لست أدري
١٠ ـ يخطىء الإنسان مهما كان ذا رأي وفكر
١١ ـ انه لحم ودم وضجيج الطبع يغري
١٢ ـ تسقط الاحرف منه ثم يرمونني بعقر

أعذروني

١٣ ـ نقل مدادك حيث شئت فانه سيعود يوماً «للبلاد» هجيرها
١٤ ـ وترى الفوارق حينذاك جلية كالشمس في الآفاق يشرق نورها
١٥ ـ شتان ما بين الوليد ويافع قويت عزيمته وطال جذورها

---

(١) المصدر ـ جريدة البلاد السعودية العدد ٢٣٣٥ السنة ٢١ ـ ٢٤/٥/١٣٧٦هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٦ ـ ومنى « البلاد » نظمتها بقصيدة بكر تفيض بما أحس بحورها

أذكروني

١٧ ـ أين من عيني تلك الشذرات يا حبيب النفس يا لحن الحياة

١٨ ـ يا بيان السحر بين الكلمات يا نسيم الصبح يوم الجمعات

١٩ ـ يا عبير الفل بين الطرقات ضمني من قبل أن يأتي الممات

٢٠ ـ وانثر الورد لهاتيك وهات من رياض العلم حلو الذكريات

« ربيب البلاد »

وقد رد عليه الغزاوي بشكر وتقدير فقال :

شكر وتقدير

اطلعت على الكلمات الجميلة والأبيات الرشيقة الرقيقة المنشورة بعدد الأربعاء ٢٤/٥/١٣٧٦هـ بعنوان (عتاب وحنين) وبتوقيع (ربيب البلاد السعودية) وتأثرت كثيراً لما ورد فيها من شعور نبيل أحرى بالغبطة والتقدير وشعرت بحافز يدعني إلى تقديم ذلك اعترافاً بفضل هذه الصحيفة الكبرى التي تحتل المنزلة الأولى من قلب كل مواطن وتنويهاً بجهود الإخوان العاملين فيها وإشادة بنشاطهم وإخلاصهم لواجبهم وتفانيهم فيه وإعراباً عن أصدق وأعمق عبارات الشكر والامتنان إليهم ؛ أفراداً ومجتمعين .

هذا ولا يفوتني أن أشير إلى موضوعين هامين بالنسبة للمطالعات وهما أولا : ـ الأخطاء المطبعية وما من صحيفة أو مجلة مهما بلغت من القوة والمتانة والتقدم والتطور إلا وهي عرضة لهذه الاخطاء قلت . . . . أو كثرت .

وما في ذلك من غضاضة إلا بقدر التكرار أو عدم التصحيح ، والواقع أن نسبة الخطأ فيما نشر في هذه الجريدة لا يتعدى أمثالها في أعرق الصحف وأتمها

---

(١) المصدر : جريدة البلاد السعودية ـ العدد « ٢٣٤٢ » السنة ٢١ في ٢/٦/١٣٧٦ هـ .

استعداداً ، فضلاً عن مبادرتها إلى نشر التصحيح في الوقت المناسب وأني لأحفظ لها ولسعادة رئيس تحريرها وسكرتيرها ومصححيها وصفافيها وطابعيها وناشريها وموزعيها كل تقدير واحترام عامة لهم (وخاصة للربيب لا ريب) .

ثانياً : ـ ان نقل (المطالعات والتعليقات) منها إلى (حراء) الفتاة . . . . لم يكن قط ناشئاً عن أي تأثير أو سبب من هذه الأسباب مطلقاً وانما هو محض اختيار في المشاركة ـ ولو بعض الوقت ـ بالصحيفة الجديدة التي لا مناص من الإسهام فيها أو معها بنصيب من التعاون الأدبي . والأخرى واستجابة وموافقة لرغبة عزيزة . وعلى كل فإن لهذه الصحيفة كل تحية وإكبار ، ولها من يراع رئيس تحريرها وزملائه الأبرار ما يجعلها دائماً وأبداً إن شاء الله (مكان النواصي من وجوه السوابق) . وما لنا عنها من غنى وهي (الروض الفائق) والزهر العابق وفيها وبها تقر العيون ، وتشرق الفنون . . ويرغد الآباء والبنون ونسأل الله العفو والعافية والتوفيق للجميع . . .

جريدة حراء ومطالعات الغزاوي :

لقد صدر العدد الأول من جريدة حراء في مكة المكرمة في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦هـ لصاحبيها صالح محمد جمال وأحمد محمد جمال ، وقد شجعها الغزاوي ونظراً لما بينه وبين الأخوين من علاقة المودة والإخاء والإعجاب . . باتجاههما الإسلامي لذلك صدرت صفحتها الأولى من العدد الثاني بمقال الغزاوي الذي يحمل في طياته أخلص التحية وأصدق التهنئة بصدورها مشيداً بحسن الاختيار لاسمها ، وآملاً أن تكون أهدافها مستوحاة مما أوحى الله به إلى رسوله ونبيه صلى الله عليه وسلم ومما قاله فيها[1] :

« يطيب لي في هذا العدد الثاني من جريدتنا الفتاة (حراء) أن أتقدم إلى صاحبها ومديرها المفضال والى أسرة تحريرها ـ وهم من صميم هذا (البلد الأمين)

---

(١) حراء السنة الأولى ع ٢ ص ١ السبت ١٣ جمادى الأولى ١٣٧٦هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأخلص التحية وأصدق التهنئة بصدورها وبما وفق الله اليه من حسن الاختيار لعنوانها (الملهم) وما يشمل عليه من معان سامية وأهداف كريمة وذكريات خالدة تبعث في كل قلب مؤمن أقدس المشاعر وأطهر الأحاسيس ، وترتفع ببصره إلى السماء وبروحه إلى الصفاء ، وبقلبه إلى حيث يتلاشى كل حطام ، ويتضاءل كل متاع إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ، وينحسر دونه حجاب العصور الفاسقة ، وينطلق به الفكر في رحاب فسيحة من الخير والهدى والسداد والحكمة والنور والإشراق وذلك ظن المخلصين بهذه (الصحيفة الناشئة) ورجاؤهم في أن تكون اسماً على مسمى وأن تتحرى بدورها (الدعوة) إلى ما أوحى الله به إلى رسولة ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم من آياته البينات و(توحيده الخالص) في هذا (الطور الشامخ) بجوار الكعبة وحول بيته العتيق ، وذلك الوحي الإلهي الذي جاء به من أرسله الله رحمة للعالمين » .

ولذلك صدر العدد الثالث يحمل بين طياتها العدد ٧٥٤ من مطالعات وتعليقات امتداداً لما نشر في (البلاد السعودية) بعنوان بركة (ماجل) لا (ماجد) وقد تحدث فيه عن البركة التي تقع في أسفل مكة وقد قال فيها (يطلق الناس في القديم على البركة) الواقعة بأسفل مكة بركة ماجد ولم نعثر على هذا (الماجد) في نص تاريخي قط حتى الآن .

وقد قال الخفاجي صاحب الشفاء العليل قبل نحو أربعة قرون (ماجل) بميم وألف وجيم مكسورة ولام : البركة العظيمة ، واستشهد على ذلك بما أنشده الشريف علي بن زيادة :

يا حسن ما جلنا وخضرة مائه ... والنهر يفرغ فيه ماءً مزبدا
كاللؤلؤ المنثور ، الا أنه ... لما استقر به استحال زبرجدا

اذن تكون (بركة ماجل) أو (الماجل) لا (الماجد) الا أن يكون هناك نص تاريخي ثابت يجعلها منسوبة الى أحد الامجاد أو الماجدين ؟ .

والرجوع إلى الصواب خير من التمادي في الخطأ . واذكر أن المرحوم أمير

البيان قد تبسط في ذلك بكتابه (الاتسامات اللطاف) فليرجع اليه .

وقد واصل الغزاوي المسيرة فيها ولكن يبدو أن الانتاج الغزير أخذ يتلاشى بعض الشيء فاقتصر على المعاني اللغوية وربطها ربطاً موجزاً بالمعاني اللغوية المعاصرة والأحداث الاجتماعية الحاضرة ، أما المقالات المطولة الحافلة بأمور المجتمع وأحوال المجتمع المدن التي كان يسهب فيها في البلاد السعودية ، فقد خبا ضوؤها ، وانطفأ بريقها ، وإن بقيت الأبحاث اللغوية والبحث عن الأمكنة والأسماء والمعالم على قوتها التي بدأت بها واستمرت الحال حتى نقل مطالعاته وتعليقاته من جريدة حراء من عام ١٣٧٨ هـ وكان آخر ما نشر فيها في عددها ٢٢٧ جمادى الثانية ١٣٧٨ هـ بعنوان (أخضر وخضير) وفيها يقول[١] :

« وكان المرحوم (مخرج الطائف) أحمد بن حمدون من معمري أهل الطائف . وكان على وقاره وكبر سنه وعاميته لا يخلو من الدعابة وتغلب عليه البداوة ، منذ قلنا له ذات يوم بجدة والناس يومئذ يتحولون عنها فراراً من الحصار في سنة ١٣٤٣ هـ ماذا تنتظر عليك بهذا البحر . وهاجر مع الراحلين ، فنظر اليه ممعناً ومفكراً وقال :

أركب (خضير) لا والله ، وكأنه لم يره الا يومه ذاك !! ورجع الى مكة من ساعته وما كنت أفهم معنى لقوله (خضير) أكثر من أنه اعتبره في نظره (أخضر) فصغره على طريقة البداة وانه أول من قال ذلك » .

الغزاوي والمنهل

لقد كانت همة شباب المدينة المنورة عالية ، واطلاعهم الأدبي واسع ، وشغفهم بمتابعته لا حدود لها فكونوا المنتديات الأدبية الصغيرة ، وتحلقوا حول الوافدين من العلماء واطلعوا على الصحف العربية التي أشرقت بالأدب الحي من مصر والشام والعراق ، مما ساعد على تدفق المواهب الأدبية ونضوحها الأمر الذي

(١) حراء ع ٢٢٧ ص٢ في ١٣٧٨/٦/١٥هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أدى الى تطلعهم بهمة عالية إلى إصدار صحف ومجلات خاصة تزيد من ثقافتهم وتنشر انتاجهم ، وكان رائدهم في ذلك الشيخ عبد القدوس الأنصاري الذي أصدر مجلة المنهل في المدينة المنورة عام ١٣٥٥هـ على شكل وريقات معدودات . ثم انتقل بها صاحبها إلى مكة حيث الحركة الأدبية الأكثر ازدهاراً وحيث المطابع متعددة ، وهناك انطلقت تشق طريقها ، وتحمل راية الأدب والآراء الاجتماعية المعتدلة ، وقد كان الغزاوي من أولئك الذين لهم الصدارة في الكتابة والصحافة في مستهل النهضة في هذه البلاد ، وكان من أولئك الذين احتضنوا مجلة المنهل وتعهدوها بالكتابة فقد كان أول مقال تنشره مجلة المنهل للغزاوي نشر في العام الثاني لصدورها .

وكان في العدد الحادي عشر شوال عام ١٣٥٦ تحت عنوان « استعراض » أو بين القديم والجديد في بلادنا وقد استعرض فيه الصراع بين القديم والجديد من وجوه متعددة من النواحي الفكرية والاجتماعية والأدبية ومما قاله[1] :

« ويستطيع المسلم المتمكن من دينه وإيمانه والمستبصر بهداه والمتوفر على دراسة شريعته المقدسة أن يحمي نفسه بتوفيق الله تعالى من كل النزعات ، ومن الوباء الوافد ، وأن يتلمس في أعماق هذه المحاولات الصاخبة وجوه الهدى والضلال . . . . ومتى كان هذا الاتجاه هو المهيمن على تفكيرنا وكانت إساءة الظن بكل ما يأتي به العصر الحديث من مشاكل متعارضة فيما يتصل بالدين والأدب والخلق والعادة أساساً للمناقشة فيها حتى يتبين ما هو الحق وما هو الضلال على ضوء ما يهدي اليه (القرآن الكريم) .

وفي ختام المقال أهاب بالمجلة وصاحبها أن تبلور وتميز الاتجاه الطيب من الخبيث (وأخيراً أؤكد الدعوة في كل مناسبة وأرجو أن أجد في (المنهل) الأغر وصاحبه الأستاذ الأنصاري الكبير عضداً قوياً على تأييدها) إلى سد الفراغ

---

(١) المنهل السنة ٢ المجلد ٢ العدد ١١ شوال ١٣٥٦هـ ص ٣ .

(٢) المنهل السنة ٢ المجلد ٢ العدد ١١ شوال ١٣٥٦هـ ص ٧ .

المحسوس في دروس الوعظ والإرشاد العام وفي مختلف الفنون والعلوم في أروقة (الحرمين الشريفين) حتى تعود لهما السمعة العالية من الوجهة العلمية ، ويكون منتجع العباد ومكترع الوارد من أطراف الأرض ، وإلى القيام بالواجب العظيم من هداية الخلق إلى دينه وشريعته المثلى ففي ذلك دحض للباطل ونصر للحق وأداء للأمانة وتبليغ للناس ، وما لم نحتفظ بهذه الميزة قبل سواها فإننا لمقصرون كل التقصير وغافلون عن إكرام ما ورثناه عن السلف الصالحين وكل امرىء بما كسب رهين » .

واستمر بعد هذه المقالة الجيدة يمد المنهل بإنتاجه فيها فقد كتب عن (تطور الأدب)[1] في أحد أعداد المنهل الممتازة مقالاً وآخر عن (ازدهار[2] العلم والأدب والصحافة والإذاعة) في عهد الملك سعود .

أضف إلى ذلك قصائده الكثيرة التي خص بها المنهل . وقد أشار إلى ذلك صاحب المنهل حين صدر إحدى مقالات الغزاوي بقوله [3]: « صاحب السعادة الوزير المفوض وشاعر جلالة الملك المعظم ونائب رئيس مجلس الشورى الأستاذ / أحمد إبراهيم الغزاوي ، وهو من مفاخر بلادنا وكان وما يزال له الفضل على المنهل بمساهمته مشكوراً منذ إنشائها في تحبير مقالاته الرائعة وقصائده العصماء » .

والمنهل كغيرها من المجلات تحتفل بذكراها السنوية ، وكذلك تصدر أعداداً ممتازة في أوقات مختلفة ، وكان أكبر احتفالاتها بعيدها الخامس والعشرين حيث أصدرت اليوبيل الفضي للمنهل وقد اغتنم الغزاوي هذه الفرصة فشارك المنهل وصديقه الأنصاري أفراحهما ، وحبر فيها القصائد التي تشيد بدور المنهل ويشكر الجهد المبذول من صاحبها ومما قاله فيها[4] :

---

(١) المنهل صفر ١٣٦٩هـ ص ٥٩ .

(٢) المنهل ربيع الثاني ١٣٧٤هـ ص ٨٧ .

(٣) المنهل المحرم وصفر ١٣٧٥هـ ص ١٥ .

(٤) المنهل عدد خاص عن أدباء المملكة مجلد ٢٧ رجب ١٣٨٦ هـ ـ نوفمبر تشرين أول ١٩٦٦م ـ ص ٧٠٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سلافات وليس بها خمار ... وغادات لها التقوى خمار
تدور بها الكؤوس بغير إثم ... ويرتجع الصبيّ الفلك المدار
برزن «أهلة» حيناً وحيناً ... بدوراً والجمال لها إطار
تهادى (المنهل) المورود فيها ... ومنها الليل يقبس والنهار
(علوم) أو (فنون) ذات رجع ... به الأمجاد تلهج والفخار
كأن الضاد فيه وهي نشوى ... بما يجلوه تبر أو نضار
خمائل سندس شاقت وراقت ... ونسرين يضوع وجلنار
عجبت له بياناً عبقرياً ... مصفى لم يرنقه اغترار
تدفق سلسلاً وهمي مزوناً ... وكان البرق نوراً وهو نار

وختمها بقوله :

ومن يعمل بإخلاص وقلب ... سليم فالنعيم له قرار

ولقد كان الغزاوي ينشر مطالعاته ومختاراته في جريدة (حراء) أو الندوة ثم رأى نقلها إلى المنهل لما بينه وبين صاحبها من أواصر المودة والمحبة والاتفاق في الاتجاه والآراء فكلاهما يسير في نهج معتدل في النواحي الأدبية والاجتماعية وقد بدأ . . . يحبر مختاراته ومطلعاته في المنهل في عام ١٣٧٩هـ وأطلق عليها الاديب عبد القدوس الانصاري اسماً جديداً هو « شذرات الذهب » .

وقد سبق إلى هذه التسمية كتابان أحدهما « شذور الذهب في معرفة كلام العرب » تأليف الامام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام » . المولود في القاهرة ٧٠٨ هـ والمتوفى بها سنة ٧٦١ من الهجرة[1] .

وهو كتاب يبحث في النحو ويلح وراء مسائله العويصة التي ترجع الى الفقه

---

(١) شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام (المقدمة) .

في العربية والدقة في معرفة أسرارها ، وقد شرح الكتاب / محمدمحيي الدين عبد الحميد .

وثانيهما كتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ وهو مختار ومنتقى من التاريخ . ويمثل (معجماً لتراجم الصحابة والمفسرين والقراء والحفاظ والفقهاء والمنتسبين الى المذاهب الأربعة واللغويين والأدباء والشعراء والنحاةوالأطباء)[١] .

ولقد علل الأنصاري سبب تسميته لشذرات الذهب وأشار الى كتاب ابن العماد بقوله[٢] :

« شذرات الذهب كتاب تاريخي كبير لابن العماد وهذه الكلمات التي يكتبها أستاذنا / أحمد ابراهيم الغزاوي في موضوعات وشؤون طريفة منوعة هي أحق بالاسم وأولى ولذلك سماها صاحب هذه المجلة بها وكم من كتاب سبق إلى اسمه وبين أيدينا كتاب (شاعرات العرب) . . . . للاستاذ / بشير يموت ذكره صاحب كتاب (شاعرات العرب) عبد البديع صقر ولم ينكر عليه أحد ذلك » .

وظل يواصل العطاء وحرص على انتظام هذه الشذرات المفيدة حتى توفاه الله ، بل وجد عند صاحب المنهل فيضاً منها مما جعله يكتبها في أعداد سنة كاملة .

موضوعاتها :

إن الشذرات الذهبية أشبه ما تكون بالروض الجميل المتنوع الأزهار والورود فأنت تنتقل من قصة ظريفة إلى حكاية تاريخية ذات عبر بليغة ، ومن تحليل كلمة لغوية استخدمت في الأمور العامة وشاع استعمالها وإلى عودة بها إلى الأصول اللغوية ، والاستعمالات التاريخية فيربط الماضي بالحاضر والمستقبل أحياناً في لمحات تعبر عن المعنى ، وتؤدي المراد ، ولا تجنح الى الاطناب الذي يجلب السأم والملل .

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ١ : ٥ دار المسيرة بيروت .

(٢) المنهل مجلد ٣٠ رمضان ١٣٨٩ هـ نوفمبر ١٩٦٩م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تحدث في هذه الشذرات عن مكة وأماكنها (وأحيائها ومتنزهاتها وعيونها وجبالها وشعابها ، وما تقوم به أمانة العاصمة المقدسة من أعمال عمرانية وجمالية ، وقد أبدى كثيراً من المقترحات حول تجميلها وتشجيرها وتغيير مسمياتها .

وتحدث عن ظرفاء مكة المكرمة وعن المغنين في الحجاز بعامة ومكة المكرمة بصفة خاصة ودوّن اسماء كثير منهم .

وتحدث عن مشاهير مكة من علماء وكتاب وخطاطين ، وتحدث عن الناحية التعليمية والعمرانية[1] ، وضمنها كثيراً من الأحداث التي عايشها فكان بعضها اشبه بالسيرة الذاتية ، وتناول بقلمه . . . . الرحلات والقيلات التي اشتهر بها أهل مكة وخاصة أثناء نزول الأمطار . . . وازدهار الورود والأزهار على سفوح الجبال وبطون الأودية والشعاب .

وقام بترجمة لعدد كبير من أدباء[2] الحجاز في العصور السالفة وخاصة الطبقة التي أدركها إبان كهولته مثل الشيخ / عثمان بن محمد . . الراضي المتوفى ١٣٣١ هـ وكذلك طاهر الصباغ الذي انتقل الى تونس ثم سافر الى فرنسا وتوفي ١٣٥٠ هـ وكذلك تحدث كثيراً عن أسرة آل الشيبي الذي اشتهروا بعلمهم وقاموا بسدانة البيت العتيق[3] .

وتناول في شذراته اقتراحات قيمة كثيرة حول الإصلاحات الاجتماعية والمرورية والتنظيمية بل تجاوز ذلك إلى الفكرية ونشر التراث ، ومنها اقتراحاته حول إصدار مؤلفات تجمع ما تفرق من تاريخ المدن والقرى في المملكة[1] .

أهمية الشذرات :

لقد كان للشذرات دورها الفعال في إحياء التراث ونشر ما نسي في طيات

---

(١) المنهل السنة ٤٣ مجلد ٣٨ ذو القعدة ١٣٩٧هـ .

(٢) المنهل السنة ٤٤ مجلد ٣٩ محرم ١٣٩٨هـ ص ٣٤ .

(٣) المنهل مجلد ٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٨هـ .

أمهات كتب الأدب والتاريخ وإخراجها للناس لتكون أسوة وعبرة وقدوة يهتدي بها الجيل .

وكذلك فإنها تكون بمثابة السجل للحجاز عامة ومكة خاصة من حيث التراجم وتاريخ المدن والأماكن في فترة النصف الأول من القرن الرابع عشر من الهجرة .

ويأتي في قمة أهميتها اللغة العربية ومفرداتها فقد تتبع الكلمة ومعانيها وأصلها اللغوي مقارناً بين استعمالها في القديم واستعمالها في الحديث مما كان سبباً في حياة بعض الالفاظ المندثرة والابتعاد عن الاجنبي منها .

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الرابع

الغـــزاوي في المـــيزان

أولاً : آراء النقاد في شعره .

ثانياً : الموازنات بينه وبين بعض الشعراء .

الموازنة بين الغزاوي وأبي تمام .

الموازنة بين الغزاوي والبحتري .

الموازنة بين الغزاوي وابن بليهد .

الموازنة بين الغزاوي وفؤاد شاكر .

الموازنة بين الغزاوي وأحمد العربي .

الموازنة بين الغزاوي وعبد الله بن خميس .

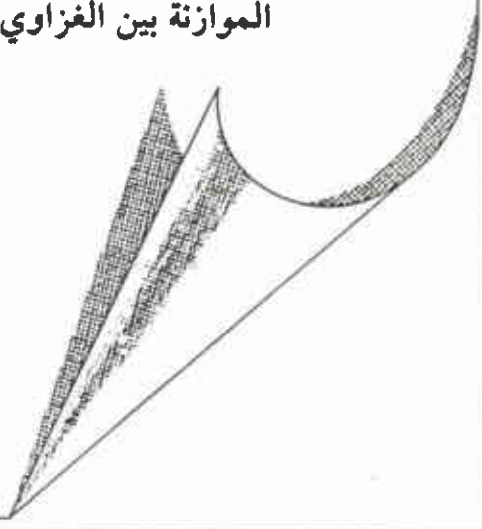

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آراء النقاد في شعر الغزاوي

١ ـ رأي الاستاذ ابراهيم هاشم الفلالي .

٢ ـ رأي ـ عبد السلام طاهر الساسي .

٣ ـ رأي محمد جميل فضل .

٤ ـ رأي د/ محمد بن سعد بن حسن .

٥ ـ رأي د/ عبد الله الحامد .

٦ ـ رأي د/ ابراهيم الفوزان .

٧ ـ رأي هاشم دفتر دار .

٨ ـ رأي الشيخ عثمان الصالح .

٩ ـ رأي عبد الفتاح أبو مدين .

١٠ ـ رأي الشيخ عبد القدوس الانصاري .

١١ ـ رأي محمد بن عبد الله مليباري .

١٢ ـ رأي أحمد محمد جمال .

١٣ ـ رأي عزيز ضياء .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغزاوي يعتقد أن الإسلام قوة روحية ومدنية منظمة وان الانسانية الحائرة ستلجأ اليه وتستظل بأفيائه . . . وأن لغة القرآن لغة الضاد ، لسانه حالة الناطق الذي يسبر أغواره ويفضي بمكنونه ، ويعبر عن روحه ويستشف أسراره . . .

من هذا المبدأ مثل الشاعر أحمد ابراهيم الغزاوي اتجاهاً خاصاً التزم به في الأدب الحديث ، وكان فيه شبه منفرد بين الأدباء . . . سلكه رغم عذل العذال . . ولوم اللوام ، واعتراض المعترضين ، وسخرية الساخرين ، . . . فقد آثر الأصالة الأدبية والعراقة العربية ، وجعل منهما أردية سندسية لأدبه ، وآثرها على غيرها وواصل المسيرة على رغم أنف المعارضين وعلى مضض وألم وحسرة من الشاعر نفسه حيث خذله أنصار اللغة العربية وأنصار المضمون الإسلامي والاتجاه الوطني . . . بينما لاقى أدب الذين استظلوا وقلدوا أدب الغرب بريقاً ولمعاناً وصدى واسعاً دقت له طبول الفرح والإعجاب . . . . الأمر الذي أثر على كثيرين من أقران الغزاوي فخرست ألسنة وانزوت أخرى . . . . ومع ذلك ظل الغزاوي صامداً متصدياً للتيار لا يتزحزح ينظر إلى اللغة العربية نظرة إجلال معتقداً أن فيها الكمال والقدرة على استيعاب الأشكال الفنية الحديثة الجديدة . . . من هذا المنطلق ظل يمد الأدب بعطائه المتدفق الفياض حتى لقي ربه . . .

وظهر إنتاج الغزاوي في فترة انفتح فيها العرب على الحضارة الغربية بغثّها وسمينها وفي عصر اتساع المعارف وعصر التسابق العلمي المذهل . . . في وقت لم تتحدد فيه السبل الصحيحة والمعايير الدقيقة للانتقاء والاصطفاء . . . فأصبح التقليد مظهراً بارزاً لهذا الاتجاه وشمل بذلك الحياة ومضامينها ، واقترب من المعتقدات والعادات فتغير الكثير فيها ـ إلا من رحم ربي ـ من ذلك التقليد الأدبي والفكري واتجاهاته التي غزت العالم وأصبحت نمول الفكر العربي وتوجهه . . . . . غير أن هناك فئة من الأدباء والمفكرين أدركت ببصيرتها المخاطر المحدقة التي تكتنف العالم العربي والإسلامي فالتمسوا النجاة ـ في الدين واللغة ـ وظل أدبهم ينظر بمنظار السخرية والازدراء إلى أولئك المنغمسين في غمار الاتجاهات الأدبية الوافدة وكان من أشد هؤلاء الأدباء مكانة ـ الغزاوي ـ الذي التزم به وأعلن عن ذلك الالتزام . . .

وقد وقف النقاد من (الغزاوي) مواقف متباينة . . . فمنهم المؤيد . . ومنهم المعارض ومع ذلك فإن الدراسات النقدية حول أدب الرجل لم تكن بالقدر الذي يقابل ضخامة شعره ونثره . . . . ولم تصدر دراسات تقوم على التحليل والتعليل . . تبين اتجاهات الأدب عنده ـ ما عدا بعض المقالات التي تتحدث عن قصائد مخصوصة في مناسبات مخصوصة . . . . والحقيقة أن هذه الظاهرة رائجة ذائعة في أدبنا . . . فأدب الأديب لم يحظ بالدراسة الواعية ، الخالصة ، والنقد البناء ، ولم يعط أدب الأديب حقه في حياته . . . وأغلب شهرة الأدباء نجمت عن معارك أدبية خاضوها مع غيرهم . . . والغزاوي أحد الأفراد الذين لم يعطوا حقهم . . . بل ان كفته زادت في ذلك ، وأعرض عنه جل النقاد والكتاب . . فلم يتناولوا أدبه بالنقد والتمحيص والتحليل . . ويعود ذلك إلى أشياء هي في اعتقادي جديرة أن تعلل هذا الإعراض وتبين بعض أسبابه وهي :

١ ـ مكانة الرجل (الاجتماعية والدينية) لها أثر على نفسيته فقد آثر أن لا تنشر له بعض الأغراض العاطفية والشخصية التي قد تخدش حساسيته الخاصة ووقاره الاجتماعي . هذه الحساسية التي لم يدركها بعض النقاد الذين طالبوه بنشر ذلك متجاهلين حساسيته في ذلك كالشيخ (أحمد جمال) الذي طالبه بالنشر وقال عنه : بأنه ظالم لنفسه . وقد كان لهذه أثرها أيضاً من جانب النقاد انفسهم : فمنهم من تجنب نقده له إجلالاً واحتراماً لمنزلته . . ومنهم من تجنب ذلك خوفاً من قوة لسانه وشدة عارضته وخبرته في عالم الأدب ، وقوته في مركزه وسلطانه . .

وقد رأيت بعض ذلك في حديث بعض النقاد عنه :

(وكان في قوته وفي مركزه كالأب بالقياس إلينا ، وكانت حماسة الشباب ملء إهابنا كما يقولون ، وبادرنا ونحن نتهيبه لخبرته في عالم الأدب ، وبعد صوته ، ومركزه في الدولة ، وسنه . بادرنا دون أن يبدو منا ما يثيره قائلاً : وهو يهز (البسطون) الذي كان يصاحبه : ان من ينقدني سأضربه بهذا البسطون . . ولم نقل له شيئاً . . ولكن وقر في نفسي كلامه ، في صورة التحدي ، وترسخ في نفسي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا التحدي وتعمق)[1] - . . . .

٢ ـ ضحالة الأصالة اللغوية والأدبية عند الذين تصدوا للنقد في الآونة الأخيرة . . أضف إلى ذلك ميولهم لأنواع واتجاهات خاصة من الأدب . . . .

والغزاوي أديب ملتزم عريق في اللغة وأساليبها وأصالتها وقوتها . . الأمر الذي باعد بين الغزاوي وبين النقاد . . وهذا مما جعلهم يعرضون عنه . .

٣ ـ والمسألة الثالثة التي جعلت الغزاوي مجهولاً بين النقاد هو أن أدبه لم يجمع ولم يتكامل بين أيدي النقاد حتى يكون سهل التناول بالتحليل والنقد ، وأدبه لم يزل مبعثراً في ثنايا الصحف والمجلات وهي أصبحت في المكتبات الخاصة ومن الصعب الوصول إليها فضلاً عن البحث فيها والتنقيب خلالها ،فهي لم تصنف ولم تظهر لها كشافات تسخرها للاطلاع الذي يجاري عصر السرعة . . .

٤ ـ ويضاف إلى ذلك اعتدال الغزاوي في منهجه في الحياة عامة وفي الأدب خاصة فهو لم يهاجم ولم يهج ، وإنما هو وديع النفس لم يشارك في المعارك الأدبية واللغوية ، واحتفظ بصداقته لأطراف النزاع من مثل الأنصاري وحمد الجاسر ، فقد وقع بينهما نزاع طويل حول ضم جيم (جدة) ومع ذلك التزم بودهما مع ابداء رأيه (بضم الجيم) بأسلوب معتدل لا يعرض فيه ولا يقرظ . .

وكذلك فإن اعتداله في آرائه وأفكاره التي تبناها لحركة الاصلاح والنهضة التي تخضع للواقعية والموضوعية لها أثرها . . . فلم يدخل المنافسة مع بعض الأدباء الذين يميلون إلى الشطط الفكري ومعالجة الإصلاحات في المجتمع بأفكار خيالية مفرطة وجانحة مما جعل المجتمع ـ بطبعه ـ لا يرتاح إليها ويصد عنها . . .

ولكل هذه الأسباب تسنم الغزاوي منزلته ومركزه المرموق بجدارة مما أثار غضب الآخرين عليه فكانوا أشد هجوماً وأعنف لساناً .

تلك هي بعض الظروف التي أحاطت بنقد الغزاوي وأدبه وليس معنى هذا أنه

---

(١) كتاب : في معترك الحياة ص ٥٧٧ عبد الفتاح أبو مدين . . .

لم يوجد حوله نقد . . . بل تحدث الكثيرون عن أدبه حديثاً أقرب الى الدراسة السريعة التي لم تبن على التحليل العميق والاستقصاء الواسع والنظرة العامة الشاملة . . . ولم تعدد الآراء في جزئية من الجزئيات أو اتجاه من الاتجاهات ، ولم تتعارض الآراء في أغلبها . . لذا فاني آثرت أن أناقش آراء الأدباء وأقوالهم مستقلة لكي تكون الصورة النقدية حول الغزاوي أكمل وأوضح .

أقوال إبراهيم هاشم الفلالي :

يقول ابراهيم الفلالي في مطلع حديثه عن الغزاوي : (لقد اكتظت معدة الأستاذ الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي من موائد الإطراء التي تقدم له كلما نفحتنا شاعريته (بغزاوية عصماء) ولا بد أنه غثيان النفس من دسامة الثناء المتواصل على شاعريته الثرة الغزيرة التي لا ينضب لها معين . . .

فلنقدم له شيئاً من (المشهيات) و(المهضمات) قبل أن نقدم له أي شيء آخر ، فإنه خليق بها الآن ، ويعسر علينا أن نمد له أيدينا بهذا النوع من (المشهيات) النقدية وهو في المكان المرموق والصيت المجلجل ، ولكن لا بأس . . . فسوف لا نعدم حيلة ، فسنرفعها إليه ونستعين في رفعها بأن نضعها على خوان مرتفع القوائم لتكون في متناوله . .)[1]اهـ . . .

معروف أن الأحكام الأدبية النقدية المعتدلة تأتي في النهاية ، وبعد جهد كبير من التفسير والتحليل ، والتعليل ، والمقارنة بآداب الآخرين ، وبالنظرة الشمولية لعمل الأديب وفكره ، ولكننا نحس من هذا النص الذي استهل الفلالي حديثه به أن لديه العزيمة والنية لإظهار المساوىء أولاً . . . وهذا ما يخالف اتجاه الناقد "منصف . . . فيجب عليه التجرد من (الأهواء) والعواطف والميول (الشخصية) فلقد حكم الفلالي على عمله ونقده بأنه غير موضوعي . . .

وسأتناول الآن جانباً من أقواله التطبيقية النقدية لتتبين لنا طريقته النقدية . فإذا نظرنا إلى حديثه عن مقدمة النشيد الوطني للغزاوي بعنوان (ولي وطن أفديه

---

(١) المرصاد : ١٦٨ ابراهيم هاشم الفلالي . النادي الأدبي الرياض ط (٣) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بروحي) نجده يقول فيها :

(لقد قلت ـ لا فض فوك ـ :

صليل البيض تقرع بالذكور وصدع الجو في سمت النسور

وخوض الموج في لج البحور أحسب الي من قيل وقال

أما الشطر الأول ـ على وضوح معناه ـ وعلى الأقل عندي ـ فيه إشارة غير لطيفة ، ـ ومنكم بالذات ـ لأنكم قدوة الناشئة من شداة الشعر ، (والشعر ذوق)[1] . .

والواقع الذي لا مرية فيه ، ان المعنى واضح لا شبهة فيه ، فالصليل صوت يحدث مما يكوّن قرينة بأن الصوت من السيوف التي هي البيض ، والذكور جمع ذكر وهو يطلق على أجود الحديد القوي الذي لا ينطرق جيداً . . من هذا يتجلى لنا أن المعنى الذي شرد اليه ذهن الفلالي . . هو الذي لم يخطر على قلب الغزاوي ، ولم يوح به شعره للقارىء . . . وان الغزاوي عند حسن ظن الفلالي فيه ـ إن كان يقصد ما يقول : (لا يليق منك كشاعر ذواقة أن يصدر منكم ذلك ومنكم بالذات ، لأنكم قدوة الناشئة من شداة الشعر) . . .

ولكن (كل إناء ينضح بما فيه) . . .

وما دام الفلالي يغوص وراء المآخذ (البعيدة) فلماذا لم يتلاف الخطأ (الظاهر) الذي وقع فيه حينما أدخل (كاف) التشبيه على (الشاعر) . . . في قوله (لا يليق منك ـ كشاعر ـ) لان الغزاوي أصلاً شاعر ولا يشبه الشيء بنفسه . . .

ثم انه أثار جعجعة حول الشطر الثاني من البيت الأول :

وصدع الجو في سمت النسور) . . . فأحاطه بهالة من ثقل الكلمة والتواء المعنى والشطر الثاني ـ وإن كان أيضاً مفهومه عندي في غاية الوضوح ـ إلا أن المدرسة الشعرية الحديثة تتنكر لهذه الوعورة اللفظية التي تتعثر فيها المعاني تعثر المدني المرفه في وعورة الصحراء . .) .

---

(١) المرصاد ١٦٩ .

وأقول : بأن خشية الفلالي على تعثر (المدني المرفه) يرجع في حقيقته إلى الفقر اللغوي والسطحية الثقافية عند هذه المدرسة الحديثة التي يدافع عنها . . .

وأظنك أيها القارىء تشاركني بأن معاني الغزاوي ليست في حاجة إلى كبير عناء ومشقة فان الصدع معروف . . و (النسر) أكثر معرفة ، وعملية شق الأجواء ليست سهلة في التغلب على الجاذبية ولعمل التيارات الهوائية ومقاومتها وقد ذكر الله سبحانه ذلك في قوله : ﴿ يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّد في السماء ﴾[1]

فصدع الجو ليس غريباً عن أهل هذا العصر بل أكاد أقول بأنه بالنسبة لهم أوضح مما كان للقدماء . . . كما أن النسر لم ينقرض بعد حتى يصبح صورة غريبة ينكرها العصر ولا زال النسر محلقاً فوق كل مدنية يثبت وجوده الحديث في الصور الشعرية الجميلة . . وقد انتهج الفلالي نهجه الذي يميل إلى السخرية أحياناً والعنف والتجريح أحياناً أخرى في نقده لقصيدة (خواطر العيد) . . إذ انتقد المطلع انتقاداً لاذعاً فقال[1] : (ولننتقل إلى مناقشتك في (خواطر عيد) . . . .

فاضت بك الروح ، أم أفضى بك البدن سيان ما عف منك السر والعلن

عرفنا أن الأستاذ أو الشخص المجرد من خيال الأستاذ حصل له (فيضان روحي) ـ خير إن شاء الله ـ . . أما (أفضى بك البدن) فإفضاء البدن لا يكون إلا من أحد السبيلين ؟؟ . . ونحن نستغرب لقول الأستاذ وهو يقول : (سيان) فالفيضان الروحي ، والإفضاء البدني ، لا صلة لهما ببعض ، فالإفضاء البدني يعكر مزاج الشاكر ويعكنن عليه . . . وعلى كل فالمعني غير مفهوم . . .)اهـ .

وأقول : إن كلمة (الافاضة) باستعارتها لتدل دلالة حسية على ما تفيضه المشاعر من معان الفرح والسرور في المباهج والمسرات وما يظهر من الباطن على الظاهر من الحزن والألم فالاستعارة وسيلة الشاعر لإظهار معالم الروح على الجسم وانفعال الجسم بما يظهر عليه من البشر والاشراق . . .

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم لو أخذ اللفظ على حقيقته كما فعل الفلالي فانه نسخ عمل القرينة وأنكر بذلك تعدد أساليب اللغة في التعبير وأبطل عمل الخيال للشاعر وحصر الصورة اللفظية فيما أراده هو لها لا ما أراده الشاعر لها . . . وبهذا يتبين أن الفلالي يلتمس المآخذ البعيدة لتحوير الجمل . . ومن ثم ينطلق منها لإصدار حكمه (النقدي) . . .

وبالجملة فإن نقده ينقصه : الهدوء . . والشمولية . . والتحليل . . والتفسير . . والتعليل كما أن نقده يتسم بالعواطف الشخصية الذاتية البعيدة عن العمل الفني في النقد الموضوعي الرزين . . . .

ولنفرض ـ جدلاً ـ أنه على حق في كل ما قاله . . . فهل يحكم على شاعر مارس الشعر وجال فيه لأكثر من ستين عاماً عن طريق قصيدة واحدة أو قصيدتين ؟؟؟ مع أن مبدأ تتبع الأخطاء والهفوات والسقطات ليس من النقد البناء في شيء ، لأن ذلك مما لا يسلم منها أي أديب . . .

كما وأن النقد يعتمد على عملية التقييم التي تظهر الحسنات والسيئات في آن واحد مع الموازنة بينها ثم إصدار الحكم بعد ذلك . . . وهذا الأمر لم يتوفر للفلالي في نقده . . . فنقده للغزاوي يعتمد على استقراء ناقص وبعيد عن الموضوعية وعن العمق والشمولية . . . .

آراء الأديب عبد السلام طاهر الساسي :

وللساسي رؤيته النقدية التي من خلالها حكم على الغزاوي ، فهو يرى أن التجديد ليس في (الإعراض عن أصالة الأوزان والقوافي والتنصل من سلامة اللغة ، إنما التجديد في المضمون والقدرة على استعمال اللغة والتعبير بها عن المتغيرات وقدرة الشاعر اللغوية والتجريبية ، والأسلوبية على مجاراة العصر . .

وهذا ما كان من الغزاوي فعبر عن كل ما يدور حوله في هذا العصر بلغة لا تخرج عن الأصالة ، وتحتوي المعاني المتدفقة والأسماء المتجددة لذا فقد قال

عنه : (والواقع أن الأستاذ الغزاوي شاعر ممتاز مجدد)[1] . . .

وقد أنصف الغزاوي لما ذكر أنه من الرعيل الأول الذين غذوا الحركة الفكرية وتصدروا الحركة الأدبية ، وأثروا المكتبة السعودية ، ونهضوا بالصحافة ، لذا فإنه : (يعتبر طليعة شعراء الحجاز المبرزين الذين غذوا الحركة الفكرية)[2] . . .

وأشار إشارة عابرة الى تنوع أغراضه وقوة أسلوبه ، وإجادته الشعرية ، وإلى وطنيته المنغرسة في أعماق نفسه التي تتدفق بها عواطفه وتخيلاته لمستقبل أمته والتي تتجلى في جوانب كثيرة من شعره ، وقد جعل من أهداف أمته وتطلعاته وآماله ، والنهوض به رسالة من رسالته . . . وقد أومأ إلى ذلك الساسي فقال : (يعتبر في طليعة شعراء الحجاز المبرزين الذين غذوا الحركة الفكرية ، وله جولات واسعة في عالم الشعر الأخاذ ، تشهد له بها آثاره الخالدة ، ومواقفه المشرفة ، التي برهن فيها على قوته ، وذكائه الفطري ، ونبوغه النادر ، إلى جانب وطنيته الصادقة وحبه لأمته العزيزة ، وإخلاصه لمليكه المفدى . . .)[3] . . .

والساسي يصدر أحكامه على الغزاوي بناء على اطلاع واسع على نتاج الرجل ومتابعته ودراسته دراسة دقيقة من جوانبه العديدة ويدرك الكم الهائل والغزارة الشعرية لدى الغزاوي التي تهدف إلى رفعة الأمة العربية ووحدتها . . (ونحن إذ نقدمه إلى القراء في هذه الموسوعة فإنما نعرض من شعره ونثره نماذج بسيطة من إنتاج زاخر تضيق به الدواوين ، سكب فيه قلبه منذ أكثر من أربعين سنة فيما هو بسبيل مجد العرب ووحدة العرب)[4] . . .

رأي الكاتب محمد جميل فضل :

ومن النقاد الذين تحدثوا عن الغزاوي الكاتب : محمد جميل فضل ، فقد

---

(١) شعراء الحجاز لعبد السلام الساسي ٧١ .

(٢) الموسوعة الادبية : ١ : ١١٠ .

(٣) الموسوعة الأدبية دائرة معارف لابرز أدباء المملكة العربية السعودية : ١ : ١٠٩ تأليف عبد السلام الساسي ط ١ ، ١٣٧٠هـ مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١م القاهرة .

(٤) المرجع السابق ١ : ١٠٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال في مطلع حديثه عنه :

(ومن أعرق أبناء الطبقة البناءة التي أوجدت من العدم نتاجنا الشعري الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي . . . وهو صاحب عطاء ذهني جيد ، وثروة لفظية ، أما شعره فيمكننا أن نصفه بأنه يدور داخل القالب القديم للقصيدة العربية من حيث البناء الشكلي . . والمحتوى أحياناً . . . إلا أنه يعطينا بعض أشكال جديدة للمحتوى . . أو ما يمكن أن نسميه بأشكال جديدة للمحتوى ، ولكن هذه الأشكال في الواقع ما هي إلا أفكار رئيسية يمكن أن نحدد بها انطباعاتنا الأولية بشعره)[1] .

وهذا سجل صادق للغزاوي ، فهو من بناة النهضة الأدبية والفكرية في هذا البلد وقد تقيد بالشكل الذي يعتبره ضابطاً للشعر العربي . . . ويلاحظ أن الكاتب أشار إلى العطاء الذهني ، والثروة اللفظية في شعر الغزاوي وأغفل الناحية العاطفية الشعورية التي يتدفق بها شعر الغزاوي وهي تظهر في حديثه الجماعي عن آمال الوطن والمجتمع . . . وفي كثير من الأحيان يطلقها معبرة عن شخصه الذاتي ، كمثل قوله :

اليوم تسمو ـ مع الأحياء ـ دنيانا وترتجى (نهضة الأوطان) جدوانا
واليوم نقضي ديون المجد وافية لأمة رفعت للعلم بنيانا

وتظهر هذه العاطفة في كثير من قصائده من مثل قصيدة الشرق ، و(لا خيب الله ظني في بني وطني) ، وقصيدة (ألا لا يفخرن أحد علينا) ، و(القلب الشارد) و(شجو الحمائم) . . . وأغلب قصائده في الآونة الأخيرة من حياته . . .

وقد قسم الناقد شعر الغزاوي الى خمسة قوالب :

١ ـ تبلور الشخصية الذاتية . . وقال في ذلك :

(هناك وراء النتاج الشعري للغزاوي مقومات أساسية لا تستند ـ في الواقع ـ الى التجربة الذاتية ، بل إلى الظرف الزماني (الحدث الزماني) فيأتي النتاج

---

(١) الندوة ع ١١٦ ص ٢ في ١٣٧٨/٦/٢٠هـ . . .

انطباعاً بهذا الحدث الزماني ، انطباعاً بحدث الجلوس الملكي الكريم ، أو عيد الأضحى المبارك . وهذا تبلور جيد لذاتية الشاعر يحدو إلى موضوعية محضة ، ولكنها محدودة الانطباع) . . والواقع إن قوله هذا صواب . . . فإن القصائد الطويلة التي تتحدث عن الإشادة بالمشاهير يصعب فيها إدخال الذاتية ، أو غمرها بالعاطفة الشعورية . . .

٢ ـ التقديس البطولي :

ومما قاله فيه : (فهو يتخير في شعره مفتاح الشخصية القوي ، ويوجد منه الصورة المجسدة للإنسان البطل الذي يستحق التقديس) . . .

وما دام الكاتب نفسه فسر التقديس بالحب والاحترام فلا اعتراض لي عليه . . . أما كون الغزاوي ينظر الى شخصية المشاهير ويطرق أحب الأبواب اليهم غير مبال بفكر نير أو اتجاه سليم أو يدعو بسبب ذلك الى عصبية عربية فهذا إجحاف بالغزاوي ، فهو التزم الإشادة بالمشهور بأعماله الشرعية ، أو الإصلاحات العمرانية والاجتماعية . .

٣ ـ التسجيل التاريخي :

(أما الشكل الثالث فهو التسجيل التاريخي وذلك أن القصيدة الشعرية عند الغزاوي نتيجة الانطباع بالحدث الزماني ، ومن حسن الحظ أو المصادفات أن تأخذ الأحداث صفة التسلسل والأهمية مما يضفي عليها الثوب التاريخي) . . .

وكان الأفضل أن يقول : ومن الواقع العقلي ان الأحداث تأخذ صفة التسلسل . . . فالأحداث لا تقع بالمصادفة . . . .

٤ ـ تصوير الشعور الجماعي :

(أما الشكل الرابع فهو تصوير الشعور الجماعي الذي يرجع إلى إحدى لحظات الإيمان . . إيمان الشاعر بعالمه الخارجي . . . فهو ينظر دوماً إلى الأمور نظرة موضوعية تتلاشى عندها ذاتيته المحضة ، وتضيع في خضم الموضوعية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إحساساً وفكرة فإنك لا تكاد تلمس الغزاوي من خلال شعره ولا تكاد تلمس إحساساته أو أفكاره ولكنك تلمس إحساسات الجميع وأفكارهم) . . .

إنني لا أنكر نظرة الغزاوي الموضوعية لأنه عالم ومفكر ويميل إلى التصرف الواقعي والعقلي معاً ، ولكن مع ذلك فإنك تحس بالغزاوي وتلمسه من خلال شعره لأنه يرسم فكره وتصوراته وأمنياته وأفراحه في شعره وتظهر فيه عواطفه فهو يعبر عن الحقيقة بشكل واقعي . . .

٥ ـ ايمان الشاعر بالقالب القديم :

(أما الشكل الخامس والأخير فهو الإيمان المطلق بالشكل البنائي . . إيمان الشاعر بالقالب القديم للقصيدة العربية . . فوجه الشبه قريب بين الغزاوي وبين شعراء عاصروا الرشيد . . وهذا ليس عيباً في حد ذاته لأن القالب القديم لا يزال خصباً بعناصر الفن ويمكن إخضاعه للتعبير عن واقعنا الحضاري . . . .) .

وموافقتي له من حيث الشبه في المدح والالتزام به وان اختلفت أهدافه ومضامينه ، فالغزاوي لم يقدم طلباً خاصاً بين يدي ممدوحه ، بخلاف الشعراء الذين يقفون على باب الرشيد وغيره . . والغزاوي يمجد البطولات ، والإصلاحات ، والتقدم الحضاري والجهد في سبيل الجماعة . . فهو يمدح هذه الأشياء من خلال ممدوحه ولا يمدح ممدوحه من خلال هذه الأشياء . . .

والواقع ان هذا الناقد هو الذي رأيته ملماً إلماماً إجمالياً بخصائص أدب الغزاوي وهو الذي رصد هذا الأدب رصداً دقيقاً اعتمد فيه على الموازنة من خلال التقسيمات ثم أصدر أحكاماً رأينا بعضها في هذا المقال المختصر .

آراء الدكتور : محمد بن سعد بن حسين :

لقد تحدث الدكتور محمد بن سعد بن حسين عن الغزاوي حينما أراد أن يقارن ويوازن بين الشيخ محمد بن بليهد والشاعر أحمد ابراهيم الغزاوي لما بينهما من الروابط التي جمعتهما . . . فكل منهما شاعر ، وكل منهما صحب رئيس القضاة : عبد الله بن سليمان بن بليهد ، وكل منهما مدح ملوك آل سعود، وقد التقيا

في مجالسهما لذلك وازن الدكتور بين قصيدتين من قصائدهما . . ومما قاله في الغزاوي[1] :

(من الشعراء المعاصرين لابن بليهد الشاعر الكبير أحمد بن ابراهيم الغزاوي) .

وقال حينما ترجم له : (أحمد ابراهيم الغزاوي شاعر يعد في الطليعة من أدباء المملكة وشعرائها ، مدح الأشراف ، ثم توفر على مدح ملوك آل سعود . . ويعد من الشعراء التقليديين ، وله شعر كثير جزل جله مدح ، وأكثره منشور في الصحف والمجلات . .)

فالناقد الدكتور محمد بن سعد في قوله : (شاعر يعد في الطليعة من أدباء المملكة وشعرائها) إنما يصدر حكماً نقدياً بعد اطلاع على ما صدر عن أديبنا من شعر ونثر ثم حكم له بالمكان الذي يجب أن يكون فيه : (شاعر يعد في الطليعة) . . من حيث المكانة الأدبية ، والتاريخية ، والزيادة الفكرية .

آراء الدكتور : عبد الله الحامد :

أما الدكتور الحامد فقد تناول الأدب السعودي وتحدث عن خصائصه وقسم أدباءه الى ثلاثة أجيال : الجيل الأول وبدأ انتاجهم من عام ١٣٣٧هـ ومنهم الغزاوي ١٣١٨هـ ومحمد سرور الصبان ١٣١٦هـ وعبد الوهاب آشي ١٣٢٤هـ ومحمد سعيد العامودي ١٣٢٣هـ . ومحمد عرب ١٣١٨هـ ومحمد حسن عواد ١٣٢٤هـ وحمزة شحاته ١٣٢٨هـ . وغيرهم[2] الكثير . . .

أما الجيل الثاني : فقد بدأ نتاجهم بعد عام ١٣٦٨هـ وأغلبهم ولدوا بين عامي ١٣٣٥هـ و١٣٥٠هـ ومنهم : محمود عارف ١٣٢٩هـ وأحمد قنديل ١٣٣٠هـ ومحمد حسن الفقي ١٣٣١هـ وحسين سرحان ١٣٣٢هـ وطاهر الزمخشري

---

(١) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ٢ : ٥١١ (د / محمد بن سعد بن حسين) .

(٢) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ١١ د. عبد الله الحامد .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٣٣٢هـ وعبد الكريم الجهيمان ١٣٣٣هـ[١] . . .

أما الجيل الثالث : فانهم الذين تجسدت آراؤهم بعد عام ١٣٨٧هـ .

وقد قسم الجيل الأول الى مدرستين أدبيتين : مدرسة محمد سرور الصبان ، ومدرسة الغزاوي . . . وقد تحدث عن مدرسة الغزاوي بالذات فقال[٢] : (أما مدرسة الغزاوي (ولد ١٣١٨هـ) فننسبها إليه لأنه أكثرهم شعراً وأكبرهم قيمة ، ويمكن أن ينسب اليها عبد الحميد الخطيب (ولد ١٣١٦ هـ) وفؤاد شاكر (ولد ١٣٢٨ هـ) ومحمد سعيد الدفتردار وضياء رجب (ولد ١٣٢٠هـ) ، وعبد الحق نقشبندي (ولد ١٣٢٢هـ) وعبيد مدني (ولد ١٣٢٤هـ) وعبد القدوس الأنصاري (ولد ١٣٢٤هـ) وعلي حافظ (ولد ١٣٢١هـ .) . . .

وقد أعجب بقوة بلاغتهم وجزالة أسلوبهم وإتقانهم للغة وإجادتهم للأساليب العربية فقال[٣] : (وشعر مذهب الغزاوي منقح لا تجد فيه لفظة نابية ، أو عبارة مبهمة أو لحناً ، أو شيناً ، لا همزاً في قافية ، أو غمزاً في حشو ، مع أنه من حيث التركيب لا يصل إلى الأناقة التي نجدها في الشعر بعد ذلك ، ولا نستغرب أن نجد شعرهم مهذباً مصححاً ، فالقوم لهم من أنفسهم وأصدقائهم نقاد يوجهونهم ، ويتكاتفون فيما بينهم تجمعهم لحمة الأدب وآصرة الوطن والآمال ، ولهم اجتماعات وندوات يعقدونها ، ويتطلعون من خلال ذلك إلى يوم يكون فيه للوطن أدب يعجب الأقطار العربية ، ولذلك نجد الغزاوي ، وهو أغزرهم بحراً ، وأصفاهم طبعاً يشكو (اللجنة) الأدبية التي عهد إليها الشباب أن تدرس كتاب (وحي الصحراء) قبل طبعه يشكو عدم دقتها ، ولومها وتمحيصها . . . : -

وعصبة كسيوف الهند مشرعة ... جنح الظلام أحاطت بي على غرر

تضافرت في انتقادي غير راحمة ... شعري ونثري وما استحسنت من غرر

---

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ١٧ د/ عبد الله الحامد .

(٢) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ١٢ د / عبد الله الحامد .

(٣) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ١٣ ـ ١٤ د / عبد الله الحامد .

وأوسعـوني لـومـاً في مخـاشنـة زجـر الأبـوة لـلأبنـاء في الصغـر
وراح يهمس في سمعي وفي خلدي صـوت شغلت بـه عن كـل مؤتمر
لسمعـة الأدب المـمتـاز عـاليـة أولى بقـومـك من منتـوجك الأثـر
فـاصبـر لهـا غيـر محتـال ولا ضجـر فـإنـمـا هـي لـلتـاريـخ والأثـر

وقد تحدث كثيراً عن ميزات مدرسة المحافظين وجعل الغزاوي في صدارة من يستشهـد بشعـره ، ومن ذلـك قـولـه في الحـديث عن المـطالـع المعبـرة لقصائده[1] :

(والمطالع التقليدية المعبرة شيء يهتمون بـه ، مقتفين اثر شعـراء العصر العباسي الذين أجادوا ، وخاصة المتنبي وأبا تمام اللذين يحرصان على أن يكون أول بيت من القصيدة موجز الفكرة التي تتناولها القصيـدة ، أو لافتاً الـذهن إلى نوعها ، وشوقي بعدهما أبرع الشعراء وأكثرهم احتفالاً بها كما في مطالع الغزاوي التي منها[2] :

جـل من سبـحت لـه الأجـرام وتـجـلى بـفـضـلـه الإسـلام

وقوله في حفلة إقبال[3] :

تفنى العصـور ويخـلد الأبـطال ويعيش مـا بقي المـدى إقبـال

وقوله[4] : (أيها الصوت فارتفع بالأماني) . .

وقوله[5] : (هل المجد إلا السيف والعلم والتقى) . .

---

(١) الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ٣٢ د : عبد الله الحامد .
(٢) صوت الحجاز ع ٥٢ السنة الثانية ذو الحجة ١٣٥١ هـ . .
(٣) الرائد العدد ١٩ ذو الحجة ١٣٧٩هـ .
(٤) صوت الحجاز السنة الثالثة ع ١٠١ ذو الحجة ١٣٥٢هـ .
(٥) صوت الحجاز السنة الثالثة ع ١٥٠ ذو الحجة ١٣٥٣هـ . .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوله[1] : (سعودية أما الضحى فشعاعها) . .

وقوله[2] : (الشعب نحوك يا مولاي ظمآن) . .

وهي ظاهرة في كل شعرهم لا يكاد شاعر أن يفلت منها . .) . . .

ومن استعراض آراء الدكتور عبد الله الحامد نجد أن الغزاوي قد احتل مركز الصدارة والطليعة بين شعراء الجيل الذين ينتمي إليهم وأنهم شعراء تقليديون جددوا في الأغراض وساروا على نهج الأقدمين بها . . .

كما نجد الناقد يقارن بين مطالع القصائد عند الغزاوي وبين قصائد شوقي الذي عد أميراً للشعراء من حيث تلخيصهم للفكرة في البيت الأول من كل قصيدة . . هذا التلخيص الذي سار عليه من قبل شعراء كبار من أمثال المتنبي وأبي تمام . . .

وقد تحدث عن حوليات الغزاوي والإطالة والتكرار فيها فقال :

(وكذلك الغزاوي أيضاً في قصائده يسلك نفس الاتجاه في قصائده الحولية التي يلقيها أمام الملك في حج كل عام ، يبدأها بالحديث عن الإسلام الذي وحد القلوب ، ويصف مشاعر الحج ومناسكه ويفضي من ذلك إلى مديح الملك الذي وطد الدولة ونهض بها ، وقضى على الفساد السياسي ، . . . فإذا كان الحديث في الملك فيصل أطال في الحديث عن إيجابيات التضامن الإسلامي ، والأخوة الاسلامية ، ثم خلص من ذلك إلى الترحيب بالحجاج وفود بيت الله الحرام ، الذين قدموا إليه من روسيا والهندوأندونيسياً وأقصى أفريقيا ، ويتمنى لهم طيب الإقامة ، وسفر السلامة ، وقد يكون مقبولا أن يسلك الشاعر هذا الطريق أحياناً ، أما أن يجعل منه قاعدة ثابتة في كل مناسبة ، يردد نفس الموضوعات ونفس الأفكار ، في إطالة مملة ، فذلك ما يشين الشعر ويتحول به إلى خطاب رسمي يلقى الترحيب

---

(١) القافلة : محرم ١٣٩٠هـ . .

(٢) صوت الحجاز السنة الثانية العدد ٥١ ذو الحجة . . .

والتكريم ، وطبيعي أن الخطابات الرسمية ليست من الشعر في شيء فكيف بها إذا طالت وأطنبت ؟؟؟)[1] . . .

والحقيقة أن الإطالة واردة في حوليات الغزاوي ولكن أن تكون قاعدة أساسية أمر مشكوك فيه وأما تكرار المعاني في حولياته فأمر حتمي لأن الموضوع والمناسبة واحدة والهدف واحد . . .

ويتحدث الحامد عن (الطنين والإثارة والديباجة النقية البحترية) ولكن يذكر بأنها خاوية فكرياً فيقول :

(وهذا بالذات ينطبق على الغزاوي صاحب الديباجة البحترية الذي هو دون جدال أحسن الشعراء ديباجة ، وأصفاهم طبعاً لكن هذا الصفاء ليس تحته كبير معنى أو أثر عاطفة وهذه الأبيات التالية من قصيدة يصف فيها الطبيعة ، إلا أن القارىء قد يخرج منها دون أي انطباع :

وقفت هناك أمسيتي طويلاً ... بمحراب هو الكون العجيب
أرتل آية من بعد أخرى ... كأني في الخمائل عندليب
وقوف مؤذن لله يشدو ... بحي على الفلاح ويستثيب
ونحت مصلياً أجثو خشوعاً ... وألتمس النجاة وأستثيب
وقد رق النسيم وراق حتى ... تهامس والربى الغصن الرطيب
كأنك منهما تلقاء روض ... وقد وافى إليك به الحبيب
يبادلك الحديث وأنت تصغي ... وقد غاب العواذل والرقيب

طنين وفراغ في قصيدة قيلت في وصف الطبيعة)[2] . . .

والحقيقة ان هذه الوقفة التأملية في حقيقة الكون والطبيعة والنظرة الشمولية إنما لها أثر وهي ذات رجع فكري على الشاعر فقال :

---

(١) في الشعر المعاصر ٣٧ د/ عبد الله الحامد .
(٢) في الشعر المعاصر ٤٠ د/ عبد الله الحامد .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحت مصلياً أجثو خشوعاً وألتمس النجاة وأستثيب

فكأن هذا التفكر والتدبر في مخلوقات الله أوحى للشاعر بالخشوع لخالق هذا الكون ومدبره فكيف يكون ذلك خواء فكرياً ؟؟؟؟ ومعلوم أن الغاية الكبرى في خلق الإنسان وخلق مواهبه الفكرية إنما هي الوصول الى التأثير في القلب الانساني وفتح مجالات الإبداع فيه ولفت نظره إلى حقائق الكون لمعرفة الخالق العظيم ولا يكون كل هذا خواء . . .

آراء الدكتور ابراهيم الفوزان[1] :

تحدث الدكتور الفوزان عن أحمد ابراهيم الغزاوي في كتابه : (الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد) في مواضع عديدة وقد أفرد له حديثاً خاصاً عن حياته . . . وإني أحاول أن أعرض بعض أقواله التي تكون رأياً متكاملاً عن أدب الغزاوي ومكانته بين أدباء العرب . . . ومما قاله فيه[1]:

(رائد من رواد الوطنية والإصلاح في العهد السعودي . . وشاعر المناسبات العامة والوجدانيات الخاصة . . أهّله عمله القيادي، وفنه المطبوع ، إلى أن أصبح شعره صوت السياسة لحكام الدولة السعودية ، من بداية سيطرتهم على الحجاز في أوائل الخمسينات . . .

وقد اتسم الغزاوي بوقار العلماء وذكاء الشعراء وتسامح النبلاء . . . وهو غزير الثقافة متين اللغة . . . لإدمانه الاطلاع على كتب التراث وشغفه العظيم بالبحث عن شوارد اللغة العربية وفصيحها ، وخصائص مفرداتها ومعانيها . . .

وقد نظم الشعر في الأغراض القديمة والموضوعات الحديثة ، كما جمع بين الاتباع والابتداع . . يميل الى الاتباع لالتزامه اللغة العربية والبحور العروضية القديمة ووحدة الوزن . . . ويمتاز شعره بالجزالة والرصانة ، ويعني بالصياغة على حساب المضمون . . وإذا قيست الزيادة بغزارة الانتاج فإن الغزاوي يعتبر رائد

---

(١) الأدب الحجازي الحديث ٣ : ١٢٢٣ د/ ابراهيم الفوزان .

مرحلته لأنه لم ينقطع عن عطاء الشعر منذ ستين عاماً حتى الآن . . ولو جمع شعره لبلغ أكثر من عشرة مجلدات . . ويعتبر شعره سجلاً لأهم أحداث الجزيرة العربية إذا علمنا أنه قد نشر أوائل شعره في جريدة (القبلة) في عدد ٧٨٦ سنة ١٣٤٢هـ ثم في الجرائد والمجلات السعودية مثل (أم القرى) و(صوت الحجاز) . . .) اهـ . .

وقد تحدث عن شعره حديثاً خاصاً وبين آراءه الفنية فيه فقال[1] : ـ

(الواقع ان موضوعات شعر الغزاوي صورة اجتماعية واقعية لحياته وبيئته وأمته من حوله . وقد آثر الغزاوي أسلوب الاتباع في عرضها : من المحافظة على الأوزان ووحدة القافية والألفاظ الجزلة والتراكيب المتقنة والصور الحسية ، وإيماناً منه بأن اللغة العربية وأساليبها المشرقة العذبة التي وسعت القرآن وأشعار فحول الشعراء قادرة على استيعاب مضامين العصر، وأن هذا هو مسلك الأدب الخالد . . .

وسر خلود شعره في صياغته الجيدة ، وقد ألزم نفسه بهذا الرأي دون أن يتأثر بالثورات المتتابعة على مكونات الشكل ، ويزعم أن تجارب الآخرين في التشكيل في إنتاجهم ، ورصده لها طوال حياته قد زاده تمسكاً بمنهجه الذي لم يغيره منذ أكثر من ستين عاماً . . . وإذا قررنا أن الغزاوي قد التزم الشكل الاتباعي وأنه لم يستعمل موضة التجديد طوال حياته لقصره الإبداع في المضامين ، فلا داعي لتقسيم شعره إلى مراحل لتتبع اتجاهاته الفنية . . .

أما عن جوانب شعره فالغزاوي قد قال روائع شعره وبدائع فنه في الموضوعات الوجدانية من (غزل) و(شكوى) و(وصف للطبيعة) . . . كما قال الموضوعات (الوطنية) و(الإسلامية) و(التاريخية) و(الاجتماعية) و(وصف الطبيعة) . . وقال الشعر في الموضوعات التي جدت مع أحداث عصره . . .) . . .

---

(١) الأدب الحجازي الحديث ٣ : ١٢٣٢ د/ ابراهيم الفوزان .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا وقد قسم الدكتور الفوزان الشعراء العرب الذين عاصروا أحمد ابراهيم الغزاوي إلى قسمين كبيرين وجعل الغزاوي من مدرسة شوقي وحافظ ابراهيم وعبد المطلب وإني لأخاله على حق في ذلك . . ومما قاله[1] :

(وجدنا ان الأدباء في البلاد العربية قد انقسموا الى قسمين : -

أحدهما - التزم بالتيار العربي وقبل التجديد في حدود المضمون دون الشكل وهؤلاء هم الكثرة وقد سميت هذه المرحلة باسمهم (أصحاب التقليد التجديدي) .

أما القسم الثاني فقد قبلوا التجديد في المضمون والشكل مع محافظة بعضهم وتطرف الآخر ممن شكلوا فيما بعد الثورة التجديدية . . .

ومن أبرز أدباء القسم الأول من أدباء العربية أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومحمد عبد المطلب ومصطفى صادق الرافعي ومعروف الرصافي وعبد المحسن الكاظمي ، وخيري الهنداوي ، وبدر الدين النعسان ، وخليل مردم ، وفؤاد الخطيب ، وخير الدين الزركلي ، وعمر بري ، وأحمد ابراهيم الغزاوي ، ومحمد سرور الصبان ، وأحمد العربي . . . وهؤلاء يعدون رواد المدرسة التقليدية الحديثة . . . في الأدب العربي . . .

ومفاهيم التجديد في الأدب لديهم قائمة فيما دون الشكل العروضي القديم ، واللغة العربية ، التي يعدون فصاحتها أساس الشعر الصحيح أما ما دون ذلك فقد أجازوا لأنفسهم التجديد فيه ، فقصائدهم لا تبدأ بالغزل كما هي عادة أسلافهم ، ولا يعدون الفخر والمديح غايتهم . . . بل يمزجون في قصائدهم بين مطالب سادتهم ومجتمعهم) . . . اهـ .

هذا الرأي رأي ناقد منصف لم يصدر أحكامه عن جهل بالأديب ولم يعتمد على استقراء ناقص - يعتمد على اطلاع على الجزء ليحكم على الكل به . - بل

---

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ١ : ٣١٤/ ٣١٥ د/ الفوزان .

استعرض في أقواله هذه ما للشاعر وما عليه وعلل ذلك تعليلاً يعتمد على الواقعية والمقارنة مع أمثاله ومعاصريه من الأدباء ثم وضع الغزاوي وأدبه في مكانه الصحيح مع أمثاله من أدباء وشعراء . . .

آراء هـاشم دفتردار :

ولهاشم دفتردار آراء نقدية في مجلة (المنهل) تناول فيها أغلب الأدباء في المملكة العربية السعودية . . . وقد خص الغزاوي بمقال عنوانه : (شاعرنا الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي) صدره بملاحظات عامة حول الغزاوي تحكي جهاد الرجل في مجال الكلمة وإخلاصه لأمته ولوطنه ما بذل من عطاء كالمنهل السلسبيل الذي ينبىء عن حياة زاخرة بالانتاج الفكري والأدبي ، المصبوغة بصبغة الإيمان ، الذي بذل قلمه وجهده لتلبية نداء الوطن والأمة : (وما حصل ان أديباً رائداً يسير ظمآن وامقاً يجد نفسه حيال منهل غزير سلسبيل من الشعر العالي ، يمر ولا يلوي عليه . . بل يعب ويعب ، أجل ما حصل ولن يحصل ، فالحياة إنتاج عزة ومعرفة وفكرة وأدب ، وخلق ومودة وإيمان وصدق ، وتفاهم وسلام ومواهب عبقرية ماجدة . . . ولماذا لا ينال المجد من يسهر لنيل المجد ، ولم لا يحترم ويقدر من يتواضع وهو كبير ولم لا يحترم ويقدر (من بذل) لأمته وهو كثير ، ويخلص النية ويعترف لأهل الجميل بالجميل ويدفع إساءة المسيئين بالإحسان اليهم ، ويعمل لإسعادهم ، ويتمنى الحسنى لهم وزيادة ، شأن المؤمنين الصادقين)[1] . . .

من هذه الكلمات يتضح لي أن هاشم أنصف الغزاوي أيما إنصاف ، فقد أدرك العصامية التي تحلى بها الغزاوي ، وأدرك الجهد والشقاء والنصب الذي لقي منه الغزاوي ما لقي أثناء طلب العلم والمعالي ، عرف القلب الوطني الذي يحمله الغزاوي بين جنبيه ، فيبذل نفسه وعصارة فكره لأبناء أمته ، فيشيد بمن وضع لبنة صالحة في بناء هذا الوطن ، وطلب المزيد أيضاً ، رأى هاشم بعينيه العطاء الفكري الثر من الغزاوي ، ورأى حبه للغته ولتراثه ومحافظته على أصالته ، ورأى ما رأى من النكران له ومن الازدراء لمثل ذلك الرجل فتألم أشد الألم ، فهم لم ينصفوه ، في

---

(١) المنهل : ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٥هـ . . ص ٩٣٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عطائه الفكري ولم يشدوا من أزره بل نشأ صاحب مبدأ ومات صاحب مبدأ . . . لم يزحزحه نقد ناقد ، ولا إعراض متجاهل ويشير إلى الذين عابوا على الغزاوي اتجاهه الأدبي ونسوا ما قدم لأمته من فكر وعمل فيقول : (ويا خيبة الأمل فيمن يلحونه ، إذا لم يعوا أن مجد الحياة هو تكريم المنتجين الناهضين من أبنائها)[1] . . .

ثم يختم حديثه بنداء موجه إلى الحكومة أن تأمر بجمع شعره وتطبعه . . .

(والذي أتمنى لشاعرنا الكبير أن تعنى حكومتنا الرشيدة بجمع شعره كافة وطبعه في ديوان رائع مضبوط مشكل كما فعلت الحكومة المصرية في طبع ديوان شاعر النيل حافظ ابراهيم ، وشاعر القطرين خليل مطران ، ويهدى قسم منه لشباب الجامعات السعودية والمدارس العليا ، ليستعيدوا فصاحة أبناء الجزيرة العربية ، وذلاقة لسانهم ، وإيمانهم الصافي الخالص وشمائلهم الكريمة الماجدة ، وتضحياتهم الكبرى في سبيل الإسلام ورفع مكانة العلم والأدب ، والتواضع وصدق القول . والقناعة والشجاعة والصبر على شدائد الدهر والسماحة والطاعة لأولي الأمر . .) . . .

(والدولة ساهرة في دعم قواعد الإيمان وحمل أمانته العظمى ، وتقويم الألسنة ، وتطهيرها من تفاقم أوضار اللهجة النبطية العامية ، من أجل ذلك تجدها جادة في تعميم التثقيف كل هذا يجده المطالعون غدا في ديوان الغزاوي)[2] . . .

فهذا الكلام إنصاف ناقد جليل عرف قدر الرجل ومكانته حينما رأى فيه القدوة التي تقتدى والمنار الذي يستهدى والسراج الذي يضيء السبيل . . . والغزاوي حري بذلك وأكثر وهذا الذي دفعني دفعاً الى دراسته رغم العوائق من لوم اللوام وعذل العذال المثبطين للهمم أمام العمل الكبير (بين شعره ونثره) ولكن اذا كان الله هو المستعان فقد سهل الصعب وهان وخضع الجامح ولان . . .

---

(١) المنهل ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٥ هـ ص ٩٣١ .

(٢) المنهل ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٥ هـ ص ٩٣٢ .

آراء الشيخ عثمان الصالح :

ومن الأدباء الذين تحدثوا عن الرجل ذلك العالم العربي الشيخ عثمان الصالح الذي ألقى نظرة على سيرة الغزاوي الأدبية وأبان عن رصده للمناسبات الوطنية ، والأعياد السنوية ، وحولياته التي تتلى . . . وألحقه بفطاحل الشعراء ، وقادتهم . . ألحقه بزهير بن أبي سلمى ، والأعشى ، والنابغة ، وغيرهم وأشار الى صوته الجهوري الذي يزيد قصائده ملاحة على ملاحتها . . (من الأربعينات وإلى ما بعد خمسين سنة والمرء يتطلع إلى أي مناسبة من المناسبات في الدولة ليسر بها وليسمع في هذه المناسبة أو تلك قصيدة يغرد بها الشاعر الكبير (أحمد ابراهيم الغزاوي) كما أننا نتطلع في يوم عيد النحر يوم الحج الأكبر الى الحفلة الكبرى لنسمع حوليته الرائعة ، وأصبح تقليداً بل تجديداً يشير الى حوليات ـ زهير بن أبي سلمى ـ والى مدائح الأعشى والنابغة والمتنبي والبحتري . . . وما كانت تفوته في هذه المناسبات فرصة واحدة إلا وتجده يلعلع فيها صوته الجهوري)[1] .

آراء الأديب عبد الفتاح أبو مدين :

أما الأديب : عبد الفتاح أبو مدين رئيس النادي الأدبي في جدة فقد تحدث عن الغزاوي بعد وفاته فأشار إلى حرصه على عمله وإتقانه له وأنه رجل مثالي فيه نبع من إخلاصه لوطنه : (رحم الله شيخنا أحمد ابراهيم الغزاوي الذي مضى إلى ربه بعد حياة طويلة حفلت بالعمل والمثابرة والصبر حقبة من الزمن ، أخلص فيها الرجل لوطنه وقادته ، وكان مثال الموظف الحريص الذي يقدر عمله ، وفني فيه ، وفق المنهج الذي أعطي له ، والمركز الذي وجد فيه ، بعد تنقل في بداية حياته الوظيفية المختلفة فكان أميناً . . . على الوظيفة من واقع حرصه . . حتى انه لا يغادر البلاد ولا يغيب عن البلد الحرام)[2] . . .

ثم عرج في مقالته إلى الحديث عن أهداف شعر الغزاوي وانه يجنح الى

---

(١) المنهل : السنة ٤٧ المجلد ٤٢ رجب ١٤٠١ هـ ص ٤٩٥ .

(٢) في معترك الحياة ٥٧٥ تأليف : (عبد الفتاح أبو مدين) دار البلاد للطباعة والنشر . . .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاعتصام بحبل الله ، وتقوية أواصر الأخوة المسلمة إلى جانب حديثه في المناسبات الكبرى كل ذلك في إلقاء جماهيري ، وصوت مجلجل ، وعرض الصور الجذابة . . وسبك جزل وقوافي رنانة . . . وشعره الذي كان يلقيه في مواسم الحج في مكة ومنى في تجمع المسلمين يجنح إلى الحث على وحدة الأمة المسلمة والاعتصام بحبل الله المتين . . .) .

آراء الشيخ عبد القدوس الأنصاري :

كان الشيخ (عبد القدوس) صديقاً حميماً للغزاوي ، صحبه في مسيرته الأدبية والفكرية . . . وكلاهما من الرعيل الأول . . وكلاهما من بناة النهضة الأدبية ، عايشا بدايتها ، وشهدا تطورها ، وقد بذلا جهداً مشكوراً في تطوير الصحافة السعودية وقد أمداها بالمناهل الأدبية الشعرية منها والنثرية لأكثر من خمسين عاماً . . .

وامتازا بالاعتدال والنظرة العقلية ، والميل الى الأصالة الأدبية . . ثم التزما بالسير جنباً الى جنب في آخر حياتهما . . فقد تصاحبا على الالتقاء في المنهل ، فالأنصاري صاحبها ومحررها . . والغزاوي رافد من روافدها طيلة ثلاث وعشرين سنة ، وكلاهما انتقل الى جوار ربه في جمادى الآخرة . . فالغزاوي توفي عام ١٤٠١هـ والأنصاري توفي عام ١٤٠٣ هـ . .

لذلك فان ما يقول الأنصاري عن صاحبه ورفيقه إنما يصدر عن معرفة عميقة ، وقدرة نقدية ، واطلاع واسع على تراث الرجل ، ما نشر منه وما لم ينشر ، فهو أدرى به ، وأعلم بأسرار صديقه ، فقد تحدث عن الغزاوي في كتابه : (مرآة الشعر) وفي مجلة المنهل ، ورثاه بمقالة أدبية ألمّ بتاريخ الرجل إلماماً يناسب المقالة والمقام ، وأصدر أحكاماً نقدية موجزة معبرة جلت للعيان الشبه التي تدور حول الغزاوي كاختصاصه بغرض واحد . . . وأبان بأنه يملك نصيباً كبيراً من الشعر الوصفي ـ والاجتماعي ـ والفكاهي والغزلي ـ . . . . وإليك بعض ما قاله عن صاحبه الغزاوي :

(لا غرو أن تستقبل هذه البلاد وبلاد العالم الإسلامي والعربي إنتاج الفقيد

بالترحيب والتقدير . . والحفاوة . . فان صوته الشعري كان أندى أصوات الشعراء وأجداها قيمة وأهمية ، وأروعها أسلوباً ، وأحفلها موضوعات ، . . . ويخطىء من يتوهم أن شاعرية فقيدنا الجليل مقصورة على الجانب المديحي وحده فالذي أعرفه ويعرفه غيري أيضاً ممن يعنون بدراسات أدبنا الحديث من مصادره الأصيلة إن لشاعرنا الغزاوي نصيباً كبيراً من الشعر (الوصفي) و(الاجتماعي) و(الفكاهي) و(الابتهالي) الى الباري جل وعلا ، وقد يرتفع الكثير من شعره في هذه الميادين إلى درجة عالية من الإبداع . . وليس الخبر كالعيان . . هذا يتمثل فيما لو نشر سائر شعره بشتى ألوانه وأفنانه في ديوان مستقل ، وقام الدارسون الفطناء من ذوي الثقافة الأدبية ، والقدم العالية في النقد الأدبي المنزه الصحيح الكامل الذي هو (التمحيص والتحليل الحق الهادف الكشاف) .

(وعندي من قصائده المنشورة والمخطوطة بخطه ما يقوم برهاناً ساطعاً في قضية شمول شاعريته العريقة المرموقة[1]) . . . .

آراء الأديب : محمد عبد الله مليباري :

ومن آخر الآراء التي صدرت حول الغزاوي ما كتبه الأديب (محمد عبد الله مليباري) في جريدة الندوة ، فقد تحدث عن شاعرنا المعاصر في الميزان وأعلن صراحة في مقدمة أحد مقالاته إخراج الغزاوي من دراسته لأنه منطو على مفاهيم وراثية فقال: (لذلك تجدني أبعد من دراستي هذه كل شاعر أو كل شعر لا يبرز فيه أثر من آثار هذا الصراع القيمي كشعر المرحوم أحمد إبراهيم الغزاوي الذي ظل منطوياً على مفاهيم وراثية للشعر معلناً وفاءه للقيم الفنية التراثية حتى في الموضوعات ، ومعظمها موضوعات مديحية)[2] . . .

ولكنه لم يلبث الا قليلاً حتى كتب عنه ودعا الأندية الأدبية إلى نشر تراثه ، واحتج بدراسة شعراء المديح والاهتمام بهم ، فلماذا يترك الغزاوي ويعرض

---

(١) المنهل السنة ٤٧ مجلد ٤٢ جمادى الاولى والثانية ١٤٠١هـ مارس ١٩٨١ ص ٣٨٤ .

(٢) الندوة ع ٧٧٣٤ ص ١٠ الأحد ١٥ ذي القعدة ١٤٠٤هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنه[1] : « أيها السادة القراء . . . أتذكرون (أحمد ابراهيم الغزاوي) رحمه الله ؟؟؟ أم نسيتموه ؟ ومهما قيل عن شعره وأدبه فان جدران بلادنا في طولها وعرضها رددت أصداء ذلك الصوت الجهوري أنه قدم لأدبنا وتاريخ أدبنا الشيء الذي لا ينبغي أن ننساه ، كان شعره تقليدياً وموضوعاته التي اختارها لشعره ، كانت موضوعات تقليدية ، ولكنه كان شاعراً بمعنى الكلمة ، شاعراً أعطى لمقومات الشعر التي آمن بها وأعطاها حقها ، كان شعره ينبض بتراث الأصالة من فيض الماضي وعراقته العربية . . .

نحن ندرس أبا تمام ، والبحتري ، وأبا العلاء ، والمتنبي ، وأبا نواس ، ولم لا ندرس الغزاوي أليس في كل ما قدمه طيلة خمسين عاماً يستحق الدراسة ؟؟؟ دعونا ندرسه كأنموذج لنمط من أنماط التراث المتعددة ، لنمط لم يستسغ ما جاء به الفكر الجديد المستورد . . . ندرسه دون أن نتهمه بالسطحية والسذاجة أو نتهمه بأنه كان مداحاً يتاجر بموهبته) . . .

ثم أشار الى حرصه على مساعدة سامعيه وقارئيه على تجنب فساد الوعي العربي الأصيل والتمس له العذر في تغيير مفهوم ، نظراً لتأخر هذا التغيير في المجتمع بأسره : (لقد كان الغزاوي رحمه الله أعلى صوت عرفه شعرنا في أواخر القرن الماضي . . وعلينا أن ندرسه بتجرد بعيدا عن المؤثرات العاطفية ندرس شعره بطبيعته المنهجية ، وفنه الذي حرص أن يساعد به سامعيه وقارئيه العاديين على تجنب فساد الوعي العربي الأصيل . . .

(ولا شك أن الوعي يختلف مدلوله مع اختلاف المتغيرات العصرية ومتغيراتنا من الجيل الذي عاش فيه الغزاوي والتطور الزمني داخل مجتمعنا ، جاء متأخراً قبل رحيل شاعرنا الغزاوي عن الحياة الدنيا أو بأقل من عقد وكانا مختلفين تماماً عما نعيشه الآن) . . .

---

(١) الندوة ع ٧٧٣٧ الأربعاء ١٨ ذي القعدة ١٤٠٤ هـ . . .

آراء أحمد محمد جمال :

ومن أبرز الأدباء الذين تحدثوا عنه في الآونة الأخيرة زميله ورفيقه في مجلس الشورى أحمد محمد جمال فقد عملا جنباً الى جنب أكثر من ستة وعشرين سنة ، وهما ابنا مدينة واحدة (مكة المكرمة) وزاد من أواصر المودة بينهما أن الغزاوي خص الأستاذ أحمد محمد جمال وأخاه الأكبر (صالح محمد جمال) بتأييد جريدتهما (حراء) فكان من أسرع الشادين من أزر الجريدة فأمدها بقلمه وإنتاجه الفكري ، ونقل مطالعاته وتعليقاته لها من جريدة (البلاد السعودية) ثم واصل المسيرة عندما تغير اسمها إلى (الندوة) وزاد من غزارة إنتاجه فكتب فيها المقالات والمراجعات ويوميات الندوة ويخص الندوة بحوليات تشيد بذكرى أعوامها ، ولكن الأستاذ الفاضل لم يشر إلى ذلك وكتب عنه في ثلثي عموده وكأن ما في حوزته لا يحتمل العمود كاملاً ، وكان الأجدر بالشيخ أن يتناول صاحبه في أكثر من جانب . . .

ومع عتابنا على شيخنا العالم : أحمد جمال فانه تناول جانباً مهماً غُمِزَ منه الغزاوي في فكره وشعره وهو أن شعره من نوع واحد ، وقد عالج الموضوع من قبل الشيخ عثمان الصالح والأديب عبد القدوس الأنصاري رحمه الله . . .

وكما عرفا أسرار صاحبهما فان أحمد جمال له صحبته للغزاوي مما جعله يعرف الكثير من خفايا الشاعر ، فأبان أن له شعره الوجداني ، والأخواني ، والتأملات في الأحاسيس والنفس وغيرها وقد أشار الى ذلك :

(والحقيقة التي لا يعرفها الكثيرون من مواطنيه ، وربما من مواطني العالم العربي والإسلامي الذين يسمعون شعره في المناسبات الرسمية أو يقرأونه في الصحف والمجلات هي أنه شاعر بمعنى كلمة (شاعر) أي شاعر عواطف ، وحماس ، ووطنية ، وعقيدة ، وأخوة ، واحساس بكل مشاعر الانسان المثقف والمفكر . . .

ولقد كان يقرأ على بعض أعضاء المجلس أو يهديهم بعض قصائده الخاصة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بأحاسيس النفس نحو الذات والأسرة والمجتمع أو الوطن ، أو العالم العربي أو الاسلامي ، أو الحوادث والمواقف الطارئة)[1] . . .

وأماط اللثام عن أسباب هذا التجني على الغزاوي وإلصاق التهمة هذه به وعزا ذلك إلى الغزاوي نفسه ، فهو الذي أحجم إحجاماً قوياً عن نشر ما يكتبه من وجدانيات وغيره وقد عاتبه الشيخان أحمد العربي وأحمد جمال وصارحاه بها ومع ذلك أصر على الرفض (وكنا أنا وسعادة الأستاذ السيد أحمد العربي أستاذي ورفيقي في المجلس نحثه على نشرها في الصحف والمجلات المحلية ونصارحه بأن الناس لا يعرفون عنه الا نوعاً واحداً من الشعر . . وهو ظلم له نفسه لنفسه . . فكان يصر على الرفض ويكتفي بطيه في زوايا الإهمال . .)

(وكنت أتأسف لهذا الموقف من الشيخ أحمد تجاه شعره الإخواني والعاطفي والاجتماعي والسياسي والوطني) .

وقد زاد الطين بلة أيضاً إهمال أقربائه لجمع أشعاره وإصدارها . .

(وازددت أسفاً عندما رأيت إهمالاً آخر من ذوي قرابته لجمع أشعاره وإصدارها بعد وفاته ، ليعرف الناس مكانته الأدبية ، وحقيقته كشاعر رافق الشعور في كل مجال ، وليس في مجال واحد ، (كما هو معروف عنه حتى الآن)[2] . . .

آراء عزيز ضياء :

عزيز ضياء من الرعيل الأول الذين تصدروا للنهضة الأدبية في البلاد وحملوها فوق عواتقهم وخاضوا عبابها واستقوا من المناهل التي تدفقت إلى هذا الوطن . . فإلى جانب أدب الأصالة وثقافته فيه فقد تأثر في مقتبل حياته بمدرسة المهجر ومدارس البعث الرومانسية . . . وغذى أدبه بالثقافة العالمية « بايجادته اللغة » الانجليزية والفرنسية والتركية . . .

---

(١) الندوة ع ٧٨١٩ ص ١٦ الأحد ٣/٣/١٤٠٥هـ الموافق ٢٥/نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ م .

(٢) الندوة : ع ٧٨١٩ ص ١٦ الاحد ٣/٣/١٤٠٥هـ .

لذلك فإن حديثه عن الغزاوي حديث ناقد يتساءل عن أمور أساسية في حياة الأدب فلماذا لم يدرس أدب الغزاوي للآن ؟؟ بل لقد اعتبر إعراض الأدباء والنقاد عن دراسة إنتاج الغزاوي ظاهرة يحفها الغموض ويكسوها ضباب من الأسباب التي يجهلها الكثير ويعرف منها القليل ولذلك فإن رصد الحركة النقدية حول الغزاوي وإحجام الكثيرين عن تناول خفاياها يعد ظاهرة غير صحية في النقد الذي يريد أن يكشف الستار عن هذه الحياة الحافلة ثم عن الأسباب التي جعلت الكثيرين يتأخرون عن الحديث عنها بما تستحقه من إكرام وإكبار مع أن إنتاجه الأدبي انتشر في الصحف والمجلات السعودية لأكثر من ستين عاماً . . . فيقول الأستاذ عزيز ضياء :

(لا بد أن أعتبرها ظاهرة فيها من الغموض بقدر ما فيها من الاستمرارية والتمادي . وهي (الصمت) المطبق الذي التزمته أغلبية المعنيين بالشعر والشعراء ، نقاداً ، ومؤرخين ـ بل كتاب خاطرة وتعليق أو ذكرى ـ قبل وبعد رحيل الشاعر الكبير الاستاذ أحمد بن ابراهيم الغزاوي رحمه الله . وتبدو الظاهرة بعد ذلك ، وكأنها اجماع متفق عليه ، على تناسي هذه الشخصية التي يصح أن توصف بأنها (بقية الشعراء) القدامى ، ظلت تسطع وتتوهج في أجوائها الخاصة طوال فترة من الزمن تكاد تتجاوز الستين عاماً . .)[1] . . .

ثم يرى أن موقف النقاد وكتاب الخاطرة والتعليق فيه قصروا برصد الحركة الأدبية الإنتاجية لأنواع الأدب والشعر بصفة خاصة . . كما يقول : (قبل رحيله ـ رحمه الله ، كان موقف النقاد ـ على قلتهم ـ كموقف كتاب الخاطرة والتعليق على ما نشر أو ينشر لغيره من الشعراء هو موقف من لا يقرأ أو يسمع شيئاً عن شعر الغزاوي ، رغم أن الصحف كانت تنشر مطولاته . .)[2] . . .

وهي فكرة إبداعية جديدة من الأديب فإن النقاد وكتاب الخاطرة والتعليق يقومون بتوجيه الحركة ومتابعة ظلالها وإرشادها وتعديل المعوج منها والأخذ بيد

---

(١) المصدر : عكاظ العدد ٦٧٧٣ الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ ٢٨ / ديسمبر ١٩٨٤ م .

(٢) عكاظ العدد ٦٧٧٣ الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ ٢٨ / ديسمبر ١٩٨٤م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السليم المستقيم ، ولو فعلوا لكانوا بحق قادة للفكر يقودون زمامه ويصنعون له أمجاده وينهضون به من كبوته ، ويدلوا على لألئه ، وعقيانه ودرره ، فتكون نبراساً يهتدى به وقدوة يحتذى بها . . .

والأستاذ عزيز ضياء يرى أن شعر الغزاوي يلحق بشعر الفحول من الشعراء العرب القدامى في لغته وتناوله وتفننه ، لذا فهو جدير كل الجدارة أن ينظر إليه بعين الاعتبار فهو يمثل صفاء المناهل والينابيع الأصيلة لتراثنا الفني ، ويربطنا بأعراقنا وجذورنا العميقة ونملأ صدورنا بعبيق النغمات الجمالية في لغتنا وبلادنا ونكون أمة تبنى على أسس متينة وجذور عميقة . . . (في تلك المناسبات التي كان يحرص على ألا تمر دون أن يسجلها بقصيدة من شعره الذي يذكره بفحول الشعراء القدامى ، لغة وتناولا ، وتفنناً في صياغة المعاني ، التي لا يعيبها أنها تصاغ من معدن الشعر التقليدي القديم ، الذي يتعذر أن نصرف عنه أنظارنا ، اذ هو التراث الفني الذي لا بد أن نعكف عليه ، وأن نهاجر إلى أجوائه ، لنملأ صدورنا بعبق التاريخ ، ولنتيح لأذهاننا أن تتملى تلك الأجواء ، اذ هي نحن ، في أصولنا وأعراقنا ومنابت شخصيتنا الحديثة . . بكل مكوناتها الاصيلة التي أعتقد أن التخلص منها بالتجاهل والتناسي أو التنكر والرفض ، فيه من الجحود بقدر ما فيه من الجهل والغباء)[1] .

وعزيز ضياء يلفت أنظارنا إلى الشيخ أحمد جمال الذي قال بأن الغزاوي (ظالم لنفسه) ويرى أنه ما دام نشر أعماله في الصحف أمام القاصي والداني ولم يكن في عزلة عن أعين الناس فانه برأ نفسه . . . بل إنه مظلوم ويجب أن يرفع عنه ذلك . . .

(لست أدري من الذي قال إن الأستاذ أحمد ابراهيم الغزاوي ظالم لنفسه . . . ولا أدري كيف ولماذا ظلم الرجل نفسه ؟؟ ولكني أشك في ان الرجل كان مظلوماً وآن أن نتعاون على رفع ظاهرة الإجماع على ظلمه ، بالتجاهل

---

(١) عكاظ العدد ٦٧٧٣ الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ ٢٨ / ديسمبر ١٩٨٤م .

والتناسي ، بالإجماع على اعطائه بعض حقه بطباعة أعماله ودراستها ، وربط المناسبات التي عني بتسجيلها بالاحداث التي تمخضت عنها هذه المناسبات مما يزيح الستار عن شريحة واسعة وكبيرة من تاريخنا الحديث قد لا نستغني عنها في مقبل الايام)[1] . . .

آراء النقاد في نثر الغزاوي

إن كتابات الغزاوي ونثره الفني من مقالات أدبية نقدية واجتماعية ، وسياسية ، وتعليقات ومختارات وشذرات ، تمثل القمة للكتابة العربية الحقة ، فالرجل له تمكن في المعارف القديمة فقطف من ثمارها ، واستقى من ينابيعها ، وتغذى بشرايينها ، ونهل من روافدها ، ثم أضاف الى ذلك المعرفة الواعية لثقافة عصره ، وعلومه وأحداثه ، وقضاياه السياسية ، وصراعه الفكري والاجتماعي ، فتفاعل مع مجتمعه وأحس باحساسه وتألم بآلامه ، وتطلع لأهدافه ، وابتسم لتفاؤله فكان أدبه مثالاً للأدب الحي وكان صورة صادقة للرعيل الأول من الأدباء في العصر الحديث بل قمة بينهم ، وعلماً يهتدى به في الأصالة والمحافظة على جودة اللغة وسلامتها . . .

ونثر الغزاوي له جانبان مهمان : ـ أحدهما جانب المقالات بأنواعها التي تجنح إلى الأسلوب العربي الجزل مع معالجة فكرية ذات حجج وبراهين .

ـ وثانيهما : جانب المطالعات والتعليقات والشذرات . . . ويتمثل في كونه حديقة ذات ثمار مختلفة ، وأشجار متعددة ، وأزهار جميلة ، وألوان زاهية ، فهي تجمع بين الغذاء الروحي ، والفكري ، والوعي الذوقي ، والجمال المنطقي ، تكون زاد المثقف ، والأديب ، فتزوده من كل فن بطرف ، فهي عصارة فكرية للعلماء السلف . . . وتجارب ميدانية للغزاوي في النواحي العلمية والعملية . . والبحث الدقيق خلال ستين عاماً وتشهد هذا الفيض المتدفق لأفكار الغزاوي ،

(١) عكاظ : العدد ٦٧٧٣ الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ ٢٨ ديسمبر ١٩٨٤م . .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وترى من خلالها كم من الكتب الدقيقة أبرزها وجلاها . . . وهي تمثل النظرات الحكيمة للأمة الاسلامية ، والعربية ، وتصور الأعمال الجليلة التي سبق إليها علماء الإسلام ، ورجاله المشاهير . . . وهي سجل حافل لأبرز رجالات الفكر والأدب والتاريخ مبرزة زبدة أعمالهم وخلاصة أفكارهم . . . كما انها تحفل بالعبر والعظات والدروس المستوحاة من التاريخ والأحداث . . .

وقد ساهمت في احياء الكلمات العربية الأصيلة التي اندثرت أو قاربت ـ على الاندثار أو أصابها شيء من التحريف . . .

لقد عمل الغزاوي جاهداً على ربط اللهجات العامية التي لها أساس صحيح من العربية وأعادها الى أصلها . . .

ونشره صورة صادقة لاتجاهات الفكر والإصلاح الاجتماعي والعمراني والسياسي . . كما أنها تمثل الميادين السامية والمثل العليا للشعوب الإسلامية . . .

وهي تبرز الكثير من المعاني والأعمال التي سبق إليها العرب ، وتهتم بالأماكن المقدسة والعربية والتاريخية ، وتتحدث عن المدن وعن الأماكن المجهولة الإسلامية والتي تحتاج إلى شرح وتوضيح وتبيين . . .

ولقد كان للناس شأن حول هذه المطالعات والشذرات . . . شأنهم في كل أمر مهم يعرض عليهم فيحرك تفكيرهم ويستتبع ردود فعل منهم . . .

فمنهم (المحب) لها المعبر عن حبه بالإعجاب يرسله للأستاذ أو ينشره على صفحات الصحف اليومية والمجلات السيارة . . .

ومنهم المعرض عنها ـ أو عن بعضها ـ لأسباب (ما) .

وقد أشار الى ذلك الأديب (عبد العزيز الرفاعي) اذ يقول[1] :

(كنت أتحين فرصة أتحدث فيها عن إعجابي بهذه التعليقات والمطالعات

---

(١) البلاد السعودية ع ١٥٣٢ في ٢٣ / شعبان / ١٣٧٣هـ .

التي يدأب الأستاذ الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي على إتحاف القراء بها . . وإذا كان هناك فريقان من القراء : أحدهما معجب راض عن هذه المطالعات والتعليقات ، . . والآخر مشيح عنها ساخط عليها . . . فأنا من الفريق الأول . . .

وهذه تحية أهديها للأستاذ الغزاوي . . . وإن كنت في مواقفي ضنين بالمديح الا على أهله . .)[1] . . .

ثم تحدث الرفاعي عن قضية الأقواس والفواصل التي دأب عليها الغزاوي في نثره وشعره وكثر حولها الكلام فقال[2] :

(واذا كان لي من تعليق على تحيته الرقيقة وما يتعلق بأقواسه التي يتشبث بها فانه كان يسرني أن أتقبل التبعة لولا أن تاريخ الأقواس في حياة الأستاذ الغزاوي تاريخ عريق ـ كما قال فعلاً ـ وإنني لهذا السبب البسيط لم أجز لنفسي أو لقلمي أن يعبث بهذا التاريخ ، والذي أصبح لازمة من لوازم الأستاذ الكبير . . . بل لقد أصبح طابعاً من شخصيته الأدبية . . ولا عليه من ذلك فلقد أدرك قراؤه منذ عهد بعيد طريقته في أقواسه وليس عليه من بأس . . إلا أن يخضع لقواعد ثانوية قلما يحفل بها الكتاب والقراء . . . على أني أحسب بعد ذلك أن الأستاذ الكبير لو التمس مندوحة في هذه القواعد القوسية لوجدها) . . .

وقد رد الأستاذ الغزاوي على طلب الأستاذ الرفاعي (ملبياً له طلبه) فقال : (اغتبطت كثيراً بما نشره صاحب (كل أسبوع) صديقي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي[3] وشكرته على تحيته الكريمة وتشجيعه وتحبيذه وما كان لي وأنا في موقفي ذلك . . . الا أن أحاول الاعتذار بصورة أو بأخرى . . ولو بالتنصل من تبعة هذه الأقواس التي لا أدري ما هي بواعث استثقالها عند من لا يسيغها ؟؟؟ وما عملت الأقواس في أسمائها وأفعالها وألوانها وأشكالها إلا متعة للبصر وبهجة للفؤاد

---

(١) البلاد السعودية ع ١٥٣٢ في ٢٣/شعبان/ ١٣٧٣هـ .

(٢) البلاد السعودية ع ١٥٣٢ ص ٣ في ٢٣/ شعبان / ١٣٧٣هـ .

(٣) البلاد السعودية ع ١٥٧٠ السنة ١٨ في ١٣/ شوال /١٣٧٣هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقوس قزح وان كان هو في زعم العامة دليل انقشاع المزن وتحولها إلى جهات أخرى فانه لذو منظر بديع خلاب ووضع هندسي جذاب ، وأقواس النصر تنصب لإعلان الأفراح وإقامة الزينات وأقواس الرمي ما كانت إلا من أسباب الفلج والظفر . . . وأقواس الحواجب . . . وقوس حاجب . . كل أولئك مما يشفع للكاتب حين يتخذ من التقويس حلية لكلامه . . .)[1] .

ولم يكن الأستاذ الرفاعي وحده هو المعترض على الأقواس فقد اعترض غيره على صفحات الجرائد فكان لا بد للغزاوي من أن يوضح ذلك ويدافع عن نفسه ويبين حقيقة هذه الأقواس . . . ولما كان دفاعه هذا موضحاً لأبعاد هذه الزوبعة النقدية آثرنا أن ننقله هنا للفائدة . . قال الغزاوي :

(جاءني خطاب من صديق عزيز ومواطن كريم وناقد كبير وأستاذ جليل ينم عليه أسلوبه الرصين ـ وله مكانته المرموقة في الأوساط الأدبية في الداخل والخارج مؤرخ في : ١٣٧٣/٩/٧ هـ . قال فيه ـ أمتع الله به : ـ (انه قضى لحظات عذبة في قراءة مطالعاتي وتعليقاتي) وأنه تنقل فيها بين (ابن جدعان) و (مريم الصناع) و(بساتين الطائف) وما إلى هذا مما ذكره بدراسات قديمة له في الأدب القديم . . كان يخلو اليها فيسبح بين أنهارها في كتب الجاحظ ، والمبرد ، وأبي الفرج الأصفهاني وابن عبد ربه وأمثالهم . . .

ويستطرد فيقول : (هذه يا صديقي العزيز ـ ليست مجرد طرف أدبية تقدم للمتاع الروحي وحسب وانها لو اقتصر الأمر فيها على هذا لكان نعم الكفاء . . ولكنها فوق هذا ضروب من الغذاء، وضروب من الفن تحرك في الأديب كوامن الذكرى لعهد صباه . . وتخلع على الجو العابس من أجواء العمل ثوباً فضفاضاً من البسمات التي يحتاجها العامل المنهك لتبعث فيه شيئاً من النشاط يذهب بالكلال والبرود . . .

---

(١) عبد العزيز الرفاعي أحد الأدباء المشهورين في المملكة وهو كاتب صحفي ساهم في تحرير البلاد السعودية وعمل مستشاراً في مجلس الوزراء وقد عمل له ندوة ليلة الجمعة يؤمها الأدباء والشعراء وله (المكتبة الصغيرة) التي نشرت كثيراً من أعمال الأدباء السعوديين وغيرهم .

ان رأيي في هذه الشذور المنتقاة لا يقل عن رأيي في القصة الحديثة من حيث الأثر الفني الذي تتركه كلاهما في النفس وهو التبسط واستضاءة الأفق وجلاء الجو ، تلك الأمور التي تمهد للمرء أن يستقبل يومه أو ليلته الساهرة ـ ونحن الآن في ليال ساهرة كما تعلم أرجو أن نتمتع بها أعواماً طائلة ـ بجانب ضخم من حب الحياة والنشاط الى استقبال الناس وحب هذه الطرف هذا الأثر من آثار الفن الجميل . . .

ثم ينتقل الى النقد فيقول : (أما وقد وصلنا الى هـذه النقطة من الالتقـاء والتفاهم فاني أنتهزها فرصة مرحة لأسألك عن سر هذه (الأقواس) الكبيرة ترسلها بين السطور كلما مضيت بها فتودعها كلمات لا أعتقد أنها مما يودع فيها ، وليس هذا نقداً ـ ذلك ذوقك الخاص ولكنه ضرب من الدراسة والامتزاج اللذين أعلنهما لك . وليس هنا ما يشكل على القارىء من هذه الأقواس . الا أن هنا ما يصـدم بعض الأذواق ومنها ذوقي . . . وليس هذا وحده بل ان فيها ما يقلقل راحة المعنى ويبعد به عن السياق الفني فيحدث نشازاً كنشاز الملحق يقلل من قيمة الأثر فينا . . واليك مثالاً من هذا :

(كتبت في طرفة بـن جدعان هذه الجمل هكذا : (وكنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان (صكة عمي) ـ يعني في الهاجرة ـ وسميت الهاجرة (صكة عمي) لخبر ذكره أبو حنيفة . الخ . .) والقارىء الحديث يفهم من هذا الوضع أن جفنة ابن جدعان كانت تسمى (صكة عمي) لولا تفسيرك بعد ذلك لها بالهاجرة. وهذا التفسير يغنيك عن القوسين بل يحتم إلى طرحهما حتى لا يقع القارىء الحديث في فهم مضـطرب حيث تشعر الجملة الأولى أن صكـة عمي من أسماء الجفنـة . . ويخبره التفسير بصراحة أنها الهاجرة . . فكأن هنا كاتبين اختلفا في الرأي أحدهما يقول بالمعنى الأول والآخر يخالفه بالمعنى الثاني لأن هذين القوسين ـ ولا مؤاخذة يا صديقي العزيز ـ لا يوضع بينهما الا اللفظ المكرر لمعنى ما قبله ، أو الفضول من الكلام أو الجملة المعترضة التي يمكن الاستغناء عنها . . .

ولا أقول هذا تعليماً لك فأنت من شيوخ أدبائنا وأنت تعرف أنني عندما فتحت عيني على الأدب والحياة وجدت قبلي الغزاوي ومحمد سرور وعمر عرب ومحمد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بياري ، وسعيد عمودي ، وعبد الوهاب آشي وهم في أوج مجدهم الأدبي وانما هي ملاحظة فيها الدالة وروح الإخاء المنبث أكثر مما فيها من عجرفة النقد . . . ولو شئت أن أتناول كل قوس من أقواسك لكان مصيره هذا المصير . . .

ومثال آخر صغير : قولك : (فاذا اجتمع ذلك (مكوك) بعته) ان هذين القوسين لم يجنيا على الذوق والمعنى وحدهما ولكنهما جنيا على النحو واللغة فجردا الاسم المنصوب من التنوين والألف . وأنت لا تخطىء عند التفتيش كثيراً من هذه الأمور . . فهل لي أن أدعوك الى اهمال هذه الأقواس ؟؟ أم أن هنا عقدة ملازمة يخضع لها القلم . والقلم من وراء النفس ، وكيف دار الأمر فالموضوع دعابة طريفة فيها تقدير مجهودك ونشاطك وامتاعك ولن يهمك ما فيها من الدغدغة فاني أخوك . .) .

وقد أجاب الغزاوي على ذلك بقوله :

(وتعليقي على ذلك أوجزه في كلمات مع شكري للأستاذ الكبير . . أولاً ـ إن عقدة (الأقواس) متمكنة مني وما زلت أدمن استعمالها ـ ان صح هذا التعبير ـ في شعري ونثري . . وطالما لاحظ عليها الكثيرون . . ولكن هيهات . .

الأمر الذي اضطرني أن أعهد الى تحرير الجريدة ـ بأن يعقب عليها ويجري فيها ما يجب من الشطب والحذف والتعديل . . فإذا كان هناك مؤاخذة فعلى صديقي (الأستاذ عبد العزيز الرفاعي) حيث لم يتسع وقته لهذا . . أو رأى أن يظهرني على حقيقتي . . . وما أراني مسؤولاً بعد ذلك الا عن بذل أقصى ما يمكن من التحري في حذف الأقواس . . ولو أنها وردت في هذه الكلمة أكثر من مرة بدافع المصلحة أو الضرورة لاضافة القول لصاحبه . . .

ثانياً ـ إن الجناية على النحو واللغة . . تكون في محلها حقيقة لولا أن الجملة نفسها قد سقط منها عند رصف حروفها حرف (من) ـ فتكون صحتها كالآتي :

(فإذا اجتمع ـ (من) ذلك مكوك بعته) . .

ثالثاً ـ أما الادعاء بأن الكاتب الكريم ـ ولا يخفى على الراسخين وحتى

الناشئين قد فتح عينيه على الأدب والحياة ونحن في أوج مجدنا الأدبي . . فان أخص ما يقال في ذلك أنه يريد أن يكون حينئذ دون العشرة من الأعوام . . ولكني أستطيع أن أقول جازماً أنه قد فرغ اذ ذاك من تقديم كثير من بواكير انتاجه القيم بوعي لا يكاد يتوفر في غيره ممن تجاوز سن العشرين على الأقل . . . مهما بلغ به الذكاء وارتفع به التفكير والإدراك . . . وأذكر بهذه المناسبة أن نزاعاً نشب على السن بين شيخ العروبة أحمد زكي باشا وأمير البيان شكيب أرسلان رحمهما الله تعالى وتناقلته الصحف والرواة . . وكان فيما رد به شيخ العروبة قوله : (حدثني أبي عن جدي أن عجائز وائل كن يجتمعن حلقات حلقات . . . ويتناشدن جمال المشيب في وجه الأمير شكيب) . .

ولا كذلك الحال مع صاحبنا إلا أنه في سنه الحقيقي لا يبعد عن إخوانه الذين عدهم إلا أن يكون الفرق شهوراً لا تبلغ العام . . أما هو في عمره الأدبي فانه أطول زمنا وأخلد ذكراً وأبقى أثراً ونسأل الله له دوام الصحة والشباب وقوة البصر ونور البصيرة وطول البقاء . . .

يقول شيخ جليل وعلامة نبيل في جدة في خطاب له بتاريخ ١٣٧٣/٩/٩هـ . (جاءتني نتف وطرائف لم أجد اسمكم عليها فعلمت من حسن الاختيار أنها من مشكاتكم المضيئة) هذه هي أقوال الغزاوي في الرد على من انتقد (أقواسه) الكثيرة في شعره ونثره . . أما النقاد الذين انتقدوا (تعليقات ومطالعات) الغزاوي ولم يعجبهم هذا النوع من الكتابة الأدبية فمنهم ناقد لم يصرح باسمه أرسل رسالة الى الغزاوي يقول فيها :

(دعني أصارحك . . . وأرجو أن يتسع صدرك لاقتراحي الصريح هذا وأن يكون له صدى في نفسك . . . ان المجتمع يعاني من مشاكل عظيمة : منها تأخر الأخلاق، ومنها الشحاذة التي تشوه منظر البلد الكريم ومشاكل البيت والأسرة والزواج . . .

(إن من الواجب عليك أن تختار كل أسبوع مشكلة من تلك المشاكل وتعالجها لنا في أسلوب يتفق وعقول القراء جميعاً . . . وترينا وتكشف لنا عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النتائج السيئة التي تسببها كل مشكلة . . . وتضعها أمام أعين المسؤولين ليكافحوها . . وما أحرانا أن نطهر بلدنا الحبيب من كل مشكلة اجتماعية خطرة تهدد وعينا القومي وتنذرنا بجفاف احساسنا وشعورنا . . .

ثم يقول : (ما أحراك أن تختار مشكلة وبيئة في باب (مختارات وتعليقات) بدل أن تطلعنا على ما في بطون الكتب القديمة التي لا يتذوقها الجيل الحاضر . . . وأظنك يا سيدي من أولئك ـ بل أحتم ـ أنك من أولئك الذين يودون أن يخرجوا لوطنهم العزيز جيلاً صالحاً كريماً وأن ما تكتبه في بابك لم يلاق نجاحاً وصدى في نفوس الجيل الجديد الذي يتعطش إلى دراسة تجارب كل رجل خدم بلاده أمثالكم . . ليستفيد منها . . . لا أن يطلعه على شيء ليس هو في حاجة اليه الآن وأظن أنني صارحتك صراحة جريئة فأرجو أن يتسع صدرك لدراسة اقتراحي هذا وكم أكون شاكراً ومقدراً عندما أعرف أن اقتراحي هذا لاقى منكم العناية)اهـ . . .

وقد أجاب الغزاوي نفسه عن هذا الخطاب بجواب واقعي موضوعي إذ قال :

(وأعدت تأمل هذا الخطاب مرات . . وشكرت كاتبه على وطنيته وصراحته وعدت بالذاكرة الى ما سبق أن عالجته في (المطالعات) فكان من بينه أيضاً : (النظافة والتسول والتشجير والتنظيم) وما من مشكلة نشرت إلا كانت ذات هدف أدبي أو مادي في (أسلوب الحكيم) وقد يكون الكاتب معذوراً أنه لم يستوعب كل ما نشرته لما أنني لست معنياً بمعالجة المشاكل في (صحيفة البلاد السعودية) كمحرر مسؤول وتحرير الجريدة نفسها لم يبرح يوالي التوجيه والتذكير في كل ما يتصل بالمصالح العامة . . . ويتلقى الرد من المسؤولين عن كل موضوع يهم الجمهور . . .

أما أن الجيل الجديد . . . لا يتذوق ما أنشره فاني أرى أنه على عكس ذلك فان من القراء من لا يزال يصر على موالاة النشر في إلحاح وانشراح كما سبق في صدر هذا المقال وكما أتلقاه مواجهة من كل من قابلت من الأدباء والمتأدبين وما على قلم التحرير الا أن يستجيب إلى قرائه جملة وتفصيلاً . . . وقدماء ومحدثين . .

ويراعي النسبة بين الفريقين حتى لا يضيق أحدهما ذرعاً بالآخر . . ولا بد للمنصف من إتاحة الفرصة للجميع في كل ما هو مشاع بينهم ، والناس الخ . . والناس أذواق . . ولكل كاسدة سوق وعلاج المشاكل وحلها إنما يعني الجهات المتصرفة ذات الصلاحية والمسؤولية والتعقيب . . .

وكلمة أخيرة . . . لماذا لم يتقدم صاحب الاقتراح بالكتابة فيما يعن له أو يعرض من دواعي النقد والتقريظ وما ينقص الفكر والبيان والحمد لله . . وهو بزمانه أبصر وبما يلائمه أحذق ؟؟؟ أظن أن من حقه أن يفعل ذلك إذ من الواجب عليه ألا أن يكون له من ظروفه الدراسية ـ ما يستوعب كل وقته وهمه وتفكيره ـ وانه لمن بواعث الفخر والسرور لنا معشر الشيوخ أن نجد بين الناشئة هذا الاستعداد وهذا الطموح المشكور . . وهلا نظرت إلى يوميات رئيس التحرير . . . ومقالاته الافتتاحية المركزة فما من يوم صدرت فيه الجريدة إلا وكان صدرها محلى بكلمة تعالج موضوعاً مستقلاً من المواضيع العامة . . وهلا تابع ما ينشره سكرتير التحرير في أسبوعياته ؟؟ وكلها ذات اتصال وثيق بما يهدف اليه ؟؟؟ .

اللهم غفرا . . . ونسأله الهداية والسداد والتوفيق . . .)[1] .

وقد أشاد الشيخ عثمان الصالح بعلم الغزاوي وأدبه وأنه موسوعة تراثية لغوية ، جارى ثقافة عصره وعلمه ، وأدرك ما حوله بشمولية واعية متيقظة . . فكان الرجل دائرة معارف وقد قدم جليل الأعمال للغة العربية وللأمة الاسلامية وانه علم من أعلام الجزيرة العربية ورائد من روادها وما قاله فيه ينم عن ادراك الرجل لقيمة هذا الأديب الكبير : ـ

(من الأربعينات وإلى ما بعد خمسين سنة والمرء يتطلع الى أي مناسبة من المناسبات في الدولة ليسر بها وليسمع في هذه المناسبة أو تلك . . . قصيدة يغرد بها الشاعر الكبير (أحمد ابراهيم الغزاوي) . . . كما أننا كنا نتطلع في يوم عيد النحر يوم الحج الأكبر الى الحفلة الكبرى لنسمع حوليته الرائعة . .) .

---

(١) المصدر : صحيفة البلاد السعودية السنة ١٨ العدد ١٥٥٦ ص ٤ في ١٣٧٣/٩/٢١هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يتطرق الشيخ عثمان الصالح لذكر شاعرية الغزاوي وانه كان تجديداً لشاعرية زهير في حولياته والأعشى في مدائحه ، والنابغة والمتنبي والبحتري ثم يقول :

(واليوم وقد صك مسمعنا نبأ وفاته فإننا بهذا نكون قد خسرنا ركنا مهما في عالم الأدب وفقدنا في المناسبات المرموقة ذلكم الشخص الوحيد الذي لم يغرد أحد تغريده باستمرار وتوال) . . .

ثم يقول :

(ونجده في الثقافيات إماماً وحجة . . . ونجده في الميادين الاجتماعية العامة لا يشق له غبار ، ولا يترك شاردة ولا واردة إلا طرقها مما لا أحصي ذلك عدداً ولا أحصره ان الأستاذ الغزاوي رحمه الله عالم وأديب ، ومؤرخ ، وباحث ، علمه منشور مذكور . . وأدبه معلوم مشهور . . . وتاريخه وبحوثه مبثوثة في آفاق مجلاتنا وجرائدنا وبحوثه شائعة في مجلة المنهل . . انه علم من أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب . . وعندما يتصدى لنشر (شذراته الذهبية) أديبنا وأستاذنا عبد القدوس الأنصاري فيجد العالم القارىء الأديب والشاعر أمامه سفراً من الأسفار لا يقدر بثمن ، سيجد أمامه سفراً كله درر وجواهر وقلائد عقيان) .

(انني لا أدري بمن أعزي في شيخنا الجليل الغزاوي رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، فإن عزيت الدولة فهي حرية بذلك . . فلقد فقدت لساناً وشعراً فواحاً ونثراً رائعاً . . هو في كل مجال ، هو من الرواد المخلصين الشائدين بزعامة الملك عبد العزيز مؤسس المملكة وعاهل العرب الناهض رحمه الله ، فلقد أرسل اليه يوم زار مصر ليتصارع مع شعراء مصر وكان الأول بين الشعراء حسب شهادتهم . .

وإن أردت أن أعزي الأدباء فقد سبقوني الى البكاء عليه والأسى لفقده . . وان عزيت مجلة المنهل فان صاحبها حري بأن يعزى فيه ، فقد كان له صديقاً حميماً وركناً ركيناً من أركان مجلة (المنهل) . . اذن فاننا نعزيهم جميعاً . . ونسأل الله له الرحمة والمغفرة ، ولذويه ولقارئي أدبه وعلمه الصبر والسلوان ، ونرجو أن يكون

للدولة عناية وتقدير له بالصورة المأمولة التي تراها . . وما ذلك على (خالـدنا) العظيم وولي عهده الأمين ، بعزيز)[1] .

وقد كان الجميع يتسابقون الى نشر مطالعاتـه وشذراتـه فإذا غـادرتهم هذه المطالعات والكتابات إلى صحيفة أخرى أسفوا وتألموا وعتبوا وحزنوا على ضياع هذه الثروة من أيديهم . . .

وقد كتب الشاعر الكاتب الأديب فؤاد شاكر رئيس تحرير (البلاد السعودية) كلمة حب وعتاب بعد أن عزم الغزاوي على نقل (مطالعاته) من البلاد السعودية الى جريدة أخرى فأشاد بأهمية هذه المطالعات بأبيات شعرية رقيقة تدل على تأثر الشاعر فؤاد شاكر بقوله :

(باقة نفيسة . . ألهمتها حبي للبـلاد وحبي للمطالعـات التي كان يكتبهـا البحاثة الأستاذ ابراهيم الغزاوي في جريدتي وكنت أقوم بتصحيحهـا . . غير أن الأخطاء المطبعية لا تخلو منها أي صحيفـة فكان يشتكي إهمـالنا علمـاً بأنـا كنا حريصين على إخراجها بدقة ـ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ـ . . . فذرفت عيناي دموع الفراق والحرمان الذي حدث فجأة فصرخت :

هجـروني حينمـا أينـعت حـبي ... ونسـوني بـعـدمـا ذوبت قـلبي
وأدونـي فـي شـبـاب حـالـم ... عـقـمـوني وأنـا بـكـر ألـبي
أنكـروني بعـدمـا أنجبت طفـلاً ... حـرمـوني للذي كـنـت أربـي
خـطفـوا فـلذة كبـدي بـغـتـة ... فغـدوت تـائهـاً في كـل درب

أنصفوني

كيف تنسى عـاشقيـك الأقـدمين ... لـعـروس في بـكـور تستكين
بخلوا تـقبيـل ثغـري بـمـداد ... وتنـاسـوا ذلـك الحب الـدفين

---

(١) المنهل : السنة ٤٧ مجلد ٤٢ رجب ١٤٠١هـ مايو ١٩٨١م ص ٤٩٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنا من عاشرته دهراً طويلاً ... وتحملت العنا منذ سنين
أنا من كنت أرى فيه دواماً ... يقظة الواعي ووعي الملهمين

أنصروني

هل ترى ما ذنب هجري ... غلطة إذ لست أدري
يخطىء الانسان مهما ... كان ذا رأي وفكر
إنه لحم ودم ... وضجيج الطبع يغري
تسقط الأحرف منه ... ثم يرمونني بعقر

أعذروني

نقل مدادك حيث شئت فإنه ... سيعود يوما (للبلاد) هجيرها
وترى الفوارق حينذاك جلية ... كالشمس في الآفاق يشرق نورها
شتان ما بين الوليد ويافع ... قويت عزيمته وطال جذورها
ومنى (البلاد) نظمتها بقصيدة ... بكر تفيض بما أحس بحورها

أذكروني

أين من عيني تلك الشذرات ... يا حبيب النفس يا لحن الحياة
يا بيان السحر بين الكلمات ... يا نسيم الصبح يوم الجمعات
يا عبير الفل بين الطرقات ... ضمني من قبل أن يأتي الممات
نثر الورد لهاتيك وهات ... من رياض العلم حلو الذكريات

ـ ربيب البلاد[1] ـ

وقد أشارت البلاد السعودية إلى عديد من الرسائل المؤيدة لهذا النوع من الكتابة من ذلك رسالة تقول :

(١) المصدر : جريدة البلاد السعودية ع ٢٣٣٥ السنة ٢١ في ١٣٧٦/٥/٢٤هـ .

(تحية وبعد . . . ان لي شغفاً بالاطلاع على كل ما أنتجه وينتجه أدباء العروبة القدماء والمعاصرون . . . ولا أخفي عليكم أني كنت أحسب أن مصر ولبنان هما موطنا الفكر بالشرق العربي في العصر الحديث ولكن منذ أن دأبت على قراءة ما تنشرونه في جريدتكم الغراء من (مطالعات وتعليقات) للأديب أحمد ابراهيم الغزاوي عجبت لهذا القلم الذي لم يسمع به العالم العربي الشقيق ولا بأسلوبه الرصين المتماسك الشاعري العميق ، أرجو أن تواصلوا نشر مطالعاته وتعليقاته ولكم الشكر)[1] . . .

ومن الأدباء الذين تحدثوا عن مطالعات وتعليقات الغزاوي ـ الشيخ عبد الله ابن محمد بن خميس . . فقد ذكر في مقال مقرظا هذه التعليقات ومادحاً لها في مقدمة كلمة حول ليالي جمادى التي كتبها الغزاوي فقال عنها :[1]

(لشاعرنا الكبير الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوي في نفحات قلمه طلاوة وحلاوة ، وإبداع وامتاع لأنه يسوقها بأسلوب رائع جذاب ، يغري القارىء بمتابعته ، ويجمع بين قصص الماضين ، وتنبيه الآخرين ، في لغة جزلة قويمة ، وبنات أفكار يتيمة . . وقد وقفت عند إحدى هذه الفقرات المنشورة في يوميات الندوة عَدد ٢٧٢ وتاريخ ١٣٧٩/٦/٢٠هـ وهي (ليالي جمادى) حينما علق الشيخ على قول مرة السعدي :

(في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا

قال : ومن هذا يظهر أن الشتاء كان يتفق حلوله في شهري جمادى الأولى والثانية في الجاهلية كما هو الآن . انتهى . .

وليسمح لي الأستاذ أن أسأله ، كيف يتفق حلول الشتاء في شهري جمادى الأولى والثانية دائماً في الجاهلية ونحن نعرف استدارة الشهور القمرية على سائر فصول العام ، ولو قلنا إن هذا بالنسبة لزمن قائل البيت ، وفي المناسبة التي قيل فيها ، لوجدنا ان غيره من الشعراء ممن بعده قد طرقوا هذا المعنى أمثال لبيد بن ربيعة العامري والحطيئة وهما من المخضرمين . .

---

(١) المصدر : البلاد السعودية ع ١٦٠٦ في ١٣٧٣/١١/٢٥هـ . .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن ألا تكون جمادى هذه اسماً لغير الجمادين المعروفين ؟؟ وتطلق على نفس فصل الشتاء ؟؟ ان هذا ما جزم به شارح المعلقات السبع . . أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني على شرحه لقول لبيد بن ربيعة العامري . . .

حتى اذا سلخا جمادى ستة جزءاً فطال صيامه وصيامها

قال : وجمادى اسم للشتاء سمي به لجمود الماء فيه ، ومنه قول الشاعر : ـ

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا

نفس البيت الذي أورده أستاذنا الغزاوي .

فما رأي أستاذنا حول هذا ؟؟؟)

وقد كتب الأديب عبد القدوس الأنصاري في صحيفة البلاد مقالاً يجعل منها غذاء فكرياً مركزاً وأنها وسيلة ذات أهمية بالغة لربط الحاضر بالمستقبل ولاستخراج الدفين واستخلاص الجميل الصالح منه لينير الطريق ، وفتح كل مغلق فنرى الصالح فنتبعه وندرك الطالح فنجتنبه ، وهي كالحديقة جميلة الألوان المنسقة التي تعذق بالأثمار والفواكه . . . : ـ) .

(هذا إنتاج أدبي زاخر مركز . . كحبوب الطعام المركز التي يحدثنا عنها العلماء بأنها ستكون يوماً ما غذاء الانسان يستغني بها عن أكداس الخبز واللحم والخضراوات التي يحشو معدته منه حشواً في كل آن . . .

هذا ما كنت أقوله لنفسي كل ما أفرغ من مطالعة (مطالعات وتعليقات) الأستاذ البحاثة الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي التي تنشرها له (البلاد السعودية) الغراء بين الفينة والفينة . .

والواقع الملموس ان من أهم ما ينقصنا لتدعيم نهضتنا الفتية استيعاب تاريخنا المديد في مده وجزره . . وفي تمدده وتقلصه . . وفي ارتقائه وانحطاطه . . والالمام بالجزئيات والدقائق التي تؤثر أو تتأثر بكل ذلك ، حتى نستطيع معرفة المهاوي والمزالق فنجتنبها وحتى نستطيع معرفة القيم والأهداف الصالحة فنعتنقها . . ونقويها في مجتمعنا ، وتكون قدوة لحاضرنا ، ومرآة لمستقبلنا ،

تعكس عليه صور الأخلاق العالية والمجتمع الرفيع ، والسمات الحميدة ، التي يقوم عليها بناء المجتمع في هذه البلاد أيام مجدها الشامخ فتضيء لنا المستقبل الحفيل وتنير لنا الطريق ، وتفتح كل مغلق ، . . . ومع الأسف فمع أن ألمع جوهرة في العالم الاسلامي هي هذه البلاد مهوى الأفئدة فان تاريخها ومجرياته الخاصة في العهود التي تلت أوائل القرن الهجري الأول قد استأثر بها الإهمال ، ودفنت ذراتها المتناثرة في كل كتاب عربي وإسلامي فما تكاد تبين ، ولا يكاد يجمعها جامع ، ولا يربطها رابط (تفرقت شذر مذر) منذ تفرق أوائل هذه البلاد في أنحاء العالم الاسلامي فاتحين ومعمرين ومرشدين . .)[1] .

وفي هذا المقال يقترح أن يوجد لها اسماً جديداً غير الاسم الدارج ويكون جديراً بها دالاً على ما لها من أهمية ، ولاقتناعه بهذه الفكرة فاننا نراه عاجل بتسميته (لشذرات الذهب) حينما نقلها صاحبها الى مجلة المنهل : كما قال :

(واليوم نحيي أستاذنا البحاثة أحمد ابراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى برغم شواغله الهامة ومسؤولياته الكبيرة فيعنى عناية مبرورة بجمع المتفرق الذي أكل عليه الدهر وشرب في بحوث موجزة مركزة شائقة العرض جميلة التنسيق منوعة الألوان كالحديقة المتسقة الملونة الأزهار والفواكه والثمار . . فلله دره وشكراً لمسعاه وثناء عاطراً على جم أدبه وتقديراً زاهراً لما يلاقيه من متاعب في سبيل البحث المغني الرتيب عن الدفائن ، وفي سبيل تبويبها وفي سبيل عرضها هذا العرض المحبب الجميل . . على أن بودي أن يكون عنوان البحث أرشق وأجمل وأدق من هذا العنوان العادي الذي لا يكشف عما بداخل الدار من رياش فاخرة وفن بديع . . . لنأخذ مثلاً بحثه عن عدد يوم ٦ صفر ١٣٧٤ هـ اننا نجد فيه (خلاصات مركزة مفيدة) عن (بردى) الحجاز الجامد الصلب الذي يناهض (بردى) الشام الجاري الهدار . . وعن الأبطح . . وسوق الليل بمكة وقدمها وقيام عمر رضي الله عنه بالحراسة فيها وحماية الحجيج والأخلاق لدى أهل هذا البلد الأمين . .)[2] . . .

---

(١) المصدر : البلاد السعودية العدد السالف الذكر .

(٢) البلاد السعودية صفر ١٣٧٤هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اقترح اقتراحاً آخر وذلك بأن تجمع هذه الشذرات وتدرس للمدارس الثانوية ففيها الفوائد المتنوعة والمعارف المتعددة . . ولا حصر لها . . وهي تربط الطالب بماضيه ومستقبله وتقارن بينهما الى جانب التجارب والآراء للشاعر نفسه . . .

(هذا النوع من الإحياء نذكره لنقدره وأنه ـ على ما أرى ـ خير ما يقدم لطلبة الثانويات عندنا من غذاء مطالعة دسم ، ذي صلة وثيقة بتاريخ بلادهم في أجزائه المفقودة وحلقاته المبعثرة . .

فحبذا لو أن وزارة المعارف التي هي ذخر البلاد تعنى بالاتفاق مع الاستاذ كاتب هذه البحوث الممتعة على جمعها في كتاب ونشره وتقريره لطلبة المدارس ، ووضعه في مكتباتها . .

اذن لكان من ذلك غنم كبير واتجاه حميد ونفع سديد . . وتجديد سعيد وأمر رشيد . . .)[٢] .

وبعد وفاة الشاعر الأديب أحمد ابراهيم الغزاوي كتب عنه صديقه الأديب عبد القدوس الأنصاري مقالاً أبان فيه ـ في معرض حديثه عن النثر ـ بأن أدب الغزاوي فيض زاخر يتسم بالطراوة والطلاوة . . . إلى جانب حديثه عن مكانته الأدبية . . . فقال : (أما نثره فحدث عن البحر ولا حرج . . فأسلوبه يتسم بالدقة والطراوة والطلاوة وكما هو شاعر قدير فهو أيضاً ناثر كبير وقدير . . وإذا راجع القارىء أعداداً من أعداد مجلاتنا وصحفنا اليومية والأسبوعية والشهرية فانه سيجد فيضاً زاخراً من نثر الغزاوي الفياض الذي تهطع الأذهان المتفتحة إلى تلقفه للاستنارة به في متاهات الحياة بلطف وكياسة وحسن أداء . .)[٣] . . .

ومن خلال دراستي المستفيضة للمطالعات والتعليقات والشذرات فاني أوجز رأيي فيها كالآتي :

---

(٢) المصدر : البلاد السعودية المصدر السابق .

(٣) المنهل : السنة ٤٧ المجلد ٤٢ جمادى ٢١ ١٤٠١هـ . مارس وابريل ١٩٨١م .

أولاً : دأب الغزاوي على المطالعات الحرة . . فهو يتناول أي كتاب من الكتب القديمة والحديثة وأحياناً المجلات العربية والمحلية ويدرسها دراسة واعية . . ومن خلال ذلك تتوارد عليه الخواطر التي تدور في فلك كل جزئية . . فإذا رأى أن له فيها عبرة وعظة أو فائدة تاريخية أو تصحيح لغوي أو تحديد لمكان مجهول فانه يبادر إلى اقتباس بعض أجزاء النص مشيراً إلى قائله ومناسبته ويحدد عصره ومولده ووفاته والمصدر الذي أخذ عنه . .

ثم يصدر تعليقه على ذلك بقوله : (قلت) ويبدأ بالتحليل والتعليل في أسلوب تفسيري تحليلي بكلام موجز يميل الى التظرف والتفكه والدعابة المليحة التي لا تذهب بوقاره ومكانته العلمية والاجتماعية . . ، ويجتنب النقد اللاذع والسخرية الممقوتة وتمتاز أقواله بالعقلية الناضجة والأسلوب الجزل واللغة الفصيحة ، والغزاوي يفتح أبواباً للبحث والتنقيب فهو يجري حواره مجرى الباحث الذي لا يجزم حتى تكتمل الأدلة لديه . . بل ويتأنى ويدعو أهل العلم إلى الإدلاء بآرائهم فإذا ما ورد إليه شيء من ذلك فإنه سرعان ما يكتبه وينشره ويعترف بخطئه ويشيد بالنقاد الذين يوجهونه إلى طريق الصواب . . فإذا ما استعصت عليه مسألة من المسائل فإنه يلجأ الى صديقه (عبد القدوس الأنصاري) فيدعوه إلى ايضاحه وربما طلب من غيره ذلك ، شأن طالب العلم الذي لا يخجل أن يقول لا أعلم ويلجأ الى أهل الذكر إن كان لا يعلم . .

وهو يصرح بأن الهدف من مطالعاته هو ربط الماضي بالحاضر والغوص وراء الحلقة المفقودة من تاريخ البلاد وتحديد الأماكن التي اندثرت مع وجود أسماء لها في بطون كتب التاريخ والأدب . . . وإحياء كلمات لغوية عربية فصيحة والارشاد إلى تصحيح أصول كلمات عربية متداولة . . والتنبيه على كلمات دخيلة غير أصيلة ، فيحذر منها ويأتي بما يقابلها من الفصيح الصحيح . . .

وكثيراً ما يتناول أسماء الأماكن فيذكر ما يعرفه وما استخرجه من ثنايا الكتب ، ويسرد الأراء والحجج حول الموضوع التي يرجح بها آراءه وكنه في قاعة محكمة يطلب لموكله البراءة بالأدلة الناصعة المفحمة القوية . . وقد يطلب من أهل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاختصاص ـ أصحاب الديار ـ تصحيح ما يرونه خطأ في هذا . . .

وقد أكمل بهذه الطريقة وأوفى في التدقيق عن جبال مكة وأمكنتها وأوديتها وأحيائها كما عرج في بحوثه على الطائف وأمكنة كثيرة في الحجاز . . والقليل منها خارج منطقته .

ثانياً : ومن خصائص أسلوبه انه يحاول إكمال الموضوع الذي بين يديه فهو يرتبط به ارتباطاً وثيقاً . . فإذا اطلع على شيء يدور حوله في كتاب أو صحيفة أو غيرهما فانه يعود الى طرقه من جديد مذكراً به ومشيراً الى ما كتب سابقاً . .

ونظراً لاتباعه هذه الطريقة فاني ألحظ تكراراً قليلاً في مطالعاته وكثيراً في شذراته ويعود ذلك الى ما ذكرت . . حيث يرغب في إكمال الموضوع . . فهو إذا كرره فأغلب الأحيان يزيد فيه زيادة وصلت إليه . . وربما كرر موضوعاً بذاته كاملاً غير منقوص . .

ويعود ذلك ـ والله أعلم ـ الى عدم ترتيب الأوراق لديه فلا يدري هل سبق نشره أم لا . . وربما وقع الخطأ والخلط في الصحف نفسها حيث يرسل لها مجموعات كثيرة من مطالعاته وشذرات فيقع الخطأ والنسيان . . .

وأخيراً وليس آخراً فان هذه المطالعات والشذرات تمثل مزيجاً من التراث القديم العريق في أصالته والجديد المفيد المشرق بحداثته مطعمة بتجارب الرجل الجديرة بالتسجيل والتدوين وبآرائه النيرة الواعية العميقة الجذور التي تجري في فلك الدين الإسلامي الحنيف وحب الوطن الغالي العزيز والعشق للعادات والتقاليد السليمة المستمدة من القيم العربية الأصيلة . . .

والذي يؤخذ على الغزاوي انه لا يعدد المراجع ويستقصي كل جزئية بالبحث والتنقيب والتمحيص وربما أن للرجل عذره لأنه لم يكن من الذين درسوا دراسة علمية جامعية فيخلص نفسه للبحث والتنقيب ، وانما هي مطالعات عابرة تفيد ولا تضر ، وتفتح أبواباً وترشد إلى موضوعات ذات أهمية دينية وتاريخية ولغوية . .

أضف إلى ذلك أن كثيراً من الموضوعات التي تناولها قد نالت ما تستحقه من الايضاح فقد أكملها حقاً وجلى عنها الضباب ووصل الى حقيقتها ومراميها . . .

ثانياً :

الموازنات بينه وبين بعض الشعراء

الموازنات بينه وبين بعض الشعراء
الموازنة بين الغزاوي وأبي تمام
الموازنة بين الغزاوي والبحتري
الموازنة بين الغزاوي وابن بليهد
الموازنة بين الغزاوي وفؤاد شاكر
الموازنة بين الغزاوي وأحمد العربي
الموازنة بين الغزاوي وعبد الله بن خميس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموازنة بين الغزاوي وبعض الشعراء

اعتمد تذوق الأدب على حب المفاضلة التي تخضع للأهواء تارة ، وللعقل تارة أخرى ، وللثقافة مرة ثالثة وربما تجاذبتها عوامل أخرى ، لذلك اختلفت الأحكام النقدية ، ولم تخضع لحكم قاطع ، وقد كانت للآراء النقدية أثرها في تطور الآداب العالمية من ذلك ما رأيناه في الشعر العربي فقد بدأت الموازنة والمفاضلة بين الشعراء مع بداية الشعر ولازمته جنباً إلى جنب وتطورت بتطوره حتى رأينا كتباً تختص بها مثل كتاب الموازنة للآمدي والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني والموازنة بين الشعراء للدكتور زكي مبارك وغيرهما . .

وإن الآداب العالمية في حركة دائبة يؤثر كل منها في الآخر ، والأدباء ينهلون من تراث أمثالهم من المتقدمين والمعاصرين ، فيستفيد كل أديب من عصارة أفكار الآخرين ويصقل فكره ذلك أن الأدب كالبناء يبنى بعضه على بعض ومن ثم كان لا بد لنا لكي نقيم الأديب وآدابه أن نقارنه بغيره ، حتى تتجلى صور الإبداع ، وصور المماثلة ، وما اقتبسه من غيره ، وما أخذ عنه غيره ومدى براعته في المعاني وتوليدها وما مدى انتقائه للألفاظ واختياره للتراكيب ، وإخراجه للصور ، وما منزلته الفكرية والأدبية بين الأدباء ، ويلزم لمن يتصدى لهذه المقارنة ويصدر هذه الاحكام في ميدان الادب أن يراعي الامور التالية : -

(١) أن يتجرد من اهوائه وميوله ، وأن ينظر في مادة الأدب ذاتها ويفحصها ليتبين الزائف منها والأصيل ، ويقوم بتحليلها مدللاً على كل رأي بالحجج والبراهين ويجب أن يكون عمله معتمداً على التفسير والتعليل .

(٢) أن يتعرف على البيئة العامة والخاصة للشاعر بهدف الوصول الى اعماق نفسه وما يحيط به فيجلو جوانب عصره ويدرك ميزاته ويطلع عن كثب على بيئة الشاعر ونشأته ومصادر ثقافته ، واتجاهاته الدينية والأدبية ، وكلما كانت المعلومات

والاستنتاجات صحيحة كان الحكم أقرب إلى الصواب .

(٣) ويجب أن يضع الناقد الأدبي نصب عينه التنازل عن الإعجاب بعصره ولغته واتجاهاته ويعامل الأديب الذي أمامه من خلال ظروف عصره وثقافته ولغته وأن يتثقف الناقد بثقافته ويعيش ظروف ذلك العصر ، ويدرس مواطن التلاقي والصلات والتأثير والتأثر سواء كانت في الأصول الفنية أو الأفكار الجزئية في العمل الأدبي حتى يستطيع أن يدرك أسراره وجماله ومكانته من أدب مزامنيه وبذلك يجلو جوانبه ويستكملها .

(٤) والذي يقارن ويوازن بين عملين أدبيين يجب أن يدرس مواطن التلاقي بين الأدب في عصور مختلفة ، والروابط الكثيرة المعقدة في حاضره وماضيه ، وما للصلات التاريخية من تأثير وتأثر وما للبلاغة واللغة وتطورها من لمسات على تلك الأعمال الفنية .

(٥) يجب على الذي يعقد موازنه بين عملين أن يتناول موضوعاً متشابهاً كأن يأخذ عملين التقيا في غرض واحد ومتماثلين في البناء والوزن والسبل الفنية ليمكن تقويمها وقياس بعضها ببعض لينظر أيهما أروع فكراً ، وأصدق تعبيراً وأجود لفظاً ، وأغزر معنى ، وأقوى سبكاً ، وأصدق عاطفة .

(٦) يجب على من يتصدر للموازنة أن يبني عمله على التفسير والتحليل والتعليل فيذكر وجوه الاشتراك ، وما يطرأ من زيادة ونقص ، ويبرهن بالحجج القاطعة على أسباب التفرد في كل منهما ، ثم يوازن بين ما اشتركا فيه ثم يدلي برأيه في أسلوب يكون أقرب إلى الظن منه إلى الجزم لأن العمل الأدبي لا يخضع لميزان واحد ولحكم واحد وقد أشار الى ذلك الآمدي فقال : ـ

(ولست[1] أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي ، لتباين الناس في

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ١ : ٥ لابي القاسم الحسن بن بشر الامدي تحقيق السيد/ أحمد صقر ـ دار المعارف بمصر .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العلم ، واختلاف مذاهبهم في الشعر ، ولا أرى أن يفعل الناقد ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين ، لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر؟ في امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولا في جرير والفرزدق والأخطل . . .)[1] .

من هذا المنطق فإنني اشرع في موازنة الغزاوي مع غيره من بعض الشعراء القدامى والمحدثين لكي أصل إلى معرفة مكانته الأدبية ، وقيمة إنتاجه بين الادب العربي .

الموازنة بين الغزاوي وابي تمام [1]

أبو تمام أحد الشعراء الذين اشتهروا في عصرهم ، وقد نادم الخلفاء وصحبهم وكان أثيراً عند المعتصم الذي استدعاه إلى ديوانه وقربه من مجلسه وآثره على الشعراء ، كما أتيح له الاتصال بقادة الجند والأمراء من أمثال محمد بن حميد الطائي .

أما الغزاوي فمشهور اتصاله بالملك عبد العزيز وأبنائه من بعده ، وهو لم يحصر نشاطه الشعري في المدح فحسب إنما له فيض من الشعر الوطني والاجتماعي مما يوحي بتفاعله مع المجتمع .

---

(١) هذا الموضوع مستوحى من الموازنة للآمدي ، والموازنة بين الشعراء وكتاب الشيخ / محمد بن بليهد للدكتور / محمد بن سعدا بن حسين وكتاب الادب المقارن للدكتور / محمد غنيمي هلال .

(٢) حبيب بن أوس الطائي ولد ونشأ في قرية يقال لها (جاسم) بناحية منبج غير بعيد من حلب وقد عارض بعضهم انتسابه لقبيلة طيء وقالوا ان اباه خماراً بدمشق وقد قيل عنه : ـ

خرج من قبيلة طيء ثلاثة ، كل واحد مجيد في بابه ، حاتم في جوده ، وداود بن نصير الطائي في زهده ، وابو تمام في شعره ، وكان يهتم بالعلم والادب وقد درس في الشام ثم سافر الى مصر وعمل في سقاية الماء في مسجد عمرو الى جانب سماعه للحلقات وانتظامه فيها حتى نبغ في الشعر واحبه ثم اتجه الى المعتصم في بغداد ولازمه وسافر الى خراسان وعمل في بريد البصرة وكان عالماً شاعراً مبدعاً متوقد الذكاء حاضر البديهة وتوفي في الاربعين من عمره .

انظر تاريخ بغداد ٢٤٨/٨ وفيات الاعيان ١٢/٢ اخبار ابي تمام للصولي الاغاني ١٠٠/١٥ بولاق .

ويجمع بين الشاعرين الثقافة العالمية التي اعتمدت على عصاميتهما ، فكل منهما ثقف نفسه ونمى شاعريته ، وشحذ ملكته ، فحفظ أبو تمام من أشعار الأقدمين الفيض الغزير حتى قالوا : إنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب عدا القصائد والمطولات ، وكان للينابيع الثقافية التي نهل منها أثر على تنوع ثقافته فقد جالس علماء دمشق ، الفسطاط ، وبغداد والبصرة ، وله أكبر الأثر في تكوين شاعريته وإبداعه وإتقانه لفنون الوصف وإتساع أفقه كل هذه العوامل أتاحت له التجديد والإبداع حيث ولّدت في شعره معاني جديدة من قدح الفكر ، وألواناً بهيجة من كدح الخاطر .

أما الغزاوي فاشتهر بعودته إلى التراث ، ونهل من معينه عن طريق جهده الفردي وسهر الليالي ، ومجالسة العلماء ، والندوات الادبية ، حتى استطاع الإجادة ، كما أجاد أبو تمام والبحتري وله من الشعر ذي الديباجة المشرقة والمعاني العميقة ما يحاذيهما .

وقد اشترك الغزاوي مع أبي تمام في إجادة المدح والرثاء معاً ان لم يبزه في بعضها ، لأن أبا تمام لم يعمر طويلاً بينما الغزاوي تجاوز الثمانين من عمره وأما المعتقد فإن الغزاوي رجل مؤمن حقاً صافي العقيدة ، ملتزم بالتعاليم الإسلامية لكن أبا تمام يطعن في دينه أحياناً لما روي عنه « أنه كان يحمل ديواني مسلم بن الوليد وأبي نواس أينما ذهب .

وقد سئل عنهما وكانا في شكل حزمتين من الأوراق واحدة عن يمينه والأخرى عن شماله فأجاب : أما التي عن يميني فاللات ، وأما التي عن يساري فالعزّى وأنا أعبدهما عشرين سنة »[1] وسنعرض بالموازنة لقصيدتين لابي تمام والغزاوي اشتركا في عرض واحد هو الرثاء .

---

(١) الشعر والشعراء في العصر العباسي ٦٣٧ د/ مصطفى الشكعة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(نص قصيدة ابي تمام)[1]

١ ـ كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

٢ ـ توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

٣ ـ وما كان إلا مال من قلّ ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

٤ ـ وما كان يدري مجتدى جود كفه ... إذا ما استهلت أنه خلق العسر

٥ ـ ألا في سبيل الله من عطلت له ... فجاج سبيل الله وانثغر الثغر

٦ ـ فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر

٧ ـ فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

٨ ـ وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

٩ ـ وقد كان فوت الموت سهلاً فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

١٠ ـ ونفس تعاف العار حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

١١ ـ فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

١٢ ـ غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

١٣ ـ تردى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

١٤ ـ كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

١٥ ـ يعزون عن ثاو تعزى به العلا ... ويبكي عليه الجود والبأس والشعر

١٦ ـ وأنى لهم صبر عليه وقد مضى ... إلى الموت حتى آستشهدا هو والصبر

١٧ ـ فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ... ولكن كبرا أن يقال به كبر

١٨ ـ وقد كانت البيض المآثير في الوغى ... بواتر فهي الآن من بعده بتر

١٩ ـ أمن بعد طي الحادثات محمد ... يكون لأثواب الندى أبداً نشر ؟

٢٠ ـ إذا شجرات العرف جذت أصولها ... ففي أي فرع يوجد الورق النضر

٢١ ـ لئن ابغض الدهر الخؤون لفقده ... لعهدي به ممن يحب له الدهر

---

(١) ديواني أبي تمام ٤ : ٧٩ .

٢٢ ـ لئن غدرت في الروع أيامه به فما زالت الأيام شيمتها الغدر
٢٣ ـ لئن ألبست فيه المصيبة طيىء فما عريت منها تميم ولا بكر
٢٤ ـ كذاك ما ننفك نفقد هالكاً يشاركنا في فقده البدو والحضر
٢٥ ـ سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصه وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر
٢٦ ـ وكيف احتمالي للسحاب صنيعة بإسقائها قبراً وفي لحده البحر ؟
٢٧ ـ مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر
٢٨ ـ ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر
٢٩ ـ عليك سلام الله وقفاً فانني رأيت الكريم الحر ليس له عمر

* * *

(نص قصيدة الغزاوي)

١ ـ فدح الخطب ، واستطار المصاب وبكى الشعب ـ حسرة ـ والشعاب
٢ ـ وكأن القلوب توقد ـ ناراً وكأن العيون مهل ، مذاب
٣ ـ ما يقول النعاة ؟ ويحي أرجف زلزل الأرض أين مني الصواب
٤ ـ إنه الحق ـ هكذا الموت ـ فيه تتساوى الفروق ، والأنساب

* * *

٥ ـ مات (عبد العزيز) رحماك ربي أتغيض البحور ، وهي عباب
٦ ـ مات (عبد العزيز) إذ هو طود تفتديه شوامخ ، وهضاب
٧ ـ ما رأت مثله العصور ـ عظيماً (عبقرياً) ، ولا تهادى الركاب

* * *

٨ ـ (عاهل) ملأ (الجزيرة) مجداً لبسته البلاد ، والأحقاب
٩ ـ طأطأت دونه (العروش) وألقت بعصاها الخطوب والأسباب
١٠ ـ واستفز (التوحيد) فيه هزبرا تتهاوى بسيفه الأنصاب

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١١ ـ أنجز الله (وعده) فيه ، حتى أسلمته زمامها الآداب . .
١٢ ـ ثقف النصر ـ والعتاد يقين واقتضى الدهر ما طواه التراب
١٣ ـ فإذا الصعب في يديه ذلول وإذا الجدب في ذراه اختصاب
١٤ ـ وإذا الدين للهداة (منار) وإذا العلم في ضحاه قباب
١٥ ـ وإذا العرب دولة ذات بأس وهي من قبله (لقى) ويباب
١٦ ـ واذا الناقمون من كل (قيل) و (وقبيل) بشدقه أنياب
١٧ ـ واذا البؤس والشقاء ، نعيم وإذا الشاة والذئاب صحاب
١٨ ـ وإذا الأرض بالكنوز تنزي وإذا المال والشراء وطاب
١٩ ـ واذا البيد بالحدائق زهر وإذا الغيد عفة وحجاب

* * *

جمع الله في هواه شتاتاً وأباة ولم يعزه ، العقاب . .
وبه استمسك البناء ، وزانت شرعة الحق ، وازدهى (المحراب)

* * *

اين امضي ؟ وكيف لي بالمعاني وسعت كل ما احاط (الكتاب)
نه للغرور ـ كل يراع فيه يكبو ـ ويعجز الاطناب
فكأني أحس قلبي صلدا أو جمادا ـ طغى عليه الضباب
إن خير البيان عندي صمت هو في معرض (الرثاء) العجاب
أفأقوى عليه ؟ إذ هو جحر فيه ألقى ، وبالشواظ أذاب

* * *

أنصفوني فلست والله الا . . (مضغة) شفها البلا واللغاب
إنني ما خفقت أصبر حزني في ارتجاع ، وقد دهاني المصاب
ما مصابي كواحد من معد بل معد بأسرها الانتحاب

بالعظيم العظيم ، يرتد عنه كل طرف ، وتقصر الأحساب
بالذي فيه كل قلب ، أو عين لهب زافر ، وحزن ملاب
بالامام (المليك) بابن سعود قاهر الخصم ، إذ هو الوثاب

* * *

إيه يا عبرة تحور اختناقاً أنت ـ لا النزع ـ للحياة استلاب
صاعق لم يذر ، ولم يبق ماء في جفون ـ غمارهن السحاب

* * *

كبت الحزن والردى كل قلب صهرته الفجيعة المتعاب
وأراني وقد شرقت حطاماً لا أعي ما أقول ، لولا المثاب
آه . . لله ما قضى ، واليه يرجع الامر كله ، والمتاب

* * *

أمة ـ كالغمام ـ تبكي (فقيداً) هو منها الضحى ، ومنها الرباب
بوغتت بالمنون ، لم ينج منها ذو اختيال ولا (نبي) مجاب
أين مني (الرثاء) فيمن تغشى (رحمة الله) ، والحنان الرحاب
كل باك عليه ، فيه سجل من ثناء ، وكل ناع كتاب
غادرتني فيه عشية أمس (باقليا) وما بعيّ أعاب
صدمة دونها أرى الصبر طفاً عزني فيه (يا أساتي) الخطاب
غير ان الإعصار يعصف عصفاً يصدع الراسيات . . كيف الذباب

* * *

ليس هذا البلاء يسبك شعرا (بالقوافي) ولا هو الإطراب
بل هو الهوى . لم أفق منه غشياً أين من واقعه الضبا ، والحراب

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مـا كـأن الـسـمـاء فـوقـي ـ الا تصهـر الارض ، وهي دوني سـراب

* * *

يـا أبـا الأيمنين مـن كـل نـدب هـو فينـا العـزاء ، والاحتسـاب
أنت مـا زلت بين شـعبـك تـحيـا في (الخلود) ـ وشـأوك الغـلاب

الـخ ....

وقد ختمها بقوله : ـ

وسـقـى الـغـيـث بـكـرة وعـشـيـا (جدثاً) ـ (بالريـاض) وهو جنـاب
فيـه يثـوي (أبـو العـروبـة) تترى (رحمـة الله) فـوقـه ، والثـواب

المناسبة : ـ

قال الغزاوي قصيدته في اليوم الذي توفي فيه الرجل الذي وحد الجزيرة وقاد نهضتها ، وجمع شملها وأمن سبلها ، وبنى حضارتها ، ونشر العلم في ربوعها إنه الملك عبد العزيز الذي توفي ١٣٧٣/٣/٣هـ .

أما قصيدة أبي تمام فقد قيلت في محمد بن حميد الطائي الذي قاد الجيوش إلى بابك الخرمي وظل صامداً في وجهه حتى ألجأه إلى الجبال ثم غدروا به فأصيب وظل يقاتلهم حتى قتل وكانت تربطه بالشاعر صلة القرابة فكلاهما طائي النسب وكلا الشخصيتين لهما مكانتهما الإسلامية وشهرتهما وذيوع صيتهما وأهميتهما لما قدماه من الأعمال الجليلة للأمة الاسلامية فكان حزن الأمة الإسلامية عليهما كبيراً اهتزت لها جوانح القلوب وذرفت عليهما العيون دماً لا دمعاً .

ميزات القصيدتين :

١) اشترك الشاعران في غرضهما فكلاهما قال قصيدته في رثاء بطل عربي مسلم وكلاهما قد شعرا بفداحة الخطب الذي نزل بالأمة الإسلامية فقال الغزاوي :

فـدح الخطب ، واستـطار المصـاب وبكى الشعب ـ حســرة ـ والشعـاب

وقال أبو تمام :

كـذا فليحل الخـطب وليفـدح الأمـر فليس لعين لم يفض مــاؤهـا عــذر

ويلاحظ أن أبا تمام استهل قصيدته بكاف التشبيه ولم تسبق بمعنى يوحي بـذلك ولكنـه أراد أن الأمر مفهـوم للجميع ، ومـع ذلك لم يسترح النقاد لهـذا الاستهلال[1] .

أما الغزاوي فانه اجتنب ما وقع فيه صاحبه فأخبر بالفداحة التي أبكت الشعب والشعاب ، وقد أضاف الغزاوي في الاستهلال على صاحبه معنى بديعاً فقد أبكى الشعب كله وتأكد من ذلك ، وأشرك الطبيعة معه في مصيبته فجعل لغير الناطق نطقاً ومن الذي لا يشعر محسّاً بالألم ، ومن الذي لا يبكي باكياً يذرف الدمع مدراراً ومع جودة ذلك إلا انه سُبق إليه فقد قالت أخت الوليد بـن طريف الخارجي فيه حين قتل :

أيـا شجـر الخـابـور مـالـك مــورقـاً كـأنـك لم تجــزع على ابن طـريف

٢) وقد تعرض الغزاوي في بيته الأول للبكاء الحار ، واتقاد النيران في القلوب وانسكاب الدموع على البطل الاسلامي الكبير ، فنقل لنا صورة نابضة عن الأثر الذي تركه فقد الملك فقد خيم الحزن على الناس جميعاً وأثر صدى وفاته في الحجر والشجر أيضاً وقد أدخل العنصر النفسي الذاتي لتكمل الصورة وليشارك الشاعر بوجدانه وقد رسم لنا صورة واقعية لكل إنسان يحدث له مثل ما حدث فهو يتخيل أن الدنيا تتغير معالمها ولا تبقى على حالها ، وربما زلزلت زلزالها وتحرك من أثر المصيبة ينتج عن ذلك حالة من فقدان الصواب من هول الواقعة وقد كان الغزاوي صادق التعبير والعاطفة كما عبر عن ذلك في قوله :

ومايقــول النعــاة ؟ ويحي ، أرجف زلــزل الأرض أين مني الصــواب ؟

---

(١) الشعر والشعراء ٦٧٤ د. مصطفى الشكعة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أردف ذلك بأبيات تدل على اضطراب نفسه وتذبذبها من هول المصيبة فتميل إلى القناعة أحياناً وتتجاوزها وتنساها مرات أخرى فيصاب بحالة هذيان ولا يستقر على قرار الأبيات ٥ ، ٦ .

ولكن أبا تمام لم يتناول الموضوع إلا في الشطر الثاني من البيت الأول حين يقول :

« فليس لعين لم يفض ماؤها عذر » فقد أشار الى بكاء الشعب عليه ، ولم يصور تلقيه للمصيبة ووقعها على نفسه ، وتأثيرها على شعوره .

لذلك نرى الغزاوي أكمل صورة وأشد أثراً وتأثيراً ، وأكثر تصويراً للتجربة النفسية ، بينما أبو تمام لم ينبىء عن حالته ولم يتعرض لها .

٣) تعرض أبو تمام للأثر الفوري لوفاة صاحبه ، فأبان أن آمال أهل نواله توفيت أيضاً بعد ما كان مالا لمن قل ماله ، وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر وقد أحسن صياغة هذه الأفكار وسبكها في قوالب لفظية جمالية ٢ ، ٣ .

أما الغزاوي فلم يحفل بذلك بل هو في شغل شاغل عنها بحال الفقيد ولم تخطر على باله ولم يعطها أهمية كحالة الآخرين الذين يذهلون عند وقع المصائب .

٤) تحدث أبو تمام عن كيفية ميتة صاحبه وما لاقاه من نعيم بعدها في معان مبتكرة استمد مادتها من حادثة سقوط البطل ـ مازجاً بينها وبين ما أعد للشهداء من أجر وثواب ينتظرهم عند الله :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

ويقول في النعيم الذي استقبله :

غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ثياب الموت حمراً فما دجى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

٥) كلا من الشاعرين أخذ يعدد مآثر صاحبه وكل منهما استمد معانيه وأفكاره من أعمال صاحبه ، فالغزاوي كانت معانيه أفخم وأعم نفعاً وأغزر لأن صاحبه أنجز من الأعمال الجليلة ما لا حصر له ، فقد ذللت له الصعاب ، وأخصبت الأرض الجدبة ، وأقام عمود الدين فان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وانتشرت قباب العلم ودوره في أنحاء الجزيرة وتبدلت الحال من الفقر الى حال الغنى فاستخرجت كنوزها وزرعت صحراؤها ـ الأبيات من ١١ : ١٩ .

أما أبو تمام فقد تحدث عن ذيوع أخبار صاحبه الحسنة وانتشارها وشجاعته وإقدامه ، وعفته ونزاهته :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دماً ضحكت عنه الأحاديث الذكر

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

وقوله :

ونفس تعاف العار حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

وترى أنها معان طرقها الشعراء من قبل ، ولكن له فضل الصياغة والديباجة المشرقة ومضمونها يرتكز على الصفات النفسية الحميدة ، وهذا حسن ولكن الأحسن منه تحقيق آمال الشعوب والعمل لمصلحتها ، وقبل هذا كله ، النهج على العقيدة الاسلامية ونشرها وهو ما مدح به الغزاوي . . الملك عبد العزيز ، والحقيقة أن كلا منهما أبدع في تصويره لفضائل مرثيته .

٦) صدق العاطفة :

وكلا الشاعرين صادق الشعور في قصيدته ، تعتصر نفسه ألماً على صاحبه فالغزاوي رأى في الملك عبد العزيز الرجل الذي قاد بلاده من الجهل والظلام والفرقة الى الوحدة وجمع الشمل والعلم والعمران ، رأى فيه الرجل العظيم المصلح الذي جعل الدين نبراساً ، والأمن هدفاً ، والإصلاح معتقداً ومطلباً وقد صحبه الغزاوي ، وأكثر من مجالسته ، ورأى الاعمال التي شادها وآمال الشعب التي تحققت ، فانطلق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يعبر عن شعوره العميق فنفث حزنه وجراحات قلبه وكلومه في هذه القصيدة التي تتدفق بالآهات ، والأنات وتصور نفسية الشاعر أكمل تصوير واستمع إليه يقول :

أنصفوني فلست والله إلا (مضغة) شفها البلا واللغاب
إنني ما خفقت أصبر حزني في ارتجاع ، وقد دهاني المصاب

أما أبو تمام فانه أمام رجل عظيم وشجاع مقدام أحد قواد المسلمين الأبطال الذين وقفوا ضد الخُرَّمى ، أضف الى ذلك كرمه وعفته ، وأخلاقه الحميدة وكذلك تربطه أواصر القرابة بأبي تمام ، فكلاهما من قبيلة طيء ، فلا بد أن يتألم ويحزن أكثر على فقد رجل من قبيلته حاز هذه المرتبة ، ولا غرابة ان يصدر شعره ممثلاً لشعوره ولكنه الصنعة عند أبي تمام والعقلانية في شعره طغتا على عاطفته ، فرثاؤه يمثل القوة في اللفظ والتلاعب به والغوص وراء المعاني أكثر مما يمثل نفسية الشاعر وحزنه الذاتي .

٧) اختلف الغزاوي وأبو تمام في الحديث عن الميت بعد الوفاة .

أما الغزاوي فقد اكتفى بالدعاء له بالرحمة وللشعب بالغيث ومثله لا يجهل عدم انتفاع الميت به لكن حب الغيث منغرس في أعماق نفوس أهل الجزيرة التي تعتمد على الأمطار هذا ما أوحى له بذلك أما الدعاء بالرحمة فهذا أمر يصدر من كل الناس فهو لم يأت بجديد ولم يصغه صياغة تلفت الانتباه وكان هذا الأمر خاتمة قصيدته :

وسقى الغيث بكرة وعشيا (جدثا) - (بالرياض) وهو جناب
فيه يثوى (أبو العروبة) تترى (رحمة الله) فوقه والثواب ؟

أما أبو تمام فقد تحدث عن الاستشهاد وبذل الدم في سبيل الذود عن حياض الإسلام معبراً عن ذلك باللون الأحمر للثياب وأتم الحديث عن نبل الثواب الذي أعده الله للشهداء من أمن وطمأنينة وسلام وتحقيق وعد الله بإدخال الشهداء الجنة :

غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

٨) الغزاوي انفرد بالتعزي وتذكر القضاء والقدر عند حلول المصيبة وهذا شأنه في أغلب قصائده، فهو لا يملك رد ذلك ، وإن الموت حق يتساوى فيه الناس وتزول الفروق والأنساب ، وهذا ما يخفف من هول المصيبة لديه :

إنـه الحق ـ هكـذا المـوت ـ فيـه تتســاوى الفــروق ، والأنســاب

أما أبو تمام فلم يذكر التعزي في مرثيته ، وأغلب الظن أن ذلك عمداً منه لكي يجعل الحزن مخيماً حتى لا يفتر ويخف ، أو ربما تعود أسباب ذلك للضعف في معتقده .

٩) قد وصف أبو تمام صاحبه بوعورة الخلق وصعوبة المراس حين المشادة والمخاصمة، وهي التي أودت بحياته ، ودفعته إلى الوقوف في وجه أعدائه وتفضيله الموت على الهرب من المعركة والموت على فراشه كما يموت الغير . وذلك في قوله :

وقـد كان فـوت المـوت سهـلاً فـردّه إليـه الحفـاظ المـرّ والخلق الـوعـر

وفي مثل ذلك قال الشاعر :

ولــو أنـهـم فــروا لـكــانــوا أعــزّة ولكن رأوا صبراً على الموت أكـرما

١٠) الغزاوي أسهب بما يناسب المقام في ذكر مناقب وفضائل صاحبه ، لأن مصابه عظيم، وافتقدته أمة كالغمام ، وبكت عليه كل عين وجزع عليه كل قلب ، وخيم الحزن المستتر فوق كل بيت .

وقد وفق لاختيار الألفاظ الملفعة بالحزن التي تفيض بالدموع والآهات ثم بتلك الشحنات الشعورية الدفاقة بهذه الحسرة التي سرت في كل قلب وأجرت كل عين أما أبو تمام فإنه لم يتحدث عن ذلك إلا في جزء من بيت وهو الشطر الثاني من البيت الأول ، ومع ذلك لم يجزم ببكاء الجميع وإنما لام من لم يبك .

ونختم قولنا في القصيدتين بأن المرثيتين تكشفان عن قدرة الشاعرين في شموخ الفكر وخلود المعنى وجودة السبك ، وحسن الوصف ووضوح البيان وسلامة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الألفاظ ، فلا تنافر أو شذوذ أو عدم وضوح ، وكلا القصيدتين تحمل في طياتها الصدق الفني فضلاً عن الصدق الأخلاقي والفكري .

والواقع إننا لا نستطيع أن نقرر الأفضلية لأحدهما على الأخرى ، لأن لكل منهما طعم خاص ومذاق مختلف ، وصور مستقلة لاختلاف ظروفهما وعصريهما وثقافة كل منهما والتي تسم ما يقول بميسمها ، غير أن قصيدة أبي تمام قصدت إلى الصفة اللفظية والمعنوية أكثر مما عمدت إلى نقل الانفعال العاطفي بينما الغزاوي ركز على الحزن الذي سجى وطبع الشاعر والأمة ، فعبر عن العواطف أكثر من غيرها .

الموازنة بين الغزاوي والبحتري

لقد غلبت على الشاعرين الشهرة بالمدح فقد هجر البحتري منبج وحلب المدينتين الجميلتين ، واتجه إلى دمشق طلباً للأعلام والأمراء الذين يستحقون المدح ثم ولى وجهه شطر بغداد عاصمة البلاد الإسلامية ومركزها العلمي والثقافي والأدبي حيث الخلافة والامارة والوزراء والعلماء والكتاب وأعيان الزمان ، فنال الحظوة عند المتوكل ، وأخصبت لديه الملكة الشعرية السخية العطاء الدافقة الفيض فنبع منها تلك السينية التي وصف فيها ايوان كسرى ، وقصيدتنا التي نتحدث عنها في وصف بركة المتوكل .

(١) ولد أبو عبادة الوليد بن عبيد في منبج سنة ٢٠٦هـ وهو طائي وقد شب طوقه على قول الشعر فمدح أصحاب البصل وانباذنجان ثم انتقل الى بغداد حيث دار الخلافة وموطن العلم وقد التحق بمجلس الخليفة المتوكل وجالس فيه العلماء والادباء .

وقد نال من المال الشيء الكثير ولكنه يميل الى البخل بل له طرائف في ذلك ويميل شعره للمحافظة على عمود الشعر وقد أجاد في الشعر وأغراضه من غزل ومدح ورثاء ووصف وقد عُمر فلم يتوفى الا بعد أن تجاوز الثمانين ومدح عدد من الخلفاء وهم المتوكل ، والمنتصر ، والمعتز ، والمستعين ، والمهتدي والمعتمد ، انظر شرح ديوان البحتري ، والشعر والشعراء في العصر العباسي د . مصطفى الشكعة .

لقد اشترك الغزاوي والبحتري في صفاء الديباجة والمحافظة على عمود الشعر ورقة مائه ، وقد تجاوز كل منهما الثمانين عاماً ، فكان من الطبيعي أن يأخذ كل منهما بمفاتن الشعر ومحاسنه ، وأن يضرب في أغراضه يمنة ويسرة وكلاهما قد مازج بين المديح ووصف الطبيعة وخيراتها ووصف قصور الملوك والامراء ومواكبهم ومجالسهم واعمالهم ، كما أبدع البحتري في وصف الطبيعة الخلابة ، وتصوير العباسيين ومواكبهم والمراكب النهرية والحربية .

وكانت مدائح كل منهما من الشهرة بمكان ومن الكثرة بمكان إلا ان البحتري كان أكثر شهرة لأنه من الشعراء القدامى فأتيحت له من الدراسة أبان النقاد عن عجائبه الفنية وكان عصره يستقبل الناس فيه المدائح بصدر رحب ، أما الغزاوي فانه شاعر معاصر ولم تدرس أشعاره كما أصبح الناس في عصره يعرضون عن المدائح ، مما جعلهم يتناسونه في دراستهم ، ومما جعل ذكره يخفت بعد وفاته ـ وكلا الشاعرين كان يتصدر لانشاد شعره بنفسه وكان الغزاوي عذب الصوت فصيح اللسان ، جهيراً قوياً ، فكان تغريده بشعره محبوباً من السامعين يميلون اليه ويأنسون به .

والبحتري أيضاً يحتفي بإنشاء شعره ، ويسلك في ذلك مسلك التلحين والتطريب وكان يطيل النظر في وجوه الحاضرين ، ليرى مبلغ إعجابهم به حتى نفر منه الناس وعبث به أهل السفه وربما تحول إلى أضحوكه فيستاء من ذلك .

(نص قصيدة الغزاوي)

١ ـ خذ (القلوب) فإن الوجد يشجيها ... والشوق يرمضها ـ والصبر يعييها

٢ ـ واستبق في الله أرماقاً موزعة ... يا ليت أنك تدري بعض ما فيها

٣ ـ واعدل كشأنك ـ يا مولاي في مهج ... كأنها الطير ـ تهفو نحو حاميها

٤ ـ إذا رأتك تبارت في تسابقها ... تشدو وتفتن بشرى في أغانيها

٥ ـ وتملأ الأفق أسراباً مصفقة ... عبر الحدود مخيلات (أمانيها)

٦ ـ كأنما هي في ـ تحليقها شرع ... في خفقهن لك الأرياح تزجيها

٧ ـ تحملت من تاريخ الهوى عللاً ... أقل ما كان منها فيك يصليها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ـ المكر والكيد والبهتان يفجعها ... والنصح والحب والإخلاص ينجيها
٩ ـ قد أشهدت كل نجم في مسابحه ... على رضاك ـ وجدت في تفانيها
١٠ ـ فكيف تملك في يوم الرحيل حجى ... وفي (بقائك) أمال ترجيها
١١ ـ وفي (لقائك) نور نستضيء به ... مهما اطلعت ، تحامته دياجيها
١٢ ـ فاسمع إذا شئت أصواتاً مرتلة ... من الجوانح ـ تسمو في معانيها
١٣ ـ لو أنها انطلقت من كهفها انتظمت ... عقود در تهادى في قوافيها
١٤ ـ ولو أباحت بها الألفاظ جائشة ... لأفتنت وهي لم يقض شاديها
١٥ ـ كأنها الزهر طيباً ـ والشذى سحراً ... أو أنها كل ما تحوي معانيها
١٦ ـ لولا الجلال الذي يغشاك من رهب ... إذن لفاض إليك الشعب يمليها

* * *

١٧ ـ يا صاحب (التاج) إن العرش تحرسه ... (ملائك) تملأ الدنيا غواشيها
١٨ ـ تمثلت في شعاع الشمس أجنحة ... لها قوادم تحدوها خوافيها
١٩ ـ وفوقها خالق الأكوان بارؤها ... ومن نواياك فيما شاء تنويها

* * *

٢٠ ـ حللت كل فؤاد بات من شغف ... يهوي مواطىء أقدام تقفيها
٢١ ـ فأنت راع جزاك الله ما ادخرت ... يداك في أمة أصبحت راعيها
٢٢ ـ والله لو قدتها للبحر خفت بها ... متونه الزرق ، لا تخشى أواذيها
٢٣ ـ تحنو عليها فما (الغيرى) بواحدها ... أشد منك حناناً إذ تغذيها
٢٤ ـ وتستجيب لها في كل أمنية ... حاشا الذي هو عند الله يخزيها
٢٥ ـ فلو أهبت بها يوماً لتبلوها ... أن تبلغ (القطب) لامتدت عواليها
٢٦ ـ وأنت قرة عين الناس قاطبة ... يا قاتل الله من يشناك تسفيها
٢٧ ـ وأنت للعرب أمجاد مخلدة ... لولا (حظوظك) لم تشرق مواضيها
٢٨ ـ وأنت للدين والإسلام معقله ... في بقعة قدس الجبار (واديها)

٢٩ ـ تـقيـم فيـهـا حـدود الله متبـعـاً (نص الكتاب) وتمضي شرع هاديها
٣٠ ـ فاستشرقت بك للتقوى حـواضرهـا وأذعنت لـك بـالنجـوى بـواديهـا
٣١ ـ فللذي وعـد الـرحمن طـائعهـا وللذي أوعـد الشيـطان عـاصيهـا

* * *

٣٢ ـ أما (صنائعك) اللاتي افتضلت بها فـإنمـا هي (يـوم الفصـل) تبقيهـا
٣٣ ـ تلقى بهـا الله في آثـار نـعمتـه والشكـر منك لمن أعـطاك ينميهـا
٣٤ ـ فقل لمن شال ـ فيما قد رجحت به تلك المكارم، لا ما كان تمـويهـا
٣٥ ـ (إن العـرانين تلقـاهـا محسـدة) ولن تـرى للئـام الخلق تنـويهـا
٣٦ ـ إن الـذين بما شيـدت قـد شهـدوا لا يجحدونك ، مهما قيل تشـويها
٣٧ ـ قـد أيقنـوا بـك أن الله أنقـذهم من المخـاوف ـ مـاضيهـا وآتيهـا
٣٨ ـ فـأصبحوا ولهم في الشكـر ألسنـة الجـود يطلقهـا ـ والعدل يجـريهـا
٣٩ ـ تجردت عن رياء الأرض وارتفعت إلى السمـاء ورقت في حـواشيهـا
٤٠ ـ فكم رأيت لهـا صحفـاً مـنشـرة وكم سمعت ثناء في (نـواديهـا)
٤١ ـ آمنت بـالله ـ يـا مـن أنت آيتـه فكم لـه بـك من نعمـاء يسـديهـا

* * *

٤٢ ـ تنيـر مـزدحم الأفـلاك صـاعـدة على سـواء ـ وتغري من ديـاجيهـا
٤٣ ـ تـالله ـ مـا قلت إلا مـا علمت بـه وما قصدت بـه زلفى و(تشريهـا)
٤٤ ـ لكنمـا هـو قـول الحـق أعلنـه ولـلضـلالات أشبـاع تبـاديهـا
٤٥ ـ تقـطعت بهمو الأسبـاب فاقتحمـوا إلى الجحيم وسيمـوا في دواهيهـا
٤٦ ـ ومن تكن سيرة (المختار) قـدوته فـإن في (جنة المـأوى) حوازيهـا
٤٧ ـ حسب البلاد وحسب الشعب من منن هذا السلام الـذي يجلو ضواحيهـا

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٨ ـ وحسبنا منك إحساناً شملت به ... منابت العشب ، قاصيها ودانيها
٤٩ ـ والأرض مائجة ـ والنار جائحة ... والناس تحشر رعباً في (مخابيها)
٥٠ ـ أثابك الله عنا أنت تبذله ... بالعز والنصر آلاء يواليها
٥١ ـ ما للدموع وقلبي سأل من شجن ... بين المحاجر ـ حيرى في مآقيها

* * *

٥٢ ـ أأنت أزمعت ، كلا إنها (قرب) ... لا أحسب الخير إلا في نواصيها
٥٣ ـ وكيف يزمع من كانت مودته ... في كل قلب ـ إذا أغرته يغريها
٥٤ ـ أنت المقيم ونحن الظاعنون هوى ... فما عليك ـ لو آستأنيت ترفيها
٥٥ ـ إنا لنسأل (رب البيت) في ضرع ... وعالم الغيب إخلاصاً وتنزيها
٥١ ـ أن تستمد بك الأيام بهجتها ... فيما يحب ـ وأن تهدى لياليها
٥٧ ـ وأن تدوم وتبقى في كلاءته ... ما انساقت السحب وانهلت غواديها

* * *

(*) المصدر : جريدة البلاد السعودية ـ العدد «٢٣٤٢» السنة ٢١ في ١٣٧٦/٦/٢هـ .
(*) المناسبة : قصيدة القاها الشاعر/ أحمد ابراهيم الغزاوي بين يدي جلالة الملك / عبد العزيز في المأدبة الملكية بالقصر الملكي بمكة .
أم القرى ع ٨٤٠ ص ١ ـ ذي الحجة ١٣٥٩ الموافق ٢٤ يناير لعام ١٩٤١م .
من البحر البسيط .

(نص قصيدة البحتري)

١ ـ ميلوا إلى الـدار من ليلى نحييها ... نعم ونسـألها عن بعض أهليهـا

٢ ـ يـا دمنة جـاذبتهـا الـريح بهجتهـا ... تبيت تنشـرهـا طـوراً وتـطويهـا

٣ ـ لا زالت في حلل للخير ضـافيـة ... ينيرهـا البرق أحيـانـاً ويسـديهـا

٤ ـ تـروح بـالـوابـل الـداني روائحهـا ... على ربـوعك ، أو تغـدو غواديهـا

٥ ـ ان البخيلة لـم تنـعم لـسـائلهـا ... يـوم الكثيب ولم تسمـع لـداعيهـا

٦ ـ مـرت تـأود في قـرب وفي بعـد ... فـالهجـر يبعـدهـا والـدار تـدنيهـا

٧ ـ لـولا سـواد عـذار ليس يسلمني ... إلى النهي لعـدت نفسي عـواديهـا

٨ ـ قـد أطرق الغـادة البيضـاء مقتـدراً ... على الشبـاب فتصبيني وأصبيهـا

٩ ـ في ليلة مـا ينـال الصبح آخـرهـا ... علقت بـالـراح أسقـاهـا وأسقيهـا

١٠ ـ عـاطيتها غضـة الأطراف ، مـرهفة ... شـربت من يدهـا خمراً ومن فيهـا

١١ ـ يا من رأى البركـة الحسناء رؤيتهـا ... والآنسـات إذا لاحت مغـانيـهـا

١٢ ـ بحسبهـا أنهـا في فضـل رتبتهـا ... تعـد واحـدة والبـحـر ثـانيهـا

١٣ ـ مـا بـال دجلة كـالغيرى تنـافسهـا ... في الحسن طـوراً وأطواراً تبـاهيها

١٤ ـ أمـا رأت كالىء الاسـلام يكـلأهـا ... من أن تعـاب وباني المجـد يبنيها

١٥ ـ كـأن جن سليمـان الـذين ولـوا ... إبـداعهـا ، فـأدقـوا في معـانيهـا

١٦ ـ فلو تمـر بهـا بلقيس عن عـرض ... قـالت هي الصرح تمثيـلاً وتشبيهـا

١٧ ـ تنصب فيهـا وفـود المـاء معجلة ... كالخيل خارجة من حبـل مجريهـا

١٨ ـ كـأنمـا الفضـة البيضـاء ، سـائلة ... من السبـائك تجـري في مجاريهـا

١٩ ـ إذا علتهـا الصبا أبـدت لهـا حبكـاً ... مثـل الجواشن مصقولاً حـواشيهـا

٢٠ ـ فحاجب الشمس أحياناً يضاحكهـا ... وريق الغيث أحيـانـاً يبـاكيهـا

٢١ ـ إذا النجـوم تـراءت في جـوانبهـا ... ليـلاً حسبت سمـاء ركبت فيهـا

٢٢ ـ لا يبلغ السمـك المحصور غـايتها ... لبعـد مـا بين قـاصيهـا ودانيهـا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣ ـ يعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنقض في جو خوافيها
٢٤ ـ لهن صحن رحيب في أسافلها إذا انحطن وبهو في أعاليها
٢٥ ـ صور إلى صوره الدلفين يؤنسها منه انزواء بعينيه يوازيها
٢٦ ـ تغني بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلاً عزاليها
٢٧ ـ كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديها
٢٨ ـ وزادها رتبة من بعد رتبتها إن اسمه يوم يدعى من أساميها
٢٩ ـ محفوفة برياض لا تزال ترى ريش الطواويس تحكيه وتحكيها
٣٠ ـ ودكتين كمثل الشَّعريين غدت إحداهما بازا والأخرى تساميها
٣١ ـ إذا مساعي أمير المؤمنين بدت للواصفين فلا وصف يدانيها
٣٢ ـ إن الخلافة لما اهتز منبرها بجعفر أعطيت أقصى أمانيها
٣٣ ـ أبدى التواضع لما نالها دعة عنها ونالته فاختالت به تيها
٣٤ ـ إذا تحلت له الدنيا بحليتها رأت محاسنها الدنيا مساويها
٣٥ ـ يا ابن الأباطح من أرض أباطحها في ذروة المجد أعلى من روابيها
٣٦ ـ ما ضيع الله من بدو ولا حضر رعية أنت بالاحسان راعيها
٣٧ ـ وأمة كان قبح الجور يسخطها دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها
٣٨ ـ بثثت فيها عطاء زاد في عدد العليا ونوهت باسم المجد تنويها
٣٩ ـ ما زلت بحراً لعافينا فكيف وقد قابلتنا ولك الدنيا بما فيها
٤٠ ـ أعطاكها الله عن حق رآك له أهلا وأنت بحق الله تعطيها

* * *

عرض مجمل لموضوع القصيدتين :

بدأ الغزاوي قصيدته بتوجيه الخطاب إلى الملك بما يشير إلى امتلاكه للضمائر والدواخل والمعنويات ، عبر عن ذلك بالقلوب التي تحاكي الطيور تحف بالملك حباً وإخلاصاً وعرفاناً ومودة .

ثم يتحدث عن آيات الثناء المرتلة له من الجوانح وتنعت ما في مكانها من الحب والولاء .

واستمر يقلّب الكلم حول هذه المعاني من البيت الأول حتى الثاني والعشرين ثم ينتقل إلى تحديد المثل العليا التي يتصف بها والأعمال الجليلة ، فهو للدين معقل وهو سيفه البتار ، وهو المسخر لإقامة حدود الله والعمل بكتابه الأمر الذي جعل البوادي والحواضر تذعن له .

أما البحتري فقد بدأ بالغزل بليلى التي أراد أن يحيها أو يسأل عن بعض أهليها ويصفها بالبعد مع قرب الدار لما تبديه من الهجران وكأنه يرغب في الإقبال منها عليه وهو ملتزم بتحفظه الذي التزم به نظراً لتقدم سنه فهو يصارع عوامل الصبا التي نزحت به السن عنها فلم يبق له إلا الذكريات من مجالس الأنس الليلية . الأبيات من ١ : ١٠ .

ثم انتقل انتقالاً مفاجئاً إلى بركة المتوكل فوصفها وصفاً أبدع فيه أيما إبداع ، وأنزلها المرتبة الأولى وجعل البحر ثانيها وتحدث عن مبدعيها وصناعها وعن جريان الماء فيها ـ الأبيات من ١١ : ٣١ وفي البيت ٢٧ يحسن التخلص إلى غرضه الذي يريده ألا وهو المدح .

فيأخذ في الحديث عن فضائل الخليفة من التواضع والنسب العالي وإحسانه لباديها وحاضرها وللملك الذي وهبه الله له فهو يهبه للآخرين .

ما اشتركت فيه القصيدتان :

١) اشتركا في الوزن فكلاهما من بحر البسيط ، وحرف الروي فيهما الهاء كما اشتركتا في الموضوع أيضاً فكلاهما في المديح ، فالغزاوي يمجد الملك عبد العزيز الرجل الذي قاد البلاد إلى الاتحاد والأمن والعدل ، وبناء الحضارة القائمة دعائمها على العلم والايمان .

أما البحتري فقد أشاد بالخليفة العباسي المتوكل الذي كان ولي نعمته والذي قام بتوسعة مدينة (سر من رأى) وبنى فيها حديقة للحيوانات .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٢) كلاهما وصف صاحبه بأوصاف شخصية ذاتية فالغزاوي مدح بالجلال والهيبة والتاج في قوله :

لولا الجلال الذي يغشاك من رهب ... إذن لفاض إليك الشعب يمليها
يا صاحب (التاج) إن العرش تحرسه ... (ملائك) تملأ الدنيا غواشيها

ونأخذ على الغزاوي مدحه بالتاج فقد عاب من قبل عبد الملك بن مروان على عبيد الله بن قيس الرقيات في قوله[1] :

خليفة الله فوق منبره ... جفّت بذاك الاقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

أما البحتري فقد وصف المتوكل بالتواضع وهو خلق ذاتي محمود فقال :

أبدى التواضع لما نالها ، دعة ... عنها ، ونالته فاختالت به تيها

٣) تحدث كل منهما عن السمات والفضائل التي تخدم الصالح العام وتعود بالخير على الأمة بأسرها فالغزاوي يقول :

تحنو عليها فما (الغيرى) بواحدها ... أشد منك حناناً اذ تغذيها

ويقول أيضاً :

وأنت للدين والإسلام معقله ... في بقعة قدس الجبار ، (واديها)
تقيم فيها حدود الله متبعاً ... (نص الكتاب) وتمضي شرع هاديها

أما البحتري فأشاد بالرعاية الحسنة والعدل الذي يرضي الأمة فيقول :

ما ضيع الله في بدو ولا حضر ... رعية ، أنت بالاحسان راعيها . .
وأمة كان قبح الجور يسخطها ... دهراً ، فأصبح حسن العدل يرضيها

---

(١) الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ج٥ ص٧٩ طبعة وزارة الثقافة العربية .

فكلا الشاعرين قد جعل من ممدوحه خير راع للأمة مقيم للعدل فيها وهي من الخلال الحميدة في نظر الناس والمجتمع .

٥) كلا الشاعرين زاوج بين المديح والطبيعة ، وكلاهما اعتز بوطنه وسخائه وجماله وموارده الفياضة لذا مازجا بين الوطن وطبيعته وبين الممدوح وفضائله ، ومع ذلك اختلفا في إبراز أوصاف الطبيعة في المدح فالبحتري يصفها مجردة بذاتها ، فيعمد إلى مدح الخليفة قارنا مدائحه بأوصاف القصور وحدائقهم وصورها التي تبهج الخاطر وتأخذ بالألباب كما هو واضح من وصف البركة الحسناء .

أما الغزاوي فقد وصف الطبيعة ومفاتنها ورونقها وجمالها وعبيرها وخيراتها وجعل بينها وبين الممدوح علاقة مشابهة فهو يشبه ممدوحه بالروض أحياناً وبالغيث أحياناً أخرى وبالطيور أحياناً أخرى كما في هذه القصيدة حيث يقول :

وأعدل كشأنك ـ يا مولاي ـ في مهج كـأنها الـطيـر ـ تهفـو نحـو حـاميهـا

وهي صور مألوفة في الشعر العربي القديم برزت في شعر الغزاوي نتيجة لثقافته وسعة اطلاعه .

٦) كلا الشاعرين اشتركا في مدح رجلين قاما على شؤون المسلمين فكل منهما كان يدبر أمر رعيته ويحكم بالشريعة المطهرة ، وكلا الشاعرين لا يطعن في دينه وإن رجحت كفة الغزاوي في هذا لذلك ارتكزت مـدائح الغـزاوي على التعاليم الإسلامية وكذلك يظهر في شعر الغزاوي أثر الثقافة الاسلامية وفي شعر البحتري أيضاً فكلاهما يستمد معانيه من القرآن والأحاديث النبوية من ذلك قول البحتري :

فـأنت راع جـزاك الله مـا ادخـرت يـداك في أمـة أصبـحت راعـيهـا

مأخوذ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام على الناس راع وهو مسؤول

---

(١) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ٢ : ٢٧٢ مادة رعي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه » .

ومن الأبيات المستمدة من الأحداث التاريخية في قصيدة الغزاوي قوله :

والله لـو قـدتهـا للبحـر خفت بهـا متـونـه الـزرق ، لا تخشى اواذيهـا

مأخوذ من قول سعد بن معاذ للرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر حينما استشارهم فقال سعد : ـ

« فامضي يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد » .

ما اختلفت فيه القصيدتان :

١) الغزاوي استهل قصيدته بالغرض مباشرة دون مقدمات غزلية أو طـللية فخاطب ممدوحه بقوله (خذ) يطلب منه أخذ القلوب التي يشجيها الوجد ويصيبها الصبر . البيت الأول .

أما البحتري فانه بدأ قصيدته بمقدمة غزلية وعرج على الدمن التي تخفيها الرياح أحياناً وتظهر معالمها أحياناً أخرى شأنه في ذلك شأن معاصريه من الشعراء وسيراً على سنة العمود الشعري وبناء القصيدة العربية الابيات ١ : ١٠ .

٢) أشار الغزاوي الى المكانة السامية التي يحتلها الملك عبد العزيز في قلوب الشعب فهي زاخرة بالمحبة والمودة ، وجعل منها طيور سلام ترفرف حولها وهي مغردة بأصواتها العذبة فوق أغصان الخير الغضة التي تحف بالملك من كل جانب جلبها إلى ذلك النصح والحب والاخلاص والآمال المحققة والمرتجاة الابيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

أما البحتري لم يتعرض لهذه الناحية لأن عصره لم يتطور فكرياً لفلسفة الحب في السياسة .

٣) أشار الغزاوي أيضاً إلى حرص الملك على العقيدة الإسلامية حتى أصبح

معقلاً وحصناً لها حيث اقتدى سيرة المختار صلى الله عليه وسلم ـ الابيات (٢٨ ـ ٢٩) .

أما البحتري فلم يتعرض لها لعدم وجود الاتجاهات المناهضة للإسلام في عصره ولم يتعرض للدسائس التي تكاد له ولاهله .

أما الغزاوي فقد عاصر الهجمات والخطط التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين .

٤) تحدث الغزاوي عن الشجن والحيرة التي تعتري الشاعر حين مغادرة الملك أرض الحجاز ـ الأبيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

٥) أما البحتري فقد ذكر محاسن ممدوحه كالتعويض والإحسان للبدو والحضر والعدل الذي أرضى الأمة وما بذل لها من الهبات والعطايا ـ الأبيات من ٣٢ الى ٤٠ .

٦) الغزاوي أطول نفساً في قصيدته حيث بلغت أبياتها سبعة وخمسين بيتاً أما قصيدة البحتري فلم تتجاوز الاربعين بيتاً ولكن مع ما دللت عليه الاطالة من قدرة الغزاوي على إيراد الصور والتعرف على الألفاظ الا أنها لا توحي بزيادة في المعنى أو الافكار ـ فالبحتري أوجز ما أطنب فيه الغزاوي والعرب تميل الى الإيجاز لان فيه البلاغة وقد قالوا :

« البلاغة الايجاز » .

٧) قصيدة الغزاوي تدور حول غرض الإشادة والمدح وترتكز على محور واحد ثم تتشعب أفكارها الجزئية لتصب في هدف واحد ، فهو تارة يتحدث عن القلب ، وتارة أخرى يشبه القلوب بتلك الطيور البريئة التي تغرد في الرياض الجميلة ، تقطف من أزهارها ، وتتغذى بثمارها ، وتعبق من عبيرها .

تلك معان فطرية طبيعية فيها تشبيه الإنسان العاقل بتصرف الطائر الذي لا يعقل . وقد يعيب الناقد هذا التصوير لما فيه من سلب العاقل لافضل ميزة له ولما يؤدي ذلك الى ضعف الإنسان .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما البحتري فقد قسم قصيدته إلى ثلاث أغراض رئيسية أولها المقدمة الغزلية وثانيها وصف البركة الحسناء التي بناها المتوكل وثالثها المحاسن والفضائل التي يتصف بها الممدوح .

وهذا الاختلاف في بناء القصيدة يمثل الاختلاف بين عصري الشاعرين فقد كانت القصيدة في العصر العباسي تتكون من أغراض عديدة ، وهذا أمر محبب لدى النقاد والأدباء في ذلك العصر كما تمثله القصيدة التي أمامنا أما قصيدة الغزاوي فإنها تمثل عصرنا هذا الذي نبذ تعداد الأغراض في القصيدة الواحدة وأعرض عن المقدمات أيضاً .

٨) الغزاوي ختم قصيدته بالدعاء للممدوح فأوحت بالنهاية لقصيدته وهذا شأنه في أغلب قصائده ـ الأبيات ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ .

أما البحتري فلم يشعرنا بالنهاية لقصيدته .

المعاني بين الشاعرين :

أما من حيث البراعة في تناول المعاني فإننا نجد أن باع الغزاوي أطول في هذا حيث تشعبت الحضارة وتعددت المهام المناطة بالممدوح والفضائل التي يجب أن ينال رضا الشعب بتحقيقها إلى جانب الفيض الغزير من المثل العليا التي تناولها الشعراء الأقدمون وحلوا بها قصائدهم وقد جمع الغزاوي بين هذا وذاك فكان أغزر معان وتوليداً وزيادة في المعاني القديمة .

بينما البحتري استمد معانيه من فضائل الممدوح التي تعتمد على البذل والعطاء والاحسان بالرعية .

وقد ظهرت الثقافة الدينية في قول البحتري :

كأن جنّ (سليمان) الذين ولوا إبداعها فأدقوا في معانيها . .

فلو تمر بها (بلقيس) عن عرض قالت : هي الصرح تمثيلاً وتشبيها

فقد ورد ذكر سليمان بن داود عليهما السلام في القرآن الكريم وقد سخر الله له

الجن فبنى القدس ، وفتح البلاد وقد دله الهدهد على مملكة سبأ التي تحكمها امرأة (بلقيس) .

وقد قال الله تعالى[1] فيها﴿ وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ وقد تحدث القرآن عن قصر الصرح فقال تعالى[2]﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ـ قال إنه صرح ممرد من قوارير ﴾ .

الصور الشعرية عند الشاعرين :

لقد اعتمدت قصيدة الغزاوي على الصور الشعرية والتشخيص للأمور المعنوية فانظر اليه كيف يصور القلوب وحبها بالطير التي تهفو على حاميها ـ انظر الابيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ وصور أيضاً المعاني الجميلة من الثناء العاطر بعقود الدر :

لو أنها انطلقت من كهفها انتظمت عقود در تهادى في قوافيها

ويشبهها أيضاً بالزهر الطيب والشذى في قوله :

كأنها الزهر طيباً والشذى سحراً أو أنها كلّ ما تحوي مغانيها

وهو يصور الجند والجيوش التي تحرس الملك وملكه بالملائكة وأشعة الشمس المتناثرة لكثرة عددها فيقول :

يا صاحب (التاج) إن (العرش) تحرسه (ملائك) تملأ الدنيا غواشيها
تمثلت في شعاع الشمس أجنحة لها قوادم تحدوها خوافيها

وانظر الى الصورة المعبرة الرائعة التي صور بها الملك عبد العزيز فهو في عطفه وحنانه واهتمامه بشؤون شعبه وحبه لهم أشد في ذلك من الأم على ابنها الوحيد في قوله :

---

(١) سورة النمل ٢٢ / ٢٣ .

(٢) سورة النمل : ٤٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحنو عليها فما (الغيرى) بواحدها أشد منك حناناً أو تغذيها

ثم يصور حمايته لكتاب الله وشرعه المطهر بالحصن الحصين فيقول :

وأنت للدين والإسلام معقله في بقعة قدس الجبار ، (واديها)

من هذا يتضح لنا أن الصورة عند الغزاوي لها مكانتها وأهميتها في هذه القصيدة . لكنه لم يرسم صورة متكاملة كما رسمها البحتري لممدوحه وإنما نرى لفتات وفلتات وإيماءات إبداعية وأخرى مقتبسة من التراث أجاد في صياغتها .

(الصورة عند البحتري)

أما البحتري فقد برع وأبدع في التصوير حتى نال إعجاب المتقدمين والمتأخرين من ذوي الذوق الرفيع ، فهو الذي رسم الرياض ، ووصف أيام الربيع والقصور والمراكب وما أورده في قصيدته هذه من الصور الرائعة والإبداع والجمال وحسن الالتقاء ما فيه الكفاية للدلالة على قدرة الشاعر ، لما أبداه من براعة في رسمه وتصويره لبركة المتوكل الحسناء ، فقد رسم لوحة متكاملة تنبض بالحركة وتموج بالحسن والجمال وتلألأ بالألوان والأنوار . وانظر اليه كيف صور الماء اثناء انسيابه في الجداول بالخيل الجامحة في سرعته وبالفضة البيضاء في صفائها ونقائها :

تنحط فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

وهذه الأبيات داخلها عنصر الخيال وغرابة المأخذ ولكن النفس تميل الى أبيات ابن خفاجة أكثر حين يقول :

لله نهر سال في بطحاء أشهى وروداً من لمى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكنفه مجرّ سماء

وانظر الى المنظر الليلي الجميل لبركة المتوكل حينما تحاكي السماء بنجومها فيقول :

إذا النجـوم تـراءت في جـوانبهـا ليـلاً حسبت سمـاء ركبـت فيـهـا

ثم اصحبني لأجمل لوحة ينتزعها ويرسمها بدقة وإتقان وكأنما اعتلى طائرة ليرسم لها منظراً جوياً يظهر من ذلك تشبيهه الحديقة بريش الطاووس في حسنه وجماله واختلاف ألوانه حين يقول :

محفـوفة بـريـاض لا تـزال تـرى ريش الـطاووس تحكيه ويحكيهـا

وزاد من روعة البلاغة حيرته فما يدري هل تشبه الطاووس أو يشبهها .

وفيها صور أخرى لم نعتمد على علاقة المشـابهة فـرسمها على حقيقتهـا فأصبحت تنبض بالروعة والجمال من مثل قوله :

فـرونق الشمس أحيـانـاً يضـاحكهـا وريـق الغـيث أحـيـانـاً يبـاكـيهـا

المعاني المستوحاة :

ما دام أن الغزاوي اقتفى أثر البحتري فلا بد أن نرى بعض الألفاظ والمعاني التي أخذها الغزاوي أو استوحاها من البحتري ومن ذلك قوله :

تحنو عليها فما (الغيرى) بواحدهـا أشـد منـك حنـانـاً اذ تغـذيهـا

أخذه من قول البحتري :

مـا بـال دجلة كـالغيـرى تنـافسهـا في الحسن طـوراً وأطـوار تبـاهيهـا

فالبحتري شبه نهر دجلة بالمرأة الغيرى فاستوحاه الغزاوي في معنى بعيد عن ذلك وهو غيرة الملك على شعبه حيث شبهه بغيرة المرأة ليس من منافستها ولكن على ولدها الوحيد ونراه قد زاد في المعنى وفصل فيه أكثر من البحتري ومن التشبيهات التي استوحاه الغزاوي من البحتري قوله :

واعدل كشأنك ـ يا مولاي ـ في مهج كـأنها الـطيـر ـ تهفـو نحـو حـاميهـا

---

(١) الشعر والبيئة في الاندلس ٩٥ د. ميشال عاصي بيروت مطابع منيمنة الحديثة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقد أخذه من قول البحتري :

ويعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنفض في جو خوافيها

الصدق في العاطفة عند الشاعرين :

تميزت قصيدة الغزاوي بصدق العاطفة نحو ممدوحه الذي خرج بالأمة من عهد شاعت فيه المفاسد وعمت فيه الفوضى إلى عهد ساد فيه الأمن وحل العدل وأقام الإسلام قولاً وعملاً في حكمه للبلاد .

كما أن الغزاوي لم يكن ينتظر ثواباً يناله ولا يخشى من عقاب يحل به إن هو لم يمدح الممدوح فكان صدق العاطفة يملأ جوانب قصيدته .

أما البحتري فهو شاعر متكسب ينتظر ثواباً من وراء مدحه وإلقاء شعره وهذا ما يجعلنا نشك في صدق العاطفة ويؤيد شكنا ما نعرفه من صفات المتوكل التي تخالف أحياناً ما أورده الشاعر له من خلال فالمتوكل متسرع متلاف للمال[1] .

الغزاوي وابن بليهد

من الشعراء المعاصرين للغزاوي الشاعر النجدي محمد بن بليهد[2] ، الذي استوطن الحجاز بعد توحيد البلاد ، وكان من المقربين للملك عبد العزيز والملك

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي المحسن علي التنوخي ١/ ٢٦٥ .

(٢) محمد بن عبد الله بن عثمان بن سعود بن محمد بن بليهد ولد عام ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢م في بلدة (غسلة) التحق بكتاب القرية حين بلغ السادسة من عمره وتعلم فيه القراءة والكتابة والقواعد والخط والاملاء وكان متوقداً الذهن حاد الزكاء ، قوي الذاكرة ، سريع الاستيعاب ، ومن مشائخه عبد الرحمن بن عودان وأحمد بن عيسى ، وابراهيم بن عيسى ، قام برحلات كثيرة في الجزيرة وأثناء قيام الحروب قبل توحيد البلاد ثم سافر الى مصر ولبنان وكان شاعر عالماً كاتباً وله ديوان مطبوع وكتاب صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من آثار، وكتاب ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه ، وكتاب « تحقيق صفة الجزيرة للهمداني» توفي رحمه الله في ١٣٧٧هـ .

انظر كتاب الشيخ محمد عبد الله بن بليهد وآثاره الادبية ١ : ٩٨ للدكتور محمد بن سعد بن حسين .

فيصل رحمهما الله ، ويظهر إعجابه بالحكم السعودي ، واعتقاده بأنه الأفضل والأصح . والغزاوي أيضاً ارتبط بالأسرة السعودية أيما ارتباط فهو حسان الملك عبد العزيز ومن الملأ المقربين للملك فيصل أضف إلى ذلك أن الغزاوي أصبح سكرتيراً لرئاسة القضاء التي يرأسها الشيخ / عبد الله بن سليمان بن بليهد وهو ابن عم الشاعر محمد بن بليهد ، فكان مجلسه يجمع بين الشاعرين ، فتعارفا وتقاربا وتحادثا وتصادقا ، فتوثقت أواصر المحبة بينهما ، وكانت لقاءاتهما تحفل بالحوار والنقاش حول الشعر والأدب والعناية بأسماء الأمكنة والألفاظ اللغوية ، وقد تحدث الدكتور محمد بن سعد بن حسين عن الشاعرين في الموازنة التي عقدها بينهما في رثائهما للشيخ / عبد الله بن سليمان بن بليهد .

والغزاوي أصغر من ابن بليهد ، ومولد الأول في مكة والثاني في نجد ، والغزاوي اكثر اطلاعاً على الثقافة المعاصرة لسهولة حصوله على المطبوع من التراث ولملازمته لحلقات الحرم المكي ، واطلاعه على الصحف العربية التي تصدر في مصر والشام بينما لم يتح لابن بليهد ما أتيح لصديقه لانعدام الاستقرار في نجد قبل العهد السعودي وأثناء قيامه في المرحلة الأولى .

وسأقدم النصين اولا ثم اتناولهما بالدراسة :

(فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)

« ننشر فيما يلي القصيدة التي ألقاها شاعر جلالة الملك الاستاذ / أحمد ابراهيم الغزاوي عضو وفد الحجاز إلى نجد أمام سمو ولي العهد المحبوب في حفلة البيعة الكبرى بقصر جلالة الملك في الرياض في حضور عموم الأمراء والعلماء والأعيان وهي التي أشارت إليها البرقية الأولى المنشورة في العدد (٥٩)[1] » .

١ - أجل هذه نجد - فهل شاقك الرند وهبت صباها فاستقر بك الوجد ؟!

٢ - بلاد أباة الضيم - هذي (رياضها) وهذا (ولي العهد) يسمو له الوفد

---

(١) صوت الحجاز ع ٦٠ ص ١ في ١٣٥٢/٢/١١هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ـ وثمة من حور الأماني وعينها ... مباهج لا يدنو إلى حصرها العد
٤ ـ أطلت فما الطل المزموق في الضحى ... يحاكي صفاها في الغصون إذا تبدو
٥ ـ ولا الزهر في أكمامه متفتقاً ... كمثل الرجاء الغض يبعثه الود
٦ ـ فكم حدثتني عن هواها وطيبه ... خرائد رقت ، فاسترقت بها الأسد
٧ ـ وكم قاصرات الطرف في جنباتها ... أراشت سهام اللحظ إذ دأبها العمد
٨ ـ وكم ساجعات الأيك في عذباتها ... أثارت شجوني فهي في اثرها تشدو
٩ ـ وكم في رباها من كماة أشاوس ... تصول بهم بيض وتعدو بهم جرد
١٠ ـ الا إنما يهفو اليها أخو جوى ... بهيم منذ استقل به المهد
١١ ـ وما ولهي في هواها ظباؤها ... ولا الخفرات البيض والفاحم الجعد
١٢ ـ ولكني قد همت فيها لأنها ... مباءة شرع الله والكواكب الفرد
١٣ ـ تمثلت فيها عزة الدين والتقى ... وما فرض القرآن أو أبرم المجد
١٤ ـ فأنشدت والإيمان ملء جوانحي ... مغلغلة ما إن يضل لها قصد
١٥ ـ قدمنا فافضينا إلى متطول ... مطالعه نور ـ وأعماله رشد
١٦ ـ وناهيك من (عبد العزيز) (سعوده) ... فذاك لنا فخر وهذا لنا سعد
١٧ ـ أتيناك من قلب الحجاز (ببيعة) ... توطد فيها الأمر واستحكم (العهد)
١٨ ـ تكاد إذا ما استنطقت عن سطورها ... تجاوب بالإخلاص لو أمكن الرد
١٩ ـ وقد حملتنا أمة في ربوعه ... أمانتها الكبرى وفي طيها حشد
٢٠ ـ ولولا عظيم الشعب لم يرض سيره ... جميعاً لنادك البكور اذن يعدو
٢١ ـ نعم إن هذا الحب يغمر قلبه ... وفي الحق أن الحب معنى هو الحمد
٢٢ ـ وهل في نزار أو معد بأسرها ... كمن هو في أجسامها الروح والكبد
٢٣ ـ تخيره الرحمن فيها (متوجاً) ... وآفاقها بالجور تشكو وتربد
٢٤ ـ فأنقذها من دائها بدوائه ... فزال وشيكاً واستطاع لها المجد
٢٥ ـ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ... فسبحانه القدوس ليس له ند
٢٦ ـ وشتان ، من يبغي الحياة للذة ... ومن همه فيها تجاذبه (الخلد)

٢٧ ـ عقيـدة من لـو شـاء قبـل ردتـه أفانين يستهوي العقـول بها الكيـد
٢٨ ـ تـورع عـنهـا بـالإلآـه فصـانـه وصيره فوق (العروش) هو الـطود
٢٩ ـ فـلا بدع أن تفـد بـه كـل نفـوسنـا وأن جـاءه التوفيق والحـل والعقـد
٣٠ ـ أمـولاي ـ فـأقبـل بيعـة من حيـاتـا فـانت لها المـأمول والبـطل الـورد
٣١ ـ وأنت (سعـود) للجـزيـرة طـالـع وذلك اسم قد تسامى به (الجـد)
٣٢ ـ تـهنـيكـم بـالأمـر أنتـم بنـاتـه وكل بني عدنـان من حولكم جنـد
٣٣ ـ وعاش (الامام العدل) ـ ثم (وليه) و(فيصلنا) المحبوب إذ ينظم العقد
٣٤ ـ ويحيا (بنو عبد العزيـز) ـ كواكبـاً تنيـر سما العـرب ما أنجبت نجـد
٣٥ ـ ويحيـا الـذي أضحى لعينـك قـرة ربيب المعالي بين أعطفها (فهد)
٣٦ ـ وعاش الطوال الشم من (آل مقرن) وأحفـادهم مهما تمـادى بنـا العـد
٣٧ ـ وصـل إلهـي مـا تـألـق بـارق عـلى (المصطفى المختـار) أو جلجل الرعد

(نص قصيدة ابن بليهد)

(* في كل دار لهم مجد ومكرمة) .

« الحمد لله على ما تفضل به وأنعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد كل فصيح وأعجم وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمس وجن ليل وأظلم :

بشرى التهاني بدت تختال في فـرح تـزهـو محـاسنهـا في أجمـل الحلل
والحظ وافى بـداع الانس مبتهجـاً والـدهـر انجـز وعـداً كـان في أمـل

أما بعد : فان الله جل وعلا اسبغ عليكم نعمه واعزكم على الاعداء باجتماع كلمتكم وطاعة والي أمركم فسدتم بذلك العرب . ما دمتم على السنة السمحاء :

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فاثبتوا ولا تختلفوا ، قال الله تعالى :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقال تعالى : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾ وقال تعالى : ﴿إن الذين يشترون بعهد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم﴾. وقال تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾. وقال تعالى: ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ﴾ الآية[1]:

١ ـ أبسط يميناً نشأت في الجود والكرم ... لبيعة عقدت في الحل والحرم

٢ ـ ولاية العهد ما انقادت أزمتها ... إلا إليك وقد جاءتك من أمم[2]

٣ ـ فقلت للناس إن الأمر متسق ... وقد أحيط بعهد غير منفصم

٤ ـ لا تحسبوا أنها غوغاء يدبرها ... جلف من البدو أو علج من العجم

٥ ـ هذي يقوم بها شهم أسنته ... من حين نشأته ممزوجة بدم

٦ ـ تفرعت في بني عبد العزيز ذرى ... بحبوحة المجد من بأس ومن كرم

٧ ـ أيا ابن أفضل موجود بطلعته ... في عصرنا للذي من سالف الأمم

٨ ـ جئنا نهنيك باليوم الذي طلعت ... لك السعود على الأمجاد والتهم

٩ ـ الله سربلكم بالملك مصلحة ... للعالمين بحفظ الدين والذمم

١٠ ـ فمن ربى بلد الزيتون وإن لكم ... إلى عمان ومن شار[3] الى نقم[4]

١١ ـ مهامه ملئت بأساً نسير بها ... بدواً وحضراً واما الأسد في الاجم[5]

١٢ ـ حلت بحجر[6] واما سقف غابتها ... جدار دينية أو سارم خذم

١٣ ـ وقد تباشرت الدنيا بطلعتهم ... وأهلها مثل بشرى الأرض بالديم

١٤ ـ في كل دار لهم مجد ومكرمة ... لا تحسبوا أنني في ذكرهن عمي

---

(١) ام القرى ع ٤٤٣ .

(٢) الأمم القرب من جهة الأب .

(٣) شار جبل قرب الخريبة قرب ساحل البحر الأحمر في الشمال الغربي للمملكة .

(٤) نقم جبل مطل على صنعا .

(٥) الاسد آل سعود والاجم مساكن الاسد .

(٦) حجر : مدينة اليمامة القديمة .

١٥ ـ فإن مدحت بفخرٍ لا أعاب به كالجاهلية في غسان أو لخم

١٦ ـ أبناء ذروة هذا الملك قد فرعوا سامه بعنان غير متهم

١٧ ـ قاموا على نور بحق يستضاء به كطالع البدر يجلو غيهب الظلم

١٨ ـ اعرافكم يا بني عبد العزيز الى عبد العزيز ومن أجداده القدم

١٩ ـ هذا سعود بدا بالسعد طالعه ما يختفي عن جميع الناس كالعلم

٢٠ ـ أتت له زمراً من كل ناحية تحدى اليه بنات الانيق الرسم

٢١ ـ اكرم بها بيعة تمت لصاحبها تدوم في حلل الاسرار والنعم

مضمون القصيدتين :

استهل الشاعر الغزاوي قصيدته استهلالاً وصفياً يحاكي استهلال الأقدمين لقصائدهم فقد تناول في قصيدته الحديث عن أرض نجد ورياضها الغناء وهوائها العليل وما يثيره في النفس من الوجد ، كما تحدث عن رجالها ووصفهم بالشجاعة والإقدام ، ونسائها بالجمال والحياء وقد عدد بعض الجوانب الجمالية كالطل المرقرق في الضحى الذي يحاكي في صفائه صفاء نفوس أهلها ، والزهر المتفتق في أكمامه الذي ينبىء عن الرجاء والأمل المشرق له ، وتغريد الطيور الغن وتسجيعها كل هذا كفيل بإثارة شجون أي شاعر وحمله على الهيام بهذا الجمال الطبيعي كما نجده عند الشاعر الغزاوي في هذه القصيدة .

إلا أن الغزاوي غير ذلك فان الذي حرك كوامن نفسه وأوجد تجربته هذه ما رآه فيها من كماة أشاوس تصول بهم بيض ، وتعدو بهم جرد ، تمثلت فيهم عزة الدين والتقى وما فرض الله وما أبرم المجد الأبيات ١ : ١٤ .

ثم يخص بحديثه الملك عبد العزيز وبنيه ، حيث قدم إلى متطول مطالعه نور ، وأعماله رشد ، فهو فخر لأمته ، وابنه سعود فأله السعد ، مما حدا بنا أن نأتيك ببيعة توطد فيها الأمر واستحكم العهد ، ثم تحدث عن رضا الشعب عن هذه الأسرة وتوفيق الله لها وعلله بتمسكهم بكتاب الله والعدل والإنصاف والحكمة في تدبير الأمور ـ الأبيات ١٥ : ٣٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما ابن بلهيد فانه آستهل قصيدته بالحديث عن البيعة مباشرة، وأنها انقادت بأزمتها لدوحة عريقة في الملك والمجد لذا تجد في حكمها النظام والدقة فلا غوغاء يديرها جلف من البدو أو علج من العجم لذا يستبشر الناس بهم في تقديمهم الخير والفضل للناس فهم أهل للتهنئة بهذا الفضل الذي وهبه الله لهم .

إذن فكلا القصيدتين اشتركا في الهنئة بالبيعة بولاية العهد للملك سعود فغرضهما واحد ، ومن خلال المقارنة بين مضمون القصيدتين ، نجد أن الغزاوي حاز فضل السبق لما لمعانيه من قوة وإجادة وإشراق ديباجة ، وعناية بترتيب المعاني ، وتنوع الأغراض وما مازجها من خيال رائع أكسبها حللاً جميلة .

أما ابن بليهد فلم نجد في مضمون قصيدته التنويع في المعاني التي تشد الى شعره ، وتلفت الانتباه ، إنما تدور حول البيعة وأحقية آل سعود لها ، ولم يدخل عنصر الخيال الذي هو روح الشعر وحياته ، وماؤه ورونقه ، ولعل استخدام عنصر الخيال في قصيدة الغزاوي يعود لثقافته الغزيرة حيث أتيح له الاطلاع على المطبوع من كتب السلف ودواوينهم ، كما أتيح له الاطلاع على الأدب الحديث في مصر والشام بينما ابن بليهد لم تصله تلك الكتب أثناء شبابه وتحصيله .

والمطلع على القصيدتين يجد أن كلا من الشاعرين قد بدأ بداية مغايرة للآخر فبينما يبدأ الغزاوي بداية طللية يذكر فيها الديار ثم من يحل بها من جميلات وساكنيها الابطال وما تهجيه هذه الديار وساكنيها من ذكريات . الأبيات ١ : ١٢ .

هذه البداية ساقها إلى ذهن الشاعر كون نجد مهد الملك عبد العزيز وأسرة آل سعود الأشاوس الذين عناهم بقوله :

وكم في رباها من كماة أشاوس تصول بهم بيض وتعدو بهم جرد

وهم من دفع الشاعر للقول والقصيد لأنهم أقاموا في نجد شرع الله :

ولكنني قد همت فيها لأنها مباءة شرع الله والكوكب الفرد

وهنا يحسن الشاعر تعليل حبه لنجد وهواه بها ثم ينتقل بعد ذلك إلى الغرض

الذي نظم من أجله قصيدته وهو التهنئة والبيعة للملك سعود أتيناك من قلب الحجاز (ببيعة) . . . تولد فيها الامر واستحكم (العهد) واستمر فيما تلا هذا من أبيات يتحدث عن نفس الغرض .

أما ابن بليهد فانه أشعرنا بموضوع القصيدة من أول كلمة فهو يطلب من الممدوح أن يبسط يده لمبايعته بينما الغزاوي لا يذكر البيعة إلا في بيته السادس عشر فكأن تأخر ذكرها يقترن بطول المسافة بين مكة والرياض . لأنه سافر في وفد الحجاز المنتخب لتمثيله في بيعة ولاية العهد مما جعله يترك التلميح بالموضوع في مقدمة قصيدته مع أنه جرى عليها في جلّ قصائده .

٢) ذكر الغزاوي أن حكم الملك عبد العزيز وأولاده قائمة دعائمه على محبة الشعب لهم فهم يحبون لوطنهم الخير والأمة تحبهم لإخلاصهم وتفانيهم في خدمة الدين والوطن وهذا المعنى نتج عن أثر حضاري في نفسية الشاعر ، وثقافي أيضاً فالحاكم في عصرنا الحاضر يصل إلى سلطته نتيجة لرغبة الأمة ورضاها وكلما تفانى في خدمتها قدمت له ولاءها وبايعته في حب وإخلاص وقناعة (الأبيات : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .

أما ابن بليهد فينظر لأسباب البيعة بمنظر آخر يرى أن أحقيتها تأتي لما للأسرة من عراقة في الحكم وفي توليتهم مصلحة للعالمين بحفظ الدين والدنيا (الأبيات ٢ ، ٣ ، ٩) .

وهذا يعود للحياة البدوية التي عاشها ابن بليهد ، فقد قامت على القوة والعصامية فأثرت في توارد أفكاره ومعانيه وكأنه لم يقتنع بما أورده في قصيدته فصدر لها ودعمها بكلمة خطابية .

٣) كلا الشاعرين تفاءل بولاية العهد لسعود فقال الغزاوي :

وناهيك من عهد العزيز سعوده فذاك لنا فخر وهذا لنا سعد

وقال ابن بليهد :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هـذا سعـود بـدا بـالسعـد طـالعـه ما يختفي عن جميع النـاس كالعلم

وأظنك تشاركني أن الشطر الثاني من بيت ابن بليهد كلام عادي فليس فيه من مسحة الشعر وسمته عدا الوزن .

٤) الغزاوي تحدث عن الطبيعة وورودهـا وأزهارهـا وطللها وغصـونها ، وقاصرات الطرف وطيورها المغردة في تناسق مع الموضوع فهو يورد الطبيعة قارناً حالها بحال أهلها فكانت تتمثل في صور فنية تجذب القارىء وتستهويه من ذلك قوله :

وثمـة من حـور الأمـاني وعينـهـا مباهج لا يـدنو إلى حصـرهـا العـدّ
أطلت فما الطل المرقرق في الضحى يحاكي صفاها في الغصون إذا تبـدو
ولا الـزهـر في أكمـامـه متفـتقـاً كمثـل الـرجـاء الغض يبعثه الـود

نكتفي بهذه الأبيات اختصاراً مع أنه استطرد في ذلك لأكثر من عشرة أبيات ومن هذه الطبيعة استقى الغزاوي صوره الأدبية في هذه القصيدة فهي صور رائعة مثلاً حقة تأخذ بالألباب والأبصار ، وتوحي بروعة الشعر وفنيته وإجادته .

أما ابن بليهد فلم يتناول الطبيعة إلا في قوله :

وقـد تبـاشـرت الـدنيـا بـطلعتهم وأهلهـا مثل بشـرى الأرض بـالـديم

ومع وجود التشبيه الا أنك تحس بضعف الصورة وتأثيرها النفسي .

٥ ـ الغزاوي أطول نفساً في قصيدته فقد بلغت سبعة وثلاثين بيتاً بينما قصيدة ابن بليهد لم تتجاوز الواحد والعشرين بيتاً ومع ذلك الإسهاب عند الغزاوي فإن فيه روعة وجمالاً وزيادة في المعنى وإشراقاً في الصور وروعة في الخيال ، ونسجاً جميلاً في الديباجة .

٦ ـ الغزاوي أشعر بختام قصيدته حيث ختمها بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا شأن الغزاوي في أغلب قصائده .

أما ابن بليهد فانه لم يشعرنا بالختام ، ولم ينهها كما أنهاها الغزاوي مع أن الأولى أن يكون ذلك من ابن بليهد لانه يقول الشعر النبطي الذي جرت العادة بختمه بمثل ذلك .

٧ ـ الغزاوي تحدث عن أبناء الملك عبد العزيز في ستة أبيات من ٣٠ : ٣٥ وقد خص الملك الحالي فهد بن عبد العزيز بقوله :

ويحيا الذي أضحى لعينك قرة ربيب المعالي بين أعطافها (فهد)

أما ابن بليهد فقد أجمل الحديث عنهم في قوله :

أبناء ذروة هذا الملك قد فرعوا سنامه لسنان غير متهم

الموازنة بين الغزاوي وفؤاد شاكر

(نص قصيدة الغزاوي)

(وما العلم إلا أن تصح عقائد)

١ ـ العمر الذي آتاك ما أنت أهله ومن لك منه ناصر ومعين . . .

٢ ـ ومن ليس يدري غيره كيف أنني أبيت وفي نفسي (الحديث شجون)

٣ ـ لأنت لهذا الشعب قرة عينه وأنت على اسراره ـ لامين

٤ ـ فلو أن قلباً كشف الحب وحده تضاءلت حتى ما اكاد أبين

٥ ـ بأي لغات الناس املك وصفه وقد لج فيه نازح وقطين

٦ ـ وما ذاك الا أن فيك بطولة هي المجد ـ الا أنها لك دين

ـ أم القرى ٧٨٣ ص ٥ أم القرى ـ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٩م .

(*) المناسبة : قصيدة القاها الشاعر/ أحمد ابراهيم الغزاوي في احتفال المعهد العلمي السعودي من البحر الطويل .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٧ ـ قدرني ، وقد أعييت أحتثّ امتي ... إلى مثل فيه النجاح دهين

٨ ـ وما هو إلا أنت أيان أشرقت ... (مكارم أخلاق) عليك تزين

٩ ـ فماالعيش لولاهاسوى العيث[١]والخنا[٢] ... وما هو الا ضلة وفنون

١٠ ـ وما الفخر (بالآباء) إلا جناية ... إذا ضاق ذرعا بالحفاظ (بنون)

١١ ـ وما العلم إلا أن تصح (عقائد) ... (ويسلم) إيمان لنا (ويقين)

١٢ ـ ولا العلم إلا ما بنى صرح أمة ... على هامة الجوزاء ـ وهو فنون

١٣ ـ وليست قصاراه كلام مزخرف ... ولا هو وهم باطل وظنون

١٤ ـ ولا هو في الجلي قصيدة شاعر ... ولا هو لهو زائف ومجون

١٥ ـ ولكنه في حومة البحث حجة ... وبين ميادين الكفاح حصون

١٦ ـ وفي (معرض الانتاج) حرث ومنجل ... به الجدب خصب، والهشيم غصون

١٧ ـ (ونسج) و(تعدين) وحذق (صناعة) ... تلوذ بها أمثالها وتدين

١٨ ـ وفوق أعاصير الرياح بواشق[٣] ... وتحت أعاجيب البحار منون[٤]

١٩ ـ كشأن الألى حول الخطوط تكاتفوا ... عفاريت (سفريد[٥]) وجن (مجينو)

٢٠ ـ فتلك سبيل غادرت كل جاهل ... على الأرض شلوا[٦] وهو بعد مهين

٢١ ـ فأحر بأبناء الغد اليوم وثبة ... إلى (الأمل المنشود) وهو حرون[٧]

٢٢ ـ يطوف بآفاق السماء كأنه ... وإياي ، طيف في الهوى وحنين

٢٣ ـ إذا سمته وصلى تبسم ضاحكاً ... وقال : بخ[٨] كرت عليك قرون

---

(١) العيث : الفساد .

(٢) الخنا : الفحش في الكلام وخنا الدهر نوائبه .

(٣) بواشق : جمع باشق وهو نوع من أنواع الصقور .

(٤) منون : الموت .

(٥) سفريد ومجينو : قواد عسكريون تنسب لهما خطوط دفاعية .

(٦) شلوا : ممزق .

(٧) حرون : أي أنهم أدركوا أملهم .

(٨) بخ : اسم فعل للمدح واظهار الرضى بالشيء .

٢٤ ـ فلا أنت مشنوف الفؤاد[١] فتحبني ولا أنا أرضى ما مضى ـ فألين
٢٥ ـ فذكرته عهدي ورضت جماحه فما رق ـ الا أن يقوم ضمين[٢]
٢٦ ـ ولأيا تناصفنا إليك فاشكنا فما كل موهوب الحظوظ فطين
٢٧ ـ وأنت ابن من شاد الممالك بأسه وأنت عليها مشفق وضنين
٢٨ ـ وأنت لأفذاذ (العروبة) ناصر وأنت بما نصبو اليه قمين[٣]
٢٩ ـ وأعظم ما عانيت ما أنت آمل وركنك كالطود[٤] الأشم ركين
٣٠ ـ وأفضل ما أبقيت نشء مثقف وهذا عريش للعلا وعرين[٥]
٣١ ـ فاذك الأماني جذوة (فيصلية) ترى الشعب في العلياء كيف يكون

(نص قصيدة / فؤاد شكر)

معهد العلم يحتفي بنصيره فإذا العلم مشرقاً من أميره
شملته عناية الفيصل الفذ فأرخى عنانه لحبوره
هو غرس غرسته فتوالت قطفات الحصاد بين زهوره
فإذا السعد وارف الظل فيه غردت فوقه كرام طيوره
قد تمشت مخائل الفكر فيه وأزدهى العلم يانعاً في سطوره
قبس من أشعة العلم أضحى كل نور يفيض من بعض نوره
مهرجان تنافس العلم فيه وتبارى مباهياً بأميره
لو مشى ساعياً اليك لما كان مجيد إعرابه عن شعوره

* * *

(١) مشنوف الفؤاد : أي راضي الفؤاد .
(٢) ضمين : كفيل .
(٣) قمين : سريع .
(٤) الطود : الجبل العظيم .
(٥) عرين : بيت الاسد .
(٦) أم القرى ع ٧٨٣ ص ٥ ١١ ذي القعدة عام ١٣٥٨هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٣٩م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أي فضل نعده لمليك ... عز بالفضل والعلا عن نظيره
من كعبد العزيز رأياً وعزا ... أو كعبد العزيز في تقديره

* * *

إيه مولاي كم يد لك كانت ... كندى الروض أو كطيب عبيره
أو لم تزج للثقافة ورداً ... رشف للناس عبقري نميره
رب نشء لولا السبيل إلى العلم ... لكان الضلال أدنى مصيره
كان لولا صباحة العلم تنزى ... غرض الجهل في مصير أموره
فتقبل من غرس جدواك شكراً ... لا يفي شكره على تقصيره
كل ما عنده ثناء بصدق ... يتلاقى نظيمه بنثيره
هتف الشعر في علاك طروباً ... فتقبل فصيحه من جريره

بين الغزاوي وفؤاد شاكر

من الشعراء المعاصرين للغزاوي الشاعر / فؤاد شاكر الذي ربطته بالغزاوي النشأة والمولد فكلاهما ولد في مكة ونشأ فيها ، واستمرت أواصر المحبة بينهما فقد التقيا عن طريق المواهب الشعرية ، والأعمال الصحفية ، وكانا صديقين يتزاوران ويتطارحان الشعر ، ويلتقيان في ديوان الملك ودواوين الأمراء ويقولان الشعر في المناسبات الوطنية ، وقد يتبادلان الشعر في لقاءاتهما الودية من ذلك ما ذكرته في انتقال المطالعات والتعليقات من البلاد السعودية حينما كان فؤاد شاكر رئيساً لتحريرها ، وكانت الصحف تنشر قصائدهما في صفحاتها الأولى ، وتجعل لشعرهما المكان البارز ، فيحتلان الصدارة لقوة شاعريتهما وطول نفسهما ، واعترافاً بفضلهما ، وكلا الشاعرين خدم في ظلال الدولة السعودية وأسهم بجهده الفكري والعملي في بناء النهضة لبلادنا العزيزة ، وقد اشتركا في تسجيل معالم النهضة والأحداث الكبرى ومجريات الأمور للدولة السعودية ، وكلا الرجلين يعد في طليعة الكتاب المشهورين في الصحافة السعودية ، لما يعالجانه من قضايا اجتماعية ، وقد

التقيا في موضوعات كثيرة كل منهما يدلي بدلوه ويعبر عن فكره ومشاعره نحو الأحداث والمناسبات الوطنية من ذلك قصيدتاهما في احتفال المعهد العلمي السعودي الذي أقيم عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ م . واللتان ذكرت نصهما آنفاً .

(ما اشتركت فيه القصيدتان)

(١) تلتقي القصيدتان في التعبير عن الفرحة بانتشار التعليم في ربوع الوطن والإشادة بالرعاية الفيصلية لدور العلم ، وقد تناول الغزاوي ذلك في أبياته الستة الأولى ، أمّا فؤاد شاكر فقد تناوله في مقدمة قصيدته في بيتيها الأولين فقط .

(٢) وقد تحدثا عن العلم فرأى الغزاوي أنه يتمثل في تصحيح العقيدة أولاً ثم هو السبل والروافد لبناء صروح الأمة ، وليس هو كلام مزخرف ولا وهم ولا سفسطة كما يقول :

وما العلم الا ان تصح (عقائد) ... ويسلم (ايمان) لنا (ويقين)
ولا العلم الا ما بنى صروح أمة ... على هامة الجوزاء ـ وهو فنون
وليست قصاراه كلام مزخرف ... ولا هو وهم باطل وظنون

ثم تحدث الغزاوي عن الفروع العلمية التي تحتاجها الأمة من زراعة وصناعة وتقنية فهو يقول :

ولكنه في حومة البحث حجة ... وبين ميادين الكفاح حصون
وفي معرض الإنتاج حرث ومنجل ... به الجدب خصب ، والهشيم غصون
و(نسج) و(تعدين) وحذق (صناعة) ... تلوذ بها أمثالها وتدين
وفوق أعاصير الرياح بواشق ... وتحت أعاجيب البحار منون

وقد تحدث شاكر في قصيدته عن العلم فقال :

قد تمشت مخائل الفكر فيه ... وازدهى العلم يافعاً في سطوره
قبس من أشعة العلم أضحى ... كل نور يفيض من بعض نوره
مهرجان تنافس العلم فيه ... وتبارى مباهياً بأميره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنه حديث خاص بصرح واحد وفي حدود ضيقة حيث شبه هذا الصرح بفأل السعد وطيوره وقبس سطح نوره فأنت ترى البون شاسعاً بين حديثه وحديث الغزاوي الذي فصّل القول وأبان عن مشاعر الأمة وحاجتها واهداف العلم ونتائجه في حديث مطول عن كيفيته وماهيته وفروعه الزراعية والاقتصادية والصناعية ، وما يقتضيه ذلك من الجهد والعزم والإصرار والإقبال في قول بليغ مبني على الاحاطة والاستقصاء بخلاف قول فؤاد شاكر المبني على الجملة الخبرية فحسب .

والفرق بين حديث شاكر عن العلم وحديث الغزاوي هو فرق بين من يتناول الإطار العام للموضوع وبين من يتناول هذا الإطار العام ثم يبين تفاصيله بكل دقة ووضوح حتى يبديه جلياً للعيان على عكس الأول الذي لا يعطي الا فكرة عامة عابرة .

(١) بداية الغزاوي اكثر إثارة حيث استهلها بالقسم (لعمر الذي أتاك ما أنت أهله) بينما شاكر بدأ بجملة خبرية (معهد العلم يحتفي بنصيره) .

(٢) الغزاوي شارك الأمة بذاته وشعوره فتحدث عن نفسيته في قصيدته ، وتفاعله مع العلم وأهله والمجتمع وولاة أمره بينما لم نجد هذه الميزة عند فؤاد شاكر .

(٣) يرى القارىء ملامح للمبالغة التي تجاوزت حدها عند الغزاوي في قوله :

فلو أن قلباً كشف الحب وجده تضاءلت حتى ما أكاد أبين

وقد سبقه الى ذلك المتنبي حين يقول :

كفى بجسمي نحولاً حتى أنني لولا مكالمتي إياك لم ترني

ولكننا لم نلحظ مثل هذه في قصيدة شاكر .

(٤) الغزاوي أطول نفساً في هذه التجربة من فؤاد شاكر فأبيات قصيدة الأول واحد وثلاثون بيتاً أما الثاني سبعة عشر بيتاً على أن إطالة الغزاوي فيها فضل معنى وزيادة في المبنى لما عالجه من المعاني العميقة والدعوة لوضع أسس الحضارة وهذا ما لم يوجد عند نظيره شاكر .

الخيال :

انه يجمل بي أن اوزان بين ما للغزاوي وفؤاد شاكر من ناحية الخيال فانظر كيف اهتدى الغزاوي إلى المحاورة الرائعة بين الشاعر نفسه وأمل الأمة المنشود ، فالأمل كالدابة الحرون صعب تحقيقه ولكن الغزاوي يستسهله لأمته ويحلق ليلحق به ، فيتحدث عن أمته ويقارعه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان فيذكره الأمل بواقع الأمة المرّ لذلك يصعب الوصول إليه ولكن الغزاوي يروض جماحه فيقول : ـ

كان لنا مجداً وسنبني مجداً فيرق الأمل ويلين يتضح ذلك من قوله :

فـأحـر بـابنـاء الغـد اليـوم وثبـة ... إلى (الأمـل المنشود) وهـو حـرون
يـطوف بـآفـاق الـسمـاء كـأنـه ... وإيـاي ، طيف في الهـوى وحنيـن
اذا سمتـه وصلى تبسم ضـاحـكـاً ... وقـال : بـخ كـرت عليـك قـرون
فـلأنت مشغـوف الفـؤاد فتـحيـني ... ولا أنـا أرضى مـا مضى ـ فـأليـن
فـذكـرتـه عهـدي ورضت جمـاحـه ... فـمـا رق ـ الا أن يـقـوم ضـميـن

وإني أخال هذه الأبيات إحدى مبتكرات الغزاوي وبدائعه التي أشرقت في شعره ويلحظ القارىء لقصيدة شاكر أن خياله دون خيال الغزاوي فلم يحلق تحليقه ولم يتخيل خياله .

ونحن نستعيد ما أسلفنا القول عنه من مواطن الحسن ، وروعة الخيال لنرى مدى قدرة الشاعرين في هذه التجربة فقد رأينا مدى طول النفس عند الغزاوي في غير سفسطة ولا إسفاف ، ورأينا تنوع الحديث والبلاغة لديه ، وحسن الخيال في تصويره ، بينما لم يحالف الحظ شاكر في تجربته هذه فقصيدته قصيره ، واللمحات الفنية نادرة فيها .

وربما عللنا ذلك لشعور الغزاوي بشعور قومه وملاصقته لهم وإدراكه لظروفهم وحاجاتهم للعلم والحضارة ، بينما فؤاد شاكر لم يشعر بذلك لأنه لم يختلط بطبقات المجتمع لكونه شامي الأصل فارتبط بعلية القوم ومثقفي المجتمع .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموازنة بين الغزاوي وأحمد العربي (١)

غرض القصيدتين :

قد قال الشاعر ان أحمد الغزاوي وأحمد العربي قصيدتيهما بمناسبة استقبال الشباب السعودي الذين درسوا قيادة الطيران في إيطاليا ، وعادوا إلى وطنهم ليؤدوا رسالة الأمة فاستقبلهم الشعب ، وعبر الشعراء عن فرحتهم بهذه المناسبة التي طالما اشتاقوا إليها ليروا أمتهم وقد اقيلت من عثرتها وصحت من غفوتها بما أتاح الله لها من روافد تشع بالنور كالبعثات العلمية العائدة إلى وطنها خائضة عباب الحاضر حاملة آمال المستقبل متزودة بالعلم لذلك أسهم كل من الشاعرين بهذه التحية لشباب الوطن المتحفز الذي أقدم غير هياب على ميدان العزة والمجد ومتوجاً بتاج العلم والمعرفة .

حول الشاعرين :

أ) ان الشاعرين عاشا متزامنين وقد أدركا العهد الهاشمي وما آلت إليه احوال الجزيرة من حروب طاحنة ثم توحيد البلاد واتجاهها إلى هدف واحد واستظلالها بظلال الأمن ، وإشراقها بنور العلم .

ب) ويختلفان في أن الغزاوي أكبر سناً ، ومولده بمكة المكرمة ، وكان تحصيله العلمي عن طريق الحلقات والندوات والجهد الفردي ، أما العربي فهو من مواليد المدينة المنورة ، وقد أكمل دراسته الأكاديمية وحصل على شهادة دار العلوم بمصر ، ولكن يجمع بين دراستهما العناية بالتراث فالحلقات تعنى به ودار العلوم توليه رعايتها .

---

(١) ولد في المدينة المنورة ، وتلقى علومه في المدارس الاميرية ثم سافر الى مصر ودرس في المعاهد الازهرية ثم أكمل دراسته العالية في دار العلوم ، عين مدرساً في المعهد العلمي السعودي ، ثم عين مديراً لمدرسة أمراء الاسرة المالكة ، وهو كثير الاسفار حيث سافر إلى مصر والجزائر والهند الشرقية وصار عضواً في مجلس الشورى .

جـ) كلا الرجلين أسهم بجهوده في بناء النهضة ووثقت بهما الدولة فلقيا الرعاية والتقدير فالغزاوي شاعر الملك ونائب رئيس مجلس الشورى ورأس تحرير العديد من الصحف والعربي عين مديراً لمدارس أبناء الملك عبد العزيز مما أتاح لهما من لقائه ومعرفتهما بالامور ما لم يتح لغيرهما من الشعراء .

(نص قصيدة[1] الغزاوي)

١ ـ حيّ بالإعجاب أحفاد الصقور ... واشند بالفخر وقل حان النشور
٢ ـ واتخذ من كل قلب صيغة ... بالتهاني ، وانتظم در النحور
٣ ـ وقل الحمد لمن ـ هيأها ... فرحاً ، أودى بها الماضي العثور
٤ ـ يوم كنا همنا منصرف ... في متاع وسماع وغرور
٥ ـ يوم كنا والأماني رأبنا ... تنقل الخطو على وقع الدهور
٦ ـ يوم كان الدجن مجلى أنسنا ... والضواحي والأقاحي والزهور
٧ ـ يوم تلهينا دعابات الصِّبا ... والصّبا المعتل والظبى النفور
٨ ـ حين ساد الناس طراً وانتحوا ... طرق الكسب وأسباب الظهور
٩ ـ حين ضاق البر والجو قوى ... وتوارت بالأساطيل البحور
١٠ ـ وانبرت نحو المعالي أمم ... أشربت حب التفاني ـ والصدور
١١ ـ لم يزعها غير ما أبلت به ... من نزاع في بقاء ودثور
١٢ ـ أوشكت لولا التباري أن ترى ... عبرة تتلى على مرّ العصور
١٣ ـ كافحت وآستبسلت واستعصمت ... فحماها السيف والعلم الحذور

* * *

١٤ ـ قد شفاني اليوم مما شفني ... رهطنا القادم في نعت النسور

---

(١) أم القرى ٥٩٢ يوم الجمعة ٢٨ محرم ١٣٥٥ هـ الموافق ١٠ ابريل ١٩٣٦ م .
(*) المناسبة : تخرج أول دفعة من الطيارين السعوديين وتحليق سرب من الطيران السعودي وتكوين سلاح طيران سعودي .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٥ ـ وتولاني شعور صادق ... يملأ القلب اغتباطاً وسرور
١٦ ـ أنكم ما كنت قبلاً أرتجي ... في مجال الجد ـ إدلال الفخور
١٧ ـ وبكم (روما) تواصت ورأت ... حجة الصحراء في الرب الوقور
١٨ ـ وعلت للعرب فيكم سمعة ... هزت الأعماق من أقصى الشعور
١٩ ـ يا شباباً فيه شدوى مطرب ... وبه أسمو وأزهو وأمور
٢٠ ـ أنتمو البرهان في السعي الذي ... هو في الطامح من عزم الأمور
٢١ ـ ولكم بت سميراً راعياً ... للنجوم الزهر ملتاثاً أحور[1]
٢٢ ـ أرقب الأنباء عن تحليقكم ... وأمل الصبر في ظل الشهور
٢٣ ـ وأروض الحس يجثو مشفقاً ... في فؤادي ثم يطغى ويثور
٢٤ ـ وقطعتم شوطكم في حلبة ... أشبه الفوز بها ضاحي البكور
٢٥ ـ فوأدت[2] الحذر في منبته ... وابتعثت الزهو في عافي القبور
٢٦ ـ وتنورت بكم من حالق ... طالع اليمن وأزهاق الدبور
٢٧ ـ وتنكرت على اليأس الذي ... حطم الآمال واجتث الفتور
٢٨ ـ آية كالشمس في إشراقها ... أمة تبنى وشعب لن يخور[3]
٢٩ ـ حبذا يوم شهدناكم به ... إنه في الحق وضاح السفور
٣٠ ـ حقكم منا ثناء عاطر ... واحتفاء واحتفال وشكور
٣١ ـ (واكتتاب)[4] يستوي فيه معا ... فتيات الشعب يسبقن الذكور
٣٢ ـ والغني الشهم في ثروته ... والفقير الندب والنشء الغيور
٣٣ ـ ولنا فيكم رجاء ساطع ... قد عقدنا فيه لله النذور

---

(١) الصبا : الشوق .
(٢) الصبّا : جهل الفتوة .
(٣) فوأدت : قتلت .
(٤) يخور : يضعف .
(٥) أحور : غير مهتد الى السبيل .
(٦) يشير الى تأسيس شركة الطيران حيث بدأت بشركة مساهمة .

٣٤ ـ ولكم فرض علينا ثابت أصله بالفرع موصول الجذور
٣٥ ـ ان أطقنا أن نؤدي بعضه فهو بالتعضيد ممتد الجسور
٣٦ ـ هو بذل وسخاء عن رضا واعتقاد واقتصاد ووفور
٣٧ ـ ليس منا غير من يرجو بكم في مدار الشهب تذليل الوعور
٣٨ ـ كلكم في المجد أكفاء له ولكم فيه على الشعرى[1] عبور
٣٩ ـ حسبي (التاريخ) فيكم شاهداً خلد الجهد لكم فيه السطور
٤٠ ـ فاسلكوا الأجواز بالعزم الذي قهر الدنيا ولم يخش الثبور
٤١ ـ وابتنوا في الجو أسطول العلى وصلوا بالفن ما بين الثغور
٤٢ ـ واقتضوا الأيام ما قد فاتنا من حقوق نالها الشعب الجسور
٤٣ ـ وانهضوا بالعبء وليزه بكم وطن المجد وآفاق البدور
٤٤ ـ وليعش من ليس يحصى فضله (صاحب العرش) ومجلى كل نور
٤٥ ـ وبنوه الصيد آساد الوغى ما تغنت في ذرى الأيك الطيور

* * *

(نص قصيدة[1] أحمد العربي)

أهلاً بقادة النسور طليعة العهد النضير
الرافعين لواء مجد بلادهم فوق الأثير
المنتضين عزائماً أمضى من السيف الطرير
أهلاً بمفخرة الحجاز ورمز سؤدده الخطير

* * *

ان الحجاز وكل من ضم الحجاز بكم فخور

---

(١) الشعري : نجم .
(٢) وحي الصحراء ١٢١ جمع عبد الله بلخير وعبد المقصود .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو أيككم وعلى رباه نما جناحكم الصغير
ولكم حباكم عطفه وحنانه الجم الغزير
وغذاكم بلبانه وبمائه العذب النمير
وأظلكم بسمائه وبجوه الصافي المنير
أفلا ترفرف في ذراه اليوم أعلام السرور؟
وهو المهاد ومنبت الأجداد والوطن الوتير

* * *

وطن أقلت أرضه خير الخلائق والعصور
ومشى على جنباته جبريل والروح الكبير
وتمخضت أعطافه عن ذلك الماضي النضير
أفلا يحن الى النهوض ويستجيب إلى البشير

* * *

هذا الحجاز اليوم في طرب وذاك صدى الشعور
خرجت زرافات بنوه تموج في حلل السرور
يتسابقون إلى الحماسة والحفاوة بالنسور
يا ليت شعري أي جدوى للحفاوة والحبور
ولهذه الأصوات تذهب في الفضاء ولا تحور
ان لم نعد الطائرات تبز أسراب الطيور
ونشد أزر نسورنا بالمال والعضد النصير
أرأيتم في الجو طياراً دون أجنحة يطير؟
المال اكسير الحياة وعنصر الفوز الكبير
والمال مثل الغيث من قطراته تجري البحور
وقليلهن من الكثير يكافىء الجم الغفير
فليسد كل ما يطيق.. لرفعة الوطن الجدير
هذا لعمركم الفخار وذاك مضمار الفخور

بالجد تكتسب العلا ... لا بالاماني والغرور
لو أن بالآمال والاقوال ... تنقاد الأمور
لم يلف في الجلى لنا ... ند ولم يذكر نظير
فلقد ملأنا الوهم آمالاً ... تضيق بها الصدور
ولقد ملأنا الصحف أقوالاً ... تضيق بها السطور
ولقد وقفنا والزمان ... وكل ما فيه يسير
ولقد هجعنا والحياة ... وكل ما فيها يمور

* * *

ولقد بدأنا اليوم نشعر ... بالحياة وبالنشور
عجباً أنحن سلائل الأعراب ... معجزة العصور
عجباً أنحن بنو أساتذة ... الحضارات الصدور
أنكون أول مبدعي الطيران ... آخر من يطير؟؟
أسفاً وقد يجدي التأسف ... حين يحتث الشعور
ولعل في هذا الشعور ... بوارق العهد المنير

* * *

يا أيها السرب المجد ... قدومه الأمل النضير
حدث بني الشرق الطموح ... بما لدى الغرب الخطير
وابن لنا كيف استبدوا ... بالبرور وبالبحور
واستعبدوا الجو الطليق ... وذللوا متن الأثير
واذكر أعاجيب التقدم ... ثم ، والعلم الجسور
واضرب لنا مثل الفتوة . . ... والشباب المستنير
وارفع لواء العرب خفاقاً ... على هام الدهور
فعليك قد عقد الرجاء ... وأنت جد به جدير

* * *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واذا النسور تكن طليعة أمة وهم الصدور
بلغوا ذرى المجد الرفيع وحلقوا بين البدور
واذا النسور ترسموا آثار عاهلنا الكبير
صقر الجزيرة وابن ذروة مجدها وابن الصقور
ضمنوا ليعرب نهضة ستكون مفخرة العصور

* * *

عاش المليك ويعرب بقيت على مر الدهور
عاش المليك وعاشت الأشبال ولتعش النسور

* * *

مضمون القصيدتين :

بدأ الغزاوي قصيدته بتقديم التحية والاشادة بهؤلاء الفتية الذين رادوا قيادة الطيران في هذه البلاد ، ثم انطلق الغزاوي في قصيدته يستعيد شريطاً من ذكريات السبات العميق الذي كان فيه العرب في القرون المدلهمة التي سلفت حينما كانوا منصرفين للمتاع والسماع والغرور والاماني الكاذبة التي ترسم سراباً من أمجاد الماضي بينما اتجه الغرب الى الاخذ باسباب الرقي والتقدم والكسب فملؤوا البر وضاق بهم البحر كل ذلك في جهد دائم لا يعرف الملل ولا الكلل ـ انظر الابيات من ٤ : ١٣ .

ولكن يشفيه من سقمه ما رآه اليوم من شباب الامة ويغمره بالفرح ويملأ قلبه اغتباطا وسروراً ثم أخذ يهتف بالشباب كأنهم البرهان لطموح الامة التي تبنى في دأب ودون سأم أو كلل ـ الابيات من ١٢ : ٢٢ .

ثم يتحدث عن تعاضد الوطن وتعاونه في همة عالية واندفاع يزيح الظلام ليحرض على الاكتتاب الذي يستوي فيه الفتى والفتاة والشباب والشيوخ والغني والفقير الكل يجب أن يسهم في مشاريع الخير والنماء والعطاء التي تخدم الوطن والامة من ٢٨ : ٣٨ .

وفي ختام القصيدة يخاطب أبناء الشعب بما يحفزهم على البذل والسخاء والعطاء فيذكرهم بماضيهم التليد الذي يشهد به التاريخ لما نشره من الايمان والعلم والعدل فكأنه يقول لهم :

علينا أن نعيد تلك الاحقاب وماضيها من أمجاد فنؤدي واجب الوطن .ثم يحيي الملك ببيتين في ختام القصيدة .

ونفس المضمون نجده أيضاً عند أحمد العربي وهو يستهل قصيدته بالترحيب ثم التمجيد للوطن وشبابه ويأتي اقناعه وحثه عن طريق المنطق العقلي والحجة والبرهان فهو يقول :

أرأيتم في الجو طيرا دون أجنحة يطير ؟؟
أرأيتم أمراً بغير المال تم له الصدور
المال أكسير الحياة عنصر الفوز الكبير
والمال مثل الغيث من قطراته تجري البحور

ثم يتحدث عن شعوره بالحياة والنشور من سلائل الأعراب معجزة العصور ثم يختم قصيدته بالثناء على الملك عبد العزيز رحمه الله .

ما اشتركا فيه القصيدتان :

١) كلاهما أعرض عن عمود القصيدة الذي بني على المقدمة وتعدد الأغراض ودخلا في الغرض مباشرة بل إن كل منهما أوحى في بيته الأول بالموضوع الذي تدور حوله القصيدة فالغزاوي ذكر الصقور التي تنبىء عن الطيران وأحمد العربي ذكر النسور التي تمثل أضخم الطيور .

٢) التفت القصيدتان في حرف الروي فكلا الشاعرين جعل حرف الراء روياً لقصيدته

٣) كلاهما استهل قصيدته بالترحاب والإعجاب والتحايا .

٤) كلاهما يختم قصيدته بالإشادة بالملك عبد العزيز الذي قاد البلاد إلى سبل النهضة ووطد دعائم العلم فيها وقاد موكبها ليحتل مكانة ثانية بين الأمم .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التصوير في القصيدتين :

الغزاوي رسم صوره في القصيدة بأسلوب إخباري فلم يلجأ في أغلبها إلى التشبيه أو الاستعارة ولم يبالغ فيها أو يعطيها من جده ووقته أو حتى ينظر اليها نظرة فنية خاصة إنما جاءت مرسلة على طبيعتها ومع ذلك أدخل ذاته في هذا التصوير وكيف أثرت الأحداث على نفسيته كما يقول :

ولكم بت سميراً راعياً ... للنجوم الزهر ملتاثاً أحور
أرقب الأنباء عن تحليقكم ... وأمل الصبر في ظل الشهور
وأروض الحس يجثو مشفقاً ... فيّ ثم يطغى ويثور

ومع ذلك لا نعدم اللفتات البلاغية والتصوير التشخيصي لبعض المعاني من ذلك تشخيصه للحذر والزهو بصورة الإنسان الذي يئد أولهما ويبعث الآخر من عافي القبور في قوله : ـ

فوأدت الحذر في منبته ... وابتعثت الزهو في عافي القبور

وكذلك تشبيه الأمل الذي تحقق بشباب الأمة باشراق الشمس :

آية كالشمس في إشراقها ... أمة تبنى وشعب لن يخور

وعلى نفس الوتيرة سار العربي في قصيدته فوصف وصفاً عاماً لم يطمع في رسم صورة متقنة لأمر من أموره ، وإنما استخدم الصور في مواضع نادرة من قصيدته مثل تشبيهه المجد بالجيش العرمرم واستخدام الاستعارة حين يقول :

الرافعين لواء مجد ... بلادهم فوق الاثير

وكذلك تشخيصه (للعزائم) بالسيوف الماضية في قوله :

المنتضين عزائماً ... أمضى من السيف البطير

ونأخذ على أحمد العربي في قصيدته تجزئته للبلاد فقد ذكر الحجاز وأشاد به

بينما قيلت القصيدة بعد توحيده البلاد بسنوات عديدة لكنه لم يمجد إلا جزء واحداً من الوطن حين يقول : ـ

أهـلاً بـمـفـخـرة الـحـجـاز ورمـز سـؤدده الـخـطـيـر
إن الـحـجـاز وكـل مـن ضـم الحـجـاز بكـم فـخـور

هذه النظرة الإقليمية الضيقة قد محيت وإلى الابد في شعر الغزاوي الذي ينظر إلى الجزيرة والمملكة كوحدة عضوية متكاملة لا فرق بين أجزائها أو أبنائها .

الموازنة بين الغزاوي وعبد الله بن خميس

سلمت يدا شعب الجزيرة

١ ـ الثـأر يـوقـظه الحسـام المنتضى والحق ـ كل الحق ـ فيما قد قضى
٢ ـ والقـول ترجمـه الفـداء[١] قـذائفاً أصـداؤهـن تشـق أجـواز الفضا
٣ ـ حكم ومـا فـزع الـرجـال لمثله ان لج غر[٢] في العداء وأوفضا[٣]
٤ ـ قـالت بـه (فتـح)[٤] وقلنـا عنـوة يهنيك يا (فتح) الطريق المـرتضى
٥ ـ رفضت محـادثـة الـسـلام وانهـا لخـديعـة أولى بهـا أن تـرفضـا
٦ ـ تخـذ الـسـلام العـاجـزون تعلة أين السـلام فما أعـل وأمـرضـا
٧ ـ هيهـات كم زمن نشيـم بـروقـه أقوى على الضيم المبرح وانقضى

(*) المصدر: (على ربى اليمامة) لعبد الله بن محمد بن خميس ص ٩٣ الطبعة الثانية .
المناسبة : بمناسبة افتتاح المعرض الفني لصالح لجنة رعاية أسر مجاهدي وشهداء فلسطين بالرياض أنشدت هذه القصيدة في الثامن من محرم ١٣٨٩ هـ . .
البحر : من بحر البسيط . . .
(١) الفداء : يقصد الفدائيين الفلسطينيين .
(٢) الغر : الشباب الذي لا خبرة له .
(٣) أوفضا : من (وفض) أسرع وعدا .
(٤) فتح : منظمة فلسطينية كان لها دور فعال بعد حرب ١٩٦٧ يرأسها ياسر عرفات .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ـ قلنا لعالمنا بنصفة حقنا ... فأشاح عن سنن الصلاح وأعرضا
٩ ـ واليوم نستفتي السلاح فانه ... أهدى سبيلاً نحو أسباب القضا
١٠ ـ لا تستنيم على الوتيرة[١] أمة ... تركت لها الدنيا سجلاً أبيضا
١١ ـ يرضى المهانة في الحياة ملدد ... لو حشي جفناه القتاد[٢] لأغمضا
١٢ ـ أو مقرف[٣] عبد الحطام ولم يزل ... من معطيات المجد أرمل أرمضا
١٣ ـ سلمت يدا شعب الجزيرة انه ... أولى العروبة بالتجلة والرضا
١٤ ـ لما أهاب بسوحه صوت الفدا ... أعطى وجاهد واستجاب وأقرضا
١٥ ـ قامت طلائعه تجوب رحابه ... مستنفراً ما شئت أو مستنهضا
١٦ ـ فتجاوبت زأراته مستأسداً ... وتدفقت نفحاته متعرضا
١٧ ـ والفن ألقى في الخضم بدلوه ... فنضا عن الابداع منه ما نضا
١٨ ـ صوراً جلاها للجهاد وللفدا ... جعلت يد الفنان منها معرضا
١٩ ـ تزهو بها القاعات ترمز للعلى ... لا بالرياش مذهباً ومفضضا

عبد الله بن محمد بن خميس

وعندما قرأ الغزاوي القصيدة السالفة قال :

وأكاد من شغفي

١ ـ أشعلت يا بن خميس[٤] نيران الغضا ... في من تفيأ بالصوارم وانتضى

---

(١) الوتيرة : من وتر وتراً وترة أفزعه وأصابه بظلم أو مكروه . .

(٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالابر .

(٣) مقرف : باغ وكاذب .

(*) **المصدر** : (على ديوان ربى اليمامة) لعبد الله بن محمد بن خميس ص ٩٩ .

المناسبة : وكعادة شاعرنا الكبير (أحمد إبراهيم الغزاوي)في شاعريته المتوقدة وبيانه الرائع الأصيل وعارضته المواتية عندما يتأثر بشعر أو يهتز له . . يستجيب لشاعريته الثرة فيباريه بما يبزه ويهزه وهذا ما وقع بعد أن قرأ القصيدة السالفة . . .

البحر : من بحر الكامل .

(٤) ابن خميس : هو عبد الله بن محمد بن خميس من مواليد الدرعية ، الكاتب الأديب المفكر نال جائزة =

٢ ـ ونسجتهـا من كـل قلب خـافـق ... تجري الدماء به حميماً مرمضـا[١]

٣ ـ وكـأنما هي في ارتجـاس رعودهـا ... شهب تحدى كل من هو أجرضا[١]

٤ ـ مـا نفثهـا مـا بثهـا مـا حثهـا ... الا على سحق العـدو مرضضـا[٢]

٥ ـ هي من بيـانـك في بنـانـك آيـة ... ان الرضي[٢] بها ازدهى والمرتضى[٣]

٦ ـ اني وراء (كـداء) من (أم القـرى) ... لأراك سيفاً في (الريـاض) ومقبضا

٧ ـ وأكـاد من شغفي بمـا أنشـدتـه ... أطوي اليك (تهامة) و(العارضا[٤])

٨ ـ وأقـوم في عليـا (معـد) هـاتفـاً ... ان الحيـاة هي الكفاح ومـا اقتضى

٩ ـ ولـنحـن أبنـاء الألى لـو أنهـم ... بعثـوا لمـا وهبـوا لنـا كـل الـرضـا

١٠ ـ أتـراثهم يـطأ البغـاث مهـاده ... حتى تـصـدع عنـوة وتـقـوضـا

١١ ـ مـا (فتـح[٥])ـ وايم الله ـ وهـي ... كتائب الا البطولة والفداء تشضضا

١٢ ـ عجلت بهـا الآجـال في آجـامهـا ... للمـوت أو تحيـا حمى ومـرابضـا

١٣ ـ ومشت الى الهـول الـرهيب مغيـرة ... وبها العدو المستكين تخضخضا[٦]

١٤ ـ روح من القهـار جـل جـلالـه ... أورى بهـا المـوتـور حتى ينهضـا

١٥ ـ والقـرح ليس هـو الجـروح وانمـا ... ذل العـزيز وأن يضـام ويجهضا[٧]

= الدولة التقديرية لعام ١٤٠٤ هـ وله ديوان شعر (على ربى اليمامة) وله كتب كثيرة منها (الشوارد) و(من القائل) . .

(١) مرمضا : شديد الحرارة . .

(٢) أجرضا : ابتلع ريقه على مضض وبشدة ويقصد الذي يصبر على المصائب .

(٣) مرضضا : مكسرا .

(٤) الرضي : هو الشريف الرضي الشاعر المشهور المتوفى ٤٠٦ هـ . .

(٥) المرتضى : شقيق الشريف الرضي المتوفى عام ٤٣٢ هـ . .

(٦) المعارضا : العارض منطقة (الرياض) ويطلق أيضا على جبل طويق وعارض اليمامة .

(٧) فتح : منظمة فتح الفدائية الفلسطينية برزت بعد ١٩٦٧ يرأسها ياسر عرفات .

(٨) تخضخضا : يطلق على الخرز الأبيض الصغار ويطلق على الأحمق ويطلق على المبلول بالماء وهو الذي يقصده الشاعر أو يقصد من تحريك الماء فهو مخضوض أي أن قوات فتح حركت اليهود وجعلتهم في هرج ومرج

(٩) يجهض : يقلب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

١٦ ـ تـالله ما ضـاعت (فلسطين) سـدى ... الا بمن قبـل الهـوان ونضنـضـا

١٧ ـ ولـواحـد مـمـن تـيـقـن بـعـثـه ... لأشـد من ألف عليهم لـو مضى

١٨ ـ ولقد يكـون الخير في تمحيصنا ... فنكـون أجدر بـالبقـاء وأنهضـا

١٩ ـ هـا هم أولئك لا يشق غبـارهم ... صيـد غـطارفـة تنـادوا ركضـا

٢٠ ـ يتسـابقـون الى المنـون كـواعبـاً ... وكـأن خـولـة[١] كلهن تخـوضـا

٢١ ـ أمـا الشيـوخ فـانهم كشبـابـهم ... ولكل من يغشى الوغى مـا أقرضـا

٢٢ ـ هـذا سبيـل الله بـل هـو بـابـه ... مني الـرسـول المجتبى وتعـرضـا

٢٣ ـ أمـا الـذين هم الغثـاء ومـا بهم ... الا الشقـاق محـرضـاً ومحـرضـا

٢٤ ـ والـزائغون الكـانـدون[٢] عقـائـدا ... والحـائـرون مـذاهبـاً ونقـائضـا

٢٥ ـ فلسـوف لا يجدون مهمـا كـابـروا ... في الله الا سـاخـراً أو هـائضـا

٢٦ ـ والـدين والـدنيـا لنـا في اثـره ... مـا نحن وفينـا النـذور فـرائضـا

٢٧ ـ ولنـا بتـوحيـد الإلـه معـاقـل ... تـذر العتـاة نـواصبـاً وروافضـا

٢٨ ـ بشـراك عبـد الله انـك شـاعـر ... ما ان يزاحمه (الكميت[٣]) معارضا

٢٩ ـ واذا الجيـاد الصـافنـات تصـاهلت ... كنت المقـدم شـاكمـاً أو راكضـا

٣٠ ـ فـاصـدع بمـا تؤمـر ومـا من آمـر ... الا الصـراط المستقيم مناهضـا

٣١ ـ ومن القـوافي للشعـوب قـوادح ... بـزنـادهـا تعنـو الجبـال خـوافضـا

٣٢ ـ ولتحي يا (سلمان)[٤] واسلم للعلى ... والمجـد وانصب للأبـاة معـارضـا

٣٣ ـ هي فيـك سـر من أبيـك وصبغـة ... في (فيصـل) وله الثنـاء ممحضـا

٣٤ ـ شيم بهـا شم الأنـوف تصـافحـوا ... وتـوارثـوهـا عـرضـة وعـوارضـا

٣٥ ـ لن تشتفي منـا الصـدور بـرحبهـا ... من ضيقهـا الا بـمـا الله ارتضى

---

(١) خولة : بنت الأزور صحابية فارسة قاتلت الروم مع المسلمين وكانت لها مواقف بطولية مشهودة .

(٢) الكاندون : جمع كاند وكنود وهو الكافر بعقيدته .

(٣) الكميت : شاعر أموي مجيد متشيع لآل البيت نشأ في العراق .

(٤) سلمان : يقصد سلمان بن عبد العزيز آل سعود أمير الرياض .

٣٦ ـ وهل الذي بالصدق عاش محبباً ... مثل الذي بالإفك بات مبغضا
٣٧ ـ والشعب كل الشعب خلف مليكه ... والمسلمون جميعهم مهما قضى
٣٨ ـ ولدمعة منه بسفح المنحنى ... بين الحجيج وقد بكى وتعرضا
٣٩ ـ لهي الوقود لكل باغ معتد ... وبها الجحيم سيصطليه مقرضا
٤٠ ـ ان البطولة في الفداء وانما ... يخشى المنايا من أشاح وأعرضا
٤١ ـ وأرى الكماة وقد سخوا بدمائهم ... فتحاً قريباً والخلود لمن قضى

أحمد ابراهيم الغزاوي

اني أحلل نص الرجلين اللذين اشتركا في بناء النهضة الأدبية والفكرية والاجتماعية في هذه البلاد . . . فهما من الرعيل الأول من الأدباء في بلادنا في عصرنا الحديث ولهما الصدارة في تأسيس الصحف وتحريرها ، وتغذيتها ، فهذا الغزاوي له القدح المعلى في رئاسة تحرير مجلة الاصلاح ، وأم القرى ، وصوت الحجاز ، كما غذاها وغيرها بلبانة قلمه ، ورحيق فكره ، وكذلك الشيخ الأديب الشاعر المفكر عبد الله بن خميس فله دوره الريادي في الصحافة وخاصة اقليم نجد (المنطقة الوسطى) فقد بادر الى تأسيس صحيفة القصيم ، وأسس جريدة الجزيرة وله اسهامات كبرى في الصحف السعودية والعربية . . . وقد عملا أعمالاً جليلة كان لها ثمارها مع زملائهم من الذين حملوا أعباء الأعمال الادارية في المملكة العربية السعودية واعتدالاً في آرائهم ، ونالوا ثقة المسؤولين في البلاد فالغزاوي من صائغي الأنظمة في عهد الدولة الأولى حينما كانت مناطة بمجلس الشورى . . .

والشيخ عبد الله بن خميس تولى كثيراً من الأعمال الادارية العالية في الدولة ، وله آراؤه الهادفة نشر بعضها في الصحف وعمل به بعد سنوات . . . فهو من أولئك الذين اقترحوا جلب المياه من الخليج الى الرياض وتكوين بحيرة تمد الرياض وتستفيد منها أعماق الأرض أيضاً . . فيزداد المخزون ويتوفر الماء . . . وكل منهما شاعر اتسم بوضوح الفكرة والهدف . . يميل شعرهما الى الاتجاه الاسلامي وبناء الوطن ووحدة الأمة الاسلامية الشيخ عبد الله بن خميس حاز على جائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٤هـ . .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موضوع القصيدة :

أما موضوع القصيدتين فهو واحد . . . وقد سبق اليه ابن خميس حينما نظم قصيدته بمناسبة افتتاح المعرض الفني لصالح لجنة رعاية أسر مجاهدي وشهداء فلسطين بالرياض في الثامن من محرم ١٣٨٩ هـ فقد أملت عليه الأوضاع في فلسطين تجربته هذه . . . ثم كان من صدى هذه القصيدة وتأثيرها على شاعرنا أحمد ابراهيم الغزاوي أن باراها وأشاد بصاحبها في قصيدة حول فلسطين ومنظمة فتح . . . وشاكلها في القافية لأنهما تحملان تجربة واحدة ، ذات موضوع عريق يهم كل عربي ومسلم فضلاً عن مفكري الأمة وأدبائها . . .

وقد اتحدا أيضاً في الاتجاه الفني فكلاهما يميل الى الأصالة العربية من التقيد بالأوزان والقافية والروي وسلامة اللغة العربية والديباجة المشرقة ، والأفكار الواضحة ، والهدف السامي ، فاجتنبا المحسنات البديعية المتكلفة ونجيا من طلاسم منثور الشعر واتجاهاته الرمزية ، وهما قد استعارا الاطار العربي ومالا الى الأصالة في القواعد الشعرية والفنية واللغوية . . . وملآ قوالب الشعر بروحيهما ، وشخصيتهما وأهدافهما وآمال أمتهما . . .

موضوع قصيدة ابن خميس :

١ ـ قصيدة عبد الله بن خميس تحتوي على تسعة عشر بيتاً تدور كلها حول فلسطين فهو يوقظ الضمائر بأخذ الثأر ويثبت القول بالفداء وارسال القذائف من منظمة التحرير (فتح) التي أعلنت أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة لاسترداد الحق ، وأن الدعوة الى السلام خداع بعد خداع بعد أن عرضنا مطالبنا بالانصاف فأشاح الناس عنا وأعرضوا :

الثأر يوقظه الحسام المنتضى ... والحق ـ كل الحق ـ فيما قد قضى
والقول ترجمه الفداء قذائفاً ... أصداؤهن تشق أجواز الفضا
حكم وما فزع الرجال لمثله ... ان لج غر في العداء وأوفضا
قالت به (فتح) وقلنا عنوة ... يهنيك يا (فتح) الطريق المرتضى

رفضت محادثة السلام وانها لخديعة أولى بها أن ترفضا

تخذ السلام العاجزون تعلة أين السلام فما أعل وأمرضا
هبهات كم زمن نشيم بسروقه أقوى على الضيم المبرح وانفضى
قلنا لعالمنا بنصفة حقنا فأشاح عن سنن الصلاح وأعرضا

أما موضوع قصيدة الغزاوي فانه يدور ـ في أعمه وأغلبه ـ حول قضية فلسطين مع أنه عدد الجزئيات في القصيدة مما جعله أطول نفساً من ابن خميس ، فقد بلغت قصيدته واحداً وأربعين بيتاً . . . فقد خص ابن خميس بسبعة أبيات في المقدمة مشيداً بتأثره بشعره الذي يحاكي نيران الغضا ولا غرو في ذلك اذ أن منابعه من قلبه الخافق الذي يجري بدمائه حميماً محرقاً لذا فان كلماتها شهب مرسلة . . . ثم ينطلق بالهاتف في أبناء معد يدعوهم للكفاح باثارة هممهم بتذكيرهم بالآباء المجاهدين . . وان (فتح) جذوة من أولئك الرجال فها هم تراهم لا يشق لهم غبار عند التسابق الى الهيجاء تسابق الصيد فكأنهم أبناء خولة . . . . وهذا سبيل النصر المبين . ولأن الأمير (سلمان) بن عبد العزيز له اهتمامه الخاص بالقضية الفلسطينية فهو يرعى احتفالات ابناء فلسطين ويشرف على أعمال لجانها شأنه شأن رجال الدولة كلهم بل هو ممثل للملك والاسرة الكريمة في هذا المجال فقد أشاد به وبمواقف الدولة . . .

أما ابن خميس فقد أورد بيته الأول في قصيدته كأنه تقرير اخباري أو حكمة حينما يقول والحق ـ كل الحق ـ فيما قد قضى ـ يشير الى السيف وهذه الكلمة من الشاعر فحسب انتزعتها ما تجرأت عليه الدول التي تستخدم القوة وتجعل الكلمة لها بينما الواقع غير ذلك فالسيف ربما يأتي بالباطل أيضاً . . .

ثم يلتقي ابن خميس بأبي تمام في بيته التالي :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

يلتقي به في هذا البيت يقول فيه : ـ

١ ـ الثأر يوقظه الحسام المنتضي والحق كل الحق فيما قد مضى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالقصيدة تصوير لما تعانيه الدول العربية بل العالم الثالث من ظلم فادح من العالم القوي المسيطر . . وكيف يلجأ الى هيئة الأمم التي لا حول لها ولا قوة ولا طول . أو الى محادثات السلام التي تعتمد على الانجازات الحربية والضغوط المادية ، والخداع في الأساليب الحوارية :

رفضت محادثة السلام وانها ... لخديعة أولى بها أن ترفضا
تخذ السلام العاجزون تعلة ... أين السلام فما أعل وأمرضا
هيهات كم زمن نشيم بروقه ... أقوى على الضيم المبرح وانقضى
قلنا لعالمنا بنصفة حقنا ... فأشاح عن سنن الصلاح وأعرضا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net